الطبعة الكاملة

مقامات
بديع الزمان الهمذاني



مؤسسة
الانتشار العربي

مَقامَات

بَديع الزَّمان الهمَذاني

الطبعة الكاملة

تحقيق

سحبان أحمد مروه

مؤسسة الانتشار العربي

Arab Diffustion Company

مَقامَات

بَديع الزَّمان الهَمَذاني

الطبعة الكاملة

تحقيق

سحبان أحمد مروه

الانتشار العربي

ص.ب: 113/5752
E-mail: arabdiffusion@hotmail.com
www.alintishar.com
بيروت - لبنان
هاتف: 9611-659148 فاكس: 9611-659150

ISBN 978-614-404-029-4

الطبعة الثانية 2016

توطئة

أمران إثنان كانا وراء عزم مؤسسة الإنتشار العربي على إصدار هذه الطبعة الجديدة لمقامات بديع الزمان الهمذاني، ولكل واحد من الأمرين أهميته الخاصة.

وأما الأول فيتمثل بالمكانة العالية والمرموقة التي يتسنّمها البديع بسبب من مقاماته التي شكّلت علامة فارقة في تاريخ النثر العربي وكانت مصدر إلهام للقصص التشردي Picaresque البيكاريسك الغربي، فالهمذاني وهو الرائد في كتابة المقامات لم يقتصر فيها على الحذلقة اللغوية والبيانية كما فعل مقلّدوه (الحريري واليازجي مثلا لاحصرا) بل لقد صوّر زمانه ومكانه ونفسيات اهل ذلك الزمان والمكان تصويرا نافذا وعميقا وكل ذلك بلغة لم تفقد حتى اليوم نضارتها واشراقها وعمقها.

واما الأمر الثاني فهو عزمنا على تقديم المقامات كاملة غير منقوصة فلقد كان مزعجا ومؤذيا ان نرى المقامات تترى طبعاتها ولكن بعد إخضاعها لعملية ختان اخلاقي كريه حتى بلغ الأمر إلى حد حذف او بتر مقامة بكاملها تحت ذريعة شوهاء ممجوجة إسمها خدش الحياء والخروج على الأخلاق العامة ولا نعلم خدشا للأخلاق اسمج من تلك الفعلة في زمان تطلع فيه صور وافلام وروايات تبدو امامها المقامة المظلومة ترتيلة اطفال في صفوف الحضانة.

ولعل القاريء الحصيف يعلم أن النسخة الأشهر والأعمّ تداولا كانت من صنعة الشيخ الإمام محمد عبده الذي اخضع النص لرقابة اخلاقية صارمة فاعمل مقصّه حذفا وبترا وعُمّم الكتاب وعمّ ولم يعد احد يدري أن المقامات هذه شوهاء وانها ليست كذلك.

ليس من الأمانة في شيء خصي التراث وليس من الأدب في شيء تحريف نص مات صاحبه منذ قرون فلا يستطيع الدفاع عنه ناهيك باننا إذا سمحنا بذلك ورخّصنا له فسرعان ما سنجدنا امام سؤال خطير ومهول الا وهو: ماذا نفعل بالتراث بعامّة وبكتب الفقه والتشريع بخاصة؟!.

حِرصُنا على النص كما وضعه صاحبه وحرصنا على إصدار النص في حلة وهيئة تناسبه وتليق به حملنا على تقديم هذا الأثر الخالد كما هو ليكون متعة وفائدة سيجدهما القاريء وهو ينقّل البصر مع عيسى بن هشام في امكنة تعود إلى الحياة وهي تضج بالحياة والعافية بقدرة ريشة البديع الساحرة التي لا يهزمها الموت.

بديع الزمان شخصية كوزموبوليتية فهو عربي اقام في فارس وغرف من تراث الثقافتين فضلا عن وقوفه على علوم وفلسفات عصره كما يبدو من كتاباته الأخرى وهذا فضلا عن انه كان شاعرا من طراز فريد وكان لغويا وراوية حديث.

واخيرا فلا بد لمؤسسة الإنتشار العربي أن تنوّه بانها في عملها هذا قد إرتكزت إلى طبعة الإمام عبده المشا ر إليها وإلى «طبعة هندية في مصر المحمية 1315هـ/ 1898م. وانها تعميما وإستكمالا للفائدة قد إستانست بمقدمة ترجمة و. جي. برنديرغاست W.J.Prendrgast للمقامات إلى اللغة الإنكليزية والتي اصدرها في لندن عام 1915م.

واخيرا فإن مؤسسة الإنتشار العربي تسال اثنين الله ان يوفق ويقبل والقاريء أن يقبل ويرضى.

حياة البديع

إنه الحافظ احمد بن الحسين بن يحيى بن سعيد بن بشار ابو الفضل الهمذاني الملقب ببديع الزمان وقد ولد في همذان في الثالث عشر من جمادى الآخرة من العام 358 للهجرة (967 ميلادية) وعاش كغيره من الكتاب العرب البارزين بعيدا عن الجزيرة العربية بل ربما امتدت جذوره إلى اصول فارسية وإن يكن قد اعلن نفسه منحدرا من قبيلتي تغلب ومضر كما جاء في رسالة وجهها إلى الفضل بن احمد الإسفرائيني:

«إني عبد الشيخ واسمي احمد، وهمذان المولد، وتغلب المورد، ومضر المحتد».

وعلى النقيض من أبي القاسم الحريري مقلّده العظيم فهو لم يواته الحظّ ان يولد في وسط مثقف مُلْهِم وعلى ما يبدو فإنه كان يرى الرأي العام القائل بحمق أهل همذان ويروى عنه أنه قد سخر من مسقط رأسه مستشهدا ببيتين شهيرين ينسبهما ابن خلكان إلى ابي العلاء بن علي بن حسول الهمذاني:

همذان لي بلد اقول بفضله ... لكنه من اقبح البلدان
صبيانه في القبح مثل شيوخه ... وشيوخه في العقل كالصبيان

ويستظهر في واحدة من مجموع رسائله بيتا لشاعر يقول:

لا تلمني على ركاكة عقلي ... إن تيقنت أني من همذان

أما إبن فارس أستاذ بديع الزمان فيغمز من قناة اهل همذان ويقول بان حمقهم يعدي ويقول:

سقى همذان الغيث لست بقائل ... سوى ذا وفي الأحشاء نار تضرّم
ومالي لا اصفي الدعاء لبلدة ... أفدت بها نسيان ما كنت اعلم
نسيت الذي احسنته غير انني ... مدين وما في جوف بيتي درهم

وعلى رغم محيطه غير الملهم فلقد قدّم، بحسب العوفي، و في سن مبكر جدا البرهان على مواهبه العظيمة التي جعلت منه رجلا مشهورا فلقد امتحنه الكاتب والوزير البويهي الشهير الصاحب بن عبّاد وكان بعد في الثانية عشرة من عمره،

فاقترح عليه ابياتا فارسية يترجمها إلى العربية شعرا على وزن وروي إقترحهما عليه فارتجل البديع ذلك لفوره.

«وكان يترجم ما يقترح عليه من الأبيات الفارسية المشتملة على المعاني الغريبة بالأبيات العربية فيجمع فيها بين الإبداع والإسراع».

هذا ويجب ان لا يغرب عن البال انه كان محظوظا حين تسنّى له التتلمذ على استاذ كابي الحسن احمد بن فارس اللغوي المشهور وصاحب «المجمل في اللغة» وعلى عيسى بن هشام الإخباري وقد لا نجانب الصواب ان قررنا هنا مصدر إسم عيسى بن هشام راوية الهمذاني في مقاماته فالتحول من محدّث يقصّ احاديث الرسول إلى محدّث يروي حكايات ومغامرات ليس بالأمر العجيب ولا سيما وان الكلام يبدأ في الحالين بلفظ «حدثنا» وهذا ما سنعرض له في الحديث عن المقامة واصلها ودلالات اللفظ الأولى.

ومن حسن طالع البديع انه وجد في زمان كثرت فيه النزاعات الداخلية والمواقع المهلكة والحروب المتواترة وكان زمانا على درجة عالية من النشاط الثقافي فالنهضة الأدبية التي بدأت في عهد سيف الدولة الحمداني كانت بعد قائمة وفاعلة فالشاعر المتنبي اعظم شعراء الإسلام برأي مواطنيه كان اتم حياته الشعرية وكان ابو علي القالي قد اتم في قرطبة وقبل عامين من مولد البديع وانجز كتابه الفذ الأمالي وفرغ ابو الفرج الأصفهاني بعد نصف قرن من العمل من تاليف احد اهمّ واعظم الأعمال الأدبية في العربية فائدة اعني كتاب الأغاني والذي يمكن اعتباره بحق منجم شعر وتاريخ وقصص وخرافات.

وفي العام 360 هـ او بعد عامين من مولد البديع اقدم اخوان الصفاء على وضع خمسين رسالة بوحي من تعاليمهم للتوفيق بين العلم والدين وبين الشريعة وفلسفة اليونان. وكان من مشاهير عصره ابوفراس الحمداني الأمير الحمداني الشاعر ألذي إعتاد الصاحب القول فيه «بدأ الشعر بامير (إمرؤ القيس) وانتهى بامير (أبو فراس)» وابو العلاء المعرّي الشاعر الفيلسوف والمفكّر الحر والشاعر الببغاء والواعظ الناري ابن نباته هذا فضلا عن ابن العميد وابن عباد والخوارزمي والتوحيدي والصابي وابن فارس وابن دريد والشريف الرضي وابن حجاج والثعالبي والفارابي وابن سينا والطبري والمسعودي والوأواء وابن خالويه وابن جنّي.

وان يقال في زمان كذلك الزمان عن شخص ما انه بديع الزمان فهذا يعنى تقديرا لا يعلى عليه وفخرا لا فخر بعده لا جرم ولكن ذلك سيضعنا امام السؤال عن نظام التربية ومنهاج الدراسة اللذين انتجا هذه المعجزة؟

كان التعليم ايام الهمذاني يشمل إلى جانب علوم القرآن الحديث النبوي والشريعة واخبار الأولين وايام العرب أي حروبهم ووقائعهم والإرتجال الشعري والفلسفة واللغة والشعر والنحو وكتابة النثر والرحلات وحين بلغ الثانية والعشرين أي في العام 380هـ غادر البديع همذان التي لم يكن شديد الكلف بها والتحق ببلاط الصاحب بيد اننا لا نعلم علم اليقين المدة التي قضاها هناك ولكن ولا مشاحة في ان الجو الأدبي والثقافي المحيط بالوزير ناهيك بدار كتبه العامرة والتي قيل انها تحتاج 400 بعيرا لنقل محتوياتها كل هذا كان فترة غنية بالتجارب والفرص لشاب يطمح للشهرة والأدب بخاصة.

غير ان الغنى الثقافي، والتماع البديع في البلاط هناك لم يسلما من منغّصات اثارها حسد الحساد وأولهم الصاحب نفسه الذي كان على ما روى ابو حيان التوحيدي مفتونا بالسجع حتى انه كان لا يبالي بالتفريط بمنصبه في سبيل سجعة ولذا فلقد انهى البديع إقامته في ارجان فجاة وباسلوب فظ خشن:

«... وقد كان رسم ان اعرفه سبب خروجي من جرجان إلى خراسان وقد كانت القصة اني لما وردت من ذلك السلطان حضرته التي هي كعبة المحتاج لا كعبة الحجاج.... وجدت فيها ندماء من نبات العام اجتمعوا قيضة كلب (القيضة هي القطعة من اللحم) على تلفيق خطب... ولا اعلم كيف احتالوا وما الذي قالوا لكن الجملة ان غيّروا السلطان واشار عليّ اخواني بمفارقة مكاني...».

وقد يكون ما رواه ياقوت الحموي عن خرق البديع قواعد السلوك في حضرة الوزير سببا في مغادرة بلاط الصاحب إلى غير رجعة وخلاصة الأمر أن البديع تحرك في جلسته في حضرة الصاحب فافلت منه ريح:

فقال البديع «هذا صرير التخت» فقال الصاحب «اخشى ان يكون صرير التحت» فأورثه ذلك خجلا كان سبب مفارقته إياه ووروده خراسان».

ويمم البديع شطر جرجان حيث زار مرارا جماعة الإسماعيلية هناك بحسب ما روى الثعالبي في اليتيمة:

«ثم قدم جرجان واقام بها مدّة على مداخلة الإسماعيلية والتعيّش في اكنافهم والإقتباس من انوارهم».

وحين بلغ الرابعة والعشرين أي في العام 382هـ ك 992م وصل نياسبور وهناك وضع المقامات العمل الذي قامت عليه شهرته الأدبية ويبدو انه في طريقه إلى نيسابور إعترضه لصوص قطاع طرق فسلبوه كل ما يملك:

«ما ترك فضّة إلا فضّها، ولا ذهبا إلاّ ذهب به، ولا علقا إلاّ علقه، ولا عقارا إلاّ عقره، ولا ضيعة إلاّ اضاعها، ولا مالا إلاّ مال إليه...».

ولئن قبلنا بالتاريخ الذي أثبته الثعالبي في يتيمته لوصول الهمذاني نيسابور في 1 ـ 382 هـ وموت الخوارزمي في 383هـ فسيعني ذلك أن المقامات قد وضعها شاب في مقتبل العمر وفي غضون عامين وهي مدة جد قصيرة ولئن صح ذلك فسيعني تهيّوءا دراسيا عظيما جرى إبّان اقامة البديع في بلاط الصاحب وعند اسماعيلية جرجان والهمذاني نفسه يقدّم البرهان الذي يدعم هذا الرأي حين كتب ينقض قصيدة للخوارزمي فقال:

«..... وما كنت لأكشف تلك الأسرار، واهتك هذه الأستار، واظهر منه العار والعوار، لولا ما بلغنا عنه من اعتراض علينا في ما املينا، وتجهيز قدح علينا في ما روينا، من مقامات الإسكندري، من قوله انّا لا نحسن سواها، وانّا نقف عند منتهاها، ولو انصف هذا الفاضل لراض طبعه على خمس مقامات، او عشر مفتريات، ثم عرضها على الأسماع والضمائر، واهداها إلى الأبصار والبصائر... فيعلم ان من املى من مقامات الكدية اربعمئة مقامة لا مناسبة بين المقامتين لا لفظا ولا معنى، وهو لا يقدر منها على عشر، حقيق بكشف عيوبه».

بيد اننا نميل إلى الإعتقاد بان البديع قد بدأ عمله قبيل مغادرة مسقط رأسه همذان وذلك بدليل أن احداث المقامة المضيرية تجري في البصرة ويجري الفصل النهائي فيها اثناء لقاء في همذان فنستنتج من ذلك أن البديع بدأ مقاماته في همذان وانجزها في نيسابور، على اثر وقت غير طويل اعقب وفاة ابي بكر الخوارزمي.

وفي تلك المدينة جرت مناظرة أدبية عظيمة بين الهمذاني وابي بكر الخوارزمي إبن أخت أبي جعفر محمد بن جرير الطبري صاحب التاريخ والذي كان شاعرا من الطبقة الأولى وكاتبا من كتّاب الديوان المرموقين ومرجعا يرجع إليه في اللغة وكان إماما في الأنساب وصاحب أمثال حكم ماثورة تروى عنه وعلاوة عليكل ذلك فلقد كان ذا حافظة عجيبة وبلغة اليوم كان ذا ذاكرة فوتوغرافية فريدة:

«.. ثم شجر بينه وبين ابي بكر الخوارزمي ما كان سببا لهبوب ريح الهمذاني وعلوّ امره.. إذ لم يكن في الحسبان والحساب أن احدا من الأدباء والكتّاب والشعراء ينبري لمباراته ويجتريء على مجاراته، فلما تصدّى الهمذاني لمساجلته وتعرّض للتحكّك به.... طار ذكر الهمذاني في الآفاق وارتفع مقداره عند الملوك والرؤساء» اليتيمة ٤.

يحكى عن الخوارزمي:

«قصد حضرة الصاحب ابن عباد وهوبأرّجان، فلما وصل إلى بابه قال لأحد حجابه: قل للصاحب على الباب احد الأدباء وهو يستأذن بالدخول، فدخل الحاجب واعلمه فقال الصاحب قل له» قد الزمت نفسي ان لا يدخل عليّ من الأدباء إلاّ من يحفظ عشرين الف بيت من شعر العرب، فخرج إليه الحاجب واعلمه بذلك، فقال له ابو بكر: ارجع اليه وقل له: هذا القدر من شعر الرجال أم من شعر النساء؟. فدخل الحاجب فاعاد عليه ما قال، فقال الصاحب: هذا يريد ان يكون ابا بكر الخوارزمي فأذن له بالدخول... «وفيات الأعيان ٤/ ٤٠٠».

وحسب القارىء هذه الطرفة صورة للخوارزمي العملاق الذي اقدم البديع الفتى الحدث على مناظرته وهو شيخ في الستين:

«... فقال له البديع: إنّما دعوناك لتملأ المجلس فوائد، وتذكر الأبيات الشوارد، والأمثال الفوارد، ونناجيك فنسعد بما عندك، وتسألنا فتسرّ بما عندنا، ونبدأ بالفن الذي ملكت زمامه، وطار به صيتك، وهو الحفظ ان شئت، والنظم إن اردت، والنثر إن اخترت، والبديهة إن نشطت، فهذه دعواك، التي تملأ منها فاك، فاحجم الخوارزمي عن الحفظ لكبر سنّه، ولم يجل في النثر قداحا، وقال ابادهك، فقال البديع: الأمر امرك يا استاذ، فقال له الخوارزمي: اقول لك ما قال موسى للسحرة: «قال بل القوا». «ياقوت ٢/ ١٧٠ والرسائل».

هكذا بدأت تلك المناظرة باختيار الخوارزمي البديهة أي الإرتجال بلغة اليوم وكانت النتيجة هزيمة ماحقة غير اننا نخشى أن لا يكون التحكيم لصالح البديع قد جاء خلوا من المحاباة:

«... وأعان البديع قوم من وجوه نيسابور، كانوا مستوحشين من أبي بكر، فجمع السيّد نقيب السيادة بنيسابور أبو عليّ بينهما.. فحضر أبو بكر مع جماعة من تلامذته..» ياقوت ٢/ ١٧٤.

ولكن ومهما يكن وجه الأمر فإن البديع لم يكن يضمر ضغينة وحقدا ضد خصمه فها هو يرد على رجل كتب له يهنئه بمرض الخوارزمي فيقول:

«الحرّ، اطال الله بقاءك، ولا سيما إذا عرف الدهر معرفتي، ووصف احواله صفتي، إذا نظر علم ان نعم الدهر ما دامت معدومة فهي اماني، فإن وجدت فهي

عواري، وإن محن الزمان مطلت فستنفد، وإن لم تصب فكأن قد، فكيف يشمت بالمحنة من لا يأمنها في نفسه، ولا يعدمها في جنسه، والشامت إن افلت فليس يفوت، ولإن لم يمت فسيموت، وما اقبح الشماتة بمن أمن الإماتة، فكيف بمن يتوقعها في كل لحظة، وعقب كل لفظة... وهذا الفاضل (الخوارزمي) شفاه الله، وإن ظاهر بالعداوة قليلا، فقد باطنّاه ودا جميلا، والحرّ عند الحمية لا يصطاد، ولكنه عند الكرم ينقاد، وعند الشدائد تذهب الأحقاد، فلا تتصور حالي إلا بصورتها من التوجّع لعلّته، والتحزّن لمرضته، وقاه الله المكروه، ووقاني سماع السوء فيه، بحوله ولطفه» الرسائل كان من إقدام البديع المتهوّر على مناظرة الخوارزمي وفوزه عليه إنه وفرّ له شهرة فسيحة سبقته إلى كل مكان وضمنت له رعاية السادة والقادة والأعيان والولاة حتى لم يبق حاكم او سيد او وال او قائد إلتقاهم البديع في رحلاته المتتالية لم يسارع إلى الإنعام عليه ووصله وإكرامه.

وبموت الخوارزمي في العام 383 يحسب ما جاء عند ابن الأثير، وجد الهمذاني نفسه سيد الميدان من دون قريع وليس من المعلوم كم لبث في نيسابور غير انه شكى في رقعة وجهها إلى الشيخ أبي علي من طول اقامته وانه يعاني الأرق:

«ما أحوجني من الشيخ إلى تفضّل يطلق عن وثاقي وإن آذنته بفراقي وما ذاك رضى منّي ولكن استزادة من نيسابور اطارت نومي واطالت يومي. فلينفضّل الشيخ بكتاب إلى الأمير إن لم يتسع وقته لغيره وليجعله نقدا ولا يضرب له وعدا. فقد انتهت نهية المقام وقد احال الشيخ الأمر عليه ومتى أخّره احتجت إلى الخروج من غير إستصحابه» الرسائل.

ثم غادر نيسابور وزار كل حواضر فارس في خراسان وسجستان وزار مملكة غزنة حيث تلا اينما حلّ مقاماته في مجالس مريديه ومحبيه حتى إستقرّ به الأمر اخيرا فاقام في هراة حيث صلحت احواله وانتظمت اموره بعد زواجه من ابنة رجل ثري من اعيانها اسمه ابو علي الحسين الخشنامي.

«فانتظمت حوال ابي الفضل بصهره... واقتنى بمعونته ومشورته ضياعا فاخرة وعاش عيشة راضية».

وقد ولدت له ابنة فقال فيها انه كلفٌ بها كلف الأب بابنه الوحيد ولكنه لا يستبدلها بعشرة صبيان:

«وحسب العاقل نصّ الكتاب حكما إن البنات خير زكاة واقرب رحما. لعمري

إنّ لي بها شغف الوالد بالواحد وما اودّ أن لي بدلا ولا عشرة مثلا» الرسائل.

وفي هذه الفترة الهادئة من حياته راحل يراسل عظماء واعيان عصره وكان ابرزهم وزير محمود سلطان غزنة ووالي هراة وابو جعفر الميكالي ووالي بلخ ووزير الري وآخرين غيرهم وفي الحقيقة فإن مهارة وحذقا كمهارة البديع في فن الترسّل كان رخصة في ذلك الزمان لتسنّم المناصب ولكن البديع لم يستلم اي منصب رسمي وفي اغلب الظن فان الزعم بانه كان سيولّى البصرة او ولاية في الشام ليس إلاّ تخيّلا منه.

وفي الحادي عشر من جمادى الأولى في العام 398 ألموافق شباط 1008 توفي البديع في هراة عن عمر ناهز الأربعين عاما قمريا او بسن يقل بمقدار ثمانية اعوام عن تاريخ شروع ابي القاسم الحريري بوضوع مقاماته.

اما عن وفاته فيقول الحاكم ابو سعيد عبد الرحمن بن محمد:

«وسمعت الثقات يحكون انه مات من السكتة وعجّل دفنه فافاق في قبره وسمع صوته بالليل وانه نبش عنه فوجدوه وقد قبض على لحيته ومات من هول القبر».

وقيل بل مات مسموما.

والذي يظهر من رسائل البديع يوحى بانه كان امرءا معنيا باسرته وصلاح امرها حتى انه كتب إلى ابن اخت له:

«انت ولدي ما دمت والعلم شانك، والمدرسة مكانك، والمحبرة حليفك، والدفتر أليفك. فإن قصّرت ولا إخالك فغيري خالك والسلام» الرسائل.

غير أن الكلام في شخصه كثير ومختلف كحال الكلام في كل عظيم وعندي أن ما جاء في سيرته التي كتبها مارون عبود حيث قرفه بالكزازة والبخل والكدية وبالكبرياء والتعجرف والأنانية، لم يجانب فيه الحقيقة بشهادة ما كتبه هو في رسائله وبخاصة ما نبز به امّه التي كتبت إليه تحضّه على مساعدة ابيه حتى ولو لم يأت إلى هراة فتلك الأبيات فيها الكثير من روح الحطيئة وتنم عن عقوق كبير:

وعجوز كأنها قوس لام ... فلقوها من نبعة شرّ فلق
كاتبتني شوقا إليّ وقالت: ... أخذ الله يا بنيّ بحقّي
قلت لا استطيع ترك بلاد ... قد وفى الله في ثراها برزقي

وأما الكبرياء فهو يستشيط غضبا ويقذف حممه غير عابيء باحد:

«من لقينا بأنف طويل قابلناه بخرطوم فيل».

وقد حدث مرارا أن شخصا ما لم يقف له حين دخل او حين خرج او بدا منه ما قد ينمّ عن تبجيل قليل فكانت العاقبة كالتالي:

«ما للقاضي اعزّه الله (ابو نصر بن سهل) يلقاني بوجه كأنه الزقّوم، ويراني فلا يقوم؟! أنا اسأله ان يقتدي بغيره لا بايره. الست لقيامه اهلا؟ لعن الله اكثرنا جهلا واقلّنا فضلا واخسّنا اصلا. تلك القلنسوة ليست بأول قلانس الحكام، وتلك الشيبة ليست بأول شيبة في الإسلام، ونحن نخرا في خير من تلك القلنسوة، ونصفع خيرا من تلك القَمَحْدُوة...» الرسائل.

والبديع كلف بنفسه مفتون بما يقول وبما يصدر عنه بشهادته هو حين يكتب للوزير الإسفرائيني:

«.. وخلة أخرى وهي اني مفتون بكلامي معجب بصوب اقلامي وذوب افكاري، لا أزفّه إلا لمن يعتقد فيه إعتقادي، ويميل إليه كفؤادي، وينظر إليه بعين رأسي».

ولا أحسب أن لتلك الحالة إسما غير الشعور الفادح بالنقص او ما أسماه سعيد تقي الدين بميسم الضعة وهذا يبدو جليا في ما قاله إبن دوست جامع رسائل البديع:

«ولوالده (والد البديع) إليه كتب ورقاع أنشأها هو (البديع) ونسبها إلى والده ليقرأها الأفاضل من الكتاب فيستدلّوا بها على فضل والده».

ويبدو جليا ايضا في كلامه على الجاحظ في مقامته الجاحظية والذي اثار حفيظة الإمام محمد عبده فردّ عليه في مقدمة المقامات:

«وهذه الأوصاف التي يعدّها كأنها من مناقص كلام الجاحظ هي اعلى مزايا الكلام عند اهله.. وهذا المذهب الذي سلكه الجاحظ هو مذهب رجال البلاغة الأولين، ومجال فرسانها السابقين.

اما المصنوعات، فهي من احداث الموضوعات، لا ينظر إليها إلاّ صبية هذه الصناعة».

وأما الكدية فإن من وقف على رسائله واشعاره سيعلم ان الكدية في دم الرجل وعقله وحسبنا دليلا هذه الأبيات من مقاماته وهي لأبي دلف وكان يروي شعره:

ويك هذا الزمان زور فلا يغرّنك الغرور
زوّق ومخرق وكل واطرق واسرق وطلبق لمن تزور

لا تـــلـــتـــزم حـــالـــة ولـــكـــن در بـــالـــلـــيـــالـــي كـــمـــا تـــدور

أو هذه الكلمات من رسالة وجهها إلى أبي جعفر الميكالي:

«... وبذل الجود غاية الموجود، وماش خير من لا ش... وعصفور في الكفّ خير من كركي في الجو...».

وبمقابل ما تقدّم يطالعنا رأي للدكتور يوسف عوض يصف فيه البديع بقلة الحيلة ويرد بؤسه إلى تسنّنه في بلد شيعي وعروبته في بلد شعوبي ويستظهر أبياتا للبديع في الإنتصار للعرب ارتجلها ردا على شاعر شعوبي وينسى الدكتور أن البديع قد ارتجل ابياته بعد ان استنجد به الصاحب ليرد على الشعوبي واما التسنن فالواضح ان الرجل دار مع الزمان كيفما دار وهو ما يقول به العلامة محسن الأمين في اعيان الشيعة حين روى ان احدا قبل صاحب امل الآمل لم يقل بتشيّع البديع ثم استدل على ذلك بكلام قاله في مناظرته الخوارزمي وفي تتلمذه على ابن فارس واتى بحجج يستفاد منها ان البديع قد مارس التقية حتى خفي امره ولكن العلامة انهى كلامه بالقول:

«.. الرجل لم يكن متصلبا في الدين متجنبا لكل ما يوقع في المآثم بل كان جاريا على عادة اكثر الشعراء والكتاب من اتباع منافعهم الدنيوية والتجرؤ على اعراض الناس والافتراء عليهم فيقول ما يجر إلى مطامعه ومنافعه في دنياه وان ضر باخراه فهو يخاطب ابا نصر الطوسي بما يروج عنده ويقرب اليه وكذلك يخاطب الرئيس ابا عامر.... إن هذا طريف مليح وفي عدم ارادة الحقيقة منه ظاهر أو صريح» أعيان الشيعة.

ولقد أجمل ابو منصور الثعالبي، وهو رجل عفّ اللسان يغالي في المديح ويغمض العين عن المثالب، أجمل صفات البديع وكان يعرفه فافرد في يتيمته فصلا للتعريف به، فقال:

«لم يُدرك قرينه في ظرف النثر وملحه وغرر النظم ونكته ولم يُرَ ولم يرو أن احدا بلغ مبلغه من لبّ الأدب وسرّه..

وكان مع هذا كله مقبول الصورة خفيف الروح حسن العشرة ناصع الظرف عظيم الخلق شريف النفس كريم العهد خالص الود حلو الصداقة مرّ العداوة..».

وبحسب الثعالبي ايضا فإن بموت البديع:

«... إنثلم القلم، وفقدت عين الفضل قرّتها، وجبهة الدهر غرّتها وبكاه

الأفاضل مع الفضائل، ورثاه الأكارم مع المكارم على انه ما مات من لم يمت ذكره، ولقد خلد من بقي على الأيام نظمه ونثره..».

وفي الحقيقة فإن تلك الكلمات التي دونها أبو منصور الثعالبي بعد وفاة البديع بقليل أثبت مرّ السنين والأعوام صحتها وصدقها فالحكم للشخصية التاريخية، أو عليها، ايّا كانت، يكون بناء على ما خلّفت من آثار انتجتها مناقب او مثالب تكوّنت بفعل التربية والظروف والمحيط وبمقدار عمقها وحضورها يكون الأثر عميقا وحاضرا وعليه فان البديع ما زال حاضرا وعاصفا ولاذعاً ومقذعا وجميلا كما كان حين كان فالزمان هو الزمان وشيم الخلق ومزاياهم هي هي كما كانت وكما ستكون.

المقامة

المقامة والمقام لغة بحسب إبن منظور:

«المجلس. ومَقامات الناس: مَجالِسُهم؛ قال العباس بن مرداس أَنشده ابن بري:

فأَيِّي ما وأَيُّكَ كان شَرّاً فَقِيدَ إلى المَقامةِ لا يَراها.

ويقال للجماعة يجتمعون في مَجْلِسٍ: مَقامة؛ ومنه قول لبيد:

ومَقامةٍ غُلْبِ الرِّقابِ كأَنَّهم جِنٌّ، لدَى بابِ الحَصِيرِ، قِيامُ.

الحَصِير: المَلِك ههنا، والجمع مَقامات؛ أَنشد ابن بري لزهير:

وفيهِمْ مَقاماتٌ حِسانٌ وجُوهُهُمْ، وأَنْدِيةٌ يَنْتابُها القَوْلُ والفِعْلُ.

ومَقاماتُ الناسِ: مَجالِسهم أيضاً. والمَقامة والمَقام: الموضع الذي تَقُوم فيه. والمَقامةُ: السّادةُ..... والمُقامُ والمُقامةُ: الموضع الذي تُقيم فيه.

والمُقامة، بالضم: الإقامة. والمَقامة، بالفتح: المجلس والجماعة من الناس».

ونقل الشريشي عن الأعلم قوله:

«المقامة المجلس يقوم فيه الخطيب يحضّ على فعل الخير».

وهو كلام لم يجانب الحقيقة فمن هنا بدأ اللفظ وتدّرج معناه واخذ يضيق ليصير مصطلحا يدلّ قبل كل شيء على ضرب من الكلام الفني والحكائي بلغ ذروته في مقامات البديع ومن ثم ابي القاسم الحريري وإلى هذا ذهب د. زكي مبارك حين قال ان اهل القرن الثالث كانوا يعرفون الوانا من المحاورات الأدبية تعرف بالمقامات و ان المقامات انتقلت إلى كلام المعتفين الذين يتوسلون إلى الأغنياء بكلام مسجوع فيقولون «إرحموا مقامي هذا» ويجمل د. يوسف عوض الأمر فيقول:

«... المقامة في اطارها اللغوي تمثّلت في حديث يلقى على جماعة من الناس

إما بغرض النصح والإرشاد وإما بغرض الثقافة العامة او التسوّل ومع كل فانها لم تلتزم شكلا فنيا محددا وكل ما يميزها انها حديث ذو نزعة وعظية او ثقافية يلقى على جماعة من الناس».

وفي حقيقة الأمر فإن اغراض مقامات البديع كلها دارت حول تلك الأمور التي حددها د عوض ولم تقتصر على الكدية والتسوّل كما ذهب الى القول اغلب الباحثين فمقامات البديع تختلف مواضيعها الواحدة عن الأخرى بشهادة البديع نفسه ولكن الكدية صفة بطلها التي لا تفارقه وهو عندي البديع نفسه حين يحتال لأمر او يعرض ما عنده من بضاعة ادبية ولغوية وثقافية او حين يسخط او يحنق او يرق او يفتخر فلقد كان في كل ما وضع من مقامات وكانه يكرر بعض ما جاء في رسائله وإلى ذلك فهو يجلو صورة دقيقة لعصره ولا سيما وانه هو بذاته إبن شرعي لذلك العصر بامتياز.

يردّ الدكتور يوسف نور عوض المقامات إلى اصل عربي وينكر على من يدعّى لها اصلا فارسيا قوله، محتجا بحقيقة أن المقامات لم تظهر في العبرية ولا الفارسية إلاّ بعدما ترجمت مقامات الحريري إلى السريانية وان حميد الدين البلخي (ت 559 هـ) صاحب «مقامات حميدي» قد ذكر انه ترسّم في مقاماته خطى الحريري والبديع وانه اراد إدخال هذا الفن إلى اللغة الفارسية حتى يعرّف به مواطنيه وحتى يحفّزهم للتعرف على البلاغة العربية والفارسية معا، وهو ماقاله كارل بروكلمان ايضا. اما العبرية فقد دخلتها المقامات بفضل مقامات الحريري التي ترجمها ابن شلومو الحريزي وبفضل خمسين مقامة كتبها تحت اسم «سفر تحكموني» أي كتاب الحكمة وتضمنت الكثير من كلام التوراة.

لم تكن المجالس الأدبية جديدة على العرب ولا القيام بين يدي الخلق كان جديدا أيضا فالأسواق كانت مقام الشعراء والقصّاص والمذكّرين والإخباريين والحفّاظ والمحدّثين وكذلك كانت دواوين الخلفاء والشيوخ ومن اليهم ومن وقف ولو قليلا على كتب التاريخ علم انها في سوادها الأعظم كتب تروى وقائع مجالس الخلفاء والولاة ومن اليهم على ان تلك المجالس ما كانت مقتصرة على موضوع بعينه بل لطالما انتقل المجلس من النثر إلى الشعر او اللغة او الحديث عن الأمم السالفة او الأمم الغريبة وعاداتها. ومؤدى هذا الكلام هو ان المقامة وهي ابنة تراث شفاهي إجتماعي عريق كانت موجودة بالفعل دون الإسم حتى زمن متاخر إلى ان وضع البديع مقاماته فصارت المقامة مصطلحا يدل على ضرب من القول بعينه وبتنا نفهم المصطلح كذلك حتى يومنا هذا.

يقول الحصري في زهر الآداب:

«ولما رأى (أي البديع) ابا بكر محمد بن الحسين الأزدي (ت 398 هـ) أغرب باربعين حديثا، وذكر انه استنبطها من ينابيع صدره، واستنخبها من معادن فكره، وابداها للأبصار والبصائر، واهداها للأفكار والضمائر، في معارض اعجمية، والفاظ حوشية، فجاء اكثر ما اظهر تنبو عن قبوله الطباع، ولا ترفع له حجبها الأسماع، وتوسّع فيها ؛ إذ صرّف الفاظها ومعانيها، في وجوه مختلفة، وضروب متصرّفة، عارضها باربعمائة مقامة في الكدية، تذوب ظرفا، وتقطر حسنا، لا مناسبة بين المقامتين لفظا ولا معنى، وعطف مساجلتها، ووقف مناقلتها، بين رجلين سمّى احدهما عيسى بن هشام والآخر ابا الفتح الإسكندري، وجعلهما يتهاديان الدرّ، ويتنافثان السحر، في معان تضحك الحزين، وتحرّك الرصين، يتطلّع منها كل طريفة، ويوقف منها على كل لطيفة، وربما افرد احدهما بالحكاية، وخصّ احدهما بالرواية». زهر الآداب 1/ 205.

وفي أمالي القالي أحاديث لأبي بكر الأزدي رأى طه حسين انها هي المقامات المذكورة:

«وحدثنا ابو بكر رحمه الله قال اخبرنا عبد الرحمن عن عمه قال:

مررت بحيّ الربذة فإذا صبيان يتقامسون (يتغاطّون) في الماء وشاب جميل الوجه ملوّح الجسم قاعد فسلّمت عليه فرد السلام وقال: من اين وضح الراكب؟ قلت: من الحمى قال: ومتى عهدك به؟ قلت: رائحا قال: واين كان مبيتك؟ قلت: ادنى هذه المشاقر (الرمال)، فالقى نفسه على ظهره وتنفّس الصعداء فقلت: تفسّأ (تشقّق) حجاب قلبه، وانشأ يقول:

سقى بلدا أمست سليمى تحلّه — من المزن ما تروى به وتسيم
وإن لم اكن من قاطنيه فإنّه — يحلّ به شخص عليّ كريم
ألا حبذا من ليس يعدل قربه — لديّ وان شطّ المزار نعيم
ومن لامني فيه حميم وصاحب — فردّ بغيظ صاحب وحميم

ثم سكت سكتة كالمغميّ عليه فصحت بالأصبية فاتوا بماء فصببته على وجهه فافاق وانشأ يقول:

إذا الصبّ الغريب رأى خشوعي — وانفاسي تزيّن بالخشوع
ولي عين اضرّ بها التفاني — إلى الأجراع مطلقة الدموع

إلى الخلوات تأنس فيك نفسي كما انس الوحيد إلى الجميع»

وهذا حديث كـ مقامة آخر لإبن دريد:

«وحدّثنا ابو بكر قال حدثني عمي عن ابيه عن ابن الكلبي قال:

إبتاع شاب من العرب فرسا فجاء إلى امّه وقد كُفّ بصرها فقال: يا امي إنّي قد إشتريت فرسا، فقالت صفه لي، قال: إذا استقبل فظبي ناصب، واذا استدبر فهقل (ذكر النعام) خاضب (الذي اكل الربيع) واذا استعرض فسيد (ذئب) قارب، مؤلل (محدد) المسمعين، طامح الناظرين، مذعلق الصببين (الذعلوق نبت كالكراث يلتوي والصبيان عظمان في اللحيين).

قالت: اجودت إن كنت اعربت. قال: إنه مشرف التليل (العنق) سبط الخصيل (ج خصائل اللحمة المستطيلة) وهواه (الوهوهة صوت يقطّعه) الصهيل. قالت: اكرمت فارتبط.»

ولئن لم ير احد وجه شبه بين ما تقدّم وبين المقامة كما وضعها البديع فلن يكون مخطئا ولكن عليه أن يذكر أن الغاية من تلك الأحاديث كانت تعليمية بخاصّة ولذا فلقد جاءت تلك الأخبار حافلة بالغريب والحوشي من الفاظ وما كانت الحكاية او الحبكة بلغة اليوم إلا وسيلة لجذب الإنتباه ومن كالبديع يطمح لكل إستعراض لغوي ولإثبات قدرته على القول والإستبداد بسمع السامع وقلبه؟!.

إن العمل الفني العظيم لا يجيء من فراغ بل سنجد دائما في منحنيات الفاظه وتعابيره صدى خافتا لأعمال سبقته وهذا لا ينفي صفة الريادة والفرادة عن البديع في مقاماته فهو رجل فذ وصناع يقف علامة سامقة شاهقة بين من سبقه ومن تلاه بل لعل الحقيقة لا تجانبني ان قلت انه نسيج وحده فلا الحريري بلغ شاوه ولا الزمخشري ولا اليازجي من التابعين او كانت لديه تلك القدرة الحيّة والدقة العجيبة في التصوير فهو قد قدّم لوحات نابضة بالحياة في الشوارع والساحات والأسواق ناهيك بتلك الغاليري الواسعة للوجوه والأشخاص والتي لم تصفرّ ملامحها بمر الزمان وتقادم العهد.

ولئن كان عيسى بن هشام الإخباري قد صار راوية فهذا ليس بالمستهجن ولا بالغريب. فالراوية كان الراوية منذ زمن بعيد يروي ويذيع شعر شاعر او شعراء بعينهم وعنه تروى الأشعار واخبار الشعراء ولنا في احد الحمادين الثلاثة خير مثال ثم صار الراوية قاصّا إخباريا ومن ثم محدّثا يروي احاديث النبي وكان عليه ان يضرب آباط الإبل كما قالت العرب قديما للتاكّد من حديث او للوقوف على امر ما من سنّة الرسول القولية او الفعلية من مصادرها أي الصحابة او التابعين وكان من امر

هذا الترحّل والتجوال مع ما رافقه من قيام في ساحات المدن وحلقات مساجدها والكلام والخطابة بالناس، ان صار نواة للراوية الجوال والنموذج الإبتدائي لرجل العلم المتنقّل بين البلاد في القرون الوسطى وهو ما اخذه عنّا اهل اوروبا مع ما اخذوا وكان مصدر الهام لأعمال لا تموت.

هذا ولقد عقد الدكتور عوض الآنف الذكر فصلا تحدّث فيه عن اثر ابن دريد وابن فارس وابن قتيبة في مقاماتهم على البديع دون يجحف بحقه او يغمطه فرادته وقدرته وهو فصل ككل فصول الكتاب كتب بروية وعمق وتتبّع.

اما ابو الفتح الإسكندري الذي روى عيسى بن هشام اخباره فشخصية نبتت في عالم بغداد الكوزموبوليتي الحيّ وهو عندي ليس احدا سوى البديع بعينه في ما يقول ويفعل ويحلم بأن يقول او يفعل بشهادة تطابق ما بين الرسائل والمقامات على وجه لا ينقطع.

«المقامات لا يستفاد منها سوى التمرّن على الإنشاء والوقوف على مذاهب النظم والنثر» الفخري لإبن الطقطقي.

إنه رأي يمسخ عالم المقامة ويجتزيء منه بالقليل و هو رأي لا اراه صائبا فالبديع يريد إثبات حقيقة واحدة لا حقيقة سواها عنده وهي قدرته على مجاراة الأفراد والتفوّق عليهم في كل مجال فإذا هدف إلى التعليم في مقاماته علّم ولم يثقل وكان رطبا طريا ماهرا كما هو الحال في المقامة الجاحظية والمقامة القريضية والتي ما زالت احكامه النقدية فيها قائمة يتداولها المشتغلون بالأدب واراد المتعة فترك مقامة هي المضيرية واراها تقف على قدم المساواة مع وليمة تريمالكيو لبترونيوس الروماني والمقامة البشرية التي تتحدث عن مجالدة الأسد وفيها صدى واضح لقصيدة ابي الطيب في وصف اسد طبرية والمقامة الشامية ولن اقول فيها شيئا كيلا افسد على القاريء متعته فهي من المقامات التي حذفت واما النقد الإجتماعي فماثل في كل مقامة تقريبا.

تمثّل البديع في مقاماته نماذج سبقته تتمثّل في آثار الجاحظ وبخاصّة البخلاء والتربيع والتدوير والأحنف العكبري وأبي دلف الخزرجي وحكاية ابي القاسم البغدادي وفي رسائل إخوان الصفا ناهيك باصداء الشعراء والأدباء ممن سبقه وعاصره.

فامّا الجاحظ فكان ماثلا امام عيان البديع لغة وموضوعات ولقد قصّر البديع على ما رأى مارون عبود فلم يبلغ شاو الجاحظ لغة غير انه بزّه وزاد عليه في تصويره المجتمع وفي تصويره الخلقي والذي يدخل التهكّم والزراية من بابه الأوسع فالبديع سليط ومقذع إذا كره ولا تقرّ عينه قبل ان يرسم صورة شخصياته حتى لتراها ماثلة لعيانك وكل ذلك في سياق حكائي ياخذك معه عنك فلا يجد الملل إليك سبيلا. وقد لا

اكون مبالغا حين اقول بان بعض شخصيات البديع وبخاصة منها تلك المنافقة المرائية والتي تلبس لبوس الدين وتتلفّع بِبُرد التقى وتحض الناس على المعروف وتنهاهم عن المنكر وهي ابعد الخلق عن المعروف واسبرهم للمنكرات غورا، اقول ان تلك الشخصيات ما زالت بين ظهرانينا بل لعلها الآن اشد حضورا واقوى حيلة واعظم خطرا هذا فضلا عن شخصية محدث النعمة المتمثّلة بالمضيري الذي لم يكن ينقصه في حديثه لكي يكون معاصرا سوى لفظ deja أو لفظة well يدسه عقب كل جملة كما يفعل محدثو النعمة في هذه البلاد التي انعم الله عليها بهم.

أما اثر كتاب التربيع والتدوير فجلي في الأوصاف الكاريكاتيرية التي يستخدمها البديع فضلا عن تقليده الجاحظ في بثّ الغاز واحاج في مقامات غايتها التعليم كالمقامة العراقية والمقامة الشعرية.

واما ابو القاسم البغدادي فبطل رسالة نشرها المستشرق الألماني آدم متز عام 1902 في هيدلبرج على ان كاتبها هو ابو المطهر محمد بن احمد الأزدي وظل الأمر كذلك حتى قيّض له المحقق الفذ المحامي عبود الشالجي الذي بيّن ان ابا المطهر إسم مستعار وان كاتب الرسالة انما هو ابو حيان التوحيدي ولا احد سواه.

وقبل الدخول إلى عالم ابي القاسم البغدادي سأنقل عن مقدمة المرحوم الشالجي مايلي لصلته بما نحن بصدده:

«بحث الدكتور (عبد الرزاق) محيي الدين، في كتابه، عن إختلاف المؤرخين في اخبارهم عن التوحيدي:

من ناحية العنصر: أهو فارسي ام عربي.

ومن حيث الموطن: ابغدادي هو، او واسطي، أو نيسابوري، أو شيرازي.

ومن حيث العقيدة: مؤمن مصدق، او زنديق ملحد.

ومن حيث الرواية: وضّاع مختلق، او ثبت حافظ.

ومن حيث الطريقة: صوفي عارف، او افاق محترف».

وسيرى القاريء أن ذلك الإختلاف يصح وإلى حد بعيد في شخصية البديع ويصح ايضا في شخصية ابي الفتح الإسكندري بطل مقامات البديع فهو كل ذلك في الوقت عينه كما تقدّم صورته المقامات.

اما ابو القاسم البغدادي فهو بحسب ما جاء في الرسالة البغدادية عنه:

«عيّارا، نعّارا، زعّاقا، شهّاقا، طفيليا، بابليا، أديبا، عجيبا، رصّافا، قصافا، مدّاحا، قدّاحا، ظريفا، سخيفا، نبيها، سفيها، قريبا، بعيدا، وقورا، حديدا، مصادقا، مماذقا، مسامرا، مقامرا،

لوطيا، حلقيا، شكّازا، طنّازا، همّازا، غمّازا، همزة، لمزة.... درجا في درج، في خرج في برج، مختوما بالعنبر، ملفوفا في الحرير الأخضر... ولاّج خرّاج...».

يفد ابو القاسم على دار بعض الأكابر:

«متماوتا، متسمّتا، في نسك الأبرار، عليه طيلسان قد اسبل طرفه على جبينه، وغطّى طرف وجهه فإذا رأى مجلسا مشهودا باعيان الناس، أخذ يهمس بتلاوة القرآن... ويبقى على هذه الحالة من ناموسه، إلى ان يفطن له جلد من القوم، فيقول: يا ابا القاسم لاباس ما في القوم إلاّ من يشرب وينيك، فإذا سمعها يتبسّم...»».

وينطلق ابو القاسم بسباب وقذف تجد مثيلا له في مقامات البديع فكلاهما أي التوحيدي والبديع بحر هجاء وسباب لا ينضب:

نذر عيسى بن هشام أن يتصدّق بدينار على اشحذ رجل ببغداد وطلب من الإسكندري وواحد آخر ان يشتم احدهما الآخر فمن غلب سلب ومن عزّ بزّ فيقول الإسكندري لخصمه:

«يا بول الخصيان،يا مؤاكلة العميان، يا شفاعة العريان.. يا كتاب التعازي، يا قرارة المخازي...»».

فيردّ الآخر قائلا:

«.. يا نكهة الأسود، يا عدما في وجود، يا كلبا في الهراش، ياقردا في الفراش، يا اقلّ من لاش، يا دخان النفط، يا صنان الإبط..» المقامة الدينارية.

وفي مقابل هذين نجد ابا القاسم في مجلسه لا يذر احدا فيصف احد الحضور مثلا بالقول:

«عبس وتولّى، لا إله إلاّ الله، ثقيل كنيته ابو الهوا، سمادي اسمه شمامة، مكدية اسمها ملكة، بربخ اسمه ابو نظيف، سوداء متنقبة، قفل على خربة، قرأ كتاب تاخير المعرفة، وكتاب نسيان العلوم، ودرس مجموع نقصان الفهم...»».

اما ابو دلف الخزرجي وكان البديع يروي شعره فـ«شاعر كثير الملح والطرف، مشحوذ المدية في الكدية» (اليتيمة 356/3) فلقد عارض دالية الأحنف في ذكر الكدية والمكدين واتى فيها على الفاظهم الإصطلاحية وحيلهم التي عرض البديع لكثير منها في مقاماته.

واما الأحنف العكبري فهو «شاعر المكدين وظريفهم، ومليح الجملة والتفصيل منهم» وله دالية عرض فيها للكدية باسهاب وتفصيل، وكل ذلك.

«يؤكد الصلة ويوثقها بين بديع الزمان في مقاماته وبين اهل الكدية في زمنه، ومهما يكن فقد استطاع بديع الزمان ان ينفذ من نمو هذه الطائفة في عصره وما اشتهرت به من

حيلها إلى صنع مقاماته... في شكل قصص درامية صغيرة» الفن ومذاهبه لشوقي ضيف.

واما اخوان الصفا وقد صحبهم البديع ردحا من الزمن، فيرى الدكتور مصطفى الشكعة صلة بين مذهبهم العقلي وبين مذهب ابي الفتح الإسكندري الصوفي:

«ومن الجدير بالملاحظة أن شخصية ابي الفتح الإسكندري التي يبدو فيها مظهره غير مخبره قد تكون انعكاسا للحياة الصوفية التي ذاعت في القرن الرابع إذ المعروف ان الصوفية لا يهتمون بالمظهر وانما عنايتهم كلها بالنفس ودخائلها فقد يكون الصوفي غنيا موسرا ويبدو امام الناس فقيرا معسرا وذلك نوع من الحياة اقبل عليه الناس في ذلك العصر هربا من ظلم السلطان وجور الحكام وتلك الحال نلاحظها في شخصية ابي الفتح فهو في مظهره يبدو حقيرا تافها فاذا ما انطلق في الحديث بدا لسنا منطقيا اديبا حكيما مسامرا او يظهر احيانا وقد لبس مسوح الرهبان يعظ الناس وينهاهم عن المنكر فإذا ما خلا إلى نفسه اقبل على فعل ما يلذّ له من معاقرة للكاس وغير ذلك».

ويقول د. عوض:

«إن وجه الشبه بين المقامات ورسائل اخوان الصفا يتجلّى في ان كليهما عمد إلى تعرية المجتمع العباسي وفضحه تمهيدا لقيام الثورة التي تجتثّ اصول الفساد فيه».

وعندي ان البديع كان ابن عصره ولا إخاله كان بصدد الثورة ولا الإصلاح فهو و كما مرّ في سيرته استقر بعد اتصاله بالخشنامي واقترانه بابنته في هراة وفرغ لضياعه واملاكه ومقتنياته ولأعيان عصره يراسلهم. وما اخذه عن الإخوان انما هو مذهبهم العقلي وقدرتهم على الجدل وحذقهم في سوق الأدلة و البراهين وما كان يعنيه في كل ما كتب إلا إثبات ذاته وهو العصامي مع ما يعني ذلك من توق للتفوق وإشهاد الخلق عليه حتى يرى الشمس والقمر ساجدين له و يعنيه الكسب دون ان يعبأ بالوسيلة وكما اسلفت فإن ابا الفتح هو البديع ولئن كان الأول ساسانيا مكديا إلا انه يختلف عن غيره من الساسانية واهل الكدية بثقافة حية واسعة شملت ذلك الزمان وما سبقه من ازمنة وكان يربأ بنفسه عن كثير من حيل الساسانية الوضيعة.

واخيرا فليست الكدية هي كل ما عنيت به المقامات ولكنها اخذت حيّزا واسعا امدّها بعمرها الطويل وذلك لأن البديع كان حيّا حاذقا نديا في نقله صورة مجتمع ذلك الزمان وكانت الكدية في المقامات تتوسل وسائل عديدة كالبلاغة، والبديع سيّد في هذا المضمار لا ينازع، والحيلة، الساساني منها والعادي، وإتخاذ حرف من حرف الكسب والتسوّل بحجة التعييل. وإلى الكدية فثمة النقد والتعليم والألغاز والشعر والوعظ. ولم يغب شخص ابي الفتح الإسكندري إلا عن سبع مقامات كالبشرية والبغدادية كما وانه لم يكد في كل المقامات التي ظهر فيها وان كان لم يتخل عن الحيلة كما هو الحال في المقامة الأهوازية.

والمقامات التي خلت من شخص ابي الفتح هي:

البغدادية والنهيدية والتميمية والبشرية والصيمرية والمغزلية والغيلانية

اما المقامات التي خلت من الكدية فهي:

المضيرية والرصافية والأهوازية والخمرية والمملوكية والبصرية والوعظية والحلوانية والمارستانية والشيرازية والنيسابورية والسارية والوجدية والمجاعية والخلفية والعلمية.

الصنعة والتصنّع.

نصل الآن إلى أثر من اعظم اثار البديع على النثر العربي خطرا ألا وهو مذهبه في الصنعة والتصنّع:

«كان همّ بديع الزمان الأول أن يجمع في كل مقامة من مقاماته طائفة من الأساليب البلاغية المصنّعة التي تعتمد على السجع والبديع، وانه ليسرف في تجميل كل مقامة باوسع طاقة ممكنة من الزخرف والزينة والتنميق، ومن ثمّ انصرف عن الموضوع إلى الأسلوب وذهب يجمله فنونا من التجميل والترصيع، فالترصيع والتجميل هما غايته من عمله حتى تستوي له طُرَفٌ إنشائية بليغة تروع معاصريه....» الفن ومذاهبه في النثر العربي لشوقي ضيف.

لم يات إرتكاز المقامة على الصنعة والتصنع فجاة فالنثر العربي القديم والسابق على المقامة والذي كان موزعا على الحكمة والمثل وخطب الخطباء وسجع الكهان والقصة والخرافة قد إستخدم كل المحسنات البديعية وبخاصّة منها السجع وهو الأكثر حضورا في رسائل البديع ومقاماته بيد انني لا احسب أن العربي قد اقبل على المحسنات عن عمد بل يخيّل إلي انها كانت تاتيه بالفطرة وعفو الخاطر ومن الغلو القول بان المثل مثلا وهو ابن ساعته قد جاء باعمال فكر وكذلك قل في الخطابة التي كانت ترتجل في مناسبات طارئة غالبا ما يفاجىء الخطيب بها.

فمن الأمثال ولكل مثل حكاية قيل في سياقها:

«اجناؤها أبناؤها» «حال الجريض دون القريض» إلبس لكل حالة لبوسها إمّا نعيمها وإمّا بوسها «طال الأبد على لبد» الخ مجمع الأمثال.

وأما السجع فهو توافق الفاصلتين في الحرف الأخير من النثر، وافضله ما تساوت فِقره ثم ما طالت فقرته الثانية ثم ما طالت ثالثته ويذكرون من اقسامه المطرّف، وهو ما اختلفت فاصلتاه في الوزن واتفقتا في التقفية نحو قوله تعالى: ﴿مَّا

لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ **[نوح: 71].**

ومنه المرصّع وهو ما اتفقت فيه الفاظ إحدى الفقرتين او اكثرها في الوزن والتقفية نحو قول الهمذاني: إن بعد الكدر صفوا وبعد المطر صحوا.

ومنه السجع المتوازي وهو ما اتفقت فيه الفقرتان في الوزن والتقفية نحو قوله تعالى: ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ﴾ [الغاشية 81].

أما السجع في اللغة فيعني:

«سجع: سَجَعَ يَسْجَعُ سَجْعاً: استوى واستقام وأشبه بعضه بعضاً؛

قال ذو الرمة:

قَطَعْتُ بها أَرْضاً تَرَى وَجْه رَكْبِها، إذا ما عَلَوْها، مُكْفأً غَيْرَ ساجِعِ.

أَي جائراً غير قاصد.

والسجع: الكلام المُقَفَّى، والجمع أَسجاع وأَساجِيعُ؛ وكلام مُسَجَّع. وسَجَعَ يَسْجَعُ سَجْعاً وسَجَّعَ تَسْجِيعاً: تَكَلَّم بكلام له فَواصِلُ كفواصِلِ الشِّعْر من غير وزن، وصاحبُه سَجّاعةٌ وهو من الاسْتِواءِ والاستقامةِ والاشتباهِ كأَن كل كلمة تشبه صاحبتها؛

قال ابن جني: سمي سَجْعاً لاشتباه أَواخِره وتناسب فَواصِلِه وكسَّرَه على سُجُوع، فلا أَدري أَرواه أَم ارتجله، وحكِي أَيضاً سَجَع الكلامَ فهو مسجوعٌ، وسَجَع بالشيء نطق به على هذه الهيئة. والأُسْجُوعةُ: ما سُجِعَ به. ويقال: بينهم أُسْجُوعةٌ.

وسَجْعُ الحمامةِ: موالاة صوتها على طريق واحد. تقول العرب: سجَعَت الحمامة.

إذا دَعَتْ وطَرَّبَتْ في صوتها. وسجَعت الناقة سَجْعاً: مدّت حَنِينَها. وأَصل السجْعِ: القَصْدُ لمُسْتَوي على نسَقٍ واحد». لسان العرب.

وكان السجع في الزمن السابق على بعثة النبي سمة يتسم بها حديث العَرافين والكهان ومن هنا كره النبي السجع واستخدامه ورويت احاديث عن مقته السجع.

«قال الأزهري: ولما قضى النبي ﷺ، في جَنِينِ امرأة ضربتها الأُخرى فَسَقَط

مَيّتاً بغُرّة على عاقلة الضاربة قال رجل منهم»: كيف نَدِيَ من لا شَرِبَ ولا أكل، ولا صاحَ فاستهل، ومِثْلُ دمِه يُطَلّ؟».

قال، صلى الله عليه وسلم: إياكم وسَجْعَ الكُهّان.

وروي عنه، صلى الله عليه وسلم، أنه نهى عن السَّجْعِ في الدُّعاء؛

قال الأزهري: إنه ﷺ، كره السَّجْعَ في الكلام والدُّعاء لمُشاكلتِه كلامَ الكهَنَة وسجْعَهم فيما يتكهنونه» لسان العرب.

ولكن النبي كان قد اعرب، على رغم ما تقدم، عن إعجابه بقس بن ساعدة فقال:

«رايته بسوق عكاظ على جمل احمر وهو يقول: ايها الناس إجتمعوا واسمعوا وعوا، من عاش مات ومن مات فات وكل ما هو آت آت... ليل داج وسماء ذات ابراج ما لي ارى الناس يموتون ولا يرجعون أرضوا بالمقام فاقاموا ام حُبسوا فناموا» البيان والتبيين ٢/ ٣٠٩.

وسر كراهية النبي للسجع كامن في ان القرشيين قد نبزوه بالكهانة الأمر الذي ردّ عليه القرآن في سورتي الطور:

﴿فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾ ٥٢.

وفي سورة الحاقة:

﴿وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ ٦٩.

بَيد ان القرآن لم يخل من السجع ولا اجتنبه النبي دائما ففي القرآن نماذج للسجع المتساوي الفقرات:

﴿فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾ الواقعة ٥٦.

وللسجع الذي طالت فقرته الثانية:

﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾ النجم ١.

وللسجع الذي طالت فقرته الثالثة:

﴿النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾ ٨٥.

ومن سجع النبي قوله يدعو:

«اللهم اعط مُنفِقا خلفا واعط ممسكا تلفا».

هذا ولن تفوتنا الإشارة إلى سورة الرحمن التي يراها د عبدالله الطيب بحسب ما نقل عنه د. يوسف عوض:

«من اروع النماذج التي تجلّت فيها القدرة الفائقة على تسجيع القوافي واتقان احكام الإزدواج والإيقاع وتكرار نغم بعينه كي يزداد رنين الإيقاع وذلك في قوله ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

أما القرآن نفسه:

«فلقد جاء خارجا من أعاريض القصيد ولكنه مع ذلك ذو إيقاع رصين وفواصل كالقوافي واسجاع وازدواج بارع النغم».

ينقل الجاحظ عن عبد الصمد بن الفضل بن عيسى الرقاشي وقد سئل:

«لم تؤثر السجع على المنثور، وتُلزِم نفسك القوافي واقامة الوزن؟ أنه قال:

«إن كلامي لو كنت لا آمل فيه إلاّ سماع الشاهد لقلّ خلافي عليك، ولكنّي اريد الغائب والحاضر، والراهن والغابر، فالحفظ إليه اسرع، والآذان لسماعه انشط، وهو احقّ بالتقييد وبقلّة التفلّت. وما تكلّمت به العرب من جيّد المنثور، اكثر مما تكلمت به من جيّد الموزون، فلم يحفظ من المنثور عشره ولا ضاع من الموزون عشره» البيان والتبيين.

ومؤدى كلام الجاحظ ان السجع هو السبيل الوحيد لحفظ القول وتخليده وفي الحقيقة فإن السجع سرعان ماعاد للتداول بسبب زوال علّة الكراهية المشار إليها آنفا وبسبب قيام ديوان الرسائل في الدولة وكان من اعلامه عبد الحميد كاتب مروان بن الحكم وفي ذلك الديوان ولد فن التوقيعات وهي ردود اولي الأمر على مايردهم من رسائل وغالبا ما تكون جملا قصيرة بليغة موزونة رصينة وابرز اعلام هذا الفن بلا منازع كان جعفر بن يحيى البرمكي:

«يا هذا، كثر شاكوك، وقلّ شاكروك، فإمّا اعتدلت، وإمّا اعتزلت».

وإلى جانب الرسائل فثمة الخطابة وخطب الجمعة بخاصة في المساجد وما تحتاجه من عمل وصناعة كي يستولي الخطيب على الباب مستمعيه ولا سيما وانهم عرب ساميون شفاهيون سماعيون يزنون القول بميزان الصيارفة الجهابذة مما يجعل من الوقوف على المنبر تجربة صعبة حتى ان خطيبا مفوها كالخليفة المرواني عبد الملك عزا سرعة الشيب إلى رأسه، إلى الوقوف على المنبر وعرض عقله على الناس وخوفه اللحن.

ثم بدات الكتابة والتاليف وحسبنا ان نذكر كتابا كسهل بن هارون والجاحظ وان

لم يحفلا بالصنعة ولا بالمحسنات ولكن دون أهمالها واطراحها. واخيرا جاء البديع فمضى بالصنعة إلى ابعد حد ولكن لم تكن لغته ثقيلة ولا صنعته ممجوجة بل كانت تمتاز برشاقة ونداوة إفتقدتهما اللغة فيما بعد فالبديع بالمقارنة مع غيره يبزّهم ويتفوّق عليهم:

«إن في إنشاء ابن العميد ترف القصور واناقتها ولكنه يكاد يكون معدوم الحرارة، في حين ترى النار المتاججة في رسائل البديع فلم يخمدها كر الدهور والعصور» مارون عبود.

ولكن وايا يكن وجه الأمر فإن البديع:

«كان مقدمة من مقدمات مذهب التصنّع، وليس معنى ذلك انه يخرج عن مذهب التصنيع وإطاره، بل هو احد اساتذته في عصره، حتى لتشبه المقامة من مقاماته واجهة احد المساجد المزخرفة لعهده، لكثرة ما شغل فيه بالتنميق والتصنيع والترصيع، وغاية ما في الأمر انه وجد في هذه المرحلة التي اخذت تتحول فيها صناعة النثر العربي من مذهب التصنيع إلى مذهب التصنع فتسربت شيات وسمات من ذلك إلى عمله...» الفن ومذاهبه لشوقي ضيف.

وهذا الكلام للأستاذ ضيف يصيب المحزّ وذلك أن من وقف على المقامات التي وضعت بعد البديع سيرى بالعين المجردة كيف خسرت المقامة حيويتها وعافيتها وانقلبت إلى وعاء لحذلقات وبهلوانيات لغوية كما هو الحال مع الحريري واليازجي او تحولت إلى نص وعظي اخلاقي كما هو الحال مع الزمخشري وابن الجوزي وان كان الأخير قد حفظ للمقامة راويتها وبطلها ولم ينبذهما كالزمخشري الذي اولى الصنعة اهتماما كبيرا.

ومن كتاب المقامات المشرقيين ابن نباتة وابن ناقيا والغزالي وابن بسام الحنفي والشاب الظريف عفيف الدين التلمساني وابن الصيقل الجزري والكازروني والصفدي وابن المعظم وابن الوردي والقلقشندي والقواس والفيومي والسيوطي والخفاجي وغيرهم ممن وقف الدكتور يوسف نور عوض قلمه وكتابه للتعريف بهم وبمقاماتهم وموضوعاتها واساليبها فضلا عن التعريف بكتاب المقامات من الأندلسيين والمغاربة وبكتاب مقامات من القرن الماضي ولكن لن تفوتني الإشارة إلى إثنين كتبا المقامات فجاءت مملوءة ظرفا تضج بالعافية والحياة واولهما الوهراني ركن الدين محمد بن محرز بن محمد المتوفى سنة ٥٧٥ هـ والآخر هو بيرم التونسي الشاعر المصري

الذي توفي في ستينيات القرن الماضى فكلاهما كان فيه من البديع حيويته وعافيته وحسّه النقدي ونظرته النافذة إلى عيوب محيطه فقدّم وبخاصة التونسي منهما نماذج انسانية لا تنسى.

أما بعد فالحديث عن البديع لا يختصر البديع ولا القليل منه فهو رجل مديد الظل غني الحضور في بلادنا وفي بلاد غير بلادنا وحسب المرء ان يذكر ان من قلدوه ما كانوا من العرب فقط فلقد قلده كتاب الفرس واليهود وتأثّر به الأوروبيون وحسب البديع أن لغته ما زالت ندية مريحة مثيرة وصوره لم تخب الوانها بتقادم العهد وحسبه ايضا انه مازال وحده ينام عن شواردها ويسهرنا لنقول شيئا ولا احسب اننا سنقول او سيسعنا القول.

سحبان أحمد مروه

الزرارية 11 حزيران 2009

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

قال محمد عبده خيراللّه المصريّ: الحمد للّه على ما أنعم. وصلَّى اللّه على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلَّم. وبعد فقد عرف الناظرون في كلام العرب. وشهد السالكون على مناهج الأدب. إن الشيخ أبا الفضل أحمد بن الحسين بن يحيى بن سعيد الهمذاني المعروف ببديع الزمان قد طبَّق الآفاق ذكره. وسار مثلًا بين الناس نظمهُ ونثره. فلهُ الرسائل الرائقة، والمقامات الفائقة. والقصائد المؤنقة. ولهُ المعاني العالية. في العبارات الحالية. والأساليب الساحرة. في الألفاظ الباهرة. وما أجدرهُ بقول نفسه في وصف زهير «يذيب الشعرَ والشعرُ يذيبه. ويدعو القول والسحر يجيبه». ولا حاجة للإطالة فيما ظهر حتى بهر. وبلغ شهرة الشمس والقمر. ومن أشرف ما امتاز به كلامهُ أنهُ يباهي كلام أهل الوبر رصانةً ورفعةً. ويمتزج بطباع أهل الحضر رقَّةً ورواءَ صنعة. فبينما يخيل لسامعهِ أنهُ بين الأخبية والخيام. إذ يتراءَى لهُ أنهُ بين الأبنية والآطام.

وقد قالوا إنهُ أنشأ من المقامات زهاء أربعمائة مقامة لكن لم يظفر الناس منها اليوم بغير عدد قليل ينيف على الخمسين طبع مجموعه في الآستانة العليَّة وهو على نزارتِه غزير الفوائد كثير الفرائد. جمّ الفنون. متصرّف في شتى من الشؤون. يستفيد منهُ العليم. ويهتدي به الناشئ في التعليم. غير أن الانتفاع بهِ كان عسرًا لسببين: الأوَّل ما عاث به النسَّاخ في ألفاظه من تحريف يفسد المبنى. ويغيّر المعنى. وزيادة تضرّ بالأصول. وتذهب بالذهن عن المعقول. ونقص يهزّع الأساليب. وينقض بنيان التراكيب. فالناظر فيه إن كان ضعيفًا ضلَّ أو حار. وإن كان عريفًا لم يأمن العثار. والوجه الثاني غرابة بعض كلماته. وخفاء كثير من إشاراته. وغموض في تأليف بعض عباراته. فالمبتدئون بمعزل عن فهمه. وأهل التحصيل في عناءٍ من تفهُّمه. فمسَّت الحاجة في الاستفادة منه أولًا إلى تصحيحه. وردّ لفظه إلى صريحه. وثانيًا إلى تفسير غريبه وتبيين خفيّه وتوضيح غامضه. ولمَّا كان على قصره. أنفع لطلّاب

الفصيح من غيره. وفي قلّة ألفاظه. أبعث للأنفس على استحفاظه. عُني بعض حفدة العربية من سكّان سورية بطلب ما تتمُّ به الفائدة من ذلك فحملني إذ كنت في تلك الديار على النظر فيه. ووضع تعليق عليه يكشف من خوافيه. ويسهّل على طلّاب معانيه أمر تعاطيه. فأجبت طلبه. وشكرت أدبه. واستعنت اللّٰه تعالى على العمل. وسألتهُ الوقاية من وصمة الزلل. وزلّة الخطل. وأقدمت على ذلك بلا سابق أقتفيه. ولا ذي مثال أحتذيه. ولا مادّة لي إلّا طبع عربيّ. وذوق أدبيّ. وأمهات اللّغة الحاضرة. وأمثال للعرب سائرة. ومقالات لهم على الألسن دائرة. وعوّلت فيه على الاختصار. خوف السآمة من الإكثار. ولم أعدُ الغرض من تسهيل فهم الكتاب. لحديث العهد بالآداب. أما الآخذون في العلم رشدهم. والبالغون في المعرفة أشدَّهم. فأولئك لهم من نافذ الفهم ما يسبق التفسير. ويبلغ كنه المراد قبل التعبير. إلّا أنهم فيما أظنُّ سيحمدون قصدنا عند المطالعة إذا عرض الحرف الغريب والمعنى البعيد فيغنيهم ما يجدون عن طول المراجعة ويكفيهم مؤونة البحث في معجمات اللغة ويسرع إليهم بما عساه يبطئ عليهم من أنفسهم ويثير ما ربما كان كامنًا في مداركهم. بل قد يكون في الخطاء إن حقّقوه. هداية لصواب لو طلبوهُ. فالرجاء أن يحملوني من انصافهم. على الفضل من محاسن أوصافهم.

وههنا ما ينبغي التنبيه عليه وهو أن في هذا المؤلّف من مقامات البديع رحمهُ اللّٰه افتنانًا في أنواع من الكلام كثيرة ربما كان منها ما يستحي الأديب من قراءته. ويخجل مثلي من شرح عبارته. ولا يجمل بالسذَّج أن يستشعروا معناه. أو تنساق أذهانهم إلى مغزاه. وأعوذ باللّٰه أن أرمي صاحب المقامات بلائمة تنقص من قدره. أو أعيبهُ بما يحطُّ من أمره. ولكن لكلّ زمانٍ مقال. ولكل خيالٍ مجال. وهذا عذرنا في ترك المقامة الشامية. وإغفال بعض جمل من المقامة الرصافية. وكلمات من مقامة أخرى مع التنبيه على ذلك في مواضعه. والإشارة إلى السبب في مواقعه وليس هذا العمل بدعًا. ولا من الممنوع شرعًا. فقد جرت سنّة العلماء بالتهذيب والتمحيص. والتنقيح والتلخيص. وليس من منكر عليهم في شيءٍ من ذلك وإنّما الممنوع أن يؤتى ببعض ذلك أو كله مع السكوت عنهُ فيكون تغريرًا للناظر. وضلّةً للقاصر. ونسبة قول لغير قائله. وحمل أمر على غير حامله. وهذا من الظاهر الجليّ عند العارفين. وإنما يبعث على بيانه سوءُ ملكة المتشدّقين.

وأمّا تصحيح متن الكتاب فقد وفّق اللّٰه لهُ بتعدُّد النسخ لدينا. وإن عظمت مشقّة

الاختيار علينا. لتباين الروايات واتفاق الكثير منها على ما لا يصحُّ معناه. ولا يستجاد مبناه. فكان الوضع اللُّغوي أصلًا نرجع إليه والاستعمال العرفيّ مرشدًا يعوّل عليه. ومكان المصنّف بين أهل اللّسان ميزانًا للترجيح. ومقياسًا نعتدّ به في التصحيح. فإن تعددت الروايات على معانٍ صحيحة أثبتنا في الأصل أولاها بالوضع إمّا لتأيُّده بالاتفاق مع أكثر الروايات وإمّا لتميّزه بقرب معناهُ إلى ما احتفّ به من أجزاء القول ثم أشرنا إلى الروايات الأخرى في التعليق. وإن كانت في حاجة إلى التفسير جئنا به على طريقتنا من الاختصار. فجاء الكتاب والحمد للّه صافيًا. وأرجو أن يكون التفسير بتيسير اللّه وافيًا. وأسأل اللّه أن لا يحرمني مثوبة العمل عنده. وأن يكفيني من الأمر ما يكفي الربُّ عبده. وهو وليّ الإجابة. وإليه الإيابة.

المقَامَةُ القَرِيضِيَّة

حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَام قَالَ: طَرَحَتْنِي ٱلنَّوَى[١] مَطَارِحَهَا حَتَّى إذَا وَطِئْتُ جُرْجَانَ ٱلْأَقْصَى. فَاسْتَظْهَرْتُ[٢] عَلَى ٱلْأَيَّامِ بِضِيَاعٍ أَجَلْتُ فِيهَا يَدَ العِمَارَةِ. وَأَمْوَالٍ وَقَفْتُهَا عَلَى التِّجَارَةِ. وَحَانُوتٍ جَعَلْتُهُ مَثَابَةً[٣]. وَرُفْقَةٍ ٱتَّخَذْتُهَا صَحَابَةً. وَجَعَلْتُ لِلدَّارِ حَاشِيَتَي[٤] ٱلنَّهَارِ. وَلِلْحَانُوتِ مَا بَيْنَهُمَا. فَجَلَسْنَا يَوْمًا نَتَذَاكَرُ ٱلْقَرِيضَ[٥] وَأَهْلَهُ وَتِلْقَاءَنَا شَابٌّ قَدْ جَلَسَ غَيْرَ بَعِيدٍ يُنْصِتُ وَكَأَنَّهُ يَفْهَمُ. وَيَسْكُتُ وَكَأَنَّهُ لَا يَعْلَمُ. حَتَّى إذَا مَالَ ٱلْكَلَامُ بِنَا مَيْلَهُ[٦]. وَجَرَّ ٱلْجِدَالُ فِينَا ذَيْلَهُ[٧]. قَالَ: قَدْ أَصَبْتُمْ عُذَيْقَهُ[٨].

---

(١) **النوى** ما ينويه المسافر بسفره فهو القائد له يصرفه في المسالك ويطرحه المطارح فلم يزل مقصده يرميه في مكان ثم ينقله فيطرحه في آخر حتى **وطئ** جرجان أي وصلها وداس أرضها. **وجرجان** من بلاد التتر.

(٢) **استظهر** على الأيام استعان على حوادثها. **والضياع** جمع ضيعة ما تمتلكه من أراضي الزراعة. **وأجال** يد العمارة حرّكها وأعملها في الضياع بإصلاح الفاسد منها وتقوية ما ضعفت مادة الإنبات فيه واجتلاب المياه إليها وتنقيتها من كل ما يضر بالزرع لتعمر بعد ذلك بأنواع النباتات والأشجار الممدّة بما تثمره جداول الرزق.

(٣) أراد من **الحانوت** موضع سلعه الذي تباع فيه. **والمَثَابَة** المرجع كأن الحانوت لم يكن لحاجة إليه وإنما هو مآب له يرجع إليه ليعرف به فيجتمع إليه من يطلبه.

(٤) **حاشيتا** النهار طرفاه الصباح والمساء يكون جلوسه فيهما بالدّار وما بينهما من أوساط النهار يصرفها بالحانوت.

(٥) **القريضَ** الشعر، **وتِلْقاءَنا** أي على موازاتنا ومقابلتنا.

(٦) أي انحدر بنا في أبواب المعاني انحداره المعروف عند أهله فإن للكلام اندفاعًا بالمتكلمين يكاد يغلبهم على ما لا يقصدون الخوض فيه وذلك معروف عند من له إلمام بالكلام.

(٧) **جرّ الذّيل** يكنّى به عن العجب والخيلاء كأنه مثل الجدال في تسلّطه عليهم بمن حكم فظلم فتاه على المغلوبين له وقد يراد به الإطالة. يقال جرّ الكلام ذيله وبذيله أي طال كأنه ثوب فاض حتى جرّ ذيله على الأرض.

(٨) **اصبتم** وجدتم. **عذيقة** تصغير عذق بفتح العين وهو النخلة بحملها والتصغير للتعظيم وهو يشير إلى قول الحباب بن المنذر «أنا عذيقها المرجب وجذيلها المحكك»، **والمرجب** من رجب الشجرة إذا دعمها بما يمنعها من الانكسار والسقوط لثقل حملها. **والجذيل** =

وَوَافَيْتُمْ جُذَيْلَهُ. وَلَوْ شِئْتُ لَلَفَظْتُ وَأَفَضْتُ(١). وَلَوْ قُلْتُ لَأَصْدَرْتُ وَأَوْرَدْتُ(٢). وَلَجَلَوْتُ ٱلْحَقَّ فِي مَعْرِضِ بَيَانٍ يُسْمِعُ الصُّمَّ. وَيُنْزِلُ ٱلْعُصْمَ(٣). فَقُلْتُ: يَا فَاضِلُ ٱدْنُ فَقَدْ مَنَّيْتَ(٤). وَهَاتِ فَقَدْ أَثْنَيْتَ. فَدَنَا وَقَالَ: سَلُونِي أُجِبْكُمْ. وَٱسْمَعُوا أُعْجِبْكُمْ. فَقُلْنَا مَا تَقُولُ فِي ٱمْرِئِ ٱلْقَيْسِ. قَالَ: هُوَ أَوَّلُ مَنْ وَقَفَ بِٱلدِّيَارِ وَعَرَصَاتِهَا(٥). وَٱغْتَدَى وَالطَّيْرُ فِي وُكُنَاتِهَا(٦). وَوَصَفَ ٱلْخَيْلَ بِصِفَاتِهَا. وَلَمْ يَقُلِ ٱلشِّعْرَ كَاسِبًا. وَلَمْ يُجِدِ ٱلْقَوْلَ رَاغِبًا. فَفَضَلَ مَنْ تَفَتَّقَ لِلْحِيلَةِ لِسَانُهُ(٧). وَٱنْتَجَعَ لِلرَّغْبَةِ بَنَانُهُ. قُلْنَا: فَمَا تَقُولُ فِي النَّابِغَةِ قال: يَنْسِبُ إذا عَشِقَ وَيَثْلِبُ إِذَا حَنِقَ(٨). وَيَمْدَحُ إِذَا رَغِبَ. وَيَعْتَذِرُ

= تصغير جذل بالكسر وهو عود ينصب للجربى من الإبل لتحتك به يريد قائل ذلك أنه صاحب الأمر المضروب فيه المثل وهو به زعيم لا يضعف عن احتماله والنهوض به.

(١) من **افاضوا** في الحديث إذا اندفعوا فيه أو من نحو قولك كلمته فما **افاض** بكلمة أي ما أفصح به أي لو شئت لتكلمت وأفصحت.

(٢) من **إصدار** الإبل عن الماء بعد إيرادها مثل لانقلاب الأذهان راوية بالفهم ثم اهتداء من لم يفهم بهدي من فهم فيرد الحوض الذي ورده فينال من الفهم حظه وكان أيسر لو قدم أو ردّت على أصدرت.

(٣) **العصم** جمع الأعصم وهو من الوعول والظباء ما في ذراعيه أو إحداهما بياض وسائره أسود أو أحمر أنثاه عصماء وهي تلزم رؤوس الجبال دائمًا ولا تنزل إلّا إذا اضطرت وكان هذا البيان يختطف قلوبها إلى صاحبه فيستنزلها لسماعه وهو مثل مشهور.

(٤) أي جعلت لنا فيك أمنية الاستفادة منك ويصح أن يكون من **مني** الرجل إذا وافى الحلم. **والتنيت** من أثنى الرجل إذا ألقى ثنيته وهي إحدى أسنانه الأربع في مقدم فمه ولا يكون ذلك عادة إلّا بعد بلوغ حد الكبر أي أنك بلغت ببيانك مبلغ المحنّكين وقد يكون أثنيت بمعنى أنبأت عن علمك بفصاحة قولك من الثناء.

(٥) أي هو أبرع الشعراء في وصف ذلك والتعبير عمّا يجده العشّاق في مواقفهم بمواطن الأحبة.

(٦) **وُكُنَة** الطائر مثلثة الأول وبضمّتين عشّ الطائر أو مأواه بلا عش أما في العش فهو وكر. **والاغتداء** الذهاب وقت الغدوة مقابل **الرواح** وهو الرجوع وقت المساء والطير أسبق الحيوان تبكيرًا فمن يغتدي وهي في مآويها يكون من أيقظ الناس قلبًا وأشدّهم دؤبًا في همّه أي أن امرأ القيس أجود الناس ذكرًا لذلك في شعره.

(٧) أي أنه فاق في جودة شعره أولئك الذين ما فتق لسانهم بالقول إلّا الاحتيال في كسب المال وما حرّك أناملهم بالأقلام لتحبير الخطب والقصائد إلّا **انتجاعهم** أي ذهابهم لارتياد الأرزاق رغبة في تحصيلها.

(٨) **يثلب** أي يسب ويشتم، **وحنق** أي اشتدّ غضبه.

إِذَا رَهِبَ. وَلَا يَرْمِي إِلَّا صَائِبًا. قُلْنَا: فَمَا تَقُولُ فِي زُهَيْرٍ. قَالَ: يُذِيبُ الشِّعْرَ وَالشِعْرُ يُذِيبُهُ[١]. وَيَدْعُو الْقَوْلَ وَالسِّحْرُ يُجِيبُهُ.[٢] قُلْنَا: فَمَا تَقُولُ فِي طَرَفَةَ. قَالَ: هُوَ مَاءُ الأَشْعَارِ وَطِينَتُهَا[٣]. وَكَنْزُ الْقَوَافِي وَمَدِينَتُهَا. مَاتَ وَلَمْ تَظْهَرْ أَسْرَارُ دَفَائِنِهِ[٤]. وَلَمْ تَفْتَحْ أَغْلَاقُ خَزَائِنِهِ. قُلْنَا: فَمَا تَقُولُ فِي جَرِيرٍ وَالفَرَزْدَقِ وَأَيُّهُمَا أَسْبَقُ. فَقَالَ: جَرِيرٌ أَرَقُّ شِعْرًا. وَأَغْزَرُ غَزْرًا[٥]. والفَرَزْدَقُ أَمْتَنُ صَخْرًا[٦]. وَأَكْثَرُ فَخْرًا. وَجَرِيرٌ أَوْجَعُ هَجْوًا. وَأَشْرَفُ يَوْمًا[٧]. والفَرَزْدَقُ أَكْثَرُ رَوْمًا[٨]. وَأَكْرَمُ قَوْمًا. وَجَرِيرٌ إِذَا نَسبَ أَشْجَى[٩]. وَإِذَا ثَلَبَ أَرْدَى[١٠]. وَإِذَا مَدَحَ أَسْنَى. وَالفَرَزْدَقُ إِذَا ٱفْتَخَرَ أَجْزَى[١١]. وإِذَا ٱحْتَقَرَ أَزْرَى[١٢]. وَإِذَا وَصَفَ أَوْفَى[١٣]. قُلْنَا: فَمَا تَقُولُ فِي المُحْدَثِينَ مِنَ

---

(١) هذا تمثيل لسهولة الشعر على طبعه وانقياد طبعه للشعر ورقة كلّ منهما حتى كان كل يذيب الآخر.

(٢) هذا تمثيل لأثر قوله في القلوب بلا تعمّد لذلك فهو إذا دعا القول أي استنزله من قريحته إلى ظاهر لفظه أجابه **السحر** أي أخذ السحر من لسانه مكان القول فهو يريد قولًا فيكون سحرًا.

(٣) تصوير لكون شعره مادة الأشعار ومنه كانت نشأتها.

(٤) أي أن أجله لم يكن كافيًا لإظهار ما أسرّ في طبيعته من دقائق المعاني ولو عاش دهورًا طوالًا لاطلع الناس منه على ما لا يقاس إليه في الكثرة. هذا الذي شاهدوه من أثره أي إن ما قاله ليس شيئًا إذا قيس إلى ما لم يقله. **والأغلاقُ** جمع غلق بالتحريك ما يغلق به الأبواب ومعنى الفقرة الثانية ظاهر مما قلنا.

(٥) **الغزر** أكثر وغزرًا كثرة أي إن كان للفرزدق غزارة في معانيه فغزارة جرير أعلى من غزارة صاحبه.

(٦) تمثيل لتمكن قوافيه واستحكام ألفاظه في معانيه.

(٧) إذا ذكر أيام قومه ومواقع سلفه دلّ على شرف رفيع.

(٨) **الرَوْم** كرم الطلب أي أن مطالبه أكثر من مطالب جرير وإذا ذكر قومه ظهرت صفات كرمهم في شعره أكثر مما تظهر صفات قوم جرير في شعره.

(٩) **نَسَبَ** أي ذكر أوصاف النساء وفعائل شمائلهنّ في قلوب الرجال، **واشْجَى** أي ألهب الأفئدة بنيران الأشواق.

(١٠) مثل قوله أوجع **هجوًا** أي إذا هجا أهلك مهجوه.

(١١) **اسْنَى** الشيء رفعه فهو إذا مدح شخصًا رفع منزلته وأعلى مقامه بمدحه.

(١٢) **اجْزَى** أغنى بفخره عن غيره فلا يحتاج إلى من ينصره على من يفاخره.

(١٣) **ازْرَى** بمن يحتقره أي وضع منه وألصق النقيصة به.

(١٤) **اوْفَى** من أوفى فلانًا حقّه أعطاه إياه تامًا والفرزدق إذا وصف يوفي الموصوف ما يقتضيه من الوصف.

الشُّعَرَاءِ وَالمُتَقَدِّمِينَ مِنْهُم. قَالَ: المُتَقَدِّمُونَ أَشْرَفُ لَفْظًا. وَأَكْثَرُ مِنَ الْمَعَانِي حَظًّا. والْمُتَأَخِّرُونَ أَلْطَفُ صُنْعًا وَأَرَقُّ نَسْجًا. قُلْنَا: فَلَوْ أَرَيْتَ مِنْ أَشْعَارِكَ. وَرَوَيْتَ لَنَا مِنْ أَخْبَارِكَ. قَالَ: خُذْهُمَا فِي مَعْرَضٍ وَاحِدٍ وَقَالَ:

أَمَا تَرَوْنِي أَتَغَشَّى طِمْرَا ... مُمْتَطِيًا فِي الضُّرِّ أَمْرًا مُرًّا(١)
مُضْطَبِنًا عَلَى اللَّيَالِي غِمْرا ... مُلَاقِيًا مِنْهَا صُرُوفًا حُمْرَا(٢)
أَقْصَى أَمَانِيَّ طُلُوعُ الشِّعْرَى ... فَقَدْ عُنِينَا بِالأَمَانِي دَهْرا(٣)
وَكَانَ هٰذَا الحُرُّ أَعْلَى قَدْرَا ... وَمَاءُ هٰذَا الوَجْهِ أَغْلَى سِعْرَا(٤)
ضَرَبْتُ لِلسَّرَّا قِبَابًا خُضْرَا ... فِي دَارِ دَارَا وَإِيوَانِ كِسْرَا(٥)
فَانْقَلَبَ الدَّهْرُ لِبَطْنٍ ظَهْرَا ... وَعَادَ عُرْفُ العَيْشِ عِنْدي نِكْرَا(٦)
لَمْ يَبْقَ مِنْ وَفْرِيَ إِلَّا ذِكْرَا ... ثُمَّ إِلَى الْيَوْمِ هَلُمَّ جَرًّا(٧)
لَوْلَا عَجُوزٌ لِي بِسُرَّ مَنْ رَا ... وَأَفْرُخٌ دُونَ جِبَالِ بُصْرَى(٨)

---

(١) الطِمْر الثوب الخلق أو الكساء البالي من غير الصوف، وتغشاه اتخذه غشاء أي غطاء، وممتطيًا أي راكبًا من امتطى الناقة إذا ركب مطاها أي ظهرها. والمعدم في فقره كأنّما يلاقي من البؤس مثل ما يلاقي راكب الصعبة من التعب والعناء وما يتذوّقه من آلام المشاق أشبه بالطعام أو الشراب المرّ البشع الطعم لهذا وصف الأمر بالمرارة بعد ما عدّه مطية له.

(٢) مضطبنًا من اضطبنه إذ حمله في ضبنه وهو ما دون الإبط. والغمر بالكسر الغل والحقد أي إني حاقد على الليالي لشدّة ما آذتني ببردها ملاقيًا منها شدائد نزلت مني منزلة العدو المجتاح وذكر الحمرة لأن العرب تصف أشدّ الأشياء أذى بالحمرة فتقول الموت الأحمر والهلاك الأحمر لأنهم يعدون كل من ليس بعربي من الفرس والروم وأمثالهم من جنس الأحمر وكانت الحروب بينهم وبين الحمر لا تنقطع من عهد نشأتهم فوصفوا كل خبيث بالأحمر.

(٣) الشعرى كوكب يطلع في الجوزاء وظهوره في شدة الحرّ والشاعر يتمنى طلوع الشعرى حتى يسالمه الجو فيستغني بحرارته عن اللباس. والصيف لباس الفقراء وقد كان من قبل يعني بالأماني الكاذبة من دوام النعيم والازدياد في الترف.

(٤) يريد من الحر نفسه ومن الوجه وجهه يريد أنه كان غنيًا رفيع المقدار.

(٥) السَّرَّاء المسرّة والرخاء. وضرب القباب الخضر في دار دارا ملك الفرس، وإيوان كسرى أي قصر كسرى أنو شروان أو أزدشير كناية عن إظهار آيات الثروة وشواهد العظمة.

(٦) انقلب ظهرًا لبطن بمعنى تحول من سرائه لضرائه وما كان معروفًا من العيش أصبح منكرًا أي استبدل طيبه المألوف برديئه المكروه.

(٧) الوَفْرُ الغنى يقول ذهبت ثروته إلّا ذكرها فهو باق في هاجس نفسه وما يغنيه شيئًا ولم يزل حاله ينجر به في الشدة إلى اليوم.

(٨) سُر من را بلدة بناها المعتصم العباسي قرب بغداد. يدّعي أبو الفتح أن له عجوزًا أي =

قَدْ جَلَبَ الدَّهْرُ عَلَيْهِمْ ضُرًّا قَتَلْتُ يَا سَادَةُ نَفْسِي صَبْرًا(١)

قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَام: فَأَنَلْتُهُ مَا تَاحَ(٢). وَأَعْرَضَ عَنَّا فَرَاحَ. فَجَعَلْتُ أَنْفِيهِ وَأُثْبِتُهُ. وَأُنْكِرُهُ وَكَأَنّي أَعْرِفُهُ. ثُمَّ دَلَّتْنِي عَلَيْهِ ثَنَايَاهُ(٣). فَقُلْتُ: الإِسْكَنْدَرِيُّ وَاللَّهِ. فَقَدْ كَانَ فَارَقَنَا خِشْفًا(٤). وَوَافَانَا جِلْفًا. وَنَهَضْتُ عَلَى إِثْرِهِ. ثُمَّ قَبَضْتُ عَلَى خَصْرِهِ. وَقُلْتُ: أَلَسْتَ أَبَا الْفَتْحِ. أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمْرِكَ سِنِينَ. فَأَيُّ عَجُوزٍ لَكَ بِسُرَّ مَنْ رَا. فَضَحِكَ إِلَيَّ وَقَالَ:

وَيْحَكَ هٰذَا الزَّمَانُ زُورُ فَلَا يَغُرَّنَّكَ الْغُرُورُ
بَزْوِقْ وَمَخْرِقْ وَكُلْ وَأَطْرِقْ وَاسْرِقْ وَطَبِّقْ لِمَنْ تَزُورُ
لَا تَلْتَزِمْ حَالَةً وَلَكِنْ دُرْ بِاللَّيَالِي كَمَا تَدُورُ

= زوجة في تلك البلدة وأن له أفرخًا أي أولادًا صغارًا بالقرب من جبال بصرى وهي من مدن سوريا في الشرق الجنوبي من حوران.

(١) يريد من **الضُرّ** الفقر وقوله قتلت جواب لولا وكل من يحبس حتى يقتل يقال فيه قتل صبرًا أي لولا العجوز والأولاد لحبست نفسي على أحد أسباب الهلاك حتى قتلتها صبرًا.

(٢) **تَاحَ** تهيأ وقدر.

(٣) **ثناياه** مقدم أسنانه.

(٤) **الخشف** ولد الظبي يقول فارقناه حدثًا جميلًا ووافانا الآن جاسيًا غليظًا وبقية الكلام إلى آخر المقامة ظاهر.

المَقَامَة الأزاذيَّة

حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ: كُنْتُ بِبَغْدَاذَ[١]. وَقْتَ الْأَزَاذِ[٢]. فَخَرَجْتُ أَعْتَامُ[٣] مِنْ أَنْوَاعِهِ لِابْتِيَاعِهِ. فَسِرْتُ غَيْرَ بَعِيدٍ إِلَى رَجُلٍ قَدْ أَخَذَ أَصْنَافَ الْفَوَاكِهِ وَصَنَّفَهَا[٤]. وجَمَعَ أَنْوَاعَ الرُّطَبِ[٥] وَصَفَّفَهَا. فَقَبَضْتُ[٦] مِنْ كُلِّ شَيْءٍ أَحْسَنَهُ. وَقَرَضْتُ مِنْ كُلِّ نَوْعٍ أَجْوَدَهُ. فَحِينَ جَمَعْتُ حَوَاشِيَ الْإِزَارِ[٧]. عَلَى تِلْكَ الْأَوْزَارِ. أَخَذَتْ عَيْنَايَ[٨] رَجُلًا قَدْ لَفَّ رَأْسَهُ بِبُرْقُعِ حَيَاءٍ[٩] وَنَصَبَ جَسَدَهُ. وَبَسَطَ يَدَهُ. وَاحْتَضَنَ

---

(١) **بغذاذ** هي مدينة بغداد المشهورة وفي لفظها لغات بذالين معجمتين ودالين مهملتين وبمختلفتين مع تقدم المعجمة أو تأخرها وبغدان ومغدان وتلقب بمدينة السّلام ولفظها في الأصل فارسي مركّب من باغ بمعنى بستان وداد بمعنى العدل فهو بذالين مهملتين وبقية اللغات وجوه تعريب وكانت من بناء الفرس قبل الإسلام إلّا أنها لم تكن من حواضرهم وبقيت كذلك إلى سنة ١٤٥ من الهجرة فجدد الخليفة المنصور ثاني خليفة من بني العباس اختطاط مكانها حاضرة للخلافة العباسية وتمّ بناؤها في سنة ١٤٦هـ وأنفق فيه أربعة ملايين درهم وثمانمائة وثلاثة وثلاثين درهمًا وكان عرض الطريق فيها أربعين ذراعًا.

(٢) **الأزاذ** نوع من التمر.

(٣) **الاعتيام** الاختيار أي خرجت من المدينة لأختار نوعًا من أنواع هذا التمر فأنال منه وكانت أسواق بغداد خارجها ناحية الكرخ. قيل في سبب ذلك: إن رسولًا للروم قدم على أبي جعفر فسأله كيف رأيت المدينة فقال أرى بناءً حسنًا إلّا أني أرى معك فيه أعداءك وهم السوقة. فأمر بإخراجهم ولم يأذن إلّا لأربعة بقّالين في كل ربع منها واحد. وقيل في سبب إبعاد الأسواق غير ذلك.

(٤) ميّز بعضها عن بعض.

(٥) **الرُّطَب** نضيج البسر قبل أن يتمر، **والتصفيف** جعلها صفوفًا كل نوع في صف.

(٦) **قَبَضَ** الشيء كضرب تناوله بيده ويريد كل شيء من الفواكه الموجودة. **وقرضت** عند الرجل بمعنى قطعت فإن من تناول من تلك الفواكه شيئًا ليأخذه فقد قطعه عن حملته.

(٧) **الإزار** الملحفة، **وحواشيه** أطرافه. وضع ما أخذه في ملحفته وجمع أطرافها عليه **والأوزار** الأحمال.

(٨) **اخَذَتْهُ** عيناه تناولته بالنظر أي أبصره.

(٩) **البُرْقُع** ما تستر به المرأة وجهها وهو في الإنسان من خواص النساء وكان الأقوم في التعبير قد جلل وجهه ببرقع لأن الرأس لا يبرقع ولا ستره من خواص الحياء ولكنه أراد أنه لف بما سدل منه طرفًا على وجهه أو أراد بالبرقع اللّثام وهو ما يدل عليه الكلام الآتي آخر المقامة **ونصب** الجسد القيام. **وبَسَطَ** اليد مدّها للسؤال.

عِيَالَهُ(١). وَتَأَبَّطَ أَطْفَالَهُ. وَهُوَ يَقُولُ بِصَوْتٍ يَدْفَعُ الضَّعْفَ فِي صَدْرِهِ(٢). وَالْحَرَضَ فِي ظَهْرِهِ:

وَيْلِي عَلَى كَفَّيْنِ مِنْ سَوِيقِ(٣) أَوْ شَحْمَةٍ تُضْرَبُ بِالدَّقِيقِ(٤)
أَوْ قَصْعَةٍ تُمْلأُ مِنْ خِرْدِيقِ(٥) يَفْثَأُ عَنَّا سَطَوَاتِ الرِّيقِ(٦)
يُقِيمُنَا عَنْ مَنْهَجِ الطَّرِيقِ(٧) يَا رَازِقَ الثَّرْوَةِ بَعْدَ الضِّيقِ
سَهِّلْ عَلَى كَفِّ فَتًى لَبِيقِ(٨) ذِي نَسَبٍ فِي مَجْدِهِ عَرِيقِ
يَهْدِي إِلَيْنَا قَدَمَ التَّوْفِيقِ(٩) يُنْقِذُ عَيْشِي مِنْ يَدِ التَّرْنِيقِ(١٠)

---

(١) **الحضن** بالكسر ما دون الإبط إلى الكشح **واحتضنه** جعله في حضنه. **والعيال** جمع عيل فعيل بمعنى المفعول من تعوله وتنفق عليه من النساء والأولاد وقد لا يكونون صغارًا فهم يمشون إلى جانبه وكأنهم في حضنه. أما الأطفال فهم صغار الأولاد يعجزون عن المشي فيحملون ومن حملهم أن يكونوا تحت الإبط وهو معنى التأبّط.

(٢) أي يصيح بصوت عالٍ يوقع الضعف في صدره من شدّته. وفي العادة أن من يجهد نفسه في الصّياح يجعه صدره كما يهن من ذلك ظهره فيقع فيه **الحَرَض** بالتحريك وهو الضعف الناهك المشرف بصاحبه على السقوط.

(٣) **ويلي** على كذا من الجمل المحذفة واصله ويلي ينزل بي على أن لم يكن كذا أي لعدم كونه. **والويل** الهلاك ثم خرجت الجملة مخرج التلهّف فهو يتلهّف على كفين أي ملئهما من إطلاق المحل وإرادة الحال من السويق وهو جريش الشعير والقمح بعد قليهما قليًا خفيفًا فلا ينعم طحنهما وما لم ينعم طحنه أو دقّه فهو جريش ثم قد يلتّ بعد ذلك بسمن أو زيت.

(٤) **الشَحْمَة** القطعة من الشحم فإذا صهرت ثم ضربت بالدقيق كان نوع من العصيدة أشبه بالخزيرة.

(٥) **الخِرْديق والخردق** المرقة ويريد مرقة فت بها الخبز حتى يكون ثريدًا.

(٦) **فَثأ** القدر سكن غليانها **والبارد** كسر برده بالتسخين. **والسطوات** جمع سطوة وهي الصولة من الماء كثرته. **والرّيق** ماء الفم. **والشطر** كناية عن تسكين الجوع فإن الجائع يسطو عليه ريقه بتتابع الإفراز لحرارة المعدة حتى إذا نضب هلك.

(٧) **منهج** الطريق جادته وهو منطرح عليها لاستجداء المارة فلو وجد شيئًا مما تمناه لمال عن الطريق وكف عن السؤال.

(٨) **اللبيق** الحاذق في عمله والمراد منه هنا الكريم وتسهيل اللّه على كفه أن يهون عليه السخاء بالعطاء. وفي **مَجْده** متعلقًا بعريق أي متأصل في المجد والشرف توشجت فيه عروقه من الأجداد إلى الأبناء.

(٩) إضافة القدم إلى التوفيق كإضافته إلى الطاعة في قولك القوم على قدم الطاعة أي القدم الممدود بتوفيق اللّه له للسعي في الخير وفاعل يهدي يعود على الفتى أي ذلك الفتى يهدي إلي قدمه لينقذ عيشي من الترنيق فجعل الفتى هاديًا والقدم مهديًا ساعيًا لأن الإرادة من الفاعل هادية لفعله قائدة له والكلام على ضرب من التمثيل.

(١٠) **التّرنيق** التكدير وضعف الأمر. **وانقذه** منه خلّصه.

قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ: فَأَخَذْتُ مِنَ الكِيسِ أَخْذَةً[١] وَنِلْتُهُ إِيَّاهَا. فَقَالَ:

يَا مَنْ عَنَانِي بِجَمِيلِ بِرِّهِ ... أَفْضِ إِلَى اللَّهِ بِحُسْنِ سِرِّهِ[٢]
وَاسْتَحْفِظِ اللَّهَ جَمِيلَ سِتْرِهِ[٣] ... إِنْ كَانَ لَا طَاقَةَ لِي بِشُكْرِهِ
فَاللَّهُ رَبِّي مِنْ وَرَاءِ أَجْرِهِ[٤]

قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ: فَقُلْتُ لَهُ إِنَّ فِي الْكِيسِ فَضْلًا[٥] فَابْرُزْ عَنْ بَاطِنِكَ[٦] أُخْرِجْ إِلَيْكَ عَنْ آخِرِهِ. فَأَمَاطَ لِثَامَهُ[٧] فَإِذَا وَاللَّهِ شَيْخُنَا أَبُو الْفَتْحِ الإِسْكَنْدَرِيُّ. فَقُلْتُ: وَيْحَكَ[٨] أَيُّ دَاهِيَةٍ أَنْتَ. فَقَالَ:

أَقْضِ الْعُمْرَ تَشْبِيهَا[٩] ... عَلَى النَّاسِ وَتَمْوِيهَا

---

(١) **الأخْذَة** من الأخذ أريد بها المفعول كما يقال قبضت قبضة أي تناولت من الكيس جملة مما حواه. **ونِلْتُهُ** أي أعطيته إياها.

(٢) **عَنَاني** أرادني وجميل البر من إضافة الصفة إلى موصوفها أي بالإحسان الجميل وأفضى إلى اللَّه بكذا لم يطلع عليه سواه كأنما يخلو شخص بآخر يساره. **والسرّ** ما يكتم والضمير المضاف إليه يعود للبر أي لا تطلع أحدًا على الحسن من سر برك.

(٣) **استحفظ اللَّه** اسأل اللَّه حفظ الجميل من ستر ذاك البر وهو بمعنى الشطر قبله يسأله كتمان سرّ الإحسان كي لا يشهر السائل بالاجتداء والاستعطاء ولا أعجب من هذا السؤال بعد رفع الصوت بالسؤال.

(٤) اللَّه من ورائه لا يهمله ولا يتركه فإن لم يستطع الممنوح شكر المانح فاللَّه لا يضيع أجره والأجر أجل من الشكر وإنما يعظم مع الستر.

(٥) بقية من الدراهم.

(٦) **برز** أصله خرج إلى البراز أي الفضاء ثم استعمل في الظهور مطلقًا لأنه لازم الأصل. **والباطن** من الشيء حقيقته المستترة بما يغشيها وقد يلبسها بغيرها وكأن المتلبس بغير سرباله البادي للأعين في غير حاله قد كمن في باطن نفسه المحتجب فإذا كشف عن حقيقة أمره فكأنما برز عن باطنه الذي كان مختبئًا به إلى ما يمكن الابصار من معرفته. وقوله **أخرج** إليك إلخ. يقال خرج عن ماله إذا وهبه بأسره والواهب لشيء تارك له ذاهب عنه فهو كالخارج عن بيته مثلًا.

(٧) **أماط اللّثام** نحاه عن وجهه. **واللّثام** ما على الفم من النقاب وهو بعض البرقع إذا فسرنا البرقع بحقيقته أو هو المراد من البرقع كما سبق التنبيه عليه.

(٨) **ويح** كلمة ترحم يقال ويحًا له وويحة إذا قصد الترحّم عليه والاستغراب من عمله ونصبها بفعل واجب الحذف قالوا: وأصلها وي فوصلت بحاء. **والداهية** الماكر الباقعة والاستفهام للإكبار والإعظام أي ما أعظمك من داهية أو ما أدهاك.

(٩) **قَضّ** أمر من قضى الشيء إذا أفناه وصرمه ففني وانصرم. **والتشبيه** التلبيس وخلط الحقائق بما ليس منها حتى لا تعرف أي أفن عمرك في تلبيس أمرك على الناس لتنال منهم. =

أَرَى الأَيَّامَ لا تَبْقَى عَلَى حَالٍ فَأَحْكِيهَا[(١)]
فَيَوْمًا شَرُّهَا فِيَّ وَيَوْمًا شِرَّتِي فِيهَا[(٢)]

= **والتمويه** طلي النحاس بذهب أو فضة فيظنه الناظر نفيسًا وليس به ثم أطلق على كل إظهار لما لا يكون في صورة ما هو كائن. ومنه إظهار الباطل في صورة الحق والرديء في حلية الجيد والغني في صورة الفقر وهذا هو المراد هنا.

(١) **حكاه** يحكيه كحاكاه يحاكيه أي شابهه أي أني أسير سيرة الأيام وليس للأيام سيرة ثابتة فأحكيها بسيرة ثابتة ولكنها تنقلب في الناس بالأطوار تقلبها عليهم بالأعمار وتنتقل في حدثانها انتقال الأفلاك في دورانها وما كان حاله كذلك فحالي معه تراه في البيت الآتي.

(٢) فيومًا ينفذ في شرّها بما ترميني به من الفقر ويطلق الشر أيضًا على الفقر خاصة. ويومًا أقاوم سلطانها **بشِرَّتي** بالكسر أي نشاطي وخفّتي في إعداد ما ندفع بؤسها عني. وفي النسخة المطبوعة في القسطنطينية هذه الأبيات:

يا حريصًا على الغنى قاعدًا بالمراصدِ
لستَ في سعيكَ الذي جِضْتَ فيه بقاصدِ
إنّ دُنياكَ هذه لستَ فيها بخالدِ
بعض هذا فإنّما أنتَ ساعٍ لقاعدِ

والمراصد المراقب. والقاعد عليها من يرقب أسباب الغنى لينالها. **وحصت** بالصاد المهملة أي عدلت فيه عن الصواب. **والقاصد** القائم على العدل وقويم المحجة وقوله بعض هذا مبتدأ لخبر محذوف أو فاعل لمحذوف أي يكفيك. **وانت** ساع لقاعد مأخوذ من كلام الإمام علي بن أبي طالب «رب ساع لقاعد» أي قد لا ينتفع جامع المال بما سعى في جمعه ويخلص نفعه لوارث لا سعي له. وهذه الأبيات لا تناسب حال أبي الفتح في هذه المقامة وإنما تناسب حال الزاهدين النافضين أيديهم من الدنيا وحطامها وقد كشف حاله عن حريص على كثرها وقلّها.

المقَامَةُ البَلْخِيّة

حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ: نَهَضَتْ بِي إِلَى بَلْخَ تِجَارَةُ الْبَزِّ(١) فَوَرَدْتُهَا وَأَنَا بِعُذْرَةِ الشَّبَابِ(٢) وَبَالِ الْفَرَاغِ(٣) وَحِلْيَةِ الثَّرْوَةِ لَا يُهِمُّنِي إِلَّا مُهْرَةُ فِكْرٍ أَسْتَقِيدُهَا(٤) أَوْ شَرُودٌ مِنَ الْكَلِمِ أَصِيدُهَا. فَمَا اسْتَأْذَنَ عَلَى سَمْعِي مَسَافَةَ مُقَامِي أَفْصَحُ مِنْ كَلَامِي(٥). وَلَمَّا حَنَى الْفِرَاقُ بِنَا قَوْسَهُ أَوْ كَادَ(٦). دَخَلَ عَلَيَّ شَابٌّ فِي زِيٍّ مِلْءِ

(١) بَلْخ مدينة من مدن خراسان وهي الآن من إيالات أفغانستان واقعة في شمالي جبال هندكوش غربي بدخشان جنوبي نهر جيحون. **والبَزّ** الثياب أو متاع البيت منها وما يشبهها من الملاحف والفرش وبائعه بزاز ثم غلب البز على ما ينسج من القطن خاصة. **ونهض به** وأنهضه أقامه أي أقامه من بلاده إلى مدينة بلخ قصد التجارة في البز والإسناد مجاز عقلي.

(٢) **العُذْرَة** الناصية وهي الخصلة من الشعر من مقدمة الرأس ويعبّر بالناصية عن أعلى الشيء أو موضع المكنة منه يريد عنفوان الشباب والأنسب بالعبارة الآتية أن يكون اللفظ «بغرة الشباب» أي غفلته. **ووَرَدتُها** أي أتيتها.

(٣) **بَالَ** الفراغ حاله أي وحال الخلو من هموم الحياة. **والحلية** ما يزين به من مصوغ المعادن النفيسة أو الأحجار الكريمة وإضافتها إلى الثروة من إضافة المشبه به إلى المشبه فإن الثروة شبيهة بالحلية فكل منهما يكسب صاحبه بهاء.

(٤) **المُهْرَة** الأنثى من ولد الفرس. **واسْتَقيدُهَا** أطلب أن تنقاد لقيادتي ويقال: فلان يقود فرسًا إذا كان يملكها والفكرة بنت العلم وعليها يسبق صاحبها إلى المعالي إذا انقادت له وتيسّرت. **وشرود** الكلم ما لا يألف الألسنة منها إلّا في مقاول الخاصة من الناس لنفاسته وعلو معناه فلا تحفظه أذهان العامة فكأنه الحيوان الشرود النفور. **وأصِيدُها** أتناولها بالحفظ أو الكتابة. والمراد من الكلم الجمل المفيدة لا الكلمات المفردة.

(٥) تخيل الكلام الفصيح في صورة حي مدرك يستأذن في مداخله وسمعه أي قوة إدراكه الأصوات في مثال مزور يستأذن عليه. **ومسافة** المقام مدة الإقامة في بلخ وكان الأصوب استعمال مدة بدل مسافة لأن المسافة إنما تستعمل في الأبعاد المكانية لا الزمانية إلّا بنوع من التكلف أي أنه لم يسمع مدة إقامته كلامًا أفصح من كلامه فلم يستفد شيئًا مما كان يهمه من مهارات الأفكار وشوارد الكلام.

(٦) انعطف الفراق بنا عن بلخ إلى أوطاننا كما ينعطف أحد طرفي القوس للإقبال على الآخر فكان خطًا من بلخ إلى وطنه وهو على طرفه من جهة بلخ فإذا **انحنى** به ذلك الخط =

الْعَيْنِ(١). وَلِحْيَةٍ تَشُوكُ الْأَخْدَعَيْنِ(٢). وَطَرْفٍ قَدْ شَرِبَ مَاءَ الرَّافِدَيْنِ(٣). وَلَقِيَنِي مِنَ الْبِرِّ فِي السَّنَاءِ. بِمَا زِدْتُهُ فِي الثَّنَاءِ(٤). ثُمَّ قَالَ: أَظَعْنًا تُرِيدُ. (٥) فَقُلْتُ إِي وَاللَّهِ. فَقَالَ: أَخْصَبَ رَائِدُكَ(٦). وَلَا ضَلَّ قَائِدُكَ(٧). فَمَتَى عَزَمْتَ. فَقُلْتُ: غَدَاةَ غَدٍ. فَقَالَ:

صَبَاحُ اللَّهِ لَا صُبْحُ انْطِلَاقِ وَطَيْرُ الْوَصْلِ لَا طَيْرُ الْفِرَاقِ(٨)

= وتقوّس أقبل من طرف بلخ إلى طرف الوطن فإن لم يكن إعدادنا للرجال انحناء للقوس بالفعل فهو قريب منه وهو معنى أو كاد.

(١) **الزيّ** الهيئة وملء العين يأخذها هيبة وحسنًا قال: ولكن ملء عين حبيبها.

(٢) **الأخدعان** عرقان في صفحة العنق موضع الحجامة وهما شعبتان من الوريد واللّحية. **تشوكهما** تصل أطراف شعرها إليهما فتكاد تنفذهما لعظمها من **شاكه** الشوك يشوكه إذا نفذ فيه وفي بعض النسخ تشكو الأخدعين وفي بعضها تشكو دم الأخوين ولا معنى لهما إلّا بتكلف لا يليق بكلام الفصحاء بأن يقال في الأولى إن من عادة الشاكي أن يأخذ بتلابيب المشكو ليجرّه إلى موقف المخاصمة فعبّر بالشكوى عن بعض لوازمها وهو الملازة وهو المراد من تشوك على ما بينا. ويقال في الثانية إنها بسوادها تشكو ماء الوجه في حمرته كأنما يغلب عليها توقده فيكون قد أصاب غرضين سواد اللّحية وظهور ماء الحياة في الوجه وكلاهما عنوان لقوة الشبيبة ولكن كل من التفسيرين تأويل لا يخفى بعده.

(٣) **الطرف** العين ويطلق على العينين مفردًا لا يجمع لأنه لفظ المصدر سمي به. **والرافدان** دجلة والفرات وكل نهر يمدّه نهران فله رافدان والكلام كناية عن تألّق العينين بالصفاء كأنما سقيا ماء ذينك النهرين وكل من المعنيين أن أريد آية ريعان الشباب.

(٤) **لقيه** استقبله. وكل فعل صدر لتكون غايته رضاك فهو برّ بك. **والسَّنَا** بالكسر والمد مصدر ساناه بمعنى داناه. وفي المعنى أن هذا الشاب استقبلني بشيء من الإحسان في المداناة والمراضاة زدته وأحكمت أثره بالثناء عليه فيما أتي. وفي نسخة «**رددته**» أي عطفته عليه وأرجعت له أي أتيت مثله في ثنائي عليه ومدحي له فكأني رددت عليه ما ابتدأ به وهذا كما يقال حياه فردّ التحية.

(٥) **الظعن** السفر أي هل تريد سفرًا فقلت أي بمعنى نعم.

(٦) **الرائد** من يرسله القوم أمامهم ليتخير لهم منزلًا من الأرض فإن رأى خصبًا نزل بهم وإن وجد جدبًا تحوّل بهم إلى الخصب. **وأخصب** الرائد وجد المكان خصبًا، **والخصب** كثرة الخير في الأرض من الماء والنبات. والكلام كناية عن الدعاء بمصادفة الخير حيث يذهب.

(٧) أراد من **القائد** الهادي من قائد الأعمى أي هاديه. **والضلال** الذهاب على غير طريق **وضلال** القائد نذير الهلكة فالدعاء بعدم ضلاله سؤال للنجاة كأنه قال: صادفت الخير وصحبتك السلامة.

(٨) يتفاءلون بإضافة الصباح إلى اللّه لأن اللّه مفيض الخيرات بل هو الخير المطلق. **والانطلاق** الذهاب وهو بداية البعد وإليه ينتهي فالصبح المضاف إليه يتشاءم بشؤمه. **والطير** =

فَأَيْنَ تُرِيدُ. قُلْتُ ٱلْوَطَنْ. فَقَالَ بُلِّغْتَ ٱلْوَطَنَ. وَقَضَيْتَ ٱلْوَطَرَ(١). فَمَتَى ٱلْعَوْدُ. قُلْتُ ٱلْقَابِلَ(٢). فَقَالَ طَوَيْتَ ٱلرَّيْطَ(٣). وَثَنَيْتَ ٱلْخَيْطَ. فَأَيْنَ أَنْتَ مِنَ ٱلْكَرَمِ(٤). فَقُلْتُ بِحَيْثُ أَرَدْتَ. فَقَالَ إِذَا أَرْجَعَكَ ٱللَّهُ سَالِمًا مِنْ هٰذَا ٱلطَّرِيقِ. فَٱسْتَصْحِبْ لِي عَدُوًّا فِي بُرْدَةِ صَدِيقٍ(٥) مِنْ نِجَارِ ٱلصُّفْرِ. يَدْعُو إِلَى ٱلْكُفْرِ(٦). وَيَرْقُصُ عَلَى ٱلظُّفْرِ. كَدَارَةِ ٱلْعَيْنِ(٧). يَحُطُّ ثِقَلَ الدَّيْنِ. وَيُنَافِقُ بِوَجْهَيْنِ(٨). قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ فَعَلِمْتُ أَنَّهُ يَلْتَمِسُ دِينَارًا. فَقُلْتَ لَكَ ذٰلِكَ نَقْدًا. وَمِثْلُهُ وَعْدًا. فَأَنْشَأَ يَقُولُ:

= مما يتفاءل به ويتشاءم فإن زجرته ونفر عنك إلى اليمين وصاح تفاءلت وإن نفر إلى اليسار تشاءمت وهذا من اعتقادات الجاهلية التي محاها الإسلام ثم بقيت في الأشعار والجيد من الكلام ضروب أمثال **فطير الوصل** ما تفاءلت منه بقرب الحبيب، **وطير الفراق** ما تشاءمت منه ببعده والبيت دعاء باليمن وإبعاد مناشئ الشؤم وإلّا فلا طير عند القائل غير أنه لما سمع كلمة السفر غداة غد ذهب باللفظ مذهب التفاؤل فقال صباح اللّه إلخ. وكأنه تخيل الكلمة صوت الطائر المزجور فقال وطير الوصل إلخ أي جعل اللّه سفرك إلى رجعة وفراقك إلى لقاء.

(١) **الوَطَر** الحاجة والأرب.

(٢) أي العام الآتي، **والقابل** اسم للعام بعد عامك الحاضر يكون بلام التعريف ومجردًا عنها.

(٣) **الريط** جمع ريطة وهي الملاءة غير ذات لفقين. وقيل: كل ثوب لين رقيق ريطة ولكنه لا يريد الحقيقة من اللفظ ولكن رياط الليالي الهنيئة يطويها ريطة بعد ريطة حتى يأتي القابل، **والخيط** خيط الزمان من اليوم إلى القابل، **وثنيه** جعل أحد طرفيه حيث الطرف الآخر فكما أن طرف الخيط اليوم في بلخ فثنيه أن يكون الطرف الآخر فيه أيضًا والجملتان دعاء.

(٤) في أي منزلة من منازله في أدناه المتصل بالبخل أو أعلاه أو ما بينهما من مراتبه. وقوله بحيث أردت أي بأعلى منزلة منه فإن المسترفد لا يريد إلّا أن يكون الرافد بحرًا فياضًا.

(٥) **البردة** كالرداء والعدو في رداء الصديق ظاهره يغر ناظره ثم لا يلبث أن يضره بما غرّه وهكذا الدنانير في ظاهر أمرها أخاذة بالقلوب ثم قد تدفع بالحريص عليها إلى أشد الكروب. **والنجار** الأصل. **والصفر** الدنانير وأصلها الذهب.

(٦) الطمع في الدنانير قد يحمل الصنيع على كفر الصنيعة بل قد يكفر طالبها بنعمة ربه بتحصيلها من غير حلّها ومن عادة نقاد الدينار أن يضعوه على ظفر إبهامهم ثم يضربوه بآخر لتظهر رنّته فيرقص أي يهتز على الظفر.

(٧) كل موضع يدار به شيء يحيط به فهو **دارة** ولذلك يقال للأرض الواسعة التي تحوطها الجبال دارة. **والعين** هنا الشمس أي شبيه في استدارته بما أحاط به دائرة الشمس وهو وجهها ويمكن أن يراد من العين الحدقة وهي وإن لم تكن تامة الاستدارة إلّا أنها ظاهرة منها.

(٨) **نافق** أظهر بلسانه ما ليس في قلبه ويقال للمنافق: ذو الوجهين لأنه يقبل عليك بوجه صديقك ويلقى عدوك بوجه عدو لك والدينار يرسم على أحد سطحيه ما لا يرسم الآخر فيظهر من أحدهما خلاف ما حواه الآخر وكل منهما وجه إذا قوبل فصحت فيه التورية.

رَأْيُكَ مِمَّا خَطَبْتُ أَعْلَى[١] لَا زِلْتَ لِلْمَكْرُمَاتِ أَهْلَا
صَلُبْتَ عُودًا وَدُمْتَ جُودًا وَفُقْتَ فَرْعًا وَطِبْتَ أَصْلَا[٢]
لَا أَسْتَطِيعُ الْعَطَاءَ حَمْلًا وَلَا أُطِيقُ السُّؤَالَ ثِقْلَا[٣]
قَصُرْتُ عَنْ مُنْتَهَاكَ ظَنًّا وَطُلْتَ عَمَّا ظَنَنْتُ فِعْلَا[٤]
يَا رُجْمَةَ الدَّهْرِ وَالْمَعَالِي لَا لَقِيَ الدَّهْرُ مِنْكَ ثُكْلَا[٥]

قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ فَنِلْتُهُ الدِّينَارَ[٦] وَقُلْتُ أَيْنَ مَنْبِتُ هٰذا الفَضْلِ[٧] فَقَالَ نَمَتْنِي قُرَيْشُ وَمُهِّدَ لِيَ الشَّرَفُ فِي بَطَائِحِهَا[٨]. فَقَالَ بَعْضُ مَنْ حَضَرَ أَلَسْتَ بِأَبِي الْفَتْحِ الْإِسْكَنْدَرِيّ. أَلَمْ أَرَكَ بِالْعِرَاقِ. تَطُوفُ فِي الْأَسْوَاقِ. مُكَدِّيًا بِالْأَوْرَاقِ[٩]. فَأَنْشَأَ يَقُولُ:

---

(١) **مما خضبت** متعلق بأعلى أي أنت أعلى من الأمر الذي خطبتك إليه أي حالك أجلّ منه وخطب المرأة دعاها للزواج ثم قيل: خطبه لأمر إذا دعاه إليه توسعًا وقد دعاه للتفضل بدينارٍ فتفضل باثنين، فحاله في الكرم فوق ما طلب. **والمكرمات** صنائع الكرم. والشطر الثاني والبيت الثاني دعاء. وفي نسخة «فيما طلبت» وهي غلط.

(٢) المنصوبات الأربعة تمييز محول عن الفاعل أي صلب عودك إلخ. **وصلابة** العود كناية عن القوة. **وفاق** غيره زاد عليه ففاقت فروعه أي نمت ذراريه عددًا وشرفًا حتى زادت على غيرها **وطاب** أصله كرم.

(٣) **الحمل والثقل** يذهبان مذهبًا واحدًا في المعنى إلّا أن الثاني أثقل وفي العطاء حمل من المنة لا يستطاع إقلاله وفي سؤال الناس ثقل من الذلّ لا يطاق احتماله.

(٤) **المنصوبان** تمييزان أي قصر ظني عن غايتك في الكرم وطال فعلك عما ظننت بك أي فاته وزاد عليه.

(٥) **الرُّجْمَة** بالضم ما يبنى تحت النخلة الكريمة لتعتمد عليه لضعفها أو لثقل حملها كأنه قال: يا عماد الدهر ولما جعله سندًا للدهر دعا للدهر أن لا يفقده. **والثُّكْل** فقد الحبيب ولا أحب إليك من سندك وعماد أمرك.

(٦) أعطيته إياه.

(٧) جعل الفضل شجرة وما سمعه من ثمارها فسأل عن منبتها والكلام كناية عن تبين مولد الشاب.

(٨) **نَمَتْنِي** قريش من قولهم نماه جد كريم أي رفعتني قريش بانتسابي إليها أي أن منبتي في قريش. **ومُهِّدَ** لي الشرف أي بسّط ومن كان الشرف له بساطًا ومهادًا كان في ذروة الرفعة. **وبطائح** مكة وبطاحها وأباطحها وبطحاواتها ما اتسع من مسايل الماء بين جبالها. **وقريش** البطاح غير قريش الظواهر. قال «قريش البطاح لا قريش الظواهر» أي المقيمون في شعاب مكة لا المقيمون في ظاهرها.

(٩) **كدّى** الرجل تكدية سأل الناس فهو مكد وكان يكتب أوراقًا يذكر فيها حاجته ويسأل الناس سدها.

إنَّ لِــلَّــهِ عَــبِــيــدًا أَخَــذُوا الــعُــمْــرَ خَــلِــيــطَــا(١)
فَــهُــمْ يُــمْــسُــونَ أَعْــرَا بًــا وَيُــضْــحُــونَ نَــبِــيــطَــا(٢)

(١) **الخليط** لبن حلو يخلط بحازر وسمن فيه شحم ولحم أي أخذوا عمرهم مخلوطًا من مختلفات أطوار أي جعلوه كذلك فالشخص الواحد منهم فكأنه خليط من الناس لا يعرف لهم نسب.

(٢) هكذا ينبغي أن يكون البيت منهم يمسون أعرابًا ويضحون نبيطًا. والكلام في مطلق الليل والنهار بدون رعاية للترتيب وفي نسخة:

«صــبــحــة يــضــحــون أعــرا بًــا ويــمــســون نــبــيــطــا»

وهو غير منطبق على الحكاية فإنه كان بالأمس نبطيًا بالعراق وأضحى اليوم عربيًا ينتسب إلى قريش، **والنبيط** جيل من العجم ينزلون بالبطائح بين العراقين ويسمّون النبط والأنباط أيضًا الواحد نبطي.

المقامة السجستانية

حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ. قَالَ: حَدَا بِي إِلَى سِجِسْتَانَ أَرَبٌ[١] فَاقْتَعَدْتُ طِيَّتَهُ[٢]. وَامْتَطَيْتُ مَطِيَّتَهُ. وَاسْتَخَرْتُ اللَّهَ فِي الْعَزْمِ[٣] جَعَلْتُهُ أَمَامِي. وَالحَزْمِ جَعَلْتُهُ إِمَامِي. حَتَّى هَدَانِي إِلَيْهَا فَوَافَيْتُ دُرُوبَهَا[٤]. وَقَدْ وَافَتِ الشَّمْسُ غُرُوبَهَا. وَاتَّفَقَ الْمَبِيتُ حَيْثُ

---

(١) **الأرب** شديد الحاجة الداعي للاحتيال في دفعه فكل أرب حاجة ولا ينعكس كليًا. **وسجستان** من أقاليم بلاد فارس الشرقية تنتهي من الغرب إلى مفاوز كرمان ومن الشرق إلى حدود أفغانستان ومن الشمال إلى أطراف هراة ومن الجنوب إلى بلوجستان. **وحَدَا بي إليها** ساقني وبعثني على المسير نحوها.

(٢) **اقتعد** الدابة ابتذلها بالركوب. **والطِّيَة** النية والمقصد، كأنه تخيل مقصد ذلك الأرب في صورة قعدة لزم ظهرها لا ينزل عنها لأن المقصد يذهب بصاحبه للوصول إليه كما أن الدّابّة تسير به إلى حيث يريد. **والمَطِيَّة** الدّابّة تمطو في سيرها أي تسرع والبعير مطية والناقة كذلك، **وامتطاها** ركب مطاها أي ظهرها وهذه الجملة إما بمعنى سابقتها فيقال فيها مثل ما قدمنا وإما أنه أعدّ مطية حقيقية وركبها لطلب الأرب والإضافة إليه لأنها أعدّت لأجله. وفي نسخة «وانتعلت حذوته» وكأنه يريد بالحذوة النعل فتكون الجملة مغايرة للأولى في المفهوم راجعة إليها في المآل فإن انتعال الحذاء للشيء كناية عن التهيّؤ لطلبه فإنما ينتعل الرجل إذا عزم على السير أما القاعد فخالع نعليه.

(٣) **استخرت الله** طلبت منه أن يلهمني الخير فيما أقصد من العمل ثم صارت كناية عن العزم على العمل فيقال: استخرت الله في السفر أي عزمت عليه كأني سألته إلهام الخير فيه فألهمني أن أمضي إليه. والعزم عقد الضمير على الفعل بحيث يتبعه الأخذ فيه فلا يقال عزم إلّا ويقال فعل عقبه وقد يطلقونه على مجرد النية فهو على حقيقته طليعة العمل لهذا قال: جعلته أمامي بفتح الهمزة أي قدامي. **والحزم** الأمر والأخذ فيه بالثقة وحوّطه بالتروي والمضاء فيه على نور البصيرة الصادقة فقد يكون عزم بغير حزم ولا يكون حزم حتى يكون فيه عزم وحكمة ولهذا قال: جعلته إمامي بكسر الهمزة كأنه إمام وهو يقتدي به في أفعاله ويوافقه في أحكامه.

(٤) لما ائتمّ بالحزم هداه إلى سجستان **فوافى** دروبها أي أتى أبواب طرقها التي يدخل منها إليها أو أبواب المدينة الواسعة، حين **وافت** الشمس غروبها أي وصلت إليه والمراد حين غربت كما يقال: وافى المريض أجله أي مات.

انْتَهَيْتُ(١). فَلَمَّا انْتُضِيَ نَصْلُ الصَّبَاحِ(٢). وَبَرَزَ جَيْشُ الْمِصْبَاحِ(٣). مَضَيْتُ إِلَى السُّوقِ أَخْتَارُ مَنْزِلًا فَحِينَ انْتَهَيْتُ مِنْ دَائِرَةِ الْبَلَدِ إِلَى نُقْطَتِهَا(٤). وَمِنْ قِلَادَةِ السُّوقِ إِلَى وَاسِطَتِهَا(٥). خَرَقَ سَمْعِي صَوْتٌ لَهُ مِنْ كُلِّ عِرْقٍ مَعْنًى(٦) فَانْتَحَيْتُ وَفْدَهُ(٧) حَتَّى

---

(١) بات خارج المدينة لأنه كان قد انتهى إلى درب المدينة وقت الغروب وكان من العادة أن تغلق الأسوار عنده فيبيت الواصل إلى المدينة دون الأسوار وفي نسخة أتيت البيت حيث انتهيت. أي نزلت بيتًا بظاهر المدينة.

(٢) **انتضى** سيفه استلّه وانتضي مبني للمجهول أي استُلَّ **والنصل** حديدة السيف وإضافته إلى الصباح تخيل كأن الصباح غائر بيده سيف قد استُلّ نصله والإشارة به إلى أول بياض الصبح فإنه يشبه في دقته نصل السيف المسلول.

(٣) **المصباح** من ألقاب الشمس **وجيشها** أشعة ضيائها والتمثيل في الكلام ظاهر. وفي نسخة جبين المصباح والمراد حاجب الشمس أول ظهوره شبّهه بجبين الإنسان وهو طرف جبهته مما يلي الصدغ وما يبدو من الشمس في أول ظهورها أشبه بجبهة الإنسان ولها شبه الجبينين وذلك قبل أن يتم ظهور قرصها.

(٤) **دائرة** البلد محيطه **ونقطة** تلك الدائرة وسط البلد كان وسط البلد بالنسبة إلى محيطه بمنزلة المركز لسطح الدائرة الهندسية.

(٥) **القِلادة** ما يحيط بالعنق من منظوم الجواهر **وواسِطَة** القلادة أعظم فرد من جواهرها يوضع وسطها وهو أكرمها وقد كانت السوق في العهد الأول حوانيت مصطفة يتوسطها ساحة يجول فيها طلّاب الحاجات والباعة فكانت على ساحاتها أشبه بالقلادة على العنق وواسطتها ما يستقبل الآتي من أول السوق ذاهبًا إلى آخرها. وفي نسخة إلى سطتها والمراد الوسط تسمية للمكان بالمصدر يقال وسط المكان سطة جلس وسطه وربما كان الشيخ أبو الفتح في صدر السوق فيكون عند واسطة قلادته أي الحانوت الذي يتساوى إليه عدد الحوانيت من جانبيه أو يكون وسط الساحة فتكون النسخة الثانية أمثل بالمعنى وكلا الاحتمالين غير بعيد فإن المقصود أن الشيخ كان موجودًا يصيح في مكان من وسط المدينة، ويجوز أن يراد من قلادة السوق ما أحاط به وهو دائرة المدينة ومن سطتها وواسطتها وسط المدينة فتكون هذه الفقرة راجعة إلى التي قبلها في معناها ومثل هذا التكرار في المقامات غير ممنوع.

(٦) **خَرَقَ** السمع كناية عن شدّة تمكّن الصوت من الحاسة وتحقق إدراكها له. **والعِرْق** الأصل من الشجر وما يجري فيه الدم من البدن وقد يخص بالأوردة والمراد من الصوت الكلام وإنما عبّر عنه بالمطلق لأن أعظم هم المتكلم في هذا المقام أن يبلغ صوته مدى بعيدًا لا خاصة أن يكون قوله مفيدًا كما يعبّر عن الزجرة الشديدة بالصيحة وإن حَوَت معنى غير الصياح لأن الغرض التهويل بشدّتها فتكون القضية إنه سمع كلامًا يجري إليه شتى من المعاني كأن الحقائق عروق كل عرق يمدّه بمعنى كما تمدّ عروق الشجر أفنانه بالغذاء أو عروق البدن أعضاءه بالنماء.

(٧) **انْتَحَيْتُ** أي قصدت. **وَفْدَهُ** أي أن أفد عليه بمعنى أقدم فالوفد مصدر ويصح أن يكون =

وَقَفْتُ عِنْدَهُ. فَإِذَا رَجُلٌ عَلَى فَرَسِهِ. مُخْتَنِقٌ بِنَفَسِهِ[١]. قَدْ وَلَّانِي قَذَالَهُ[٢] وَهُوَ يَقُولُ مَنْ عَرَفَنِي فَقَد عَرَفَنِي وَمَنْ لَمْ يَعْرِفْنِي فَأَنَا أُعَرِّفُهُ بِنَفْسِي أَنَا بَاكُورَةُ اليَمَنِ[٣]. وَأُحْدُوثَةُ الزَّمَنِ. أَنَا أُدْعِيَّةُ الرِّجَالِ[٤]. وَأُحْجِيَّةُ رَبَّاتِ الحِجَالِ. سَلُوا عَنِّي الْبِلَادَ وَحُصُونَهَا. وَالْجِبَالَ وَحُزُونَهَا[٥]. وَالأَوْدِيَةَ وَبُطُونَهَا. وَالْبِحَارَ وَعُيُونَهَا. وَالْخَيْلَ وَمُتُونَهَا[٦]. مَنِ الَّذِي مَلَكَ أَسْوَارَهَا. وَعَرَفَ أَسْرَارَهَا. وَنَهَجَ سَمْتَهَا[٧]. وَوَلَجَ

= جمع وافد وهم الجماعة الوافدون على ذلك الصائح أي قصدت المسير نحو ذلك الجمع المحتف به.

(١) **اختنق** الرجل خنق نفسه وهذا الشيخ مما تدافعت أنفاسه وازدحمت على حلقه عصرته فاختنق بها فهو الخانق لنفسه بنفسه.

(٢) **القذال** جماع مؤخر الرأس وإذا قالوا قذالان فالمراد ما بين نقرة القفا والأذن عن اليمين وعن الشمال أي أني أتيته من خلفه فهو قد **ولّاني** أي جعلني واليًا لقذاله.

(٣) ابتدأ يلغز في اسمه وهو أبو الفتح فإذا أخذت الإضافة في الاسم حقيقة كان معناه ما يكون منه الفتح وإذا اشتهر الاسم المركب كأبي الفتح جوزوا الاقتصار على المشخص منه كالفتح فيقال لأبي الفتح الفتح إذا ارتفع ألبس كما يقال لأبي الضيا الضياء وعلى هذا يصح أن يراد من قوله باكورة اليمن ثمر النبع فإنه يسمى فتحًا، **وباكورة** الفاكهة أولها واليمن مما ينبت فيه **النبع** وهو شجر القسي وقد تكون الإشارة فيه إلى الحديث إني لأجد نفس الرحمن من جهة اليمن تبشيرًا بأن اليمانيين يأتون مسلمين فيفتح بهم ما أغلق من بلاد غيرهم فأول وفد جاء منهم إلى حضرة صاحب الرسالة الإسلامية ﷺ يقال له أبو الفتح والأنصار أنفسهم كانوا يمانيين وهم أول من نصره من غير قريش قالوا وإليهم الإشارة في الحديث **والأحدوثة** ما يتحدث به وأكثر ما يدور على ألسنة أهل الزمن أسماء الفاتحين وأعمالهم وكلهم آباء فتح.

(٤) **الأدعية والأحجية** يترادفان معنى واحدًا وهو اللّغز والمعمى يتداعى الأذكياء ويتحاجون أي يظهر كل حجاه في كشفه وهو مما يعمى على الرجال بنسبة أجلّ أعمالهم على أنه شخص واحد في مثل صفته وعلى النساء بما عزى إلى نفسه من هصر الغصون الناعمات على حال مثل حاله فالناس كافة إذا سمعوا ما وصف به في هذه المقامة سواء كانوا رجالًا أو نساء تنشط قرائحهم لكشف ما استتر بتلك العبارات. وإنما قيل للنساء ربّات الحجال لأن أكرمهن المحتجبات في حجالهن جمع **حجلة** وهي شبه القبة في داخل البيت أو الموضع يزين بالثياب والأسرة والأستار للعروس.

(٥) **الحزن** بالفتح خلال السهل وما غلظ من الأرض.

(٦) **متون** الخيل ظهورها.

(٧) **نهج** الأمر أبانه وأوضحه. **والسمت** الطريق ونهجها هنا بمعنى مهدها وأعدها للسلوك فيها وهو نوع من الفتح والضمير للجبال وحزونها كما أن الضمير في أسوارها للبلاد وفي أسرارها للحصون.

حَرَّتِهَا(١). سَلُوا الْمُلُوكَ وَخَزَائِنَهَا. وَالْأَغْلَاقَ وَمَعَادِنَهَا(٢). وَالْأُمُورَ وَبَوَاطِنَهَا. وَالْعُلُومَ وَمَوَاطِنَهَا. والْخُطُوبَ وَمَغَالِقَهَا(٣). وَالْحُرُوبَ وَمَضَائِقَهَا. مَنِ الَّذِي أَخَذَ مُخْتَزَنَهَا(٤). وَلَمْ يُؤَدِّ ثَمَنَهَا. وَمَنِ الَّذِي مَلَكَ مَفَاتِحَهَا(٥). وَعَرَفَ مَصَالِحَهَا(٦). أَنَا وَاللَّهِ فَعَلْتُ ذٰلِكَ وَسَفَرْتُ بَيْنَ الْمُلُوكِ الصِّيدِ(٧). وَكَشَفْتُ أَسْتَارَ الخُطُوبِ السُّودِ(٨). أَنَا وَاللَّهِ شَهِدْتُ حَتَّى مَصَارِعَ الْعُشَّاقِ(٩). وَمَرِضْتُ حَتَّى لِمَرَضِ

---

(١) أصل **الحرات** القطع المستديرات استعمله هنا فيما استدارت عليه الجبال من بطون الأودية لصعوبة ولوجه.

(٢) **الغلق** ما يغلق به الباب ويفتح بالمفتاح وهو أعمّ من القفل والمراد من **معادنها** المعادن التي تصنع منها الأغلاق كالحديد أو المعادن التي تودع في المختزنات وتغلق عليها الأبواب بالأغلاق كالذهب والفضة.

(٣) **الخطوب** الشدائد جمع خطب وأصلها عظام الأمور. **ومغالقها** جمع مغلق وهو آلة الإغلاق كالغلق وإنما بفتح مغالق الخطوب للخلاص منها أبو الفتح.

(٤) **المختزن** اسم مفعول ما خزنته وادخرته من عين وغيرها. والضمير المضاف إليه عائد إلى الملوك والخزائن والأغلاق والمعادن. ولم يؤد ثمنها لأن الفاتح المتغلب لا يؤدي ثمن ما يغنم. والملوك المسؤولون هم المغلوبون وكان الوجه «ثمنه» لعوده على المختزن ولما كان في معناه كثيرًا فكأنما قيل مختزنات فصح عود الضمير جمعًا.

(٥) الضمير للأمور وبواطنها والعلوم ومواطنها والخطوب ومغالقها **والمفاتح** جمع مفتح مكان الفتح وإنما يملك ذلك من تلك المتقدمات صاحب فتحها أو مفتاحها وهو أبو فتحها.

(٦) الضمير للحروب ومضايقها. ومصالح الحرب طرق الغلبة والفوز فيها وسبل الإفلات من مضايقها.

(٧) بعد ما أقسم أنه فعل كل ما طلب السؤال عنه أخذ يفصل بعض الأفاعيل اللازمة لبعض ما سبق الاستفهام عن فاعله. **والصيد** جمع أصيد أصله من أصيب بالصيد وهو ميل في العنق ثم وصف به المتكبرون لما يصعرون من خدودهم فتميل أعناقهم ثم وصف به الملوك لأن الكبر من بعض جلابيبهم يضرب من رؤوسهم إلى أعطافهم وأعظم ما يجدون من وزره في أعناقهم وفيها يظهر أثر من الميل والعصل. **وسَفَر** بينهم سعى بالصلح حتى يتمّه. وإنما يكون ذلك من العارف بأبواب القلوب وهو أبو فتحها.

(٨) **الخطوب** الشدائد كما قلنا ووصفها بالسود لما يأخذ الواقع فيها من الحيرة في أمره والضلال عن رشده كأنه الخابط في الظلام الدامس ولهذا تخيل لها أستارًا تحول دون البصيرة وضياء الرشد. وإنما يكشفها حزم جامع ورأي ساطع وهو الفاتح لما انغلق منها فأجدر به أن يسمى أبا الفتح.

(٩) إن **مَصَارِع** العشّاق غالبًا ما تكون عند استفتاح أبواب المعشوقين حيث يتنبّه لهم حماة الحرم.

الْأَحْدَاقِ[١] وَهَصَرْتُ الْغُصُونَ النَّاعِمَاتِ[٢] وَاجْتَنَيْتُ وَرْدَ الْخُدُودِ الْمُوَرَّدَاتِ. وَنَفَرْتُ مَعَ ذَلِكَ عَنِ الدُّنْيَا نُفُورَ طَبْعِ الْكَرِيمِ عَنْ وُجُوهِ اللِّئَامِ[٣]. وَنَبَوْتُ عَنِ الْمُخْزِيَاتِ نُبُوَّ السَّمْعِ الشَّرِيفِ عَنْ شَنِيعِ الْكَلَامِ. وَالْآنَ لَمَّا أَسْفَرَ صُبْحُ الْمَشِيبِ[٤] وَعَلَتْنِي أُبَّهَةُ الْكِبَرِ[٥] عَمَدْتُ لِإِصْلَاحِ أَمْرِ الْمَعَادِ[٦]. بِإِعْدَادِ الزَّادِ. فَلَمْ أَرَ طَرِيقًا أَهْدَى إِلَى الرَّشَادِ. مِمَّا أَنَا سَالِكُهُ[٧] يَرَانِي أَحَدُكُمْ رَاكِبَ فَرَسٍ. نَاثِرَ

---

(١) **الأحداق** جمع حدقة أصلها سواد العين الأعظم أطلقها هنا على الأعين إرادة للكل من اسم جزئه. **ومرض** العيون فتور أجفانهم كأنها إلى الغمض أقرب منها إلى التحديق وهو منناميات الجمال ومحاسن ربات الحجال لم يكد يدع قصيدة لشاعر ولا مقالة لناثر إلّا تبوّأ منها مكانًا عليًا وإنما يمدح ما كان طبيعة لأنه دليل الحياء الممزوج بالدلال لا ما كان تصنّعًا. لهذا سمّوه مرضًا لا تمارضًا. فإذا مرضت العيون وأقبلت أطرافها للتلاقي وكان ذلك في طبعها فأبو الفتح أعجز ما يكون أن يتخذ لابنه مقامًا بينها فما أجدره بأن يكون مريضًا لمرضها.

(٢) **هصر** الغصن ثناه وأخذ به إليه. والتعبير عن قدود النساء بالأغصان وتشبيه الخدود بالورد مما ابتذل حتى سفل وأبو الفتح له في هصر الغصون واجتناء ورد الخدود ما ليس يتيسر لغيره. يريد بما جمع في هذه العبارات أن له في كل شيء أثرًا وعنده من كل أمر خبرًا وذلك في الحقيقة لاسمه في مسمياته لا لشخصه في هوان ذاته وتقلّب صفاته.

(٣) **الكرم** جماع الفضائل **واللؤم** محشر الرذائل فهما متباينان في الحقيقة والآثار فلا ريب أن ينفر طبع الكريم عن وجوه اللّئام للمنافرة بين الخلقين وهكذا أبو الفتح من وجه ما هو مفتاح في نفوره عن الدنيا فإن المفتاح وإن كان واسطة في حفظ حطام الدنيا والوصول إليه ولكن بعده عن الانتفاع بها بعد الطبع الكريم عن وجه اللّئيم وهكذا يقال في الفقرتين التاليتين. **ونَبَا** عن كذا بَعُدَ عنه. **والمخزيات** الأفعال تجلب الخزي على فاعلها. وفي نسخة المحرمات. **والسمع** الشريف إنما يكون لذي طبع ذكي وعقل سمي يترفع حتى عن تصور الخسائس لهذا ينبو عن سماع ما يدل عليها. **والشنيع** القبيح البالغ في قبحه.

(٤) **اسفر** أضاء وتشبيه المشيب بالصبح لأنه بياض نهار في سواد ليل كما أن المشيب أول ما يلوح بياض شعر في سواده ثم لا يلبث أن يجلل الرأس بياضه كما يسطع في الآفاق ضياء النهار.

(٥) **ابهة** الكبر جلاله ووقاره وهي من توابع المشيب في الغالب فلما علاه المشيب علته أبهة الكبر.

(٦) **المَعَاد** يوم القيامة. **وأمْره** ما ينجي من هوله. **وعمد** إليه قصد. **وإعْدَاد** الزاد تهيئته وإحضاره للاستصحاب في سفر الرحيل من هذه الدنيا وإنما الزاد زاد التقوى والأعمال الصالحات.

(٧) الذي سلكه طريق الإرشاد والنصيحة ودعوة الناس إلى الإقبال على الله وهو أفضل طريق يتصل لسعادة الآخرة.

هَوَسٍ(١). يَقُولُ هٰذَا أَبُو الْعَجَبِ. لَا وَلٰكِنِّي أَبُو الْعَجَائِبِ عَايَنْتُهَا وَعَانَيْتُهَا(٢). وَأُمُّ الْكَبَائِرِ قَايَسْتُهَا وَقَاسَيْتُهَا(٣). وَأَخُو الْأَغْلَاقِ صَعْبًا وَجَدْتُهَا(٤). وَهَوْنًا أَضَعْتُهَا. وَغَالِيًا اشْتَرَيْتُهَا وَرَخِيصًا ابْتَعْتُهَا. فَقَدْ وَاللّٰهِ صَحِبْتُ لَهَا الْمَوَاكِبَ(٥). وَزَاحَمْتُ الْمَنَاكِبَ(٦). وَرَعَيْتُ الْكَوَاكِبَ(٧). وَأَنْضَيْتُ الْمَراكِبَ(٨). ولا مَنَّ عليكُمْ فَما أَغْذَذْتُها إِلَّا لِضِرْسِي. ولا حَصَّلْتُها إِلَّا لِنَفْسِي. لكنّي دُفِعْتُ إِلَى مَكَارِهِ نَذَرْتُ مَعَهَا(٩) أَنْ لَا أَدَّخِرَ عنِ الْمُسْلِمِينَ مَنَافِعَهَا. وَلَا بُدَّ لِي أَنْ أَخْلَعَ رِبْقَةَ هٰذِهِ الْأَمَانَةِ

---

(١) **الهوس** خفة في العقل تقرّب من حد الجنون. **وناثر** من نثر المنظوم إذا بدّده وأراد ناثر كلام يصدر عن الهوس لأنه لا يكاد يعقل انطباقه على الحقيقة لغرابته.

(٢) يقول: إنه ليس أبا عجب واحد ولكن هو أبو العجائب العظام. **عاينتها** شاهدتها من المعاينة. **وعانيتها** قاسيتها من المعاناة. وهذا رجوع إلى التعمية في اسمه بعد أن حكى شيئًا عن شخصه وإن لم ينطبق على ما في نفسه لزيادة الإغماض.

(٣) يقال «**أم الكبائر**» إذا كانت عظام الأمور تصدر عنه أو تخضع له. والمراد هنا الثاني **والمقاساة** المقاومة على شدة كالمعاناة. غير أن في المقاساة معنى الاشتداد من المتغالبين وفي المعاناة معنى أن كلًا منهما أتعب الآخر. **وقايستها** من المقايسة كأنه كان يقدر همّته وقوّته على قدر الكبائر إشعارًا بأنه وإياها متكافئان.

(٤) جمع **الأغلاق** غلق بالتحريك كما قدمنا. **وأخو** الأغلاق وصاحبها أبو فتحها وهو المفتاح ولا يجد الاغلاق إلّا بعد أن يصلى نار الحداد ويقع تحت المطارق فما أصعب ما لاقى حتى وصل إلى الإغلاق ووصلت إليه ثم ما أهون تركه لها بعد فتحها أو غلقها وهو معنى أضعتها. وفي نسخة بدل وجدتها أخذتها وبدل هونًا هينًا. **والهون** السهولة **والهين** السهل فنسخة الهين أليق بمقابلة الصعب. **وغاليًا** اشتريتها في معنى صعبًا وجدتها. **ورخيصًا** ابتعتها في معنى هينًا أضعتها. **وابتاع** هنا بمعنى باع وإن كان الأشهر فيه معنى اشترى.

(٥) **المواكب** جمع موكب وهو الجماعة يجتمعون ركبانًا ومشاة للزينة.

(٦) **المناكب** جمع منكب وهو مجتمع رأس الكتف والعضد. ومزاحمة المناكب مثل لمدافعة الموانع للوصول إلى المطلوب وإن لم يكن مناكب ولا مزاحمة.

(٧) **رعى** الكواكب راقبها ينتظر مغيبها وهو مثل للقلق يعرض لغيبة مطلوب كان الطالب أرق يستطيل الليل وينتظر الصباح ليتشاغل عما أرقه.

(٨) **انضى** بعيره إذا هزله وأضعفه، **والمراكب**: وفي نسخة الركائب بمعنى المطايا وهذا مثل أيضًا للمبالغة في السعي إلى المطلوب كأنه ركب إليه وأخذ السير حتى أعيا وظاهر أن أبا الفتح يتجشم كل ذلك لأجل **اغلاقه** وهي إحراز دفائنه وحفاظ خزائنه.

(٩) يقول: إنه في الوصول إلى بعض ما وصل إليه من عظام الأمور دفع إلى مكاره من مقارعة الخطوب في الحروب لكنه لم يستأثر بفوائدها لنفسه بل نذر مع ذلك أن لا يدخر ولا يحتبس دون المسلمين منافعها. يشير بهذا إلى ما كان من الفتح الإسلامي ومن يعنى به.

مِنْ عُنُقِي إِلَى أَعْنَاقِكُمْ[١]. وَأَعْرِضَ دَوَائِي هٰذَا فِي أَسْوَاقِكُمْ[٢]. فَلْيَشْتَرِ مِنِّي مَنْ لَا يَتَقَزَّزُ مِنْ مَوْقِفِ الْعَبِيدِ. وَلَا يَأْنَفُ مِنْ كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ وَلْيَصُنْهُ مَنْ أَنْجَبَتْ جُدُودُهُ[٣]. وَسُقِيَ بِالْمَاءِ الطَّاهِرِ عُودُهُ. قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ: فَدُرْتُ إِلَى وَجْهِهِ[٤] لِأَعْلَمَ عِلْمَهُ فَإِذَا هُوَ وَاللّٰهِ شَيْخُنَا أَبُو الْفَتْحِ الْإِسْكَنْدَرِيُّ وَانْتَظَرْتُ إِجْفَالَ النَّعَامَةِ بَيْنَ يَدَيْهِ[٥]. ثُمَّ تَعَرَّضْتُ فَقُلْتُ كَمْ يُحِلُّ دَوَاءَكَ هٰذَا[٦] فَقَالَ يُحِلُّ الْكِيسُ مَا شِئْتَ. فَتَرَكْتُهُ وَانْصَرَفْتُ.

---

(١) **الربقة** العروة تشد فيها عنق العنز ونحوها. ويريد بالأمانة التي ربقته ما لزم اسمه من تلك الأمور التي ذكرها يقول: بعد ما شاخ لا مفر له عن أن يلقي بتلك الأمانة إليهم وهي أمانة الفتح في كل شيء.

(٢) **عرض** الشيء في السوق أظهره للشراة ليشتروه. والدواء الذي يعرضه هو ما يصير به من يشتريه أبا فتح وهو إخلاص العبودية للّٰه جلّ شأنه فذلك مفتاح السعادة في الدنيا والآخرة. ولا **يتقزز** أي لا يتجنب ولا يأنف الوقوف موقف العبيد ولا يستنكف من القول بما دلّت عليه كلمة التوحيد وهي لا إله إلّا اللّٰه بأن يفرد اللّٰه بالتعظيم ولا يجعل لغيره في نفسه سلطانًا.

(٣) **الضمير** في يصنه لذلك الدواء. وأنجبت جدوده وجاءت بأولاد نجباء كناية عن وصف النجابة في الأبناء أي من كان نجيبًا وسقي الماء الطاهر أي تربّى تربية طيبة لم يغذ فيها إلّا بالفضائل.

(٤) **درت** أي تحولت حتى أتيت من قبل وجهه.

(٥) أراد **بإجفال** النعامة ما جاء في النسخة الأخرى من إجفال العامة أي انفضاضه من حوله.

(٦) **يحل** دواءك أي يجعله حلالًا لمن يتناوله. **ويحل** الكيس إلخ أي إذا فقدت الثمن حلّ لك المثمن أي شيء كان.

المقَامَةُ الكوفيَّة

حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ: كُنْتُ وَأَنَا فَتِيُّ السِّنِّ[١] أَشُدُّ رَحْلِي لِكُلِّ عَمَايَةٍ[٢]. وَأَرْكَضُ طِرْفِي إِلَى كُلِّ غَوَايَةٍ[٣]. حَتَّى شَرِبْتُ مِنَ الْعُمْرِ سَائِغَهُ[٤] وَلَبِسْتُ مِنَ الدَّهْرِ سَابِغَهُ[٥]. فَلَمَّا انْصَاحَ النَّهَارُ بِجَانِبِ لَيْلِي[٦]. وَجَمَعْتُ لِلْمَعَادِ

---

(١) **فتيّ** السن حديثها. وفي نسخة في عنفوان الشباب وهو أوله.

(٢) **العماية** احتجاب ناشر البصيرة عن رشده ولذلك قد يفسّرونها بالغواية واللّجاج لاستلزامها حقيقة معناها. وأراد منها هنا ما تسوق إليه من اللذائذ والشهوات المائلة عن صراط الاعتدال. وشدّ الرحال لأمر كناية عن النهوض إليه قصد بلوغه وإن عرضت في سبيله المشاق أي إنه كان ينهض لكل ما عن له من فاتنات اللذائذ وإن حادت به عن طرق الرشاد.

(٣) **الغواية** اعتلاق النفس بما يحضرها من صور الملاذ واستهلاك مالها من الإرادة في حفظ ما نالته والسعي وراء ما لم تنل. وبعبارة أخرى هي ركوب الهوى والتطوح معه حيث طاح. وأراد منها هنا ما يغوي فيه الغواة وما تجري إليه أهواؤهم. **والطِّرْف** بكسر الطاء الكريم من الخيل. **وركضه** استحثّه للجري. والجملة كناية عن تسرعه في طلب ما تسول له نفسه ويزين له هواه. ويجوز أن يراد من الغواية والعماية حقيقتهما. وشدّ الرّحل وركض الطّرف مثلان لنزوع نفسه إلى أطوار العمايات وهجوم همّه على ضروب الغوايات.

(٤) **السائغ** من الشراب الهنيء لا يغص شربه وأهنأ الشراب أعذبه وأصفاه. تخيل ما مرّ عليه من عمر الحداثة مع صفاء العيش واستيفاء رغائب الشهوة في مثال الشراب العذب فعبّر عنه بالسائغ ورشّح التمثيل بالشرب. يريد أن مرور العمر على نفسه في لذّتها يشبه مرور الماء العذب في الحلق سلاسة وطيبًا.

(٥) **السابغ** من الثياب التام يشمل البدن ويطوله إلى الأرض. صور الدهر في اشتماله عليه بأنواع المآرب وصنوف الرغائب في صورة الثوب السابغ الطويل الذي لم يترك من البدن شيئًا إلّا ستره وفاض عنه فعبر عنه بالسابغ وحلى التصوير باللبس. وكل ما فات من مطلب فهو نقص في الحياة وقصر في ثوبها. والذين بادرتهم الهموم لأول عمرهم وهجرتهم المسرات لبداية سنّهم جديرون بأن يكونوا عراة من دهرهم.

(٦) **انْصَاحَ** الفجر والبرق أضاء ولمع. أراد بانصياح النهار بجانب ليله ظهور بياض الشيب في نهاية سواد الشباب ولمعان الشعر الأبيض في أطراف الأسود. وفي نسخة: صاح النهار يقال **صاح الشيء** يصوحه إذا شقّه وتصوّح الشعر تشقق وتناثر. فكان النهار يشق بجانب الليل =

ذَيْلِي[١]. وَطِئْتُ ظَهْرَ الْمَرُوضَةِ[٢]. لِأَدَاءِ الْمَفْرُوضَةِ. وَصَحِبَنِي فِي الطَّرِيقِ رَفِيقٌ لَمْ أُنْكِرْهُ مِنْ سُوءٍ[٣]. فَلَمَّا تَجَالَيْنَا[٤]. وَخَبَّرَنَا بِحَالَيْنَا. سَفَرَتِ الْقِصَّةُ[٥] عَنْ أَصْلٍ كُوفِيٍّ. وَمَذْهَبٍ صُوفِيٍّ. وَسِرْنَا فَلَمَّا أَحَلَّتْنَا الْكُوفَةُ[٦] مِلْنَا إِلَى دَارِهِ وَدَخَلْنَاهَا وَقَدْ بَقَلَ وَجْهُ النَّهَارِ[٧] وَٱخْضَرَّ جَانِبُهُ. وَلَمَّا اغْتَمَضَ جَفْنُ اللَّيْلِ وَطَرَّ

= شقًا يجري فيه الضياء فيلمع وهكذا يفعل المشيب لأول ظهوره بالشعر الأسود. والنسخة الأولى أقرب إلى الصواب.

(١) إذا انطلقت إلى أمر على اهتمام بالوصول إليه **جمعت نيلك** أي ضممت إليك أطرافه كي لا تعثر فيه فتسقط دون مطلوبك أو يعوقك عن الحركة. **والمعاد** القيامة وجمع ذيله له كناية عن **التهيؤ** لملاقاة الموعود فيه بالمضي في الأعمال الصالحة وكبح النّفس الجامحة.

(٢) **المروضة** من راض المهر رياضة إذا ذلّله وسخّره. **ووطئ** ظهره ركبه، **والمروضة** إما مهرة أو ناقة. والثانية أقرب لأنها غالب ما يركب في السفر للحج وقد يراد من المروضة الأرض لأنها مذلّلة لسكانها أي ركب ظهر الأرض سفرًا لأداء الفرض. **والمفروضة** حج البيت الحرام بمكة.

(٣) إن الإنسان ألوف لما يعرف نفور مما لا يعرف لهذا يقال **انكرت** فلانًا إذا رأيت منه سوءًا كأنه بما صدر منه بعد عنك بعد ما تجهل عن قلبك. يقول: إنني لم أرَ من رفيقي سوءًا يحملني على إنكاره.

(٤) **جالاه** بالأمر جاهره به، **وتَجَالَيْنَا** كشف كلٌّ لصاحبه عن حاله كما قال بعد وخبرنا بحالينا. وفي نسخة بدل هذه: وحينما تخالينا. **والمخلاة** معناها المتاركة والموادعة. ولا يناسب الكلام لأنهما لم يزالا متصاحبين إلّا أن تكون المفاعلة من خلا به إذا اجتمع به منفردًا أي خلا كلٌّ منا بصاحبه وهو بكلام العامة أشبه منه بكلام الفصحاء.

(٥) **سفرت** المرأة عن وجهها كشفت. **والقصة** ما حكاه الرفيق عن حاله. **والكوفي** نسبة إلى الكوفة من بلاد العراق معروفة باسمها وموضعها إلى الآن. **والصوفي** نسبة إلى الصوفية وهم طائفة من المسلمين همّهم من العمل إصلاح القلوب وتصفية السرائر والاستقبال بالأرواح وجهة الحق الأعلى جلّ شأنه حتى تأخذهم الجذبات إليه عمّن سواه وتفنى ذاتهم في ذاته وصفاتهم في صفاته والعارفون منهم البالغون إلى الغاية من سيرهم في أعلى مرتبة من الكمال البشري بعد النبوّة.

(٦) **الضمير** في أحلتنا للمروضة. **والكوفة** ظرف للفعل، **واحلّه** في المكان أنزله فيه ويصح أن تكون الكوفة فاعلًا أي جعلتنا نحلّ فيها بما وسعتنا. وفي النسخة: **احتللنا** الكوفة أي نزلنا بها. **ومِلْنَا** إلى داره تحولنا إليها لنتبوّأها أيام الإقامة.

(٧) **بَقَلَ** وجه الغلام بقولًا خرج شعره. ويقول وجه النهار تخييل لانتقاص ضوئه بما يطول من الظلام الممتد على الأرض من نحو الغرب إلى الشرق عند تطفيل الشمس للغروب كما يشير إليه قوله: واخضرّ جانبه وذلك الجانب الشرقي فإن الشمس إذا دنت للغروب تبدو خضرة الظلام للغروب كما يشير إليه قوله: واخضرّ جانبه وذلك الجانب الشرقي فإن الشمس =

شَارِبُهُ(١). قُرِعَ عَلَيْنَا البَابُ. فَقُلْنَا مَنِ الْقَارِعُ الْمُنْتَابُ(٢) فَقَالَ وَفْدُ اللَّيْلِ وَبَرِيدُهُ(٣). وَفَلُّ الْجُوعِ وَطَرِيدُهُ(٤). وَحُرٌّ قَادَهُ الضُّرُّ(٥). وَالزَّمَنُ الْمُرُّ. وَضَيْفٌ وَطْؤُهُ خَفِيفٌ(٦). وَضَالَّتُهُ رَغِيفٌ. وَجَارٌ يَسْتَعْدِي عَلَى الْجُوعِ(٧). وَالْجَيْبِ الْمَرْقُوعِ. وَغَرِيبٌ أُوقِدَتِ

= إذا دنت للغروب تبدو خضرة الظلام وهي أوائله من قبل المشرق للسبب الذي ذكرناه. وفي نسخة «وطر شاربه» بدل اخضرّ جانبه. وهي أجود لمناسبتها لبقل وجه النهار حتى يكون التخييل على أتمّ وجوهه. **وطَرُور** الشارب ظهوره. يقال: طرّ شارب الغلام إذا طلع. وعلى هذه النسخة يكون الكلام تمثيلًا لشباب النهار وارتفاع ضحوته لا لشيخوخته وقرب منيته كما تفهمه النسخة الأولى.

(١) **اغتمض** جفن اللّيل مجاز عن شدّة ظلامه لأن العين إذا اغتمضت لم يبق للضياء سبيل أن ينفذ إليها. **وطرور** شاربه تصوير لإغساقه ومضي مدة عظيمة منه. كما أن طرور شارب الغلام إنما يكون بعد مضي قدر عظيم من عمره. وفي نسخة بدل طرّ شاربه اخضرّ جانبه وهي أقرب لقوله: اغتمض جفن اللّيل. واخضرار الجانب اسوداده كناية عن الإظلام.

(٢) **المنتاب** اسم فاعل من انتاب القوم إذا أتاهم في نوبتهم. كان القارع في مثل هذا الوقت يأتي أبوابًا كثيرة فلم تفتح له فانتهت نوبة القرع إلى باب المحدث. وقد يستعمل المثاب في الزائر مطلقًا. والأصل ما تقدم.

(٣) **الوفد** مصدر وفد يفد إذا قدم. أراد منه الوفد كما يطلق العدل ويراد منه العادل. **والبريد** الرسول. وظلام اللّيل يحول بين المحتاج والسعي لحاجته فإذا كانت الحاجة ضرورة الطعام ألجأت صاحبها لقرع الأبواب لطلب ما يسد حاجته فكان اللّيل أرسله وأقدمه على من طرقهم.

(٤) **الفَلّ** المنهزم، يقال رجل فلّ وقوم فل أي منهزمون يستوي فيه الواحد والجمع. **والطريد** المطرود كأن الجوع عدو يطلب الفتك به وهو في عجز عن مقاومته فهو منهزم يطلب النجاة وذاك يطرده لأنه لم يزل في اتباعه لم يكف عنه.

(٥) **الضُّرُّ** بالضم الشدة وسوء الحال أي ما قاده إليكم إلّا قاهر الشدّة لا لؤم الطبع والطمع في اختزال أموال الناس.

(٦) **وطئ** أرضًا دخلها أو مشى فيها وقد يكون الوطء خفيفًا وقد يكون شديدًا كما يقال: وطئ الجيش أرض العدو على معنى أنه مهدها وذلّل حزنها. ثم صارت شدّة الوطأة والوطء مثلًا في ما يعظم رزؤه يقال: عدو شديد الوطأة ومرض كذلك، **وخفيف** الوطء من لا يرزأ مالًا ولا يجشم مشقة ومن كانت ضالّته مفقوده الذي يطلبه رغيفًا فهو أسهل الناس مطلبًا وأخفّهم على نفس المسؤول مسألة.

(٧) **جارك** من يستجير بك. **واستعدى** على فلان استنصر عليه بمن يأخذ له الحق منه كأن الجوع ظالم والسائل يستعدي أي يطلب رفع عدوانه عنه. **والجيب** مدخل الرأس من القميص أي طوقه. أطلقه وأراد الثوب كله استعمالًا لاسم الجزء في الكل. أراد أنه يستعدي على ثوبه البالي لأنه لا يقيه من سطوة البرد فهو يحتمي بالمسؤولين من عدوان ثوب تفتح على جسده وأخلى بين البرد وجلده لينقذوه منه بغيره.

النَّارُ عَلَى سَفَرِهِ[١]. وَنَبَحَ الْعَوَّاءُ عَلَى أَثَرِهِ[٢]. وَنُبِذَتْ خَلْفَهُ الحُصَيَّاتُ[٣]. وَكُنِسَتْ بَعْدَهُ الْعَرَصَاتُ[٤] فَنِضْوُهُ طَلِيحٌ[٥]. وَعَيْشُهُ تَبْرِيحٌ[٦]. وَمِنْ دُونِ فَرْخَيْهِ مَهَامَهُ فِيحٌ[٧]. قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ: فَقَبَضْتُ مِنْ كِيسِي قَبْضَةَ اللَّيْثِ[٨] وَبَعَثْتُهَا إِلَيْهِ وَقُلْتُ زِدْنَا سُؤَالًا. نَزِدْكَ نَوَالًا. فَقَالَ مَا عُرِضَ عَرْفُ الْعودِ[٩]. عَلَى أَحَرَّ مِنْ نَارِ الْجُودِ. وَلَا

(١) يقال **ابعد** اللّه داره وأوقد النار أثره أي لا أرجعه من سفره كأنه دعاء يجعل النار حائلة بينه وبين مرجعه. ويقال: **أوقد** للصبي نارًا إذا تركه كأنه ألهاه بها عن أن يتعلق به. يريد أنه غريب لا أمل له في الرجوع إلى وطنه لبعد ما بينه وبينه كأنما أوقدت النار بينهما.

(٢) **العَوَّاء** الكلب الكثير العواء أي الصياح وإنما ينبح الكلب على أثر مفارق الحي إذا كان مجهولًا من أهله لا يعرفه منهم أحد ومن هذا حاله يذهب عنه إلى حيث لا يعود إليه فكأنه من وطنه لطول ما دونه من المسافات ليس منه فهو لا يعود إليه. والعبارة من لطيف الكنايات.

(٣) **الحُصَيَّات** جمع حصية تصغير حصاة. وفي نسخة: الحصاة. والأولى أحسن لتوافقها في الوقف سجعة العرصات. وكان في عوائدهم إذا فارقهم من لا يحبون رجعته أن ينبذوا الحصى خلفه كأنهم رموه كما تُرمى وهو كناية هنا عن انقطاع أمل أهله من عودته كأنما نبذوا الحصاة خلفه عند سفره.

(٤) **العرصة** أرض الدار وإذا مات الميت كنسوا العرصات بعده إلحاقًا لأثره به. وكذلك النزيل الشؤم تكنس العرصات بعد رحيله تنظيفًا للأرض بعده وهو هنا كناية عن انقطاع الأمل من عودته مثل سابقه. كل ذلك تأكيد لسوء حاله وبعده عن المعين والناصر. وقد يكون معنى الفقرات أنه مطرود. قيل أوقدت النار على أثره وأغروا به الكلاب تنبحه حتى أقصته ونبذوا الحصاة خلفه إشارة إلى أنهم لفظوه وكنّسوا العرصات تطهيرًا للأرض من أثره والمطرود لا يمكنه أن يعود.

(٥) **النِّضو** بالكسر المهزول من الإبل. والطليح التعب المعيي. ومن أعيت مطيّته وعجزت عن المسير به وهو في سبيل اغترابه فقد سقط على الموت ووقع في الهلكة. وهو تمثيل لحاله في ضيق أمره.

(٦) **التبريح** الشدّة وجهد المعيشة.

(٧) **المَهَامَه** المفازات البعيدة. **وفيح** أي واسعة فهي على بعدها واسعة خالية من العمران يهلك السائر فيها جوعًا وعطشًا وهي واقعة بينه وبين فرخيه أي ولديه أي دون أهله وعياله.

(٨) **اللّيث** الأسد أي كما يقبض اللّيث من فريسته وإنما يقبض عظيمًا أي أنه تناول مقدارًا كبيرًا من الدراهم وبعثه إليه لاستعذابه سؤاله. لهذا طلب أن يزيد منه حتى يزيده من **النوال أي** العطاء.

(٩) **العود** طيب مشهور يتبخر به. **وعرفه** وإنما تظهر رائحته ظهورها المطلوب إذا عرض على النار ليحترق فيفوح عرفه من دخانه. فالمعروض على النار هو العود نفسه لكن لما كان الغرض من عرضه إظهار عرفه فالعرف هو المقصود من العرض كان كأنه هو المعروض =

لُقِيَ وَفْدُ الْبِرِّ[١]. بِأَحْسَنِ مِنْ بَرِيدِ الشُّكْرِ. وَمنْ مَلَكَ الْفَضلَ فَلْيُوَاسِ[٢]. فَلَنْ يَذْهَبَ الْعُرْفُ بَيْنَ اللَّهِ والنَّاسِ[٣]. وَأَمَّا أَنْتَ فَحَقَّقَ اللَّهُ آمَالَكَ. وَجَعَلَ الْيَدَ الْعُلْيَا لَكَ. قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَام: فَفَتَحْنَا لَهُ البَابَ وَقُلْنَا ادخُلْ فَإِذَا هُوَ وَاللَّهِ شَيْخُنَا أَبُو الفَتْحِ الإِسْكَنْدَرِيُّ فَقُلْتُ يَا أَبَا الفَتْحِ شَدَّ مَا بَلَغَتْ مِنْكَ الخَصَاصَةُ[٤]. وَهٰذَا الزِّيُّ خَاصَّةٌ[٥]. فَتَبَسَّمَ وَأَنْشَأَ يَقُولُ:

لَا يَغُرَّنَّكَ ٱلَّذِي أَنَا فِيهِ مِنَ الطَّلَبْ
أَنَا فِي ثَرْوَةٍ تُشَقُّ م لَهَا بُرْدَةُ الطَّرَبْ[٦]

= فعلق العرض به. وأراد من العود هنا نفسه ومن عرفه روايح آدابه الطيبة التي تظهر في بث حاله وشكر نائليه. والنار التي يعرض عليها البخور ليست بأحر من نار الجود فهذه تظهر عرف ما يعرض عليها كما تظهره تلك فالجود والإحسان يستثيران الشكر من المحسن إليه كما تستثير النار دخان العود.

(١) إضافة الوفد إلى البر بيانية أو على معنى الجنسية أي الوافد من البر وهو الإحسان وإذا أحسن إليك محسن فقد وصل إحسانه إليك وقدم عليك ولا تلاقيه وتستقبله بشيء أحسن وأجمل من رسول الشكر تبعثه لاستقباله.

(٢) **فَلْيُوَاس** من آساه يواسيه إذا سواه به في ماله. قالوا ولا يكون إلّا عن كفاف فإن كان عن فضل لم يسم مواساة. لكنه استعمله هنا في مطلق المساعدة والمعاونة. **وملك الفضل** أي وجدت عنده فضلة عن حاجاته. فإن أردنا من الفضل الصفة من فضل يفضل وهي التبريز في صفات الكمال أي من حاز صفة الفضل فليشرك المحتاج في كفافه كانت المواساة على حقيقتها.

(٣) **العرف** المعروف. والمراد به في الكلام هنا الإحسان. **ولا يذهب** بين اللّه والناس أي إن ضيعه الناس بإغفال شكره لا يضيعه اللّه بحرمان أجره فصانع المعروف مشكور أو مأجور. وأصله بيت للحطيئة وهو:

من يصنع العرف لا يعدم جوازيه لن يذهب العرف بين اللّه والناس

(٤) **شدّ ما** صيغة تعجب أي ما أشد بلوغ الخصاصة منك. **والخصاصة** شدّة الفقر والحاجة.

(٥) تقدم ان الزي هو الهيئة. **والخاصة** لك ما ميّزك عن غيرك. وخاصة خبر عن هذا الزيّ أي أن زيّه دليل يعين خصاصته وفقره. ويصح أن يكون هذا معطوفًا على الخصاصة وخاصة مفعول مطلق. أي وما أشد ما بلغ منك هذا الزي خاصة فإن رثاثة الزي وخلوقة الثياب قد بلغت منه مبلغًا عظيمًا في الإيذاء لوضعها له في مكان الضعة والحقارة وتعريضها بدنه للبرد المهلك.

(٦) **البردة** الرداء. وإذا بلغ الطرب من الطرب هاج به حتى يمزق أثوابه. فيقول إنه في ثروة وغنى يطرب لوجودها حتى يشق بردته. وأضاف البردة إلى الطرب لأن أثره من الشق =

أَنَــا لَــوْ شِــئْــتُ لَاتَّــخَــذْ ... تُ سُــقُــوفًــا مِــنَ الــذَّهَــبْ[1]

= يظهر فيها. ويصح أن يكون المعنى أنه في ثروة من رآها وكان من الطرب فيما يشمله إشمال البردة على المرتدي مزق بردة طربه وانصبّ به الجد على السعي في تحصيل مثلها حتى يناله.

(١) **السقوف** جمع سقف ومن أمكنه أن يتخذ سقف بيته من الذهب كان في غنى أبي الفتح الإسكندري (إسكندر ذي القرنين) أو أغزر منه ثروة وما أبرد هذه الدعوى مع ظهور ما حفّ به من البلوى إلّا أن يقصد بذلك ما أشرنا إليه في اسمه. وفي بعض النسخ بعد الأبيات:

انــا طــورًا مــن الــنــبــيــط ... م وطــورًا مــن الــعــرب

وقد تقدم تفسير النبيط في آخر المقامة البلخية. يريد أن له مهارة في التلبيس وبراعة في الاحتيال وطمعًا لا يكفّه الغنى وجشعًا لا تزيده الحاجة.

المَقَامَة الأسَدِيّة

حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ: كَانَ يَبْلُغُنِي مِنْ مَقَامَاتِ الْإِسْكَنْدَرِيِّ وَمَقَالَاتِهِ مَا يَصْغَى إِلَيْهِ النَّفُورُ(١). وَيَنْتَفِضُ لَهُ العُصْفُورُ. وَيُرْوَى لَنَا مِنْ شِعْرِهِ مَا يَمْتَزِجُ بِإِجْزَاءِ النَّفْسِ رِقَّةً(٢). وَيَغْمُضُ عَنْ أَوْهَامِ الكَهَنَةِ دِقَّةً. وَأَنَا أَسْأَلُ اللَّهَ بَقَاءَهُ. حَتَّى أُرْزَقَ لِقَاءَهُ. وَأَتَعَجَّبُ مِنْ قُعُودِ هِمَّتِهِ بِحَالَتِهِ. مَعَ حُسْنِ آلَتِهِ(٣). وَقَدْ ضَرَبَ الدَّهْرُ شُؤُونَهُ بِأَسْدَادٍ دُونَهُ(٤). ....

---

(١) **يصغى** من صغي كرضي إذا مال. **والنفور** الشديد النفور ولا يستميله إلّا ما بلغ في السلطة على القلوب غايتها. أو هو من أصغى إلى الحديث إذا استمعه. والنفور لا يستمع إلى الحديث إلّا إذا بلغ من قلبه أن يقيّد إرادته عليه. ولا يكون الحديث كذلك حتى يكون من البلاغة في أقصاها. أما **انتفاض** العصفور واهتزازه فهو تمثيل لما يحدث في الأنفس من الطرب ويظهر على الجسم من علائمه عند استماع مقامات الإسكندري حتى كان ذلك يؤثر في الطير على عجمته فضلًا عن الإنسان في نطقه.

(٢) **رقة** تمييز لوجه الامتزاج بأجزاء النفس أي ما لهذا الشعر من الرقة يشربه في النفس اشرابًا يخلطه بأجزائها فيكون كل جزء ممتزجًا به ممتلئًا بما حواه من المعنى اللطيف. ولم يكتف بامتزاجه بالنفس على الجملة حتى جعله يمتزج بأجزائها وهو تمثيل لما تناهى إليه شعر الإسكندري من الرقة. ثم بيّن أن فيه دقائق تغمض وتخفى عن أوهام الكهنة مع دعواهم لعلم الغيب. وأراد بالكهنة أصحاب دعوى علم النجوم وأسرارها واستصلاح المغيبات مما تفيضه أرواحها. وقد جاء الدين الإسلامي بتكذيبهم والنهي عن الاشتغال بمذاهبهم في أوهامهم غير أنه بقي ذكرهم في الكلام من قبيل ضروب الأمثال، **ودقة** مفعول من أجله أو هو تمييز لجهة الغموض تحرزًا من أن يكون الغموض لفساد التراكيب أو تعقيد العبارات.

(٣) **الهمة** العزيمة تدفعك إلى ما تجده نفسك من مطالبها. يعجب من الإسكندري مع حسن آلته أي صناعته في النظم والنثر كيف لم يصل حاله إلى الشرف اللائق بحسن الآلة وعبّر عن هذا القصور بقعود الهمة فكأن الهمة حامل لحال صاحبها يسري به إلى المقام المعدّ له فإذا قعدت به بقي دون ما كان ينبغي له.

(٤) أراد من **شؤون** الدهر ههنا حسناته. **وضربها** أبعدها أي بعد الدهر عنه ما طاب من أحواله بأسداد أقامها دونه تحول بينه وبين تلك الطيبات وقد يكون معنى ضرب ههنا =

وَهَلُمَّ جَرًّا[١]. إِلَى أَنِ اتَّفَقَتْ لِي حَاجَةٌ بِحِمْصَ[٢]. فَشَحَذْتُ إِلَيْهَا الْحِرْصَ[٣]. فِي صُحْبَةِ أَفْرَادٍ كَنُجُومِ اللَّيْلِ. أَحْلَاسَ لِظُهُورِ الْخَيْلِ[٤]. وَأَخَذْنَا الطَّرِيقَ نَنْتَهِبُ مَسَافَتَهُ[٥]. وَنَسْتَأْصِلُ شَأْفَتَهُ. وَلَمْ نَزَلْ نَفْرِي أَسْنِمَةَ النِّجَادِ[٦]. بِتِلْكَ الجِيَادِ. حَتَّى صِرْنَ كَالْعِصِيِّ. وَرَجَعْنَ كَالْقِسِيِّ. وَتَاحَ لَنَا وَادٍ[٧] فِي سَفْحِ جَبَلٍ ذِي أَلَاءٍ وَأَثْلٍ[٨] كَالْعَذَارَى يُسَرِّحْنَ الضَّفَائِرَ. وَيَنْشُرْنَ الْغَدَائِرَ وَمَالَتِ الْهَاجِرَةُ بِنَا إِلَيْهَا[٩] وَنَزَلْنَا نُغَوِّرُ

= أحدث. والشؤون الأحداث والصروف أي أحداث الدهر صروفه مصحوبة بأسداد دون الإسكندري تمنعه عما يهيأ له.

(١) أي أقبل إلى هذا الوجه من الكلام وجرّه إلى نهايته بعد ما علمت من بدايته.

(٢) إلى أن اتفقت متعلق بالأفعال السابقة من قوله: كان يبلغني وأسأل الله بقاءه وأتعجب من قعود همّته.

(٣) **الحرص** المبالغة في الطلب مع الحزن على الفوات. **وشحذ** السكين حددها للقطع فكان الحرص آلة في بلوغ الأمر المراد تحصيله وقد تشحذ لتقوى على تحصيل أثرها في أتم صوره.

(٤) **احلاس** جمع حِلس بالكسر أصله الكساء تجلل به الدابة تحت البردعة. ثم قيل لمن لزم بيته حلس بيته ولمن لازموا ظهور الخيل أحلاس ظهورها تشبيهًا في اللصوق والملازمة يريد هنا أنهم فرسان.

(٥) **مسافة** الطريق بين أيدي المسافرين كأن كل جزء منها مطلوب بالوصول إليه وكلما تركوا منها مقدارًا فكأنه فني وعدم. فإذا أسرعوا فيها فكأنهم ينتهبون أجزاءها ويسرعون في افنائها كما يفعل نهبة الأموال في تبديدها واستئصال الشأفة مثل في الإعدام بالمرة. **والشأفة** قرحة تخرج في أسفل القدم فتكوى فينقطع أثرها. ويقال إنها إذا قطعت مات صاحبها فاستئصالها الذهاب بأصلها. ثم صار استئصال الشأفة مثلًا في محو كل شيء وإزالة أثره كما تستأصل تلك القرحة.

(٦) **النجاد** جمع نجد وهو ما ارتفع من الأرض مثلها في صور الإبل وأضاف إليها أسنمة جمع سنام. **وفراها** قطعها. وفي نسخة برى من براها أي نحتها أي أنهم فتتوا ظهور الجبال بحوافر تلك الخيل الجياد حتى ضمرت الخيل وهزلت وصارت **كالعصي** جمع عصا في الرقة واليبوسة. وعادت **كالقسي** جمع قوس في التلوي والانحناء كل ذلك من شدة التعب.

(٧) **تاح** لنا قدر وعرض لنا.

(٨) **الالاء** شجر مرّ الطعم ورقه وثمره غير أنه دائم الخضرة حسن المنظر وقد يشبه به من يجمل منظره ويقبح مخبره. **والأثل** يشبه الطرفاء إلّا أنه أضخم منها وأكبر. وقوله كالعذارى يشبّه تلك الأشجار في استقامتها وتدلي أفنانها بالعذارى أي الأبكار اللائي يسرّحن **ضفائرهن** وينشرن **غدائرهن** أي ذوائبهن.

(٩) **الهاجِرة** شدّة الحرّ فألجأتهم إلى تلك الأشجار للاستظلال.

وَنَغُورُ[١] وربَطْنَا ٱلأفراسَ بِٱلأَمْرَاسِ[٢] وَمِلْنَا مَعَ ٱلنُّعَاسِ. فَمَا رَاعَنَا إلّا صَهِيلُ ٱلْخَيْلِ[٣]. وَنظَرْتُ إلَى فَرَسِي وَقَدْ أَرْهَفَ أُذُنَيْهِ[٤]. وَطَمَحَ بِعَيْنَيْهِ. يَجُذُّ قُوَى ٱلْحَبْلِ بِمَشَافِرِهِ ويَخُدُّ خَدَّ ٱلْأَرْضِ بِحَوَافِرِهِ[٥]. ثُمَّ ٱضْطَرَبَتِ ٱلْخَيْلُ فَأَرْسَلَتِ ٱلأَبْوَالَ وَقَطَّعَتِ ٱلْحِبَالَ. وَأَخَذَتْ نَحْوَ ٱلْجِبالِ. وَطَارَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا إِلَى سِلَاحِهِ فَإِذَا ٱلسَّبُعُ فِي فَرْوَةِ ٱلْمَوتِ[٦]. قَدْ طَلَعَ مِنْ غَابِهِ[٧]. مُنْتَفِخًا فِي إِهَابِهِ. كَاشِرًا عَنْ أَنْيَابِهِ. بِطَرْفٍ قَدْ مُلِئَ صَلَفًا[٨]. وَأَنْفٍ قَدْ حُشِيَ أَنَفًا. وَصَدْرٍ لَا يَبْرَحُهُ ٱلْقَلْبُ[٩]. وَلَا يَسْكُنُهُ ٱلرُّعْبُ. وَقُلْنَا خَطْبٌ مُلِمٌّ. وَحَادِثٌ مُهِمٌّ. وَتَبَادَرَ إِلَيْهِ مِنْ سُرْعَانِ ٱلرُّفْقَةِ فَتًى[١٠].

أَخْضَرُ ٱلْجِلْدَةِ فِي بَيْتِ ٱلْعَرَبْ   يَمْلَأُ ٱلدَّلْوَ إِلَى عَقْدِ ٱلْكَرَبْ[١١]

---

(١) **نَغُوّرُ** أي نأتي إلى الغور والمطمئن من الأرض. **ونَغُورُ** أي ننام. يقال غار الرجل إذا نام في وسط النهار. أي نزلنا لنأتي المطمئن من الأرض لننام فيه في تلك الهاجرة.

(٢) **الأمْرَاس** الحبال.

(٣) أي ما أفزعنا إلّا صهيل الخيل.

(٤) **أَرْهَفَ** أذنيه رفعهما وحدّدهما كأنهما شفرتان. **وطَمَحَ** بعينيه رمى بهما شيئًا ليتحققه. **يَجُذُّ** هذه حال أخرى بعد الحال الأولى. **وجذّ** يجذّ قطع باستئصال. **وقُوَى** الحبل طاقاته أي يقطع طاقات الحبل ليتخلص من الربط. **والمَشَافِر** جمع مشفر أصله للبعير مثل الشفة للإنسان. ثم قد يطلق على ما لغير البعير وإنما جمعه باعتبار الأقسام العليا والسفلى من الجحفلة.

(٥) **خَدّ** الأرض يريد به وجهها، **ويَخُدُّه** أي يشقه.

(٦) إنما يلبس **فروة** الموت، الموت نفسه، فكأنه تخيل أن الأسد هو الموت خرج إليهم في فروته.

(٧) **الغاب** جمع غابة وهي الأجمة من القصب يتّخذها الأسد عرينًا. **والإهاب** الجلد. **والكاشِر** عن أنيابه الكاشف عنها وقد يكون ذلك من شدّة الغضب والتهيّؤ للافتراس.

(٨) **بطرف** أي عين. **والصَّلَف** العجب أي إن له عينًا قد ملئت من دلائل الإعجاب بالقوة وشدّة البأس. **والأنف** الكبر وحشي أنفه أنفًا أو كبرًا من العبارات التي تستعمل في إبانة معنى التكبّر لأن الآنف يظهر فيه ذلك كما هو معروف.

(٩) للسبع صدر لا يفارقه القلب كأن الجبان يفارق قلبه صدره عند الفزع. أما السبع فهو من الجرأة بحيث لا يفزعه شيء يذهب بقلبه ولا يسكن صدره الرعب والخوف.

(١٠) **السرعان** جمع سريع. **والرفقة** الأصحاب.

(١١) **أخضر** الجلدة يراد به أسمر اللّون. **والسمرة** هي اللون الخاص بالعرب يفتخرون بها لدلالتها على صراحة النسب في العربية ولذلك قال في بيت العرب. وقوله **يملأ** الدلو إلى عقد الكرب مثل يضرب لمن إذا ساجل أحدًا في النسب والحسب سجّله وغلبه. والدلو التي يُستقى بها معروفة. **والكرب** قطعة حبل تربط في الخشبتين المعترضتين في فم الدلو وفي =

بِقَلْبٍ سَاقَهُ قَدْرٌ(١). وَسَيْفٍ كُلُّهُ أَثْرٌ. وَمَلَكَتْهُ سَوْرَةُ ٱلْأَسَدِ(٢) فَخَانَتْهُ أَرْضُ قَدَمِهِ. حَتَّى سَقَطَ لِيَدِهِ وَفَمِهِ. وَتَجَاوَزَ ٱلْأَسَدُ مَصْرَعَهُ إِلَى مَنْ كَانَ مَعَهُ(٣). وَدَعَا ٱلْحَيْنُ أَخَاهُ. بِمِثْلِ مَا دَعَاهُ(٤) فَصَارَ إِلَيْهِ. وَعَقَلَ ٱلرُّعْبُ يَدَيْهِ(٥). فَأَخَذَ أَرْضَهُ(٦). وَٱفْتَرَشَ ٱللَّيْثُ صَدْرَهُ. وَلٰكِنِّي رَمَيْتُهُ بِعَمَامَتِي وَشَغَلْتُ فَمَهُ. حَتَّى حَقَنْتُ دَمَهُ. وَقَامَ ٱلْفَتَى فَوَجَأَ بَطْنَهُ(٧) حَتَّى هَلَكَ ٱلْفَتَى مِنْ خَوْفِهِ. وَٱلْأَسَدُ لِلْوَجْأَةِ فِي جَوْفِهِ. وَنَهَضْنَا فِي أَثَرِ ٱلْخَيْلِ فَتَأَلَّفْنَا مِنْهَا مَا ثَبَتَ(٨). وَتَرَكْنَا مَا أَفْلَتَ. وَعُدْنَا إِلَى ٱلرَّفِيقِ لِنُجَهِّزَهُ(٩).

فَلَمَّا حَثَوْنَا ٱلتُّرْبَ فَوْقَ رفيقنا ... جَزِعْنَا وَلٰكِنْ أَيُّ سَاعَةِ مَجْزَعِ(١٠)

= هذه القطعة يعقد الحبل الكبير وتلك القطعة وضعت لتقيه من العفن ورثاثة المعقد وهاتان الخشبتان تسميان بالعرقاتين والعرقوتين وتوضعان على شكل الصليب وعقد الكرب في نقطة التقاطع بينهما أي يملأ الدلو حتى لا يبقى منه فراغ.

(١) **بقلب** إلخ، من صفات الفتى أي للفتى قلب ساقه القدر إلى مصاولة الأسد لتكون فيها منيته والقدر بتسكين الدال لتوافق السجع بمعنى القدر بتحريكها وهو الإيجاد على حسب القضاء الأزلي. **والأثر** بفتح فسكون جوهر السيف. فهذا السيف لجودته كأنه كله جوهر.

(٢) **سورة** الأسد شدّته. وقد ملكت الفتى وتمكنت منه ولم يثبت لها فكأن الأرض كانت عاهدته على أن تحمل له قدمه ثم خانته بأن أزلقته فسقط منكبًا يلقى الأرض بيده وفمه.

(٣) أي ترك الأسد موضع سقوط الفتى وهو مصرعه وطلب الفتيان الذين كانوا معه.

(٤) **الحَيْنُ** بالفتح الموت أي طلب الموت فتى آخر إليه وكانت الدعوة بمثل ما دعا الأول من الجسارة والإقدام.

(٥) **صار** إلى الأسد أو إلى الموت ملبيًا لدعوته. وإذا رعب الإنسان اضطربت أعضاؤه وعجزت عن العمل وكان ذلك حال الفتى منع الرعب يديه عن الضرب كأنما عقلها وربطها.

(٦) **الضمير** في أخذ للأخ أي إنه انطرح على الأرض ووقف الأسد على صدره كأنه فراش له وأراد أن يهوي إليه بأنيابه لينهشه فرمى الشيخ بعمامته فعض فيها واشتغل فمه بها وحقن دم الشاب المطروح.

(٧) **وَجَأَ** بطنه شقها ولا يزال الفتى يعمل الشفرة في جوفه حتى تلف من شدة خوفه وكاد يهلك أي يموت. وهلك الأسد بالفعل للوجأة التي أصابته في جوفه وإنما قلنا إن إسناد هلك إلى الفتى على معنى قارب الهلاك لأنه فيما بعد لم يذكر إلّا رفيقًا واحدًا جهزوه فقط ولو كان هلك بالفعل لكانا رفيقين مجهزين.

(٨) ما ثبت منها بعد النفرة الأولى ووقف تألفناه وأزلنا نفرته. وما كان أفلت بحيث لا تصل إليه أيدينا تركناه حتى لا نضيع الوقت في طلبه.

(٩) لنهيئ له ما يلزم لدفنه من غسل وتكفين ثم مواراة في التراب.

(١٠) **حثونا** التراب صببناه فوقه بعد وضعه في شق اللّحد. **والمجزع** الجزع. والاستفهام عن =

وَعُدْنَا إِلَى ٱلْفَلَاةِ(١). وَهَبَطْنَا أَرْضَهَا وَسِرْنَا حَتَّى إِذَا ضَمَرَتِ ٱلْمَزَادُ(٢). وَنَفِدَ ٱلزَّادُ أَوْ كَادَ يُدْرِكُهُ ٱلنَّفَادُ. وَلَمْ نَمْلِك ٱلذَّهَابَ وَلَا ٱلرُّجُوعَ(٣). وَخِفْنَا ٱلْقَاتِلَيْنِ ٱلظَّمَأَ وَٱلْجُوعَ(٤). عَنَّ لَنَا فَارِسٌ فَصَمَدْنَا صَمْدَهُ(٥). وَقَصَدْنَا قَصْدَهُ. ولَمَّا بَلَغْنَا نَزَلَ عَنْ حُرِّ فَرَسِهِ(٦). يَنْقُشُ ٱلْأَرْضَ بِشَفَتَيْهِ(٧). وَيَلْقَى ٱلتُّرابَ بِيَدَيْه. وَعَمَدَنِي مِنْ بَيْنِ ٱلْجَمَاعَةِ(٨). فَقَبَّلَ رِكَابِي. وَتَحَرَّمَ بِجَنَابِي وَنَظَرْتُ فَإِذَا هُوَ وَجْهٌ يَبْرُقُ بَرْقَ ٱلْعَارِضِ ٱلْمُتَهَلِّلِ. وَقَوَامٌ مَتَى مَا تَرَقَ ٱلْعَيْنُ فِيهِ تُسْهِلِ(٩) وَعَارِضٌ قَدِ ٱخْضَرَّ. وَشَارِبٌ قَدْ

= ساعة جزعهم تهويل في أمرها حتى كأنها غير معروفة لهم وأنهم يتساءلون عنها. ويصح أن تكون «أي» مبتدأ وخبرها محذوف أي ساعة حشو التراب. ويصحّ أن تكون ظرفًا لمثل جزعنا.

(١) **الفلاة** الصحراء الواسعة أو القفر أو هي المفازة التي يقل وجود الماء فيها. **وهبط** الأرض أو البلد دخلها أي دخلناها وتغلغلنا فيها.

(٢) **المزاد** جمع مزادة وهي **الرواية** أي وعاء الماء من جلد. وضمورها كناية عن فراغها من الماء. **ونفد** أي فني وإن لم يكن ذهب كله فقد كاد يدركه النفاد والفناء ولا يبقى منه شيء.

(٣) توسطوا الفلاة وصار القفر محيطًا بهم فما يصيبهم من المشقة إذا ذهبوا يصيبهم أيضًا إذا رجعوا.

(٤) الظمأ العطش وهو يقتل إذا اشتد كما يقتل الجوع.

(٥) **صمده** صمدًا قصده **وعنَّ** لنا ظهر أي بدا لنا فارس فقصدنا جهته فلعله يعيننا على ما جهدنا منه. والفقرة الثانية بمعنى هذه لا فائدة في ذكرها سوى بيان السعة في المترادفات.

(٦) **بلغنا** أي وصل إلينا. وإضافة حُرّ إلى الفرس من إضافة الصفة إلى الموصوف أي فرسه الحر. **والحر** الفرس العتيق.

(٧) **ينقش** الأرض كناية عن أنه يقبلها **ويَلقَى** ثلاثي وعادة مقبل الأرض أن يلقى بيديه التراب على هيئة الساجد.

(٨) **عَمَدَني** قصدني. **من بينهم** من دونهم.

(٩) فإذا هو أي المقبل. وجعله هذا الذي ذكره لأنه أحسن ما فيه. ويصحّ أن تجعل الضمير لما لاقاه كأنه قال: فإذا الذي يواجهني وجه إلخ. **والعارض** السحاب الماطر. **والمتهلل** اللامع ببرقه أي أن وجهه يلمع لشدة نقاوة بياضه كأنه البرق وقوله: **وقوام** متى ترق إلخ. عطف على وجه ومتى ما شرطية وترق فعلها الأول وتسهل فعلها الثاني. **وترق** فعل مضارع من رقي يرقى إذا صعد في جبل ونحوه. **وتُسْهِل** من أسهل إذا خالط السهل ودخل فيه أي أن قوامه من الحسن بحيث إذا ارتقت العين للنظر في أعلاه انحطت للنظر في أدناه فالجملة كناية عن هموم الحسن لقوامه وشموله له فلا يكاد البصر يرتفع إلى أعاليه حتى ينجذب للتمتع برؤية دوانيه. ويقرأ ترق بفتح الراء وتشديد القاف وتسهل بفتحتين فتشديد بحذف إحدى التاءين من المضارع والأصل تترقى وتتسهّل والمعنى معنى القراءة الأولى.

طَرٌّ[١]. وَسَاعِدٌ مَلْآنُ[٢]. وَقَضِيبٌ رَيَّانُ. وَنِجَارٌ تُرْكِيٌّ[٣]. وَزِيٌّ مَلَكِيٌّ. فَقُلْنَا مَا لَكَ لَا أَبَا لَكَ[٤]. فَقَالَ: أَنَا عَبْدُ بَعْضِ ٱلْمُلوكِ هَمَّ مِنْ قَتْلِي بِهَمٍّ[٥]. فَهِمْتُ عَلَى وَجْهِي إِلَى حَيْثُ تَرَانِي[٦]. وَشَهِدَتْ شَوَاهِدُ حَالِهِ. عَلَى صِدْقِ مَقَالِهِ. ثُمَّ قَالَ: أَنَا ٱلْيَوْمَ عَبْدُكَ. وَمَالِي مَالُكَ. فَقُلْتُ: بُشْرَى لَكَ وَبِكَ. أَدَّاكَ سَيْرُكَ إِلَى فِنَاءٍ رَحْبٍ[٧]. وَعَيْشٍ رَطْبٍ وَهَنَّأَتْنِي ٱلْجَمَاعَةُ وَجَعَلَ يَنْظُرُ فَتَقْتُلُنَا ٱلْحَاظُهُ. وَيَنْطِقُ فَتَفْتِنُنَا ٱلْفَاظُهُ[٨]. فَقَالَ: يَا سَادَةُ إِنَّ فِي سَفْحِ ٱلْجَبَلِ عَيْنًا وَقَدْ رَكِبْتُمْ فَلَاةً عَوْرَاءَ[٩]. فَخُذُوا مِنْ هُنَالِكَ ٱلْمَاءَ. فَلَوَيْنَا ٱلْأَعِنَّةَ إِلَى حَيْثُ أَشَارَ[١٠] ....

---

(١) **طرّ** شارب الغلام طرًّا وطرورًا طلع جديدًا.

(٢) **الساعد** ما بين المرفق والكف وهو الذراع من الإنسان. **وملآن** أي باللّحم عبّر بذلك عن السمن المعتدل. **والقضيب** هنا عمود البدن. **والريان** المشبع بالماء والماء هنا ماء الحياة وقوة الشباب.

(٣) **النِّجَار** بكسر النون الأصل أي إنه تركي الجنس. **والزيّ** هيئة الإنسان في لباسه وحليته. وملكي نسبة إلى الملك أي لا يتزيا به إلّا أعوان الملوك.

(٤) **ما لك** استفهام عما عرض له. **ولا أبا لك** دعاء بفقد الأب يخرجونه مخرج التعجّب من المدعو عليه في حسن وقبيح.

(٥) أراد من **الهمّ** ما تعزم عليه من فعل وتجيل فكرك فيه كيف توقعه. وتقدير العبارة همّ بهم من قتلي وما تصمم عليه في نفسك إنما هو صورة ما سيقع منك. فالهمّ القائم بنفسه صورة من القتل يجري مثالها بالفعل لهذا صحّ أن يكون الهمّ من القتل لا نفس القتل.

(٦) **هام** على وجهه ذهب لا يدري أين يتوجه وأصل الهيام ما يكون من العطشان في طلب الماء لا يعرف وجهته يقصدها.

(٧) **الفناء** بالكسر ساحة الدار وإنما يكون الفناء رحبًا أي واسعًا إذا كان صاحبه كريمًا مضيافًا أي إنك لجأت إلى كريم لا تخشى في جواره ضيقًا ولا شدّة. **ورطوبة** العيش كلينه يكنّون بهما عن سهولته ورغده ونعومته وطريق الكناية غير خفي.

(٨) إذا كان الصوت رخيمًا واللّفظ فصيحًا أخذ بالقلب إلى ما يريد المتكلم وفتن العقل عن رشاده وخدعه عن مراده. فهذا الفتى كان من رشاقة الألفاظ بحيث كان يفتنهم بلفظه.

(٩) **الفلاة** العوراء التي لا ماء بها كأنهم جعلوا الأرض ذات العيون الجارية بمنزلة الأنثى الحيّة من ذوات الباصرة. وكما يقال لمن فقدت عينها من البواصر عوراء قيل للفلاة إذا فقدت ماءها عوراء أيضًا.

(١٠) **الأعنّة** جمع عِنان بكسر العين وهو سير اللّجام للدّابة الذي يمسكنه راكبها أو قائدها وبه يصرفها إلى حيث يريد من وجوه السير. **ولي** الأعنة كناية عن تحويل المسير إلى الجهة التي أشار إليها.

وَبَلَغْنَاهُ وَقَدْ صَهَرَتِ ٱلْهَاجِرَةُ ٱلْأَبْدَانَ(١). وَرَكِبَ ٱلْجَنَادِبُ ٱلْعِيدَانَ(٢). فَقَالَ: أَلَا تَقِيلُونَ فِي هَذَا الظِّلِّ الرَّحْبِ(٣) عَلَى هَذَا ٱلْمَاءِ ٱلْعَذْبِ. فَقُلْنَا: أَنْتَ وَذَاكَ. فَنَزَلَ عَنْ فَرَسِهِ وَحَلَّ مِنْطَقَتَهُ(٤). وَنَحَّى قُرْطُقَتَهُ. فَمَا ٱسْتَتَرَ عَنَّا إِلَّا بِغَلَالَةٍ تَنِمُّ عَلَى بَدَنِهِ(٥). فَمَا شَكَكْنَا أَنَّهُ خَاصَمَ ٱلْوِلْدَانَ. فَفَارَقَ ٱلْجِنَانَ وَهَرَبَ مِنْ رِضْوَانٍ(٦). وَعَمَدَ إِلَى ٱلسُّرُوجِ فَحَطَّهَا وَإِلَى ٱلْأَفْرَاسِ فَحَشَّهَا(٧). وَإِلَى ٱلْأَمْكِنَةِ فَرَشَّهَا. وَقَدْ حَارَتِ ٱلْبَصَائِرُ فِيهِ. وَوَقَفَتِ ٱلْأَبْصَارُ عَلَيْهِ. وَقَدْ وَتَّدَ كلٌّ مِنَّا شَبَقًا. وَخَنَثَ اللفظ مَلَقًا فَقُلْتُ: يَا فَتَى مَا أَلْطَفَكَ فِي ٱلْخِدْمَةِ. وَأَحْسَنَكَ فِي ٱلْجُمْلَةِ(٨) فَٱلْوَيْلُ لِمَنْ فَارَقْتَهُ. وَطُوبَى لِمَنْ رَافَقْتَهُ. فَكَيْفَ شُكْرُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلنِّعْمَةِ بِكَ. فَقَالَ: مَا سَتَرَوْنَهُ مِنِّي أَكْثَرُ أَتُعْجِبُكُمْ خِفَّتِي فِي ٱلْخِدْمَةِ. وَحُسْنِي فِي ٱلْجُمْلَةِ. فَكَيْفَ لَوْ رَأَيْتُمونِي فِي ٱلرُّفْقَةِ(٩). ....

---

(١) **الهاجرة** شدّة الحرّ أو منتصف النهار في زمن القيظ. **وصهرت** الأبدان أي أذابتها أي بلغوا المكان الذي دلّهم عليه بعد أن ذابت أبدانهم من شدّة الحرّ.

(٢) **الجنادب** جمع جُنذُب بضم الجيم والذّال أو مع فتح الدالِ هو ضرب من الجراد وإنما يعلو العيدان في شدّة الحرّ لأنه من الحيوانات التي يهلكها البرد ويبعثها الحر فكلما اشتدّ الحرّ قويت حركتها وكثر انتشارها.

(٣) **تقيلون** من قال يقيل قيلولة أي نام في وسط النهار. **والرحب** الواسع.

(٤) **المنطقة** الحزام العريض، **والقرطقة** مؤنث القرطق وهو قباء ذو طاق واحد وأصله كرته بالفارسية فعرب.

(٥) **الغِلالة** بكسر الغين شعار يلبس تحت الثوب والدرع. وقوله: **تنم** على بدنه من نمّ الحديث إذا أشاعه بين الناس والمراد أن الغلالة تكشف عن لون بدنه كأنها تصفه وتحدث عنه.

(٦) قوله **فما** شككنا إلخ. تمثيل لدرجة الحسن الفائق. **والولدان** خدم أهل الجنّة في الجنة. **ورضوان** هو خازن الجنان أي أن هذا الغلام لما بدا من حسن بدنه ما بدا لم يعرف الناظر له شبيهًا في حسنه من أهل الدنيا فلم يشك أنه كان من غلمان الجنّة فخاصم رفقاءه منهم فغلبوه ففرّ ولم يستطع رضوان خازن الجنّة إمساكه فأفلت منه ونزل إلى الدنيا ليتصل بحضرة الشيخ عيسى بن هشام صاحب الرواية.

(٧) **حَشَّ** الأفراس ألقى لها الحشيش ومنه المثل احتشك وتروثني أي ألقي لك حشيشًا وتلقي عليّ روثًا.

(٨) أي ما أحسنك في عامة أحوالك وأوصافك فجملتك بتمامها يعجب من حسنها.

(٩) رأيتم مني خدمة خفيفة وحسنًا بديعًا فعجبتم فكيف لو انضمّ إلى ذلك شدّة بأس ومنعة وهو معنى قوله في **الرفقة** لأن الرفيق إنما تظهر قوة بأسه في الدفاع عن رفقته أي لو رأيتموني وأنا أحمي رفاقي لكان عجبكم أشد. وفي رواية في الوقعة يريد وقعة الحرب والقتال.

أُرِيكُمْ مِنْ حِذْقِي طُرَفًا(١). لِتَزْدَادُوا بِي شَغَفًا. فَقُلْنَا: هَاتِ. فَعَمَدَ إِلَى قَوْسِ أَحَدِنَا فَأَوْتَرَهُ وَفَوَّقَ سَهْمًا فَرَمَاهُ فِي السَّمَاءِ(٢). وَأَتْبَعَهُ بِآخَرَ فَشَقَّهُ فِي ٱلْهَوَاءِ. وَقَالَ سَأُرِيكُمْ نَوْعًا آخَرَ. ثُمَّ عَمَدَ إِلَى كِنَانَتِي فَأَخَذَهَا(٣) وَإِلَى فَرَسِي فَعَلَاهُ وَرَمَى أَحَدَنَا بِسَهْمٍ أَثْبَتَهُ فِي صَدْرِهِ(٤). وَآخَرَ طَيَّرَهُ مِنْ ظَهْرِهِ. فَقُلْتُ: وَيْحَكَ مَا تَصْنَعُ(٥). قَالَ: ٱسْكُتْ يَا لُكَعُ. وَٱللَّهِ لَيَشُدَّنَّ كُلٌّ مِنْكُمْ يَدَ رَفِيقِهِ. أَوْ لَأُغِصَّنَّهُ بِرِيقِهِ(٦). فَلَمْ نَدْرِ مَا نَصْنَعُ وَأَفْرَاسُنَا مَرْبُوطَةٌ وَسُرُوجُنَا مَحْطُوطَةٌ. وَأَسْلِحَتُنَا بَعِيدَةٌ وَهُوَ رَاكِبٌ وَنَحْنُ رَجَّالَةٌ(٧) وَٱلْقَوْسُ فِي يَدِهِ يَرْشُقُ بِهَا ٱلظُّهُورَ(٨). وَيَمْشُقُ بِهَا ٱلْبُطُونَ وَٱلصُّدُورَ. وَحِينَ رَأَيْنَا

---

(١) أراد من **الحذق** هنا براعته في رمي السهام واستعمال آلة الحرب. وفي رواية من حربي. **والشغف** شدّة الحب.

(٢) **أوتر** القوس وضع فيه الوتر. وأصل **فوّقَ السهم** جعل له فُوقًا بضم الفاء وهو موضع استقرار الوتر فيه لكنه درج استعماله في معنى أفاق السهم أي وضع فوقه في الوتر ليرمي به. ورماه في السماء أي في الجو إلى أعلى. وأتبعه بآخر أي أتبع السهم الأول بسهم آخر رماه فشقّ السهم الثاني الأول وهو في الهواء. وهذا حذق في الرمي لا تصل إليه قوة الرماة إلّا فيما يندر.

(٣) **الكنانة** وعاء السهام. وعلا الفرس ركبه.

(٤) بعد ما علا ظهر الفرس أخذ سهمًا من كنانة عيسى بن هشام ورمى به واحدًا من رفقائه فأثبت السهم في صدر ذلك الرفيق. ثم رماه بسهم آخر فطيّره من ظهره. وهذا أيضًا من الحذق في الرمي كأن ميزان قوته في يده إن شاء أعطى السهم ما يثبت به في الصدر وإن شاء مده بقوة تنفذه من الصدر إلى الظهر حتى يطير منه.

(٥) **ويح** مثل ويل كلمة دعاء بالشر والهلاك أي أطلب لك الهلاك على فعلك هذا لأنه قتل واحدًا من رفقائهم. ثم استفهم استفهام المتعجّب المنكر لفعله بقوله: ما تصنع. **واللّكع** اللّئيم ومن لا خير فيه ويقال كذلك للذليل والأحمق. والكل جائز قصده هنا.

(٦) **أغصه** بريقه أشرقه به أي أوقفه في حلقه فقطع على النفس طريقه وهو كناية عن إيقاعه في شدّة لا منفذ منها تجعل أسهل الأشياء تناولًا أصعبها وتصير ما به الفرج ضيقًا. والريق يستساغ به غيره وهو أسهل السائلات ازدرادًا حتى أنه ليذهب في الحلق ولا يشعر به فإذا كانت به الغصة فليس بعدها ما يزيلها. وقد حتّم الغلام عليهم أن يربط كلٌ منهم يد رفيقه أو إن لم يفعلوا لينفذنهم بالسهام فيكون الخطر عليهم خطر الموت وهو أشد الخطر.

(٧) **الرجالة** جمع راجل وهو خلاف الفارس.

(٨) **يرشق** بها أي يرمي بها الظهور إذا ولّيته. **ويمشق** أي يمزق بها البطون والصدور إذا قابلته فلا مفر منه إن ولّيناه أظهرنا أو لاقيناه بصدورنا.

ٱلْجِدَّ. أَخَذْنَا ٱلْقِدَّ[١]. فَشَدَّ بَعْضُنا بَعْضًا وَبَقِيتُ وَحْدِي. لَا أَجِدُ مَنْ يَشُدُّ يَدِي. فَقَالَ: ٱخْرُجْ بِإِهَابِكَ. عَنْ ثِيَابِكَ[٢]. فَخَرَجْتُ ثُمَّ نَزَلَ عَنْ فَرَسِهِ وَجَعَلَ يَصْفَعُ ٱلْوَاحِدَ مِنَّا بَعْدَ ٱلْآخَرِ. ويقولُ أَقِمْتَ قَضِيبَكَ. فَخُذْ نَصِيبَكَ. وَنَزَعَ ثِيَابَهُ وَصَارَ إِلَيَّ وَعَلَيَّ خُفَّانِ جَدِيدَانِ[٣] فَقَالَ: ٱخْلَعْهُمَا لَا أُمَّ لَكَ. فَقُلْتُ: هٰذَا خُفٌّ لَبِسْتُهُ رَطْبًا فَلَيْسَ يُمْكِنُنِي نَزْعُهُ. فَقَالَ: عَلَيَّ خَلْعُهُ. ثُمَّ دَنَا إِلَيَّ لِيَنْزِعَ ٱلْخُفَّ وَمَدَدْتُ يَدِي إِلَى سِكِّينٍ كَانَ مَعِي فِي ٱلْخُفِّ[٤] وَهُوَ فِي شُغْلِهِ فَأَثْبَتُّهُ فِي بَطْنِهِ. وَأَبَنْتُهُ مِنْ مَتْنِهِ. فَمَا زَادَ عَلَى فَمٍ فَغَرَهُ[٥]. وَأَلْقَمَهُ حَجَرَهُ. وَقُمْتُ إِلَى أَصْحَابِي فَحَلَلْتُ أَيْدِيَهُمْ وَتَوَزَّعْنَا سَلَبَ ٱلْقَتِيلَيْنِ[٦] وَأَدْرَكْنَا ٱلرَّفِيقَ وَقَدْ جَادَ بِنَفْسِهِ[٧]. وَصَارَ لِرَمْسِهِ. وَصِرْنَا إِلَى ٱلطَّرِيقِ

---

(١) لما رأوا أنه جاد وليس بهازل أخذوا **القد** وهو سير من جلد غير مدبوغ يوثق به الأسرى.

(٢) أي أخرج بجلدك عن الثياب يريد سلبه إياها.

(٣) عليه خفان أي على رجليه. **والخُفّان** تثنية خفّ وهو ما يلبس في الرجل من جلد يسترها إلى ما فوق الكعب ثم يلبس عليه النعل.

(٤) كأنه كان ستر السكين في الخف كيلا يسلبها الغلام فيفقد كل جارحة ونافذة فلما اشتغل الغلام بنزع أحد الخفين أخذ السكين فأثبته في بطنه بقوة شديدة حتى أبانه أي أظهره من ظهره وهو المراد من متنه. وفي رواية: «أنبته» كأن في ظهور طرفه من الظهر وتغييب بقيته يشبه النبات لأول ظهوره فكأنه أنبته إنباتًا.

(٥) أي لم يأت بشيء يلاقي به أثر الطعنة أزيد من فتح فمه بالصياح من شدة الألم ثم أسرع إليه خمود النفس فانقطع صوته وهو معنى **ألقمه** حجره أي ألقم فمه حجرًا بمقداره فحشاه حتى لا يصعد معه نفس فإلقامه الحجر كناية عمّا قلنا. ويحتمل أنه عضّ في الأرض بعد الصيحة فحشي فمه من مدرها فيكون قد التقم شيئًا حقيقة. وفي رواية: فألقمته حجره ومتعلق الزيادة في الحقيقة مصدر الفعل أعني فغره فإنه هو الحادث من فاعل زاد وطريقة التعبير فما زاد على فغر فمه لكنهم يعدلون إلى مثل عبارة المصنف تفننًا وتوسّعًا.

(٦) **القتيلان** أحدهما الغلام التركي والآخر رفيقهم الذي قتله الغلام وسلبهما ثيابهما وسلاحهما وكلّ ما يصح سلبه منهما. **وتوزعناه** تقاسمناه كلّ واحد منا أخذ حظّه منه. وفي نسخة: القتيل مفردًا والمراد منه الغلام وهي إلى الصواب أقرب فإنه ليس من المروءة أن يجعلوا ما ترك رفيقهم سلبًا يتوزعونه بل من الواجب عليهم أن يحفظوا ما ترك حتى يوصلوه إلى أهله. ثم قوله وأدركنا الرفيق إلخ. يؤيد ذلك.

(٧) **جاد** بنفسه أسلمها ومات. وقوله: **وصار** لرمسه أي وبعد ذلك دفناه فصار لرمسه أي قبره.

وَوَرَدْنَا حِمْصَ بَعْدَ لَيَالٍ خَمْسٍ. فَلَمَّا ٱنْتَهَيْنَا إِلَى فُرْضَةٍ مِنْ سُوقِهَا[١] رَأَيْنَا رَجُلًا قَدْ قَامَ عَلَى رَأْسِ ٱبْنٍ وَبُنَيَّةٍ. بِجِرَابٍ وَعُصَيَّةٍ. وَهُوَ يَقُولُ:

رَحِمَ ٱللَّهُ مَنْ حَشَا ... فِي جِرَابِي مَكَارِمَهْ[٢]
رَحِمَ ٱللَّهُ مَنْ رَنَا ... لِسَعِيدٍ وَفَاطِمَهْ
إِنَّهُ خَادِمٌ لَكُمْ ... وَهْيَ لَا شَكَّ خَادِمَهْ

قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ: فَقُلْتُ إِنَّ هٰذَا ٱلرَّجُلَ هُوَ ٱلْإِسْكَنْدَرِيُّ ٱلَّذِي سَمِعْتُ بِهِ وَسَأَلْتُ عَنْهُ فَإِذَا هُوَ فَدَلَفْتُ إِلَيْهِ[٣]. وَقُلْتُ: ٱحْتَكِمْ حُكْمَكَ[٤]. فَقَالَ: دِرْهَمٌ. فَقُلْتُ:

لَكَ دِرْهَمٌ فِي مِثْلِهِ ... مَا دَامَ يُسْعِدُنِي ٱلنَّفَسْ[٥]
فَٱحْسُبْ حِسَابَكَ وَٱلْتَمِسْ ... كَيْمَا أُنِيلَ ٱلْمُلْتَمَسْ

وَقُلْتُ لَهُ: دِرْهَمٌ فِي ٱثْنَيْنِ فِي ثَلَٰثَةٍ فِي أَرْبَعَةٍ فِي خَمْسَةٍ حَتَّى ٱنْتَهَيْتُ إِلَى ٱلْعِشْرِينَ[٦] ثُمَّ قُلْتُ: كَمْ مَعَكَ. قَالَ عِشْرُونَ رَغِيفًا. فَأَمَرْتُ لَهُ بِهَا. وَقُلْتُ:

---

(١) **الفرضة** الفرجة، كأن السوق كان متصل الحوانيت وموضع البيع إلّا بعض فرج فيه خالية من ذلك في فرجة منها وجدوا رجلًا مع ابن وبنية تصغير ابنة ومعه جراب وقد قام على رأس الولدين يستجدي لهما بالأبيات المذكورة. **والعصية** تصغير العصا.

(٢) أراد من **المكارم** أثرها وهو العطايا ولذلك جعلها تحشى في الجراب وتملأ بها الأوعية. وسعيد اسم الابن وفاطمة اسم البنية.

(٣) **دلف** إليه أسرع متقدمًا نحوه.

(٤) أي قد حكمتك في مالي فاحكم فيه حكمك فهو منفذ لدي فلم يطلب مع هذه السعة في الإباحة إلّا درهمًا.

(٥) يحتمل الكلام أنه أراد المزاح معه فقال له: لك درهم في مثله أعطي لك الحاصل من هذا الضرب ما دام النفس موجودًا يسعدني بالحياة فاحسب هذا الحساب كأنه لطوله يحتاج إلى العمل وكأنه يلتزم بذلك كلّ سنة ما دام حيًا أو يريد إن لم يمت قبل الإعطاء فهو لا شك معطيه. ثم التمس ما وصل حسبك إليه لأنيلك أي أعطيك ملتمسك وهو ما التمسته من حاصل الضرب مع أن الخارج من ضرب الواحد في نفسه ليس إلّا الواحد. فإن نظرنا إلى أقسام الدرهم من الحبات والدوانق وضربنا درهمًا في مثله لأتى الضرب بزيادة فإنّا لو فرضنا الدرهم ستين قمحة مثلًا وضربناها في مثلها لكان الخارج ثلاثة آلاف وستمائة قمحة وهي من الدراهم ستون درهمًا فيكون الحاصل من ضرب درهم في مثله هذا المبلغ. وفي رواية: لك درهم في ضعفه أي في مثله وليس فيها نكتة يلتفت إليه.

(٦) إذا حسبنا ذلك على أن الواحد في اثنين والاثنين في ثلاثة والحاصل في أربعة والحاصل =

لَا نَصْرَ مَعَ ٱلْخِذْلَانِ. وَلَا حِيلَةَ مَعَ ٱلْحِرْمَانِ.

= في خمسة وهكذا إلى العشرين كان الخارج ٢،٤٣٢،٩٠٢،٠٠٨،١٧٦، ٦٤٠،٠٠٠ وهو ما تضيق عنه ثروة عيسى بن هشام والدولة التي كان ينتمي إليها ودول مثلها أيضًا. وإذا حسبنا على أن الواحد مضروب في الاثنين وهو مضروب في الثلاثة إلى العشرين فيكون الحاصل هو الخارج من جمع اثنين وما بعدها إلى العشرين وهو مائتا درهم وعشرة دراهم يعقل أن عيسى بن هشام يملكها ويعطيها وعلى كلا الحسابين لا يكون الخارج عشرين رغيفًا كما حسب الشيخ أبو الفتح فما أنطقه بالعشرين رغيفًا إلّا خذلانه وحرمانه ونحوسة بخته ولا حيلة فيما حتم من ذلك وبهذا عرف عيسى أن أبا الفتح إنما قصد به مع حسن حالته نكد الطالع وسوء البخت وإلّا فكيف يعجز مثله عن حساب ما ألقاه عليه من العدد لولا تسجيل الخذلان عليه.

المقامَةُ الغَيْلانيّة

حَدَّثَنِي عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ: بَيْنَا نَحْنُ بِجُرْجَانَ(١) فِي مُجْتَمَعٍ لَنَا نَتَحَدَّثُ وَمَعَنَا يَوْمَئِذٍ رَجُلُ ٱلْعَرَبِ حِفْظًا وَرِوَايَةً وَهُوَ عِصْمَةُ بْنُ بَدْرٍ ٱلْفَزَارِيُّ فَأَفْضَى بِنَا ٱلْكَلَامُ إِلَى ذِكْرِ مَنْ أَعْرَضَ عَنْ خَصْمِهِ حِلْمًا وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ خَصْمِهِ احْتِقَارًا حَتَّى ذَكَرْنَا ٱلصَّلَتَانَ ٱلْعَبْدِيَّ(٢) وَٱلْبَعِيثَ وَمَا كَانَ مِنَ ٱحْتِقَارِ جَرِيرٍ وَٱلْفَرَزْدَقِ لَهُمَا. فَقَالَ عِصْمَةُ: سَأُحَدِّثُكُمْ بِمَا شَاهَدَتْهُ عَيْنِي وَلَا أُحَدِّثُكُمْ عَنْ غَيْرِي: بَيْنَمَا أَنَا أَسِيرُ فِي بِلَادِ تَمِيمٍ مُرْتَحِلًا نَجِيبَةً(٣) وَقَائِدًا جَنِيبَةً. عَنَّ لِيَ رَاكِبٌ عَلَى أَوْرَقَ جَعْدِ ٱللُّغَامِ(٤) فَحَاذَانِي حَتَّى إِذَا صَكَّ ٱلشَّبَحُ بِٱلشَّبَحِ(٥) رَفَعَ صَوْتَهُ بِـ «ٱلسَّلَامُ عَلَيْكَ». فَقُلْتُ: وَعَلَيْكَ ٱلسَّلَامُ وَرَحْمَةُ ٱللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ. مَنِ ٱلرَّاكِبُ ٱلْجَهِيرُ ٱلْكَلَامِ ٱلْمُحَيِّي بِتَحِيَّةِ ٱلْإِسْلَامِ. فَقَالَ: أَنَا غَيْلَانُ(٦) بْنُ عُقْبَةَ. فَقُلْتُ: مَرْحَبًا بِٱلْكَرِيمِ حَسَبُهُ. ٱلشَّهِيرِ نَسَبُهُ. ٱلسَّائِرِ مَنْطِقُهُ. فَقَالَ:

---

(١) **جرجان** مدينة من مدن بلاد خوارزم من بلاد التتر المستقلة.

(٢) **الصَّلَتَانِ** بتحريك اللام اسم لجملة من الشعراء منهم العبدي هذا وآخر ضبي وثالث فهمي والبَعِيث بفتح الباء وكسر العين مثال فَعِيل وهؤلاء الذين يذكرهم جميعهم من شعراء الدولة الأموية مشاهير.

(٣) **ناقة** نجيبة أي كريمة. **والجنيبة** ما تستصحبه من المراكب لتراوح بينها وبين ما تركب إذا تعبت إحداهما ركبت الأخرى. والمذكر منه جنيب والأنثى جنيبة.

(٤) **عَنَّ** لي أي ظهر لي. **والأورق** من الإبل الآدم أو ما في لونه بياض وسواد قالوا: وهو من طيب الإبل لحمًا لا سيرًا وعملًا. **واللّغام** زبد الجمل يقذفه من فيه. **وجعد** اللّغام متراكمه وهو صفة الأورق.

(٥) **الشبح** الشخص كأنهما تقابلا حتى تلاطما وصكّ شخص أحدهما شخص الآخر. وفي نسخة: فاجتاز بي رافعًا صوته بالسلام فقلت من الراكب إلخ. وهي أدنى إلى الصواب من هذه النسخة لأن المار بسرعة قد يسكت عن السلام حتى يجوز فيسلم. ولا يصح للمقبل عليك أن يسكت حتى يلطمك بنفسه ثم يسلم.

(٦) هو ذو الرّمّة الشاعر المشهور.

رَحُبَ وَادِيكَ(١). وَعَزَّ نَادِيكَ. فَمَنْ أَنْتَ: قُلْتُ: عِصْمَةُ بْنُ بَدْرٍ ٱلْفَزَارِيُّ. قَالَ: حَيَّاكَ ٱللَّهُ نِعْمَ ٱلصَّدِيقُ. وَٱلصَّاحِبُ وَٱلرَّفِيقُ. وَسِرْنَا فَلَمَّا هَجَّرْنَا(٢) قَالَ: أَلَا نُغَوِّرُ يَا عِصْمَةُ فَقَدْ صَهَرَتْنَا ٱلشَّمْسُ. فَقُلْتُ: أَنْتَ وَذَاكَ. فَمِلْنَا إِلَى شَجَرَاتِ أَلَاءٍ(٣) كَأَنَّهُنَّ عَذَارَى مُتَبَرِّجَاتٌ قَدْ نَشَرْنَ غَدَائِرَهُنَّ. لِأَثَلَاتٍ تُنَاوِحُهُنَّ(٤). فَحَطَطْنَا رِحَالَنَا وَنِلْنَا مِنَ ٱلطَّعَامِ وَكَانَ ذُو ٱلرُّمَّةِ زَهِيدَ ٱلْأَكْلِ(٥) وَصَلَّيْنَا بَعْدُ وَآلَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا إِلَى ظِلِّ أَثَلَةٍ يُرِيدُ ٱلْقَائِلَةَ. وَٱضْطَجَعَ ذُو ٱلرُّمَّةِ وَأَرَدْتُ أَنْ أَصْنَعَ مِثْلَ صَنِيعِهِ فَوَلَّيْتُ ظَهْرِي ٱلْأَرْضَ. وَعَيْنَايَ لَا يَمْلِكُهُمَا غُمْضٌ(٦). فَنَظَرْتُ غَيْرَ بَعِيدٍ إِلَى نَاقَةٍ كَوْمَاءَ(٧) قَدْ ضَحِيَتْ وَغَبِيطُهَا مُلْقًى وَإِذَا رَجُلٌ نَائِمٌ يَكْلَأُهَا(٨) ....

---

(١) **رحب واديك** أي اتسع دعاء له بسعة المقر وسهولة المستوطن فإن سعة المقام أحد أسباب السعادة والراحة. **والنادي** المجلس والمراد به الجالسون به. وعزّ ناديك دعاء بعزة جلسائه ولا يكونون أعزاء حتى يكون هو عزيزًا فهو كناية عن الدعاء له بالعز.

(٢) **هجرنا** أي صرنا إلى الهاجرة وهي شدّة الحرّ. **ونغور** أي نقيل يعني ألّا ننزل فننام في الظلّ حتى تنكسر سورة الحرّ. **فقد صهرتنا** أي أذابتنا الشمس. **انت وذاك** أي أنت وما تريد من القيلولة وهذا التركيب مما يكفي فيه حرف عن اسم فإن الواو ههنا قامت مقام مع التي تتمم الجملة بالخبر فكأنه قيل: أنت مع ما تريد أي مقارن له لا تعارض فيه.

(٣) **الألاء** شجر مرّ الطعم ورقه وثمره دائم الخضرة حسن المنظر كما تقدم. والعذارى الأبكار والمتبرجات من تبرجت المرأة إذا ظهرت زينتها للرجال ومن ذلك أن تكشف شعرها وهو أجمل زينتها. **والغدائر** الذوائب من الشعر والتشبيه لاتساق الأغصان وتدلي الأفنان الغضة وانسدالها.

(٤) **الأثلات** جمع أثلة واحدة، الأثل وهو شجر من فصيلة الطرفاء غير أنه أضخم وأرفع دقيق الورق ثخين الظل. **وتناوحهن** أي تقابل شجرات الألاء.

(٥) **زهيد** الأكل قليله. وقوله صلينا أي أدّوا صلاة الظهر بعدما أكلوا. **وآل** كل واحد أي رجع كل واحد منا بعد الصلاة إلى ظل شجرة لينام فيه. وفي رواية: ومال. **والقائلة** النوم في نصف النهار.

(٦) لا يتسلّط عليهم النوم فيطبق أجفانهما. **والغمض** انطباق الأجفان.

(٧) **كوماء** أي عظيمة السنام. **وضحيت** من ضحي يضحى ضحا إذا أصابته الشمس أو ضحي يضحى ضحاء إذا انكشف بعد ستر وهذا الثاني هو الأظهر لقوله فيما بعد. **وغبيطها** ملقى أي ناقة عظيمة السنام قد انكشفت عن غبيطها وهو ملقى على الأرض. **والغبيط** مركب مخصوص يتخذ لراكب الإبل وقالوا: هو الرحل يشد عليه الهودج أو هو مركب يشبه أكف البخاتي أو رحل قتبه واحناؤه واحدة. **والقتب** من الآكاف ما كان على قدر سنام البعير.

(٨) **يكلاها** أي يحفظها. **والعسيف** الأجير. **والأسيف** العبد، ويستعمل كلٌّ مكان الآخر في جلّ معانيه.

كَأَنَّهُ عَسِيفٌ أَوْ أَسِيفٌ فَلَهِيتُ عَنْهُمَا[١] وَمَا أَنَا وَٱلسُّؤَالَ عَمَّا لَا يَعْنِينِي. وَنَامَ ذُو ٱلرُّمَّةِ غِرَارًا[٢] ثُمَّ ٱنْتَبَهَ وَكَانَ ذٰلِكَ فِي أَيَّامِ مُهَاجَاتِهِ لِذٰلِكَ ٱلْمُرِّيِّ[٣] فَرَفَعَ عَقِيرَتَهُ[٤] وَأَنْشَدَ يَقُولُ:

أَمِنْ مَيَّةَ ٱلطَّلَلُ ٱلدَّارِسُ ... أَلَظَّ بِهِ ٱلْعَاصِفُ ٱلرَّامِسُ[٥]
فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا شَجِيجُ ٱلْقَذَالِ ... وَمُسْتَوْقَدٌ مَا لَهُ قَابِسُ[٦]
وَحَوْضٌ تَثَلَّمَ مِنْ جَانِبَيْهِ ... وَمُحْتَفَلٌ دَارِسٌ طَامِسُ[٧]
وَعَهْدِي بِهِ وَبِهِ سَكْنُهُ ... وَمَيَّةُ وَٱلْإِنْسُ وَٱلْآنِسُ[٨]

---

(١) **لهيت** كرضيت أي تركتهما وعرضت عنهما. وقوله: وما أنا والسؤال أي لست في شيء من السؤال عمّا لا يعنيني وأصله استفهام عما يجمعه والسؤال على سبيل الإنكار أي لا تجمعني والسؤال عما لا يعنيني جامعة وجود.

(٢) **ذو الرُّمَّة** غيلان بن عقبة المتقدم ذكره، ونام **غرارًا** أي قليلًا.

(٣) **مَهجوه** الذي يذكر في الأبيات الآتية من بني مرّة بن حجر.

(٤) **رفع عقيرته** أي صاح وأصله أن تعقر الرجل فيرفعها الرجل ويصيح من الألم ثم غلب في الصياح مطلقًا.

(٥) **رأى طللًا** أي شاخصًا من آثار ديار فكأنه لم يدر من شدة الوله هل هذا الطلل من آثار مية محبوبته فاستفهم عنه. **والدارس** العافي المضمحل. **وألَظَّ** به أي لازمه. **والعاصف** الرّيح الشديدة. **والرّامس** من رمس الشيء إذا غطاه ودفنه. أي لازمته الرّيح حتى دفنته وغطته بما تجلب من الأتربة.

(٦) **شجيج** فعيل من شجّ بمعنى مفعول أي مشجوج مكسور. والقذال ما اكتنف فأس القفا عن اليمين والشمال. فالمراد من شجيج القذال مكسور الرأس وقصد به هنا الوتد من الدّق أيام كانوا يستعملونها. وقوله **ومستوقد** معطوف على شجيج القذال. **والمستوقد** على صيغة اسم المفعول مكان اشتعال النار. **والقابس** من قبس إذا أخذ من النار شعلة كنى بنفيه عن عدم وجود النار فيه لأنه إذا لم يكن فيه نار لم يكن منها قابس بالضرورة.

(٧) الحوض كانت إبل أهل الحي تشرب منه فلما خلا منهم تثلم من جانبيه أي تهدم لعدم من يتعهّده بالمحافظة والإصلاح. **المحتفل** مكان الاحتفال أي الاجتماع فهو بفتح الفاء أي منتدى. **دارس** عارف وفي نسخة: داثر بمعناه. **طامس** من طمس الشيء أي انمحى وذهب أثره.

(٨) **عهدي** به أي علمي متعلق به والضمير إلى الطلل الذي هو مجموع تلك الآثار التي عدّدها وقد يرجع إلى المحتفل: يريد أني أعلم هذا المكان في حال كان به. **سكنه** بتسكين الكاف أي ساكنوه فهو جمع ساكن كصاحب وصحب أو هو اسم جمع له. **ومَيّة** معطوف على سكنه وهي منهم خصصها لامتيازها من بينهم عنده لما شغف حبها قلبه. **والإنس** بكسر الهمزة الأليف وهو مية كرر ذكرها بلفظ آخر. والآنس ما يسكن قلبه إليك ضد المستوحش وهو =

كَأَنِّي بِمَيَّةَ مُسْتَنْفِرٌ ... غَزَالًا تَرَاءَى لَهُ عَاطِسُ(١)
إِذَا جِئْتُهَا رَدَّنِي عَابِسٌ ... رَقِيبٌ عَلَيْهَا لَهَا حَارِسُ(٢)
سَتَأْتِي آمْرَأَ ٱلْقَيْسِ مَأْثُورَةٌ ... يُغَنِّي بِهَا ٱلْعَابِرَ ٱلْجَالِسُ(٣)
أَلَمْ تَرَ أَنَّ آمْرَأَ ٱلْقَيْسِ قَدْ ... أَلَظَّ بِهِ دَاؤُهُ ٱلنَّاجِسُ(٤)
هُمُ ٱلْقَوْمُ لَا يَأْلَمُونَ ٱلْهِجَاءَ ... وَهَلْ يَأْلَمُ ٱلْحَجَرُ ٱلْيَابِسُ(٥)
فَمَا لَهُمُ فِي ٱلْعُلَا رَاكِبٌ ... وَلَا لَهُمُ فِي ٱلْوَغَى فَارِسُ(٦)
مُمَرْطَلَةٌ فِي حِيَاضِ ٱلْمَلَامِ ... كَمَا دَعَسَ ٱلْأَدَمَ ٱلدَّاعِسُ(٧)
إِذَا طَمَحَ ٱلنَّاسُ لِلْمَكْرُمَاتِ ... فَطَرْفُهُمُ ٱلْمُطْرِقُ ٱلنَّاعِسُ(٨)

= هي أيضًا. وقد يراد بالأليف والآنس أخلّاء آخرون كانوا له بحي مية. ويصح أن تقرأ الأُنس بضم الهمزة ضد الوحشة والموضع إذا كان فيه ساكنوه كان فيه الأنس وارتفعت الوحشة وكان فيه الآنسون وهم من يسكن بعضهم إلى بعض.

(١) كأنه مع مية أي نسبته إليها كنسبة المستنفر للغزال فكما أن مستنفره أي منفره لا يصل إليه كذلك الشاعر مع مية لا يصل إليها. **وتراءى** له ظهر بحيث يراه **والعاطس** الصبح وإذا استنفرت غزالًا في أول الصبح كان نفوره أشد ما يكون لأن قربه من وحشة اللّيل تعظم الفزع فيه وضوء الصبح يريه سبيل المهرب.

(٢) بيان لسبب حرمانه منها كما يحرم مستنفر الغزال من الغزال وذلك أنه كلما جاءها يريد لقاءها يجد من أهلها عابسًا غيورًا وهو رقيب عليها خيفة تعرض العاشقين لها حارس وحافظ لها من شرورهم.

(٣) **امرؤ القيس** هذا هو مهجوه. **والمأثورة** المروية يريد القصيدة التي يهجوه بها أي إنه ستأتيه قصيدة تشتهر حتى يرويها الناس وتصير أغنية لا يتغنى بها السائرون في الأسفار فقط بل والقائمون في مساكنهم أيضًا فالجالس يغني بها للعابر أي المار في طريقه. وهذا البيت انتقال من ذكر الأطلال والآثار إلى الهجاء اقتضابًا لم يراع فيه حسن التخلص.

(٤) **ألظّ** به لزمه. **والناجس** من الأدواء الذي لا يبرأ وأراد من دائه ما يهيجه على هجاء ذي الرّمّة من الحسن أو الحقد أو اللؤم وخبث الطبيعة.

(٥) **ضمير** الجماعة لقوم امرئ القيس يقول إن قوم هذا المهجو لا يألمون من الهجاء لأنهم أحجار والمهجو واحد منهم فلا يألم كما لا يألمون وذكر الحجر لمز لهم باسم أبيهم.

(٦) **الوغى** الحرب.

(٧) **ممرطلة** أي ملطخة تقول مرطلت فلانًا بالطين ونحوه أي لطّخته به وكأنه جعل الملام سائلًا من القذر يخزن في حياض وقد غمس هؤلاء القوم فيها فلطخوا فيها بتلك الأقذار وثبت ذلك في أعراضهم كما يثبت الدباغ في **الأدم** جمع أديم وهو الجلد المدبوغ. **ودعسه** وطئه وطئًا شديدًا وهكذا يصنع بالجلد عند دبغه يدعس حتى يتشرب الدباغ وأنّث وصف ممرطلة لتأويل القبيلة.

(٨) **طمح** الناس رموا بأبصارهم إلى المكرمات وأحاسن الفعال **وطرفهم** بصرهم. =

تَــعَـــافُ ٱلْأَكَـــارِمُ إِصْــهَـــارَهُـــمْ فَـــكُـــلُّ أَيَـــامَـــاهُـــمُ عَـــانِـــسُ(١)

فَلَمَّا بَلَغَ هٰذَا ٱلْبَيْتَ تَنَبَّهَ ذٰلِكَ ٱلنَّائِمُ وَجَعَلَ يَمْسَحُ عَيْنَيْهِ وَيَقُولُ: أَذُو ٱلرُّمَيْمَةِ يَمْنَعُنِي ٱلنَّوْمَ بِشِعْرٍ غَيْرِ مُثَقَّفٍ وَلَا سَائِرٍ(٢) فَقُلْتُ: يَا غَيْلَانُ مَنْ هٰذَا فَقَالَ: ٱلْفَرَزْدَقُ. وَحَمِيَ ذُو ٱلرُّمَةِ فَقَالَ:

وَأَمَّـــا مُـــجَـــاشِـــعُ ٱلْأَرْذَلُـــو نَ فَـلَـمْ يَـسْـقِ مَـنْـبِـتَـهُـمْ رَاجِـسُ(٣)
سَـيَـعْـقِـلُـهُـمْ عَـنْ مَـسَـاعِـي ٱلْـكِـرَامِ عِـقَـالٌ وَيَـخْـبِـسُـهُـمْ حَـابِـسُ(٤)

فَقُلْتُ ٱلْآنَ يَشْرَقُ فَيَثُورُ(٥) وَيَعُمُّ هٰذا وَقَبِيلَتَهُ بِٱلْهِجَاءِ فَوَٱللَّهِ مَا زَادَ ٱلْفَرَزْدَقُ عَلَى أَنْ قَالَ: قُبْحًا لَكَ يَا ذَا ٱلرُّمَيْمَةِ أَتَعْرِضُ لِمِثْلِي بِمَقَالٍ مُنْتَحَلٍ(٦) ثُمَّ عَادَ فِي نَوْمِهِ كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْ شَيْئًا وَسَارَ ذُو ٱلرُّمَّةِ وسِرْتُ مَعَهُ وَإِنِّي لَأَرَى فِيهِ ٱنْكِسَارًا حَتَّى ٱفْتَرَقْنَا.

= **والمطرق** المنكس: إذا امتدت الأبصار للجميل لتهدي إلى فعله كان بصر المذمومين مغمضًا عنها.

(١) **تعاف** أي تكره وتستقذر. **الأكارم** جمع أكرم يريد أعالي الناس. **والإصهار** مصدر أصهر إليهم وفيهم إذا تزوج من بناتهم فهؤلاء يأبى الكرام أن يتزوجوا لهذا تجد كل **أياماهم** جمع أيم وهي التي لا زوج لها بكرًا أو ثيبًا عانسًا أي لم تتزوج أصلًا ولا يقال لمن تزوجت مرة عانسٌ وفي نسخة: بدل أياماهم نساءهم أي جميع بناتهم بلا أزواج لكراهة الناس في مصاهرتهم.

(٢) **والمثقف** المقوم المهذب الذي لا عوج به. **والسائر** الذي لجودته يسير في البلاد رواية وحسن شهرة.

(٣) **مجاشع** قوم الفرزدق لأنه من مجاشع بن دارم. وقوله فلم يسق منبتهم دعاء عليهم أن لا ينزل المطر بمنابتهم أي مواضع نباتهم فيجدبون. **والراجس** السحاب الشديد صوت رعده.

(٤) **العقال** ما تعقل به الناقة لتقف وتمنع عن المشي ولا يريد من السين في سيعقلهم حقيقة الاستقبال ولكنه أتى بها للدلالة على أن ما عرف فيهم من الامتناع عن مساعي الكرام سيلزمهم في الآتي من الزمن، فهم عنده محبوسون عن مساعي الكرام دائمًا قبل القول وبعده، وشبه ما في طباعهم من الخسّة التي تقعد عن مطالب الكرام بالعقال.

(٥) **يشرق** من شرق إذا شجي وغصّ بريقه كنى به عن شدة الغيظ. **ويثور** أي يهيج فيشمل ذا الرّمّة وقومه بالهجو.

(٦) **تعرض** أي تتعرض تقول عرضت لفلان بسوء أي تعرضت له. **والمنتحل** المدعي أي بمقال مسروق ليس لك.

المقَامَة الأذْربيجانيّة

قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَام: لَمَّا نَطَّقَنِي ٱلْغِنَى بِفَاضِلِ ذَيْلِهِ[١] ٱتُّهِمْتُ بِمَالٍ سَلَبْتُهُ. أَوْ كَنْزٍ أَصَبْتُهُ. فَحَفَزَنِي ٱللَّيلُ[٢]. وَسَرَتْ بِيَ ٱلْخَيْلُ. وَسَلَكْتُ فِي هَرَبِي مَسَالِكَ لَمْ يَرُضْهَا ٱلسَّيْرُ[٣]. وَلَا ٱهْتَدَتْ إِلَيْهَا ٱلطَّيْرُ. حَتَّى طَوَيْتُ أَرْضَ ٱلرُّعْبِ وَتَجَاوَزْتُ حَدَّهُ[٤] وَصِرْتُ إِلَى حِمَى ٱلْأَمْنِ وَوَجَدْتُ بَرْدَهُ[٥]. وَبَلَغْتُ أَذْرَبِيجَانَ[٦] وَقَدْ حَفِيَتِ

---

(١) **نطقه** ألبسه المنطقة وهي حزام عريض يشدّ به الوسط. وذيل الثوب ما يلي الأرض منه وكان الغنى ثوب سبغ وفاض ذيله حتى عاد من ذلك الذيل الفاضل أي الزائد منطقة يشد بها وسطه مع بقاء الثوب سابغًا للبدن يريد أن الغنى قد زاد حتى شمل الحاجات بأسرها وأتى عليها ثم صدر عنها بعد سدادها جميعًا إلى حيث تعقد عليه العقد وتقفل دونه الخزائن لعدم الحاجة إلى استعماله.

(٢) **حَفزَهُ** يحفزه حفزًا حركه وحثه كأنما يدفعه من خلفه لما اتهموه بسلب المال أو إصابة الكنز لظهور الغنى عليه أحسّ منهم إرادة القبض عليه لمصادرته وانتزاع المال منه فتهيّأ للهرب وكان اللّيل حاملًا له على ذلك لأنه يستره عن أعين طالبيه فكأنه يقول له سرّ حيث شئت وأنا الكفيل بحجب أعينهم عنك حتى تخلص إلى مكان الأمن. **وسَرَتْ** بي الخيل أي سارت بي ليلًا.

(٣) **لم يرضها** أي لم يذلّلها ويمهّدها السير أي مسالك لم يسلكها سالك قبله وعدم اهتداء الطير إليها مع أن الطير أهدى الحيوان إلى المسالك لتيسر الجولان عليه في السهل والوعر دليل على شدّة خفائها.

(٤) **الرعب** الخوف. وأرضه أرض أولئك الظلمة الذين همّوا بمصادرته وانتهاب أمواله. **وتجاوز** حدّه وجاوزه تركه خلف ظهره. **وحَدُّه** ما ينتهي إليه. أي جاوز تخوم ممالك الظالمين.

(٥) **صار** إليه انتهى ووصل إليه. **والحِمَى** ما تحميه من شيء يقال حمى الملك لما يحفظه الملك ويمنعه من أيدي غيره. وكان لبعض ملوك العرب حمى أي مرعى لا يرعى فيه سوى مال ذلك الملك. وإضافة الحمى إلى الأمن لأن الأمن قار فيه. وقوله وجدت برده تمثيل لما وجد من الراحة والاطمئنان فإن الخائف كأنما يلتهب ضميره من الفزع والأمن يبرد قلبه عند الاطمئنان.

(٦) **اذربيجان** بفتح فسكون ففتح فكسر قسم من مملكة إيران في الغرب الشمالي منها. **والرواحل** النوق التي امتطاها في سيره هذا. **وحفيت** انسحت أخفافها من كثرة المشي. **والمراحل** جمع مرحلة وهي المسافة التي يقطعها المسافر في نحو يوم.

ٱلرَّوَاحِلُ. وَأَكَلَتْهَا ٱلْمَرَاحِلُ. وَلَمَّا بَلَغْتُهَا:

نَـزَلْـنَـا عَـلَـى أَنَّ ٱلْـمُـقَـامَ ثَـلَـاثَـةٌ فَطَابَتْ لَنَا حَتَّى أَقَمْنَا بِهَا شَهْرَا[(١)]

فَبَيْنَا أَنَا يَوْمًا فِي بَعْضِ أَسْوَاقِهَا إِذْ طَلَعَ رَجُلٌ بِرُكْوَةٍ قَدِ ٱعْتَضَدَهَا[(٢)] وَعَصًا قَدِ ٱعْتَمَدَهَا. وَدَنِّيَّةٍ قَدْ تقَلَّسَهَا[(٣)]. وَفُوطَةٍ قَدْ تَطَلَّسَهَا[(٤)]. فَرَفَعَ عَقِيرَتَهُ[(٥)] وَقَالَ: ٱللَّهُمَّ يَا مُبْدِئَ ٱلْأَشْيَاءِ وَمُعِيدَهَا. وَمُحْيِيَ ٱلْعِظَامِ وَمُبِيدَهَا وَخَالِقَ ٱلْمِصْبَاحِ وَمُدِيرَهُ[(٦)] وَفَالِقَ ٱلْإِصْبَاحِ وَمُنِيرَهُ. وَمُوصِلَ ٱلْآلَاءِ سَابِغَةً إِلَيْنَا[(٧)]. وَمُمْسِكَ ٱلسَّمَاءِ أَنْ تَقَعَ عَلَيْنَا. وَبَارِئَ ٱلنَّسَمِ أَزْوَاجًا[(٨)] وَجَاعِلَ ٱلشَّمْسِ سِرَاجًا. وَٱلسَّمَاءِ سَقْفًا وَٱلْأَرْضِ فِرَاشًا. وَجَاعِلَ ٱللَّيْلِ سَكَنًا وَٱلنَّهَارِ مَعَاشًا[(٩)]. وَمُنْشِئَ ٱلسَّحَابِ ثِقَالًا[(١٠)]. وَمُرْسِلَ ٱلصَّوَاعِقِ نِكَالًا وَعَالِمَ مَا فَوْقَ ٱلنُّجُومِ. وَمَا تَحْتَ ٱلتُّخُومِ[(١١)]. أَسْأَلُكَ ٱلصَّلَاةَ عَلَى سَيِّدِ

---

(١) نزل بأذربيجان على أن يقيم بها ثلاثة أيام يستريح فيها من التعب فطابت له الناحية بما فيها من دواعي الراحة حتى أقام بها شهرًا فكان يومه بعشرة أيام.

(٢) **الركوة** رقعة صغيرة توضع تحت العواصر وهي الأحجار الثلاثة التي يعصر بها العنب في معاصرهم. **واعتضدها** وضعها في عضده. **واعتمد** العصا اتكأ عليها في وقوفه.

(٣) **دَنِّيَّة** بفتح فتشديدين هي قلنسوة كان يختص بلبسها القضاة نسبوها إلى الدن لشبهها به. **وتَقَلَّسَها** أي لبسها على أنها قلنسوة يقال تقلس القلنسوة أي لبسها.

(٤) **الفوطة** ضرب من الثياب السندية غليظ تتخذ منه المآزر. **وتطلَّسها** لبسها على هيئة الطيلسان.

(٥) تقدم أن **رفع عقيرته** بمعنى صاح.

(٦) **المصباح** الشمس. **ومديره** أي محرّكه في دائرته. **الإصباح** هو أول الفجر. **وفالق الإصباح** أي فالق ظلمته التي تنتهي إليه فيكون على حذف وأصله فالق غبش الإصباح بالإصباح أو أنه فالق الإصباح عن بياض النهار وأسفاره وقد قالوا انشق عمود الصبح وانصدع الفجر على معنى انتشر الضوء وأسفر النهار. **ومنيره** أي ناشر ضوئه.

(٧) **الآلاء** النعم. **وسابغة** أي شاملة لنا كما يشمل الثوب الواسع الضافي أبداننا.

(٨) **البارئ** الخالق. **والنسم** جمع نسمة وهي النفس الحيَّة. **وازواجًا** أي ذكرًا وأنثى.

(٩) **السكن** محركًا ما تسكن فيه. والله تعالى جعل الليل لنسكن فيه ونكف عن الحركة بأنواعها لتستريح أعضاؤنا من تعب العمل وتستجم قوانا لتنشط إليه عند انجلاء الظلام. والنهار معاش لأنه زمن العيش وكسبه.

(١٠) **ينشئ** الله السحب ثقيلة من الماء بما وضع من الأسرار في الهواء والبحار وهو الذي يرسل الصواعق وهي المحرقات من قدحات البرق فيصيب بها من يشاء نكالًا له وعقابًا.

(١١) **التخوم** جمع تخم بالفتح والضم وهي الحدود أي ما تحت نهايات الأرض السفلى.

ٱلْمُرْسَلِينَ. مُحَمَّدٍ وَآلِهِ ٱلطَّاهِرِينَ. وَأَنْ تُعِينَنِي عَلَى ٱلْغُرْبَةِ أَثْنِي حَبْلَهَا(١). وَعَلَى ٱلْعُسْرَةِ أَعْدُو ظِلَّهَا. وَأَنْ تُسَهِّلَ لِي عَلَى يَدَيْ مَنْ فَطَرَتْهُ ٱلْفِطْرَةُ(٢). وَأَطْلَعَتْهُ ٱلطُّهْرَةُ. وَسَعِدَ بِٱلدِّينِ ٱلْمَتِينِ. وَلَمْ يَعْمَ عَنِ ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ. رَاحِلَةً تَطْوِي هٰذا ٱلطَّرِيقَ(٣). وَزَادًا يَسَعُنِي وَٱلرَّفِيقَ. قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ: فَنَاجَيْتُ نَفْسِي(٤) بِأَنَّ هٰذا ٱلرَّجُلَ أَفْصَحُ مِنْ إِسْكَنْدَرِيِّنَا أَبِي ٱلْفَتْحِ وَٱلْتَفَتُّ لَفْتَةً فَإِذَا هُوَ وَٱللّٰهِ أَبُو ٱلْفَتْحِ. فَقُلْتُ يَا أَبَا ٱلْفَتْحِ بَلَغَ هٰذِهِ ٱلأَرْضَ كَيْدُكَ(٥). وَٱنْتَهَى إِلَى هٰذا ٱلشِّعْبِ صَيْدُكَ. فَأَنْشَأَ يَقُولُ:

أَنَا جَوَّالَةُ ٱلْبِلَا ... دِ وَجَوَّابَةُ ٱلأُفُقْ(٦)
أَنَا خُذْرُوفَةُ ٱلزَّمَا ... نِ وَعَمَّارَةُ ٱلطُّرُقْ(٧)

---

(١) كأنه جعل الغربة دابة خبيثة حملته فشردت به فيسأل أن يعينه عليها حتى يثني حبلها. **وحبلها** ما يقودها به ويزمها فإذا ثناه أي عطفه إلى ناحية الوطن أدّت به إليه فتخلص منها. وخيل **العسرة** دخانًا قاتمًا له ظل غير ظليل فسأل اللّٰه أن يعينه عليها حتى يفوت ظلّها. وقد يكون التشبيه بشخص مطلقًا له ظل. وعدا ظلّه أي فارقه فهو يسأل اللّٰه فراق العسرة.

(٢) **الفطرة** الدين أو الاستعداد القريب لقبوله. وفطرته أي أنشأته وجبلته. يسأل اللّٰه أن يسهّل له راحة وزادًا على يد شخص صنع الدين وقوم طبعه لأن الخير إنما يكون عن طباع الدين الصحيح غالبًا. **والطهرة** النقاء والخلوص من الأدران. واطلعته كما يطلع الفلك نجمه أي تولد من أصول طاهرة نقية.

(٣) **راحلة** مفعول تسهل. وتخيل الطريق حبلًا كما قطع منه مسافة فكأنه طوى منه جزءًا، وزادًا معطوف على راحلة. **والرفيق** معطوف على ضمير المفعول في يسعني أي يكفيني ويكفي رفيقي.

(٤) **ناجيت** نفسي حدثتها وما يردده الشخص في خياله من القضايا يسمى حديث النفس.

(٥) **الكيد** الحيلة والجملة على الاستفهام أي هل بلغت حياتك هذه الأرض.

(٦) **الجوال** وصف مبالغة من جال بمعنى طاف ودار والتاء فيه لزيادة المبالغة. **والجواب** من جاب الأرض أي قطعها. **والأفق** ما ينتهي إليه البصر من محيط الأرض. فهو الذي يقطع حدود البسيطة على تباعدها في تطوافه.

(٧) **الخذروفة** مؤنث الخذروف وهو عصا مثقوبة تجعل فيها الصبيان خيطًا ويلعبون بها فيديرونها فوق رؤوسهم بسرعة تامة وقد يشبهون به الخيل في سرعة العدو كما قال امرؤ القيس في وصف فرسه درير:

كخذروف الوليد أمره ... تتابع كفيه بخيط موصل

والدرير الذي يدر العدو كما تدر الناقة اللّبن. **وعمارة** الطرق وصف من العمارة للمبالغة أيضًا أي أن الزمان يديره من مكان إلى مكان كما يدير الصبي خذروفته وهو يعمر الطرق فلا تخلو منه.

لَا تَلُمْنِي لَكَ ٱلرَّشَا دُ عَلَى كُدْيَتِي وَذُقْ[(١)]

(١) ينهاه عن لومه ويدعو له بالرشاد والاهتداء إلى الصواب. والكدية سؤال الناس واستعطاؤهم. ثم يأمره بذوق لذة الكدية فإنه إن ذاقها حرص عليها ولم يلم أهلها لما فيها من لذة الاسترزاق بلا تعب.

المقَامَةُ الجُرجَانيّة

حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قال: بَيْنَا نَحْنُ بِجُرْجَانَ(١) فِي مَجْمَعٍ لَنَا نَتَحَدَّثُ وَمَا فِينَا إِلَّا مِنَّا(٢). إِذْ وَقَفَ عَلَيْنَا رَجُلٌ لَيْسَ بِٱلطَّوِيلِ ٱلْمُتَمَدِّدِ. وَلَا ٱلْقَصِيرِ ٱلْمُتَرَدِّدِ(٣). كَثُّ ٱلْعُثْنُونِ(٤) يَتْلُوهُ صِغَارٌ فِي أَطْمَارٍ(٥). فَٱفْتَتَحَ ٱلْكَلَامَ بِٱلسَّلَامِ. وَتَحِيَّةِ ٱلإِسْلَامِ. فَوَلَّانَا جَمِيلًا(٦). وَأَوْلَيْنَاهُ جَزِيلًا. فَقَالَ: يَا قَوْمُ إِنِّي ٱمْرُؤٌ مِنْ أَهْلِ ٱلإِسْكَنْدَرِيَّةِ مِنَ ٱلثُّغُورِ ٱلأُمَوِيَّةِ(٧). نَمَتْنِي سُلَيْمٌ وَرَحَّبَتْ بِي عَبْسٌ(٨). جُبْتُ ٱلآفَاقَ(٩). وَتَقَصَّيْتُ ٱلْعِرَاقَ. وَجُلْتُ ٱلْبَدْوَ وَٱلْحَضَرَ(١٠). ....

---

(١) **جرجان** من مدن بلاد الترك المستقلة من خانيق خيوا.

(٢) أي ليس فينا أحد إلّا من هو من جماعتنا الخاصة لا غريب بيننا.

(٣) **المُتردّد** من مطاوع ردده مبالغة في ردّه وكأن النمو كان يطلب حدًّا فرد عنه. لهذا قيل للقصير جدًا متردد في مقابلة المتمدد للطويل.

(٤) **العثنون** اللّحية. **وكثها** كثيفها.

(٥) ثياب بالية جمع طمر. وفي نسخة: يعلوه روع صفار في أطمار إلخ. **والروع** الفزع. **والصفار** بالضم حية يزعمونها في البطن تلتصق بالضلوع فتعضها عند الجوع. أي يعلو وجهه الخوف من تلك الحية أن تعضه لفراغ جوفه كناية عن الجوع ويكون «في أطمار» وصف آخر له بعد وصفه بجملة يعلوه.

(٦) **ولّانا** استقبل بنا أمرًا حسنًا من لفظه فيما حيانا به أي وجّه قلوبنا إليه. **وأوليناه** جزيلًا صنعنا به معروفًا جزيلًا أي عظيمًا بالإحسان في ردّ تحيته والترحيب به.

(٧) **الأُموية** بضم الهمزة نسبة إلى بني أمية ويقال الأموية بالفتح وهو من شذوذ النسب وأراد **بالإسكندرية** مدينة في ثغور الأندلس لا اسكندرية مصر المشهورة.

(٨) **نماه** حسبه ونسبه رفعه ومجّده. **سليم** قبيلة من قبائل العرب والنسب إليها لمما يعلي مقام المنتسب. **وعبس** كذلك قبيلة كبيرة من بني عم سُلَيم تجتمعان في قيس بن عيلان فإن كان ثابت النسب في سُلَيم لم تنكره عبس بل ترحب به ومراده أنه في نسب رفيع. ويروى: ربيت في عبس.

(٩) **جاب** الآفاق قطعها بسيره فيها. **وتقصّى** العراق أي أتى على أقصاه تسيارًا.

(١٠) **البدو** منازل الرعاة والقوام على الماشية من الرحل وقد يدخل فيهم أهل المدر والرساتيق من القائمين على حراثة الأرض والعمل فيها بأيديهم. **والحضر** مساكن المدنيين من أهل =

وَدَارَيْ رَبِيعَةَ وَمُضَرَ(١). مَا هُنْتُ. حَيْثُ كُنْتُ(٢). فَلَا يُزْرِيَنَّ بِي عِنْدَكُمْ مَا تَرَوْنَهُ مِنْ سَمَلِي وَأَطْمَارِي(٣). فَلَقَدْ كُنَّا وَٱللَّهِ مَنْ أَهْلِ ثَمٍّ وَرَمٍّ(٤) نُرْغِي لَدَى ٱلصَّبَاحِ. وَنُثْغِي عِنْدَ ٱلرَّواحِ(٥):

وَفِينَا مَقَامَاتٌ حِسَانٌ وُجُوهُهُمْ وَأَنْدِيَةٌ يَنْتَابُهَا ٱلْقَوْلُ وَٱلْفِعْلُ(٦)
عَلَى مُكْثِرِيهِمْ رِزْقُ مَنْ يَعْتَرِيهِمِ وَعِنْدَ ٱلْمُقِلِّينَ ٱلسَّمَاحَةُ وَٱلْبَذْلُ(٧)

ثُمَّ إِنَّ ٱلدَّهْرَ يَا قَوْمُ قَلَبَ لِي مِنْ بَيْنِهِمْ ظَهْرَ ٱلْمِجنِّ(٨). فَٱعْتَضْتُ بِٱلنَّوْمِ ٱلسَّهَرَ.

= الصناعة والتجارة والارتزاق من سبل التفكير والعمل العقلي.

(١) **ربيعة ومضر** أبوا شعبين عظيمين من الشعوب العربية. **وداراهما** منازل قبائلهما بأطراف الجزيرة وفيما بين النهرين. وديار ربيعة كانت معروفة في سنجار ونصيبين بالجزيرة الفراتية.

(٢) **هُنْتُ** من الهون وهو الذل أي كان معززًا لنسبه حيث كان فيما نزل من الديار.

(٣) **ازرى** به وضع منه أي فلا ينقصن قدري عندكم ما يظهر من لباسي. **والسَمَل** بالتحريك الثوب الخلق. **والأطمار** جمع طمر يريد هنا الثوب المرقّع.

(٤) أي إنهم كانوا من المكنة بحيث يمكنهم أن يصلحوا من شأن غيرهم فضلًا عن شأن أنفسهم. وجاء في كلامهم «نحن أهل ثمة ورمة» أي أهل إصلاح شأنه والاهتمام به، **وثم ورم** كلاهما في معنى الإصلاح.

(٥) **نرغي** قد يكون من أرغى الرجل إذا أعطى الراغية وأحسن بها إلى غيره. **والراغية** الإبل وصوتها رغاء أي نعطي الإبل صباحًا. ومثله **اثغى** أي نعطي **الثاغية** وهي الغنم مساء وصوت الغنم ثغاء فمن بات عندنا ردنا في إكرامه بهبة الإبل ومن مرّ طارقًا منحناه الشاء. وقد يكون من أرغى وأثغى إذا حمل الإبل على الرغاء والشاء على الثغاء بجرها إلى الذبح والنحر وفي النهار سعة لنضج لحم الجزور فينحرونها وفي الليل ضيق على الجائع فيعجل له بذبح الغنم.

(٦) يريد أن رجاله ومن كان يعتصب بهم ويرجع إليهم في حسبه كانت لهم **مقامات** يقومون فيها لمفاخرة غيرهم من الأقوام فيظهر الحسن في وجوههم لغلبتهم على من يساجلهم في المفاخر والغالب يزهر وجهه. وإضافة الوجوه إلى ضمير المقامات على ضرب من التسمح وإلّا فالحسن لوجوه ذويها. **والأندية** جمع ناد وهو مجتمع القوم للتشاور أو للتحاور. يزعم أن مجالسهم تنتابها أي تنتهي إليها **نوبات** القول فهم يفصلون الحكم به على من شاؤوا ونوبات الفعل في المكارم إذا عجز الناس عن مكرمة ردّت إليهم فقاموا بها.

(٧) في المقلين منهم سماحة وبذل وهما من مفاخر الأغنياء من غيرهم. **والمكثرون** منهم متكفلون برزق **معتريهم** أي من يغشاهم لطلب معروفهم لا يكتفون من إكرامه إلّا بغناه عن استجداء غيرهم.

(٨) **قلب** له ظهر المجن أي تنكر له بالغدر من بينهم أي دون سائرهم والقوم من شرفهم فيما وصف.

وَبِالْإِقَامَةِ ٱلسَّفَرَ. تَتَرَامَى بِيَ ٱلْمَرَامِي[(١)]. وَتَتَهَادَى بِيَ ٱلْمَوَامِي[(٢)]. وَقَلَعَتْنِي حَوَادِثُ ٱلزَّمَنِ قَلْعَ ٱلصُّمْغَةِ[(٣)]. فَأُصْبِحُ وَأُمْسِي أَنْقَى مِنَ ٱلرَّاحةِ وَأَعْرَى مِنْ صَفْحَةِ ٱلْوَلِيدِ[(٤)]. وَأَصْبَحْتُ فَارِغَ ٱلْفِنَاءِ[(٥)]. صِفْرَ ٱلْإِنَاءِ. مَا لِي إِلَّا كَآبَةُ ٱلأَسْفَارِ[(٦)]. وَمُعَاقَرَةُ ٱلسِّفَارِ[(٧)]. أُعَانِي ٱلْفَقْرَ وَأُمَانِي ٱلْقَفْرَ[(٨)]. فِرَاشِي ٱلْمَدَرُ. وَوِسَادِي ٱلْحَجَرُ[(٩)]:

بِـآمِـدَ مَـرَّةً وَبِـرَأْسِ عَـيْـنٍ ... وَأَحْـيَـانًـا بِـمَـيَّـافَـارِقِـيـنَـا[(١٠)]
لَـيْـلَـةً بِـالـشَّـآمِ ثُـمَّـتَ بِـالْأَهْـوَازِ ... رَحْـلِـي وَلَـيْـلَـةً بِـالْـعِـرَاقِ

فَمَا زَالَتِ ٱلنَّوَى تَطْرَحُ بِي كُلَّ مَطْرَحٍ[(١١)] حَتَّى وَطِئْتُ بِلَادَ ٱلْحَجَرِ وَأَحَلَّتْنِي بَلَدَ

---

(١) **المرامي** جمع مرمى بكسر أوله وهو آلة الرمي أي إن مرمى يرمى به آخر فهو لا يزال من مرمى، فالمرامي تترامى به أي يرمي كل منهما صاحبه. وفي رواية: الموامي بدل المرامي والمعامي بدل الموامي. **والمعامي** المجاهل جمع معماة: موضع العماية.

(٢) **الموامي** جمع موماة وهي الفلاة وكل فلاة تقدمه إلى فلاة أخرى فكأنها تتهادى به أي يعطيه كل منها إلى الآخر على طريق الهدية. ووجه التمثيل في الفقرتين ظاهر.

(٣) فصلته حوادث الزمن عن ملتحم النعمة كما تفصل الصمغة عن شجرتها فلا يبقى لها أثر فيها.

(٤) مثل في الفقر فإن **راحة** الكف أي باطنه نقية من الشعر. **وصفحة** الوليد أي وجه الولد الأول ولادته كذلك فهو من مواد الرزق أعرى من الراحة ووجه الوليد من الشعر.

(٥) **الفناء** الساحة. **وفراغه** خلوّه من جولة المال بأنواعه. **وصفر** الإناء فارغه كناية عن الإعدام فإن الآنية إذا خلت مما يوضع فيها كان ذلك أشد الفاقة.

(٦) أي ليس له من المال إلّا ما تجلبه الأسفار على وجهه من هيآت الحزن والكمد.

(٧) **المعاقرة** الملازمة. **والسفار** جلدة توضع على أنف البعير بمنزلة الحكمة للفرس أي ملازمة قود الناقة بزمامها ونحوه.

(٨) **معاناة** الفقر احتمال العناء والنصب في مدافعة فتكاته. **ومماناة** القفر أي الأرض الجدبة التي هو دائمًا فيها ينتقل من ماحل إلى أمحل منه مداراة لها كأنها تريد اغتياله وهو يداريها للتخلص منها.

(٩) **المَدَرُ** الطين اليابس. **والوساد** ما يوضع تحت الرأس.

(١٠) **آمد ورأس العين وميافارقين** بلاد متنائية. **وآمد** هي التي تسمى الآن ديار بكر. **والشام والأهواز والعراق** أقطار متخالفة.

(١١) أراد من النوى همّه الحامل له على السفر أو البعد عن أوطانه ومقدار راحته. **وتطرح** به كل مطرح ترمي به في كل مرمى وتقذفه في كل مهوى. وقوله حتى **وطئت** به كأنه يمثل النوى في صورة دابة لم يزل مقتعدًا لها حتى داست به بلاد الحجر بالتحريك. ولعله يريد بلاد الجبل التي توجد همذان في وسطها.

هَمَذَانَ. فَقَبِلَنِي أَحْيَاؤُهَا[١]. وَٱشْرَأَبَّ إِلَيَّ أَحِبَّاؤُهَا[٢]. وَلَكِنّي مِلْتُ لِأَعْظَمِهِمْ جَفْنَةً. وَأَزْهَدِهِمْ جَفْوَةً منْ رجُلٍ لهُ أُسْوَةٌ بالرسُولِ وعلائقُ من مُحْكَمِ التنْزِيلِ:

لَـهُ نَـارٌ تُـشَـبُّ عَـلَـى يَـفَـاعٍ ... إِذَا ٱلـنِّـيـرَانُ أُلْـبِـسَـتِ ٱلْـقِـنَـاعَـا[٣]

فَوَطَّأَ لِي مَضْجَعًا. وَمَهَّدَ لِي مَهْجَعًا[٤]. فَإِنْ وَنَى لِي وُنْيةً هَبَّ لِيَ ٱبْنٌ كَأَنَّهُ سَيْفُ يَمَانٍ[٥]. أَوْ هِلَالٌ بَدَا فِي غَيْرِ قَتَمَانٍ[٦]. وَأَوْلَانِي نِعَمًا ضَاقَ عَنْهَا قَدْرِي[٧]. وَٱتَّسَعَ بِهَا صَدْرِي. أَوَّلُهَا فَرْشُ ٱلدَّارِ. وَآخِرُهَا أَلْفُ دِينَارٍ. فَمَا طَيَّرَتْنِي إِلَّا ٱلنِّعَمُ.

---

(١) **الأحياء** جمع حي وهو محلة القوم ومنزلهم والمراد أهل الأحياء وقد يطلق الحي على القوم أنفسهم.

(٢) **اشرأبَّ** مد عنقه ليستطلع شيئًا. **واحباؤها** أي أحبتي من أهلها أو محبوها وهم كل أهلها. يريد أنهم استتبعوه أبصارهم وأقبلوا عليه بالاحتفاء تعظيمًا لفضله. **واعظمهم جفنة** أكثرهم للناس إطعامًا وأغزرهم مالًا وأرحبهم للضيفان صدرًا كنى عن ذلك بسعة **الجفنة** وهي القصعة العظيمة. **وازهدهم جفوة** أي أبعدهم عن الجفوة والغلظة. وفي نسخة بعد جفوة. «له أسوة بالرسول» أي في الكرم والسخاء «وعلائق من محكم التنزيل» لأن التنزيل يدعو إلى مكارم الأخلاق ومنها إيواء الضيف وإكرام النزيل.

(٣) **اليفاع** المرتفع من الأرض. وتشب توقد. **والقناع** ما يستر به الوجه ثم يراد به ما يستر وجه شيء مطلقًا. يريد أن هذا الكريم الذي مال إليه أي نزل عنده توقد نيراه على أعالي الأرض ليهتدي الناس إليها لالتماس القرى في أوقات الفاقة التي يستر الناس فيها نيرانهم خشية أن يعشو إليهم من يرزأهم في طعامهم.

(٤) **التوطئة والتمهيد** يذهبان في المعنى مذهبًا واحدًا. **والمضجع والمهجع** يتخالفان في المفهوم يتصادقان في الذات. الأول مكان الاضطجاع وهو لا يستلزم النوم. أما **المهجع** فهو مكان النوم. والمراد أنه أعدّ له محلًا ينام فيه.

(٥) **وَنَى وُنْيَة** فتر فترة. **وهَبَّ** أي نشط وأسرع في خدمتي وتشبيه الولد بالسيف اليماني في مضائه ونفاذه لقضاء حاجات نزيله.

(٦) أراد من **القتمان** الأقتم أي المغبر، **والهلال** إذا بدا في جو صاف لا قتمة فيه شق ضوؤه ظلام الليل فكذلك هذا الغلام يكشف بهمّته ما تظلم به النفوس من كدر الحاجة. وفي نسخة: كان شنف أبكار أو هلال بدا في غير أقمار. **والشنف** بالفتح القرط الأعلى. **والأبكار** العذارى من الجواري. والتشبيه به في جمال الموقع وحسن الوضع وليس بشيء جيد. والهلال إذا بدا وحده ولم يكن معه أقمار كان ضوؤه أظهر والحاجة إليه أمس.

(٧) **ضاق قدره** عنها أي أن قدره في مثل حالته تلك أحط من أن يغمر بتلك النعم فالنعم كان أوسع مما يطلب قدره.

حَيْثُ تَوَالَتْ. وَٱلدِّيَمُ لَمَّا ٱنْثَالَتْ[١]. فَطَلَعْتُ مِنْ هَمَذَانَ طُلُوعَ ٱلشَّارِدِ[٢]. وَنَفَرْتُ نِفَارَ ٱلآبِدِ. أَفْرِي ٱلْمَسَالِكَ[٣]. وَأَقْتَفِرُ ٱلْمَهَالِكَ[٤]. وَأُعَانِي ٱلْمَمَالِكَ. عَلَى أَنِي خَلَّفْتُ أُمَّ مَثْوايَ وَزُغْلُولًا لِي[٥]:

كَـأَنَّــهُ دُمْــلُـجٌ مِــنْ فِـضَّــةٍ نَـبَـهٌ فِي مَلْعَبٍ مِنْ عَذَارَى ٱلْحَيِّ مَفْصُومُ[٦]

وَقَدْ هَبَّتْ بِي إِلَيْكُمْ رِيحُ ٱلأَحْتِيَاجِ. وَنَسِيمُ ٱلإِلْفَاجِ[٧]. فَٱنْظُرُوا رَحِمَكُمُ ٱللَّهُ لِنِقْضٍ مِنَ ٱلأَنْقَاضِ مَهْزُولٍ[٨]. هَدَتْهُ ٱلْحَاجَةُ وَكَدَّتْهُ ٱلْفَاقَةُ:

أَخَـا سَـفَـرٍ جَـوَّابَ أَرْضٍ تَـقَـاذَفَـتْ بِـهِ فَـلَـوَاتٌ فَـهُـوَ أَشْـعَـثُ أَغْـبَـرُ

جَعَلَ ٱللَّهُ لِلْخَيْرِ عَلَيْكُمْ دَلِيلًا. وَلَا جَعَلَ لِلشَّرِ إِلَيْكُمْ سَبِيلًا. قَالَ عِيسَى بْنُ

---

(١) **الديم** جمع ديمة وهي المطر يدوم في سكون بلا رعد ولا برق ولا يكون إلّا كثير الدوام زمنًا طويلًا وهو أفضل ما يشبه به فيض أهل السماحة لخلوّه من التكلف والمن. **وانثالت** أي انصبت.

(٢) **طلع** من المكان خرج منه. **والشارد** من نحو شرد البعير إذا نفر. **والآبد** الوحش الذي لا يأنس إلى الإنسان. يريد أن غزارة النعمة أبطرته فطاش به البطر فأخرجه من همذان على غير روية ولو عقل للزم مورد النعمة.

(٣) **فرى المسالك** قطعها حتى وصل إلى نهايتها.

(٤) **اقتفر المهالك** أي أقتفيها كأنها تؤمه وهو يتبعها. **ومعاناة** الممالك مقاساة المشقة في اختراق أراضيها على غير معونة من أهاليها.

(٥) **وأمّ مَثْواه**. أي أم بيته كناية عن زوجته أم أولاده. **والزغلول** الطفل.

(٦) **الدملج** حلي من فضة تلبسه النساء في معاصمها. وإذا أرادوا التعبير عن إتقان صانع لمصنوع قالوا دملجه. فالتشبيه هنا في اعتدال الخلق وحسنه. **والنبه** الشريف أراد منه هنا النفيس. وفي ملعب متعلق **بمفصوم** ويقال: سوار ودملج مفصوم أي فيه كسر في غير بينونة وحقيقة الفصم ذلك. يقال: فصم وما قسم. يريد أن ذلك الطفل البديع إذا وجد في ملاعب عذارى الحي كان مصدع القلب لغيبة أبيه وقلة ما يتحمل به بينهن.

(٧) **الإلفاج** من الفجه إذا أحوجه إلى غير أهله. ويقال للإفلاس إلفاج أيضًا. وإضافة النسيم إلى الإلفاج أبرد من نسيم الشمال في صبارة البرد بأرض انكلاند. وكان اللازم أن يبدّل النسيم بالإعصار أو الزعزع أو ما ينحوها.

(٨) **النقض** بالكسر يريد به المهزول من الاغذاذ في السير. **وهَدَتْهُ** الحاجة دلّته على من يدفعها من الكرام. ويروى هدّته بتشديد الدال أي هدّمته وضعضعته. **وكدّتهُ** أتعبته. والفاقة أشد ما يكون من الحاجة. ويروى: **حدّته** الفاقة أي ساقته.

هِشَام: فَرَقَّتْ وَٱللّٰهِ لَهُ ٱلْقُلُوبُ: وَٱغْرَوْرَقَتْ لِلُطْفِ كَلَامِهِ ٱلْعُيُونُ(١). وَنِلْنَاهُ مَا تَاحَ فِي ذٰلِكَ ٱلْوَقْتِ(٢). وَأَعْرَضَ عَنَّا حَامِدًا لَنَا. فَتَبِعْتُهُ فَإِذَا هُوَ وَٱللّٰهِ شَيْخُنَا أَبُو ٱلْفَتْحِ ٱلْإِسْكَنْدَرِيُّ.

---

(١) اغرورقت العينان دمعتا فكأنهما غرقتا في الدموع.

(٢) نلناه أعطيناه. وما تاح أي وما تهيّأ وحضر. وفي رواية بعد حامدًا لنا وهو يقول:

عجبت لمفتون بخلف بعده لصاحبه ما كان جمع من كسب
حووا ما له لم استهلوا لقبره ببادي بكاء تحته ضحك القلب

وأراد من صاحبه وارثه وهو للجنس أي وراثه. والضمير في حووا يعود إليهم أي إنهم هاموا في حبّ ماله. واستهلوا رفعوا أصواتهم بظاهر بكاء على فقده وتحت ذلك ضحك قلوبهم لأخذ ماله.

المقَامَة الأصْفهانيَّة

حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ: كُنْتُ بِأَصْفَهَانَ(١) أَعْتَزِمُ ٱلْمَسِيرَ إِلَى ٱلرَّيِّ فَحَلَلْتُهَا حُلُولَ ٱلْفَيِّ(٢). أَتَوَقَّعُ ٱلْقَافِلَةَ كُلَّ لَمْحَةٍ. وَأَتَرَقَّبُ ٱلرَّاحِلَةَ كُلَّ صَبْحَةٍ(٣). فَلَمَّا حُمَّ مَا تَوَقَّعْتُهُ(٤). نُودِيَ لِلصَّلَاةِ نِدَاءً سَمِعْتُهُ. وَتَعَيَّنَ فَرْضُ ٱلْإِجَابَةِ(٥). فَٱنْسَلَلْتُ مِنْ بَيْنِ ٱلصَّحَابَةِ. أَغْتَنِمُ ٱلْجَمَاعَةَ أُدْرِكُهَا. وَأَخْشَى فَوْتَ ٱلْقَافِلَةِ أَتْرُكُهَا. لٰكِنِّي ٱسْتَعَنْتُ بِبَرَكَاتِ ٱلصَّلَاةِ. عَلَى وَعْثَاءِ ٱلْفَلَاةِ(٦) فَصِرْتُ إِلَى أَوَّلِ ٱلصُّفُوفِ. وَمَثَلْتُ لِلْوُقُوفِ(٧).

---

(١) **أصفهان** مدينة من مدن إيران وكانت دار سلطنتها قبل أن تصير طهران عاصمة المملكة ويقال أصبهان بالباء الموحدة أيضًا. **والرّي** من مدن مملكة إيران من قسم الديلم والنسبة إليها رازي.

(٢) **الفيّ** هو الفيء أي الظل. والظل لا يثبت بل ينتقل بانتقال الشمس. أي إنه حلّ المدينة على نية الترحال كما أن الظل إذا حلّ مكانًا حلّه على أن ينتقل بطبعه.

(٣) **القافلة** الجماعة من الناس في السفر يأتلفون فيه ليتعاونوا على مشاقه ويتحفّظوا من أخطاره. وقلّما تسنّى السفر لشخص واحد في المسافات الطويلة. فهو كان ينتظر ورود القافلة السائرة إلى الري. **والراحلة** مثل القافلة وتسميتها بالراحلة أوفق بوصفها من تسميتها بالقافلة لأن القافلة من قفل إذا رجع فكأنهم سمّوا جماعة المسافرين بالقافلة للتفاؤل برجوعها.

(٤) **حُمَّ** الأمر قضي. والذي توقعه هو ما كان ينتظر وقوعه من ورود القافلة والراحلة.

(٥) **تحتّمت** عليه فريضة إجابة المنادي للصلاة ولزمه أن يذهب لأدائها فانسلّ أي خرج من بين أصحابه على غفلة منهم ليغتنم الثواب في الصلاة مع الجماعة خلف إمامهم فإن أجر ذلك أجزل من أجر الصلاة منفردًا وهو مع ذلك كان يخشى فوت القافلة وسفرها قبل التمكن من مصاحبتها لو اشتغل بالصلاة وتركها. وجملة أتركها حال من القافلة أي خشيت فواتها حال كوني تاركًا لها.

(٦) **وعثاء الفلاة** ما يلحق المسافر من التعب والمشقة في قطعها أي أنه قصد أن يقدم الصلاة حتى يستعين ببركتها على مشقة السفر وهذا الذي حمله على النهوض إليها مع خشية فوت القافلة. أو أنه رجا أن تكون بركة الصلاة واقية له من الوعثاء التي تناله من فوت القافلة فيثبط الله القافلة عن التعجّل حتى يدركها.

(٧) **مثل** يمثل انتصب قائمًا.

وَتَقَدَّمَ ٱلْإِمَامُ إِلَى ٱلْمِحْرَابِ. فَقَرأَ فَاتِحَةَ ٱلْكِتَابِ بِقِرَاءَةِ حَمْزَةَ. مَدَّةً وَهَمْزَةً(١). وَبِيَ ٱلْغَمُّ ٱلْمُقِيمُ ٱلْمُقْعِدُ فِي فَوْتِ ٱلْقَافِلَةِ(٢). وَٱلْبُعْدِ عَنِ ٱلرَّاحِلَةِ. وَأَتْبَعَ ٱلْفَاتِحَةَ ٱلْوَاقِعَةَ وَأَنَا أَتَصَلَّى نَارَ ٱلصَّبْرِ وَأَتَصَلَّبُ(٣). وَأَتَقَلَّى عَلَى جَمْرِ ٱلْغَيْظِ وَأَتَقَلَّبُ. وَلَيْسَ إِلَّا ٱلسُّكُوتُ وَٱلصَّبْرُ. أَوِ ٱلْكَلَامُ وَٱلْقَبْرُ(٤). لِمَا عَرَفْتُ مِنْ خُشُونَةِ ٱلْقَوْمِ فِي ذٰلِكَ ٱلْمَقَامِ. أَنْ لَوْ قُطِعَتِ ٱلصَّلَاةُ دُونَ ٱلسَّلَامِ(٥). فَوَقَفْتُ بِقَدَمِ ٱلضَّرُورَةِ. عَلَى تِلْكَ ٱلصُّورَةِ. إِلَى ٱنْتِهَاءِ ٱلسُّورَةِ. وَقَدْ قَنِطْتُ مِنَ ٱلْقَافِلَةِ(٦). وَأَيِسْتُ مِنَ ٱلرَّحْلِ وَٱلرَّاحِلَةِ. ثُمَّ حَنَى قَوْسَهُ لِلرُّكُوعِ(٧). بِنَوْعٍ مِنَ ٱلْخُشُوعِ. وَضَرْبٍ مِنَ ٱلْخُضُوعِ. لَم أَعْهَدْهُ مِنْ قَبْلُ. ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَيَدَهُ. وَقَالَ سَمِعَ ٱللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ. وَقَامَ حَتَّى مَا شَكَكْتُ أَنَّهُ قَدْ نَامَ. ضَرَبَ

---

(١) **فاتحة الكتاب** هي سورة الحمد لله رب العالمين من القرآن وليس فيها من الهمز والمد ما تظهر فيه رواية حمزة ولكنه قصد أن الإمام رتّلها وأدّى كل حرف حقّه وبلغ بكل مد طبيعي حدّه حتى كأنه يتلو. برواية حمزة من الآيات ما فيه مد وهمزة. وفي نسخة: وثني بالأحزاب بقراءة حمزة إلخ وعلى هذا فالمعنى ظاهر فإن الأحزاب من السور الطويلة وفيها من المد والهمز ما تظهر فيه قراءة حمزة لكن ينافي صحة هذه النسخة قوله فيما بعد واتبع الفاتحة الواقعة فإن الركعة لا يقرأ فيها بعد الفاتحة إلّا سورة واحدة فالصواب نسختنا ليس غير. ولحمزة في الهمز والمد ما يطول به النطق ويتمدد اللفظ ولبعض القرّاء غيره مثله أيضًا إلّا أنه اختاره لتميزه عنهم في معظم ما فيه همز ومد ولتتوافق السجعات أيضًا. **وحمزة** هذا هو أحد القرّاء السبعة الذين رُوي عنهم هيئة النطق في القرآن وليسوا رواة القرآن كما يتوهّمه غير العارف فإن القرآن متواتر روته طبقة عن طبقة لا يحصر عدد من رواه.

(٢) **الغم** إذا اشتد بالمغموم أقلقه فتارة يقيمه وتارة يقعده لا يستقر به على حال. والشيخ دخل في الصلاة وبه مثل هذا الكرب خوف فوات القافلة والإمام يرتّل التلاوة ويسير بالمأمومين سير البطيء. وزاد غم الشيخ عيسى أن الإمام بعد ما قرأ الفاتحة اتبعها بسورة الواقعة وهي سورة من طوال المفصل وفيها تظهر رواية حمزة في مده وهمزه.

(٣) **تصلى** النار قاسى حرّها. **وتصلب** تشدد وتجلد والصبر على مثل هذه الحالة كأنه نار يتقلى عليها الصابر. **وتقلى** على الجمر تفعل من قلا اللحم إذا شواه والغيظ من تطويل الإمام.

(٤) إذا تكلم قتل وحمل إلى القبر. وبين ذلك بأن القوم كانوا في خشونة وصلابة دين لا يدعون من قطع الصلاة حتى يقتلوه.

(٥) أي قبل أن يسلم الإمام فأسلم معه. والسلام خاتمة الصلاة.

(٦) **القنوط** اليأس.

(٧) إذا انحنى الراكع كان بدنه على هيئة قوس فكأن البدن عود يتشكل بشكل القوس إذا انحنى فأراد من قوسه بدنه وإنما سماه قوسًا باعتبار بعض أحواله.

بِيَمِينِهِ. وَأَكَبَّ لِجَبِينِهِ[(١)]. ثُمَّ ٱنْكَبَّ لِوَجْهِهِ وَرَفَعْتُ رَأْسِي أَنْتَهِزُ فُرْصَةً. فَلَمْ أَرَ بَيْنَ ٱلصُّفُوفِ فُرْجَةً. فَعُدْتُ إِلَى ٱلسُّجُودِ. حَتَّى كَبَّرَ لِلْقُعُودِ. وَقَامَ ابْنُ الزَّانيةِ إِلَى ٱلرَّكْعَةِ ٱلثَّانِيَةِ. فقرأَ ٱلْفَاتِحَةَ وَٱلْقَارِعَةَ قِرَاءَةً ٱسْتَوْفَى بِهَا عُمْرَ ٱلسَّاعَةِ. وَٱسْتَنْزَفَ أَرْوَاحَ ٱلْجَمَاعَةِ[(٢)]. فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ رَكْعَتَيْهِ. وَأَقْبَلَ عَلَى ٱلتَّشَهُّدِ بِلَحْيَيْهِ. ومَالَ إِلَى ٱلتَّحِيَّةِ بِأَخْدَعَيْهِ[(٣)]. وَقُلْتُ قَدْ سَهَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمَخرَجَ. وَقَرَّبَ ٱلْفرَجَ. قَامَ رَجُلٌ وَقَالَ: مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُحِبُّ ٱلصَّحَابَةَ وَٱلْجَمَاعَةَ. فَلْيُعِرْنِي سَمْعَهُ سَاعَةً[(٤)]. قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ: فَلَزِمْتُ أَرْضِي. صِيَانَةً لِعِرْضِي[(٥)]. فَقَالَ: حَقِيقٌ عَلَيَّ أَنْ لَا أَقُولَ غَيْرَ ٱلْحَقِّ[(٦)]. وَلَا أَشْهَدَ إِلَّا بِٱلصِّدْقِ. قَدْ جِئْتُكُمْ بِبِشَارَةٍ مِنْ نَبِيِّكُمْ لٰكِنِّي لَا أُؤَدِّيها حَتَّى يُطَهِّرَ ٱللَّهُ هٰذَا

---

(١) **ضرب** بيمينه أهوى بها إلى الأرض ليسجد. **واكب** لجبينه سقط إلى الأرض بشق وجهه كأنه في السجود كان معتمدًا على شقه الأيمن ثم انكب على وجهه ليؤدي حق السجود وأطال فيه فرفع الشيخ عيسى رأسه لعله ينتهز فرصة للفرار من الصلاة وهم ساجدون فلم يجد فرجة بين الصفوف يسلك منها في هربه. وفي نسخة بدل فرصة خرجة أي رفع رأسه يلتمس خروجًا.

(٢) **الساعة** ساعة القيامة. **واستوفى** عمرها أتى في قراءة على زمان يساوي ما بيننا وبينها أي استوفى العمر الذي في نهايته تكون الساعة مبالغة في التطويل. **واستنزف** أرواح الجماعة استخرجها كلها مبالغة في إثقاله عليهم بتطويله كأنه قتلهم.

(٣) للصبح ركعتان بعدهما جلسة يقرأ فيها التشهّد ثم تنتهي الصلاة بالسلام فبعد فراغ الركعتين لا بدّ من التشهّد بلحييه وإنما يقرأ التشهد بتحريك **اللحيين** وهما عظما الحنك تنبت عليهما الأسنان وهما منبتا اللحية لهذا قال أقبل على التشهّد بلحييه. والتحية هي السلام الذي تنتهي به الصلاة. **والأخدعان** عرقان في العنق والمسلم يلتفت بالسلام إلى اليمين ثم إلى اليسار وفي كل يميل بأخدعيه.

(٤) **إعارة** السمع مجاز عن الإصغاء كأن المصغي إلى المتكلم بطلبه قد أعطاه سمعه زمنًا لينتفع به فإذا انقضى الزمن رجع الاختيار للسامع فله أن يذهب ولا يسمع فلهذا عبّر عن الإصغاء بالإعارة التي هي إعطاء الملك للغير لينتفع به مجانًا ثم يردّه.

(٥) لأن القائل قال من كان يحب الصحابة والجماعة أي أصحاب رسول ﷺ وجماعة المسلمين. فلو قام عيسى بن هشام لقال القوم إنه لا يحب الصحابة والجماعة فيمسون بذلك عرضه فلهذا لزم أرضه التي جلس بها.

(٦) أراد من **الحقيق** عليه الثابت على ذمّته أي واجب على ذمّته أن لا يقول غير الحق. وفي رواية: أن لا أقول على الله غير الحق.

ٱلْمَسْجِدَ مِنْ كُلِّ نَذْلٍ يَجْحَدُ نُبُوءَتَهُ. قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ: فَرَبَطَنِي بِٱلْقُيُودِ. وَشَدَّنِي بِالحِبَالِ ٱلسُّودِ(١). ثُمَّ قَالَ: رَأَيْتُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي ٱلْمَنَامِ. كَٱلشَّمْسِ تَحْتَ ٱلْغَمَامِ. وَٱلْبَدْرِ لَيْلَ ٱلتَّمَامِ. يَسِيرُ وَٱلنُّجُومُ تَتْبَعُهُ وَيَسْحَبُ ٱلذَّيْلَ وَٱلْمَلَائِكَةُ تَرْفَعُهُ. ثُمَّ عَلَّمَنِي دُعَاءً أَوْصَانِي أَنْ أُعَلِّمَ ذٰلِكَ أُمَّتَهُ. فَكَتَبْتُهُ عَلَى هٰذِهِ ٱلْأَوْرَاقِ بِخَلُوقٍ وَمِسْكٍ. وَزَعْفَرَانٍ وَسُكٍّ(٢). فَمَنِ ٱسْتَوْهَبَهُ مِنِّي وَهَبْتُهُ. وَمَنْ رَدَّ عَلَيَّ ثَمَنَ ٱلْقِرْطَاسِ أَخَذْتُهُ(٣). قَالَ عِيسَى بنُ هِشَامٍ: فَلَقَدِ ٱنْثَالَتْ عَلَيْهِ ٱلدَّرَاهِمُ حَتَّى حَيَّرَتْهُ(٤) وَخَرَجَ فَتَبِعْتُهُ مُتَعَجِّبًا مِنْ حِذْقِهِ بِزَرْقِهِ(٥) وَتَمَحُّلِ رِزْقِهِ. وَهَمَمْتُ بِمَسْأَلَتِهِ عَنْ حَالِهِ فَأَمْسَكْتُ. وَبِمُكَالَمَتِهِ فَسَكَتُّ. وَتَأَمَّلْتُ فَصَاحَتَهُ فِي وَقَاحَتِهِ. وَمَلَاحَتَهُ فِي ٱسْتِمَاحَتِهِ(٦). وَرَبْطَهُ ٱلنَّاسَ بِحِيلَتِهِ. وَأَخْذَهُ ٱلْمَالَ بِوَسِيلَتِهِ(٧). وَنَظَرْتُ فَإِذَا هُوَ أَبُو ٱلْفَتْحِ ٱلْإِسْكَنْدَرِيُّ. فَقُلْتُ: كَيْفَ ٱهْتَدَيْتَ إِلَى هٰذِهِ ٱلْحِيلَةِ. فَتَبَسَّمَ وَأَنْشَأَ يَقُولُ:

---

(١) في رواية بدل القيود المسود جمع مسد بالتحريك وهو الحبل المضفور المحكم. **الحبال السود** حبال الحديد لميل لونه إلى السواد وهي السلاسل. أي كأنه فعل به ذلك لأنه لو قام بعد قوله حتى يطهّر اللّه هذا المسجد إلخ لكان قد ألزم نفسه النذالة وجحد النبوة وإن اللّه طهّر المسجد منه فاضطر للبقاء تحاميًا من رمي القوم له بهذه الأوصاف لو خرج.

(٢) **الخلوق** ضرب من الطيب يدخل في أجزائه الزعفران. **والسُّكّ** بالضم مادة سوداء يخلطونها بالمسك أحيانًا.

(٣) أي إنه عند طلب الطالب فإن طلبه منه هبة بلا ثمن سمح له به وأن طلبه على أن يرد عليه ما أنفق فيه من ثمن القرطاس والخلوق أخذ منه ذلك الثمن وليس بطالب ما يزيد على ذلك وهو من متممات الحيلة يظهر به أنه يبلغ رسالته عن رسول اللّه لا يبتغي على تبليغها أجرًا فتتأكد ثقة القوم بصدقه فيعتقدون به اختصاصًا إلهيًا فيفيضون عليه من المنح والعطايا بقدر ما يستطيعون.

(٤) **انثالَتْ** انصبت عليه الدراهم من المانحين كل يطلب الدعاء منه بثمن فهذا يعطيه من أمامه وهذا من يمينه وذاك من شماله حتى تحير كيف يأخذ.

(٥) **الزرق** بتقديم الزاي مصدر زرق الصائد صيده رماه بالمزراق وطعنه به. أي من حذقه في رمي أغراض القلوب وأصابتها. **والتَمَحُّل** طلب الشيء بالحيلة.

(٦) **الاستماحة** الاستعطاء.

(٧) وفي نسخة بعد بوسيلته: وراودتني نفسي على استبراء حاله والوقوف على سر احتياله. **واستبراء حاله** طلب معرفته وقطع الشبهة فيه.

أَلـنَّـاسُ حُـمْـرٌ فَـجُـوِّزْ ... وَأَبْـرُزْ عَـلَـيْـهِـمْ وَبَـرِّزْ[1]

حَـتَّـى إِذَا نِـلْـتَ مِـنْـهُـمْ ... مَـا تَـشْـتَـهِـيـهِ فَـفَـرْوِزْ[2]

---

(١) **جوز** أمر من جوز الإبل ونحوها إذا قادها بعيرًا بعيرًا حتى تجوز وتمضي فالناس حمر فقدهم إلى ما تريد ولا تبال بهم وأظهر عليهم وبرز عليهم أي تفوّق وتقدم عليهم من برز عليه في صنعته إذا فاقه وعلاه.

(٢) **فروز** من فروز الرجل مات. أي بعد أن تنال شهواتك من الناس فمت فقد استوفيت حظك من الدنيا.

المقَامَة الأهوازيّة

حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ: كُنْتُ بِٱلْأَهْوازِ فِي رُفْقَةٍ مَتَى مَا تَرَقَّ ٱلْعَيْنُ فِيهِمْ تَسَهَّلِ[(١)]. لَيْسَ فِينَا إِلَّا أَمْرَدُ بِكْرُ ٱلْآمَالِ[(٢)]. بَضُّ الجَمَالِ. أَوْ مُخْتَطٌّ حَسَنُ ٱلْإِقْبَالِ. مَرْجُوُّ ٱلْأَيَّامِ وَٱللَّيَالِ[(٣)]. فَأَفَضْنَا فِي ٱلْعِشْرَةِ كَيْفَ نَضَعُ قَوَاعِدَهَا[(٤)]. وَٱلْأُخُوَّةِ كَيْفَ نُحْكِمُ مَعَاقِدَهَا[(٥)]. وَٱلسُّرُورِ فِي أَيِّ وَقْتٍ نَتَقَاضَاهُ[(٦)]. وَٱلشُّرْبِ فِي أَيِّ وَقْتٍ نَتَعَاطَاهُ. وَٱلْأُنْسِ كَيْفَ نَتَهَادَاهُ. وَفَائِتِ ٱلْحَظِّ كَيْفَ نَتَلافَاهُ[(٧)]. وَٱلشَّرَابِ مِنْ أَيْنَ نُحَصِّلُهُ. وَٱلْمَجْلِسِ كَيْفَ نُرَتِّبُهُ. فَقَالَ أَحَدُنَا: عَلَيَّ ٱلْبَيْتُ وَٱلنُّزُلُ[(٨)]. وَقَالَ آخَرُ: عَلَيَّ ٱلشَّرَابُ

---

(١) **ترق** مضارع من خماسي أصله تترقى فحذفت تاء المضارعة للتخفيف وألف العلّة للجازم وهو متى ما. **وترقى** في الجبل صعد فيه. **وتسهل** نزل إلى السهل من الأرض وهؤلاء الرفقة في براعة جمالهم وجهارة هيئاتهم لا تصعد العين فيهم بالنظر إلّا وتنحط عنهم غاضبة مما يصيبها من البهر.

(٢) لأهل الفتوة آمال عظيمة يسعون إليها في حياتهم وهي لمبادرتها أول القوة تشبه الولد البكر وهو أول ما يرزق والده أو أنها لغضاضتها وعدم عروض ما يذويها تشبه البنت البكر التي لم تبتذلها مخالطة الرجال ولا تكون آماله كذلك إلّا من كان في أول شبابه. وفي نسخة بدل بكر الآمال غض الجمال وهي الأوفق لقوله حسن الإقبال أي إذا أقبل عليك استحسنت إقباله لحسن ما يقبل عليك منه. **والمختط** من نبت له قليل من الشعر في شاربيه أو فيهما وفي عارضيه أشبه بأن يكون خطًا من أن يكون سبلة.

(٣) **ترجوه** أيامه ولياليه ليأتي من الأعمال ما تكون به نيّرة زاهرة أو ترجى له أيامه ولياليه لأنه في أوائل سنّه وعنفوان قوته فالرجاء في أوقات دهره أن تكون له مساعدة ولقوته معضدة. وفي نسخة: آمن بدل مرجو.

(٤) **افاضوا** في الأمر تكلموا فيه مع استيفاء أطرافه ونواحيه.

(٥) **معاقد** الأخوة ما عليه تنعقد.

(٦) **نتقاضاه** أي نستوفيه من مواضعه من تقاضى دينه إذا طلب استيفاءه من غريمه.

(٧) **تلافى** الأمر أدركه بالإصلاح قبل تعذّره. وقوله والمجلس كيف نرتبه في نسخة نزينه من الزينة.

(٨) **النزل** ما يعد للضيف من طعام القرى.

وَٱلنُّقْلُ(١). وَقَال بَعْضُنا عَلَيَّ السَّماعُ. والجِماعُ. وَقُمنا نَجُرُّ أَذْيالَ الفُسُوقِ. حَتّى انسَلَخْنا مِنَ السُّوقِ. فَٱسْتَقْبَلَنَا رَجُلٌ فِي طِمْرَيْنِ فِي يُمْنَاهُ عُكَّازَةٌ(٢). وَعَلَى كَتِفِهِ جِنازَةٌ. فَتَطَيَّرْنَا لَمَّا رَأَيْنا ٱلْجِنازَةَ(٣) وَأَعْرَضْنا عَنْهَا صَفْحًا. وَطَوَيْنا دُونَهَا كَشْحًا(٤). فَصاحَ بِنَا صَيْحَةً كَادَتْ لَهَا ٱلْأَرْضُ تَنْفَطِرُ(٥). وَٱلنُّجُومُ تَنْكَدِرُ(٦). وَقَالَ: لَتَرَنَّهَا صُغْرًا(٧) وَلَتَرْكَبُنَّهَا كَرْهًا وَقَسْرًا. مَا لَكُمْ تَطَيَّرُونَ مِنْ مَطِيَّةٍ رَكِبَهَا أَسْلَافُكُمْ وَسَيَرْكَبُهَا أَخْلَافُكُمْ(٨). وَتَتَقَذَّرُونَ سَرِيرًا وَطِئَهُ آبَاؤُكُمْ(٩). وَسَيَطَأُهُ أَبْنَاؤُكُمْ. أَمَا وَٱللَّهِ لَتُحْمَلُنَّ عَلَى هٰذه ٱلْعِيدَانِ(١٠) إِلَى تِلْكُمُ ٱلدِّيدَانِ. وَلَتُنْقَلُنَّ بِهٰذِهِ ٱلْجِيَادِ(١١). إِلَى تِلْكُمُ ٱلْوِهَادِ. وَيْحَكُمْ تَطَيَّرُونَ. كَأَنَّكُمْ مُخَيَّرُونَ(١٢). وَتَتَكَرَّهُونَ. كَأَنَّكُمْ مُنَزَّهُونَ(١٣). هَلْ تَنْفَعُ هٰذِهِ

---

(١) **النقل** ما ينتقل من الشراب إليه ثم منه إلى الشراب من فستق ونحوه وقد يضم.

(٢) **الرجل في طمرين** أي لابس لهما. وتقدم أن **الطمرين** الكساء والمئزر. و**العكازة** عصا في طرفها زج. و**الجنازة** النعش وما فيه من الميت.

(٣) **التطيّر** التشاؤم وأصله مبادرة صورة الخيبة للذهن عند سنوح الطائر كغراب ونحوه.

(٤) **الكشح** ما بين الخاصرة إلى أقصر الأضلاع المعروف بالخلف. و**طي الكشح** كناية عن الانحراف عنه.

(٥) **تنفطر** تنشق من شدّة الصيحة.

(٦) والنجوم **تنكدر** أي تتناثر. وفي نسخة السماء وتكون نسبة الانكدار إليها على المجاز في الإسناد أي تنكدر نجومها.

(٧) **تَرَنَّها** أصله ترونها من الرؤية فلما أعقب الواو نون ثقيلة للتوكيد حذفت الواو. و**الصُّغر** الهوان والرضى بالذلّ فهو المصدر عبّر به عن الصاغرين والمصدر يستوي فيه الواحد والمتعدد أي لا بدّ لكم أن تروا الجنازة صاغرين مرغومين ثم لا بدّ أن تركبوها (وأراد النعش) مكرهين، **مقسورين** أي مقهورين.

(٨) عبّر عن النعش بالمطية لأنه يشبهها لأن المطية تنتقل بك من بلد إلى بلد والنعش ينقلك من ظهر الأرض إلى بطنها وهما داران مختلفان.

(٩) يطلق السرير على النعش. ويتقذرونه قذرًا فيغضون عنه نظرًا.

(١٠) **سرير** الميت مركب من عيدان من الخشب جمع عود لهذا عبّر عن جملته بالعيدان. و**الديدان** جمع دودة أراد بها ما يخلق في شلو البدن بعد فساده فيأكله ويفنيه.

(١١) لقب **النعوش** بالجياد وهو لقب الخيل لسرعة ما تنقل الأجساد إلى المقابر التي عبّر عنها بالوهاد لانخفاضها إلى باطن الأرض.

(١٢) **يتشاءم** من الأمر من له الخيار في وروده إن شاء ورد وإن شاء ارتدّ فمن الحمق أن يتطيّر من الموت لأنه ضربة لازب لا خيار لأحد فيه فهو أشبه بطلوع الشمس وغروبها.

(١٣) الذي يتكره من الشيء ويأنفه ينبغي أن يكون منزهًا ومبرءًا منه فكيف يتكره الإنسان من أمر يعلم أنه قرين خلقته وحليف فطرته وماذا تنفع الطيرة والتشاؤم وهل يصدران إلّا من =

ٱلطِّيَرَةُ. يَا فَجَرَةُ. قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ: فَلَقَدْ نَقَضَ مَا كُنَّا عَقَدْنَاهُ[١]. وَأَبْطَلَ مَا كُنَّا أَرَدْنَاهُ. فَمِلْنَا إِلَيْهِ وَقُلْنَا لَهُ: مَا أَحْوَجَنَا إِلَى وَعْظِكَ. وَأَعْشَقَنَا لِلَفْظِكَ. وَلَوْ شِئْتَ لَزِدْتَ. قَالَ: إِنَّ وَرَاءَكُمْ مَوَارِدَ أَنْتُمْ وَارِدُوهَا وَقَدْ سِرْتُمْ إِلَيْهَا عِشْرِينَ حِجَّةً[٢].

وَإِنَّ ٱمْرَءًا قَدْ سَارَ عِشْرِينَ حِجَّةً إِلَى مَنْهَلٍ مِنْ وِرْدِهِ لَقَرِيبُ[٣]

وَمِنْ فَوْقِكُمْ مَنْ يَعْلَمُ أَسْرَارَكُمْ[٤]. وَلَوْ شَاءَ لَهَتَكَ أَسْتَارَكُمْ. يُعَامِلُكُمْ فِي ٱلدُّنْيَا بِحِلْمٍ. وَيَقْضِي عَلَيْكُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ بِعِلْمٍ. فَلْيَكُنِ ٱلْمَوْتُ مِنْكُمْ عَلَى ذِكْرٍ. لِئَلَّا تَأْتُوا بِنُكْرٍ[٥]. فَإِنَّكُمْ إِذَا ٱسْتَشْعَرْتُمُوهُ لَمْ تَجْمَحُوا[٦]. وَمَتَى ذَكَرْتُمُوهُ لَمْ تَمْرَحُوا[٧]. وَإِنْ

= قوم فجرة سترت الغفلة وغيوم الفجور ضياء بصائرهم فعموا عن مراجعهم ومصايرهم.

(١) كانوا عقدوا عزائمهم على اللهو والطرب فأزعجهم بوعظه عما راموه فانتقضت تلك العزائم وارتدت إلى غير ما دفعت إليه وبطل التدبير الذي كانوا قصدوه وقت الإتفاق الماضي.

(٢) شبّه الموت والفناء بموارد الماء فكما أن الماء من لوازم حياة الحي إن لم يرده وقت الضرورة إليه هلك كذلك الفناء نهاية يصل إليها كل ذي نفس وإلّا بطلت حقيقته وانغلبت طبيعته وعد غنيًا في وجوده وقد أثبتت حاجته دلائل شهوده. ورشح تشبيه مصاير الفناء بالموارد بتصوير مدة العمر في مثال مسافة بين الورد والموارد يقطعها إليها وجعل السنين بمنزلة المراحل. **والحجة** السنة.

(٣) **«من ورده»** متعلق بقريب. **والمنهل** مورد الشاربة. **والنهل** أول الشرب. **والعلل** ما يكون بعد الشرب الأول. وفي زهر الآداب للقيرواني في الجزء الثالث ص ١٠٨ من طبعتها الأولى بمصر أن **عشرين** محرفٌ عن خمسين والبيت لابن أحمد التميمي أنشده دعبل وزعم أن التميمي أخذه عن أعرابي من بني أسد. ولعل هذا التحريف مقصود ههنا فقد تقدّم أن الجماعة كلهم مرد فتيان ليس فيهم من بلغ الخمسين ولا قاربها.

(٤) **يتعالى** اللّه عن المكان والجهة حتى يكون فوق أو تحت. وما يرد من ذلك فالمراد منه الفوقية المعنوية أي يعلوكم بالسلطان والقهر والاقتدار.

(٥) **النكر** المنكر. ومن نسي الموت وما بعده من حساب على الأعمال ومثوبة على طيباتها وعقوبة على سيئاتها سهّل عليه قضاء مطالب الشهوة والاسترسال مع قواضي الغضب وإن خالطت به منكرًا كما تراه في حال الذاهلين وتشهده كل يوم من أعمال الغافلين ومن كان على ذكر من ذلك ردّه الخوف إلى سنين الاستقامة وأوقفه عند الحق ما ينتظر أمامه.

(٦) **استشعره** ذكر الموت جعله شعارًا له. وأصل **الشعار** ما يلي البدن من الثياب أطلق على كل باطن أي إذا استبطنتموه بقلوبكم لم تجمحوا. **والجموح** أن يستعصي الفرس على راكبه شبه به استعصاء الأهواء على وازع الشريعة.

(٧) **المرح** إن شدّة الفرح في غرور بما فرح به. وذكر الموت يذهب بالغرور ويكسر سورة السرور.

نَسِيتُمُوهُ فَهُوَ ذَاكِرُكُمْ. وَإِنْ نِمْتُمْ عَنْهُ فَهُوَ ثَائِرُكُمْ(١). وَإِنْ كَرِهْتُمُوهُ فَهُوَ زَائِرُكُمْ. قُلْنَا: فَمَا حَاجَتُكَ قَالَ: أَطْوَلُ مِنْ أَنْ تُحَدَّ وَأَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُعَدَّ. قُلْنَا: فَسَانِحُ ٱلْوَقْتِ(٢). قَالَ: رَدُّ فَائِتِ ٱلْعُمْرِ(٣). وَدَفْعُ نَازِلِ ٱلْأَمْرِ. قُلْنَا: لَيْسَ ذٰلِكَ إِلَيْنَا وَلٰكِنْ مَا شِئْتَ مِنْ مَتَاعِ ٱلدُّنْيَا وَزُخْرُفِهَا. قَالَ: لَا حَاجَةَ لِي فِيهَا وَإِنَّمَا حَاجَتِي بَعْدَ هٰذَا أَنْ تَخِدُوا أَكْثَرَ مِنْ أَنْ تَعُوا(٤).

---

(١) **الثائر** من يدرك ثأره ممن أغضبه كأن الموت عدو يطلبك بثأره فإن نمت عنه ولم تبال به فهو لا ريب موقع بك.

(٢) **سَانِح** الوقت ما عرض من الحاجة فيه أي نبّئنا عن حاجتك في وقتك هذا.

(٣) أي ما يحتاج إليه الآن هو ردّ ما فات من العمر ودفع ما ينزل من أمر الموت والظاهر أن الواعظ كان غير الأستاذ أبي الفتح الإسكندريّ وإلّا فمن أين دلفت إليه العفة وعرفته الزهادة.

(٤) **الوخد** ضرب من سير سريع أي مطلوبي منكم أن تسرعوا إلى العمل أكثر من إسراعكم إلى أن تعوا وتفهموا كلامي. ويُروى: «تعدوا» وفي رواية بعد هذا: فدنوت إليه فإذا هو واللّه شيخنا أبو الفتح الإسكندريّ. فإن صحّت هذه الرواية كانت العفة فلتة من أبي الفتح خالف بها ما تعوّد من مجونه وأطوار جنونه.

المقَامَة البَغْدَاذِيَّة

حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ: ٱشْتَهَيْتُ ٱلْأَزَاذَ(١). وَأَنَا بِبَغْدَاذَ. وَلَيْسَ مَعِي عَقْدٌ. عَلَى نَقْدٍ(٢). فَخَرَجْتُ أَنْتَهِزُ مَحَالَّهُ حَتَّى أَحَلَّنِي ٱلْكَرْخَ(٣). فَإِذَا أَنَا بِسَوَادِيٍّ يَسُوقُ بِٱلْجَهْدِ حِمَارَهُ. وَيُطَرِّفُ بِٱلْعَقْدِ إِزَارَهُ(٤). فَقُلْتُ: ظَفِرْنَا وَٱللَّهِ بِصَيْدٍ(٥). وَحَيَّاكَ ٱللَّهُ أَبَا زَيْدٍ. مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ. وَأَيْنَ نَزَلْتَ. وَمَتَى وَافَيْتَ وَهَلُمَّ إِلَى ٱلْبَيْتِ. فَقَالَ ٱلسَّوَادِيُّ: لَسْتُ بِأَبِي زَيْدٍ. وَلٰكِنِّي أَبُو عُبَيْدٍ. فَقُلْتُ: نَعَمْ لَعَنَ ٱللَّهُ ٱلشَّيْطَانَ. وَأَبْعَدَ ٱلنِّسْيَانَ. أَنْسَانِيكَ طُولُ ٱلْعَهْدِ. وَٱتِّصَالُ ٱلْبُعْدِ. فَكَيْفَ حَالُ أَبِيكَ أَشَابٌّ كَعَهْدِي(٦). أَمْ شَابَ بَعْدِي. فَقَالَ: قَدْ نَبَتَ ٱلرَّبِيعُ عَلَى دِمْنَتِهِ(٧). وَأَرْجُو أَنْ يُصَيِّرَهُ ٱللَّهُ إِلَى جَنَّتِهِ. فَقُلْتُ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ٱلْعَلِيِّ ٱلْعَظِيمِ. وَمَدَدْتُ يَدَ

---

(١) **الأزَاذ** من أجود أنواع التمر. وبغداذ تقدم الكلام عليها.

(٢) **النَّقْد** المسكوك من الذهب والفضة. وفي العادة أن من معه النقد يعقد عليه وعاءه من كيس ونحوه فإذا انتفى العقد على النقد فقد انتفى النقد فالكلام كناية عن نفي النقد.

(٣) **المَحَالّ** جمع محل أي أمكنة الأزاذ. وينتهزها يلتمس الوقوف عليها غير أنه جعلها بمنزلة الفرص التي يغتنمها لشدّة ولعه بالأزاذ. والضمير في أحلني للأزاذ لأنه السبب الباعث له على الخروج والمسير. **والكرخ** في الجانب الغربي من بغداد.

(٤) **السَّوادِيّ** الرجل من رساتيق العراق وقراه نسبة إلى السواد وسمّي العراق سوادًا لاكتساء أرضه بالخضرة في نبات وأشجار. ولون الخضرة فيما يبدو للناظر على بعد سواد أو يقرب منه. **والإزَار** ما يشدّ في الوسط سابغًا إلى أسفل الساقين كالذي يشدّه داخل الحمام. **ويطرف** الإزار أي يرد أحد طرفيه على الآخر بما يعقد بينهما.

(٥) **الصيد** هو ذلك السّواديّ المغفل يحتال عليه ليرزأه في شيء يناله منه. وفي هذه المقامة ترى عيسى بن هشام هو المحتال لا أبا الفتح الإسكندريّ.

(٦) **كعهدي** أي عهدي به ومعرفتي فيه أي أهو باقٍ في شبيبته كما أعهده أم شاب بعد ما فارقته.

(٧) **الرَّبيع** المرعى. وفي نسخة المرعى بدل الرّبيع. وأراد من دمنته أثره لأن **الدّمنة** آثار الدار بعد مضي أهلها وخرابها أي أنه مات من زمان بعيد يكفي لتخرب داره ونبت الرّبيع على آثارها. وقد يراد من دمنته أثر قبره أي إنه مات ودثر قبره ونبت الرّبيع على أثره بعد دثوره.

ٱلْبِدَارِ. إِلَى ٱلصِّدَارِ(١). أُرِيدُ تَمْزِيقَهُ. فَقَبَضَ ٱلسَّوَادِيُّ عَلَى خَصْرِي بِجُمْعِهِ(٢) وَقَالَ: نَشَدْتُكَ ٱللَّهَ لَا مَزَّقْتَهُ. فَقُلْتُ: هَلُمَّ إِلَى ٱلْبَيْتِ نُصِبْ غَدَاءً(٣) أَوْ إِلَى ٱلسُّوقِ نَشْتَرِ شِوَاءً(٤). وَٱلسُّوقُ أَقْرَبُ. وَطَعَامُهُ أَطْيَبُ. فَٱسْتَفَزَّتْهُ حُمَةُ ٱلْقَرَمِ(٥). وَعَطَفَتْهُ عَاطِفَةُ ٱللَّقَمِ. وَطَمِعَ. وَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّهُ وَقَعَ. ثُمَّ أَتَيْنَا شَوَّاءً يَتَقَاطَرُ شِوَاؤُهُ عَرَقًا(٦). وَتَتَسَايَلُ جُوذَابَاتُهُ مَرَقًا. فَقُلْتُ: ٱفْرِزْ لِأَبِي زَيْدٍ مِنْ هٰذَا ٱلشِّوَاءِ. ثُمَّ زِنْ لَهُ مِنْ تِلْكَ ٱلْحَلْوَاءِ. وَٱخْتَرْ لَهُ مِنْ تِلْكَ ٱلْأَطْبَاقِ. وَٱنْضِدْ عَلَيْهَا أَوْرَاقَ ٱلرُّقَاقِ(٧). وَرُشَّ عَلَيْهِ شَيْئًا مِنْ مَاءِ ٱلسُّمَّاقِ. لِيَأْكُلَهُ أَبُو زَيْدٍ هَنِيًّا. فَٱنْحَنَى ٱلشَّوَّاءُ بِسَاطُورِهِ(٨). عَلَى زُبْدَةِ تَنُّورِهِ فَجَعَلَهَا

---

(١) **البِدَار** المسارعة. وأضاف اليد إليه قصد المبالغة كأنه السرعة عينها ويده يدها أو أن الإضافة من نسبة المتلبّس لما تلبّس به أي اليد المتلبسة بالسرعة. **والصدار** قميص صغير يلي الجسد أو هو ثوب يشبه رأسه المقنّعة ويسيل حتى يغشى الصدر بتمامه ومدّ يده إليه ليمزقه جزعًا على والد أبي عبيد رحمه الله لأن الصداقة بينهما كانت شديدة. وفي رواية بعد الصدار أحرك زيقه وأريد تمزيقه إلخ. **وزيق القميص** ما أحاط منه بالعنق. وفي نسخة أخرى: إلى الصدار أريد تمزيقه وأحاول تخريقه. وهذه أفاعيل يأتيها لتتميم الحيلة كما لا يخفى.

(٢) **جمع الكف** قبضته. والخصر معروف. وقبضه على خصره ليمنعه عن تمزيق صداره. ولهذا قال نشدتك الله لا مزقته أي أقسم عليك بالله أن لا تمزقه وأصله ذكرتك الله ثم صار حقيقة عرفية في القسم.

(٣) **«نصب غداء»** نتناول منه.

(٤) أي إن لم نذهب إلى البيت ذهبنا إلى السوق نشتري منه شواء (بكسر أوله وضمه) وهو ما شوي من اللّحم وغيره. والمراد هنا اللّحم. ثم رجح السوق بأنه أقرب وطعامه أطيب.

(٥) **استفزّته** استخفته لإجابتي. **والحُمَة** للشيء شدّته يقال لسعته حُمَة البرد أي شدّته وأصلها السُّم وإبرة نجو العقرب. **والقرم** بالتحريك اشتداد الشهوة إلى أكل اللّحم خاصة. **واللّقم** الأكل السريع. أي تصوره للتمكن من سرعة الأكل ليشفي ألم شهوته عطفه للسير معه. ويُروى بدل اللّقم النهم. **والنّهم** الإفراط في شهوة الطعام.

(٦) إنما تتقاطر أطراف الشواء عرقًا إذا كان اللّحم سمينًا دسمًا لأن العرق ههنا ما يفرز من دهنه ودسمه. **والجوذابات** جمع جوذابة وهي خبز تخبزه في تنور وقد علق فوق الخبز طائر أو لحم غيره يشوى فيقطر ودكه على ذلك الخبز فيغني عن الأدم. **وتتسايل** أي تسيل من كل وجه وإذا كان الخبز الذي تحت الشواء يسيل عرقًا من ودكه فما أغزر ودكه وما أكثر دسمه.

(٧) **نضد** الأوراق صفّها بعضها فوق بعض. **والرقاق** خبز رقيق معروف وجعل آحاده أوراقًا ليدل على انتهائه في الرّقة إلى حدّ يشبه رقّه الورق. **والسمّاق** حب أحمر صغير بالغ في الحموضة وشجره يشبه الرّمان يثمر في عناقيد تنتظم ذلك الحب.

(٨) **الساطور** آلة للجزار يقطع بها اللّحم معروفة. **والشواء** بتشديد الواو من صناعته أن =

كَٱلْكُحْلِ سَحْقًا. وَكَٱلطَّحْنِ دَقًّا. ثُمَّ جَلَسَ وَجَلَسْتُ. وَلَا يَئِسَ وَلَا يَئِسْتُ[١]. حَتَّى ٱسْتَوْفَيْنَا وَقُلْتُ لِصَاحِبِ ٱلْحَلْوَى: زِنْ لِأَبِي زَيْدٍ مِنَ ٱللُّوزِيْنَجِ رَطْلَيْنِ[٢] فَهُوَ أَجْرَى فِي ٱلْحُلُوقِ. وَأَمْضَى فِي ٱلْعُرُوقِ. وَلْيَكُنْ لَيْلِيَّ ٱلْعُمْرِ[٣]. يَوْمِيَّ ٱلنَّشْرِ. رَقِيقَ ٱلْقِشْرِ. كَثِيفَ ٱلْحَشْوِ. لُؤْلُوِيَّ ٱلدُّهْنِ. كَوْكَبِيَّ ٱللَّوْنِ. يَذُوبُ كَٱلصَّمْغِ قَبْلَ ٱلْمَضْغِ. لِيَأْكُلَهُ أَبُو زَيْدٍ هَنِيًّا. قَالَ: فَوَزَنَهُ ثُمَّ قَعَدَ وَقَعَدْتُ. وَجَرَّدَ وَجَرَّدْتُ[٤]. حَتَّى ٱسْتَوْفَيْنَاهُ. ثُمَّ قُلْتُ: يَا أَبَا زَيْدٍ مَا أَحْوَجَنَا إِلَى مَاءٍ يُشَعْشَعُ بِٱلثَّلْجِ لِيَقْمَعَ هٰذِهِ ٱلصَّارَّةَ وَيَفْثَأَ هٰذِهِ ٱللُّقَمَ ٱلْحَارَّةَ[٥] إِجْلِسْ يَا أَبَا زَيْدٍ حَتَّى نَأْتِيكَ بِسَقَّاءٍ. تَأْتِيكَ بِشَرْبَةِ مَاءٍ[٦]. ثُمَّ خَرَجْتُ وَجَلَسْتُ بِحَيْثُ أَرَاهُ وَلَا يَرَانِي أَنْظُرُ مَا يَصْنَعُ. فَلَمَّا أَبْطَأْتُ عَلَيْهِ قَامَ ٱلسَّوَادِيُّ إِلَى

= يشوي اللّحم. **والزبدة** معروفة وهي ما يخرج من اللّبن بالمخض. **والتنّور** هنا موقد النار الذي يشوى عليه اللّحم. وأضاف الزبدة إلى التنّور لأنها من خصائصه ولوازم الأكل من شوائه وسحق الزبدة حتى جعلها كالكحل أو الطِحن بكسر الطاء وهي الدقيق ليسهل ذوبانها بسرعة. **والرقاق** لا بدّ له من الزبدة حتى يطرى ويهنأ أكله مع الشواء فإن لم تكن زبدة فمرق.

(١) يريد أن كلًّا منهما كان يطمع في إنقاذ ما بين يديه ويُروى: ولا **نبس** ولا نبست بالنون بعدها الباء أي ما تكلم وما تكلمت بل كنا نأكل سكوتًا.

(٢) **اللّوزينج** نوع من الحلواء يصنع من نوع من الخبز ويسقى بدهن اللّوز ويحشى بالجوز واللوز وما شابههما. **وأجرى** في الحلوق أمضى سيرًا فيها لسهولته. **وامضى** في العروق أشد سريانًا فيها من غيره من أنواع الحلواء لسرعة هضمه. وفي رواية: امرى بدل أمضى. **والمريء** من الطعام الحميد المغبة.

(٣) **«ليلي العمر»** أي قد صنع باللّيل. و**«يومي النشر»** أي نشر من مصنعه بالنهار فيكون قد نضج وسرت الحلاوة في جميع أجزائه. **ورقة القشر** أن يكون الخبز المحشو رقيقًا إذ لو كان غليظًا لفقد السهولة واللّطافة. **ودهن اللّوز** إذا كان صافيًا أشبه اللؤلؤ في لونه فما سقي من الحلواء يكون في لمعانه أشبه بالكوكب. وقوله يذوب قبل المضغ بيان لدرجته من النضج ورقّة القشر واتقان الصنعة.

(٤) **جرّد** وجرّدت أي جرد يده من ثيابه كما يجرد الشجاع سيفه من غمده وهكذا فعلت.

(٥) **يشعشع** بالثلج أي يمزج به. **والصارة** العطش. **ويقمعها** يقهرها ويدفعها. **ويفثأ** أي يسكن. وتسكين اللّقم كسر الحدة من حرارتها.

(٦) يريد أن يذهب بحيلة أن يأتي بالسقاء وهو بائع الماء ليأتي بما احتاجوا إليه من الماء المشعشع بالثلج ثم يتوارى عن السوادي وهو أبو زيد ليلزمه بثمن ما أكلا معًا ويكون عيسى ابن هشام قد حصل غايته من الأكل بدون ثمن.

حِمَارِهِ[١]. فَاعْتَلَقَ الشَّوَّاءُ بِإِزَارِهِ[٢]. وَقَالَ: أَيْنَ ثَمَنُ مَا أَكَلْتَ. فَقَالَ أَبُو زَيْدٍ: أَكَلْتُهُ ضَيْفًا. فَلَكَمَهُ لَكْمَةً. وَثَنَّى عَلَيْهِ بِلَطْمَةٍ. ثُمَّ قَالَ الشَّوَّاءُ: هَاكَ[٣]. وَمَتَى دَعَوْنَاكَ. زِنْ يَا أَخَا القَحْبَةِ عِشْرِينَ[٤]. فَجَعَلَ السَّوَادِيُّ يَبْكِي وَيَحُلُّ عُقَدَهُ بِأَسْنَانِهِ[٥] وَيَقُولُ: كَمْ قُلْتُ لِذَاكَ القُرَيْدِ[٦]. أَنَا أَبُو عُبَيْدٍ. وَهُوَ يَقُولُ: أَنْتَ أَبُو زَيْدٍ. فَأَنْشَدْتُ:

أَعْمِلْ لِرِزْقِكَ كُلَّ آلَهْ   لَا تَقْعُدَنَّ بِكُلِّ حَالَهْ
وَانْهَضْ بِكُلِّ عَظِيمَةٍ   فَالْمَرْءُ يَعْجِزُ لَا مَحَالَهْ[٧]

---

(١) **السوادي** هو أبو زيد وأظهره مع أن الحديث عنه والضمائر كلها تشير إليه ليزيد في تعيينه بعد طول الحكاية عنه. ويُروى: فعلّق الشواء بعذاره وصاحب الحلواء بإزاره وقالا أين ثمن إلخ. وتعلّقه بعذاره بقبضه على لحيته وأخذه من سباله.

(٢) **الإزار** ثوب يشدّ في الوسط ويستر من البدن إلى أسفل الساق كانت العرب تكتفي به مع الرداء ثوبًا كاملًا. والمراد أنه تعلّق بثيابه وإلّا فقد يكون سربال السواديّ لا إزار فيه.

(٣) **هاك** أي خذ من اللّكم واللّطم فمتى دعوتك حتى تعتل بالضيافة في التخلص من دفع الثمن.

(٤) **زِنْ** من وزن أي أعط زنة عشرين درهمًا. وفي نسخة بعد عشرين: وإلّا أكلت ثلاثًا وتسعين أي هذا العدد من الضربات.

(٥) **العُقَد** بضم ففتح جمع عقدة أي عقد كيسه ليخرج الدراهم. وفي نسخة بعد أسنانه: ويمسح دموعه بأردانه. **الأردان** جمع ردن بضم الراء وهو كم الثوب.

(٦) **القُرَيْد** بضم ففتح تصغير قرد. ويُروى: **العريد** بالعين المهملة وهو إما تصغير **عرد** بمعنى الحمار أو الصلب الشديد. أو هو بفتح فكسر أي البعيد.

(٧) إذا كان لا بدّ أن يصل المرء إلى عجز عن العمل فعليه في زمن القدرة أن ينهض إلى العظائم فينالها ويستوفي حظه منها قبل أن يدركه العجز ويحوطه الحرمان.

المقَامَة البَصْريَّة

حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَام قَالَ: دَخَلْتُ ٱلبَصْرَةَ وَأَنَا مِنْ سِنِيّ فِي فَتَاءٍ[١]. وَمِنَ ٱلزِّيِّ فِي حِبَرٍ وَوِشَاءٍ[٢] وَمِنَ ٱلْغِنَى. فِي بَقَرٍ وَشَاءٍ[٣]. فَأَتَيْتُ ٱلْمِرْبَدَ فِي رُفْقَةٍ تَأْخُذُهُمُ ٱلْعُيُونُ[٤] وَمَشَيْنَا غَيْرَ بَعِيدٍ إِلَى بَعْض تِلْكَ ٱلْمُنْتَزَهَاتِ. فِي تِلْكَ ٱلْمُتَوَجِّهَاتِ[٥] وَمَلَكَتْنَا أَرْضٌ فَحَلَلْنَاهَا[٦]. وَعَمَدْنَا لِقِدَاحِ ٱللَّهْوِ فَأَجَلْنَاهَا. مُطَّرِحِينَ لِلْحِشْمَةِ إِذْ لَمْ يَكُنْ فِينَا تُهْمَة. فَمَا كَانَ بِأَسْرَعَ مِنِ ٱرْتِدَادِ ٱلطَّرْفِ حَتَّى عَنَّ لَنَا سَوَادٌ[٧]. تَخْفِضُهُ وِهَادٌ. وَتَرْفَعُهُ نِجَادٌ[٨]. وَعَلِمْنَا أَنَّهُ يَهُمُّ بِنَا[٩]. فَأَتْلَعْنَا لَهُ حَتَّى أَدَّاهُ إِلَيْنَا سَيْرُهُ[١٠]. وَلَقِينَا بِتَحِيَّةِ

---

(١) **الفتاء** الشباب.

(٢) **الزِّيّ** هيئة اللباس والحبر جمع **حبرة** ضرب من البرود اليمانية. **والوشاء** على وزن كساء جمع وشي نوع من الثياب الموشية أي المزيّنة المنقوشة. يريد أنه كان في لباس أهل النعمة واليسار.

(٣) **الشاء** اسم جمع للشياه. والمراد أنه كان صاحب ماشية كثيرة لتوفّر الغنى عنده.

(٤) **المربد** موضع يلي البصرة من جهة البرية وهو مكان عظيم السعة كانت تجتمع إليه العرب للتناشد والبيع والشرى كما كانوا يتعاكظون في سوق عكاظ. **وتاخذهم** العيون أي تنالهم بالنظر لحسن بزتهم وجمال هيئتهم.

(٥) يقال: وجهت المطرة الأرض أي صيّرتها وجهًا واحدًا فتوجّهت الأرض وكأن الزمن كان ربيعًا وللمطر في الأراضي ذلك الأثر فالمتوجهات نعت للأرضين المحذوفة. وفي نسخة: ودخلنا في بعض تلك الموجهات جمع موجه وهو الشيء يجعل في جهة واحدة لا يختلف والمواضع التي أنشئت فيها منتزهات المربد كانت مسواة لا عوج فيها.

(٦) **ملكتنا** أرض أخذت بزمام هوانا حسنًا وبهجة فكأنما ملكتنا واسترقتنا. **فحللناها** نزلنا بها.

(٧) أي فما كان الزمان بأسرع من ارتداد الجفن الأعلى من العين إلى الأسفل حتى ظهر لنا، **سواد** أي شبح. يقول: إننا بعد حلولنا لم يمض من الزمان أسرع من لمح البصر حتى ظهر لنا ذلك الشبح. واسم كان الذي أبرزناه مما يستغني الكلام عن ذكره فيفضّل حذفه.

(٨) **الوهاد** منخفضات الأرض. **والنجاد** مرتفعاتها. ونسبة الخفض والرفع إليها لأنها سببه.

(٩) **يهم** بنا يقصدنا فتكون هاء يهم مضمومة. وفي نسخة: يهمّ إلينا بكسر الهاء أي يدبّ إلينا.

(١٠) **اتلعنا** له مددنا أعناقنا إليه تطاولًا لمعرفة شخصه ولم نزل كذلك حتى أوصله السير إلينا.

ٱلْإِسْلَامِ. وَرَدَدْنَا عَلَيْهِ مُقْتَضَى ٱلسَّلَامِ(١). ثُمَّ أَجَالَ فِينَا طَرْفَهُ وَقَالَ: يَا قَوْمُ مَا مِنْكُمْ إِلَّا مَنْ يَلْحَظُنِي شَزْرًا. وَيُوسِعُنِي حَزْرًا(٢). وَمَا يُنَبِّئُكُمْ عَنِّي. أَصْدَقُ مِنِّي(٣). أَنَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ ٱلْإِسْكَنْدَرِيَّةِ. مِنَ ٱلثُّغُورِ ٱلْأُمَوِيَّةِ(٤). قَدْ وَطَّأَ لِيَ ٱلْفَضْلُ كَنَفَهُ(٥) وَرَحَّبَ بِي عَيْشٌ وَنَمَانِي بَيْتٌ. ثُمَّ جَعْجَعَ بِيَ ٱلدَّهْرُ عَنْ ثَمِّهِ وَرَمِّهِ(٦). وَأَتْلَانِي زَغَالِيلَ حُمْرَ ٱلْحَوَاصِلِ(٧):

كَأَنَّهُمْ حَيَّاتُ أَرْضٍ مَحْلَةٍ فَلَوْ يَعَضُّونَ لَذَكَّى سَمُّهُمْ(٨)

---

(١) **مقتضى** السلام ما يفرضه المسلم على المجيب من إجابته.

(٢) **اجال طرفه** فينا قلب نظره في وجوهنا. ولحظه **شزرًا** نظر إليه من جوانب العين نظر الساخط. **والحزر** التخمين وإعمال الفكرة في الوقوف على مبلغ الشيء بدون سؤال ولا استعمال معيار. والجالسون قد صرفوا فكرهم لمعرفة القادم عليهم ليتبينوه بنظرهم. ويقال: **اوسعه** شتمًا إذا بالغ في سبّه وأوسعه عطاء إذا أغزر له وهو ضرب من تعليق الفعل بشيء ثم تمييز جهة التعلّق وهي متعلق الفعل الحقيقي. وحقيقة القول أوسع شتمه وعطاءه وحزره. وفي نسخة بدل حزرًا خزرًا بالخاء المعجمة وهو النظر بلحظ العين. وفي أخرى: زجرًا بزاي وجيم ولا معنى لها إذ لم يخاطبه القوم بعد حتى يكونوا قد زجروه.

(٣) **لا ينبئكم** أي لا يخبر عن حقيقة حالي أحد أصدق مني لأن معرفتي بنفسي أوثق من معرفة كل أحد سواي.

(٤) تقدم أنه اتبع الإسكندرية بهذا الوصف لبيان أنها ليست الثغر المصري المشهور بل إسكندرية من ثغور الأندلس على النهر الأعظم نهر إشبيلية درست اليوم ولم يبق لها أثر. وقد ذكر صاحب القاموس أن هذا الاسم لست عشرة بلدة إحداها تلك التي على نهر إشبيلية ويعبّر عنه بالنهر الأعظم وقد ذكرها الخطيب المؤرخ في جغرافيته.

(٥) **وطا لي** الفضل كنفه أي مهّد لي جانبه وخفض منه إكرامًا لي. ومن وقره الفضل كان مقبولًا لديه ولا يقبل عند الفضل إلّا من يكون من أهله. **وترحيب** العيش به كناية عن إقباله عليه وإنزاله حيث يحب فقد كان من العيش في السعة المحمودة عند طلّابه. ونماه بيت أي رفعه وشرف منزلته بيت له سابق الحسب سمّي النسب.

(٦) **جعجع** بي الدهر أي حبسني ومنعني عن ثمه ورمه أي قليله وكثيره. والأصل في جعجع به لزم به **الجعجاع** وهو التراب ثم صار في معنى قعد به مطلقًا.

(٧) **الزغاليل** الأطفال. **والحوصلة** للطائر كالمعده للإنسان وحمرتها كناية عن الجوع لأن الطير إذا جاع تناثر ريشه فظهرت بشرته حمراء وأول ما يظهر من ذلك جلد الحوصلة. أو أراد بحمرة الحواصل خلوّها من الغذاء حتى لا لون فيها إلّا لون لحمها. أو أراد التهابًا من حرارة الجوع حتى كأن فيها نارًا تتقد ولها حمرة كحمرة الجمر.

(٨) **الارض** المحلة الخالية من النبات ولا تنبته. وحياتها أخبث الحيات ليبوسة متبوئها. **ونكى** السم من قولهم: ذكى الرجل إذا أسن وبدن أي لامتزج سمّهم بدم من عضوه وبلغ منه =

إِذَا نَـزَلْـنَـا أَرْسَـلُـونِـي كَـاسِـبًـا وَإِنْ رَحَـلْـنَـا رَكِـبُـونِـي كُـلُّـهُـمْ

وَنَشَزَتْ عَلَيْنَا ٱلْبِيضُ[1] وَشَمَسَتْ مِنَّا ٱلصُّفْرُ[2]. وَأَكَلَتْنَا ٱلسُّودُ[3] وَحَطَّمَتْنَا ٱلْحُمْرُ. وَٱنْتَابَنَا أَبُو مَالِكٍ[4]. فَمَا يَلْقَانَا أَبُو جَابِرٍ إِلَّا عَنْ عُفْرٍ[5] وَهٰذِهِ ٱلْبَصْرَةُ مَاؤُهَا هَضُومٌ وَفَقِيرُهَا مَهْضُومٌ[6]. وَٱلْمَرْءُ مِنْ ضِرْسِهِ فِي شُغُلٍ[7]. وَمِنْ نَفْسِهِ فِي كَلٍّ[8] فَكَيْفَ بِمَنْ:

يُـطَـوِّفُ مَـا يُـطَـوِّفُ ثُـمَّ يَـأْوِي إِلَـى زُغْـبٍ مُـحَـدَّدَةِ ٱلْـعُـيُـونِ[9]

= مبلغ المسن من سنه فيعسر شفاؤه وذلك كناية عن اشتداد الجوع بهم حتى لو رأوا شخصًا لنهشوه بأسنانهم كما تنهش الحيات التي لا قوت لها ما تظن لها فيه قوتًا.

(١) **نشزت** المرأة على زوجها استعصت عليه. **والبيضُ** الدراهم من الفضة أي استعصت علينا فلا تصل إلى أيدينا. ويروى: عنا. وهو ظاهر المعنى.

(٢) **الصُّفْر** الدنانير من الذهب. **وشمست** كما تشمس الدابة أي تمنع ظهرها من الركوب فكلما طلب منها لم يجبه مطلوبه فليس افتقاره لعدم الطلب ولكن لعداوة بينه وبين الذهب والفضة.

(٣) **السُّود** الليالي ببردها وحجبها عن العمل لسدّ الحاجة. **والحرار** من الأراضي ذات الحجارة السود التي لا تنبت نباتًا ولا ينفجر منها الماء وذلك ما رماه إليه التسيار فقد أكلته الليالي وماحل الأرضين بمعنى نحلت جسمه وأضنته بما مسّته به من مشاق الحاجة ومهالك الاضطرار. **والحمر** السنين الشديدة المجدبة.

(٤) **انتابنا** انتهت نوبته إلينا. **وأبو مالك** الكبر وذوو الفاقات وأهل الضراء يسرع فيهم ضعف الأبدان فيعجل إليهم الهرم.

(٥) **أبو جابر** الخبز لأنه يجبر ما كسره الجوع. **والعقر** أن لا يكون للرجل ولد. ويريد أن الخبز لا يلقاهم إلّا بعد أن أوغل الضعف في أبدانهم فإذا لقيهم وهو أبو جابر لقيهم عقمًا بدون ولده وهو جابر أي نالوا الخبز في حين لا يفيدهم أكله لاشتداد الضعف بهم. ويروى: عن عفر بضم العين بعدها فاء. وهي من ليالي الشهر السابعة والثامنة والتاسعة أي لا يلقاهم إلّا في مثل هذه الليالي من كل شهر. فإن ضمت الفاء أيضًا كان معناها الحين أو الشهر أي لا يلقانا إلّا عن حين أو شهر يمضي.

(٦) **هضوم** أي يهضم الطعام وينهكه فيدعو إلى كثرة الأكل وما أشقى من يأكل كثيرًا ولا يجد قليلًا. وفقيرها **مهضوم** أي مظلوم غير مرعي الحق.

(٧) يريد أن كل شخص مشغول بما يطلبه ضِرسه أي ما يفي بحاجة قوته.

(٨) المرء في تعب من حاجات نفسه وحدها فكيف إذا كانت له عيال لا كاسب لهم إلّا هو كما سيذكره في البيتين.

(٩) **يطوف** ما يطوف أي يسعى ويمشي في الأرض ما يمشي ثم يأوي ويسكن بعد فيئته من سعيه إلى صغار. **زغب** جمع أزغب وهو الطائر أول ما ينبت ريشه والولد أول ما ينبت فيه شعره اللين يريد الأطفال الصغار. **ومحددة** العيون كناية عن شدّة انتظارها للقوت فهي شاخصة الأبصار حديدتها تقلب أحداقها لاستطلاع ما يجلب إليها.

كَسَاهُنَّ ٱلْبِلَى شُعْثًا فَتُمْسِي   جِيَاعَ ٱلنَّابِ ضَامِرَةَ ٱلْبُطُونِ(١)

وَلَقَدْ أَصْبَحْنَ ٱلْيَوْمَ وَسَرَّحْنَ ٱلطَّرْفَ فِي حَيٍّ كَمَيْتٍ(٢). وَبَيْتٍ كَلَا بَيْتٍ. وَقَلَّبْنَ ٱلْأَكُفَّ عَلَى لَيْتَ. فَفَضَضْنَ عُقَدَ ٱلضُّلُوعِ(٣). وأَفَضْنَ مَاءَ ٱلدُّمُوعِ وَتَدَاعَيْنَ بِٱسْمِ ٱلْجُوعِ(٤):

وَٱلْفَقْرُ فِي زَمَنِ ٱللِّئَا   مِ لِكُلِّ ذِي كَرَمٍ عَلَامَهْ(٥)

رَغِبَ ٱلْكِرَامُ إِلَى ٱللِّئَا   مِ وَتِلْكَ أَشْرَاطُ ٱلْقِيَامَهْ(٦)

---

(١) **البلى** الدثور والرثاثة يريد منه النحول وقد شبّهه بالثوب يكسو لابسه ليفيد عمومه لجسمهم. **وشعثًا** حال من ضمير المفعول في كساهن وهو جمع **أشعث** بمعنى المغبر المتغير ولا يكون الطفل أشعث عادة إلّا إذا لم يوجد ما يتعهدونه به لتنظيف بدنه ودهن شعره وغير ذلك مما يلزم لإصلاح شأنه فهو يكني بذلك عن فاقة الذين يعولون أولئك الصغار. ويمكن أن يكون شعثًا بالتحريك وهو مفعول ثانٍ لكساهن أي أن النحول والرثاثة علت أبدانهم بالشعث. وقوله **فتمسي** فاؤه للتعليل والفعل خبر مبتدأ لطوي من الكلام والأصل أن يقال فهي تمسي جياع الناب. **والناب** السن خلف الرباعية ونسبة الجوع إليه مع أنه لا يوصف به إلّا المتألم بفراغ المعدة وليس الناب مما تتألم لذلك لأنه أراد من الجوع بعد العهد بالطعام أو لأن أثر الفراغ يظهر في الأسنان يحس الجائع بشيء من الحرارة في أصولها وإذا طال عهد الناب بالطعام. **ضمرت البطن** أي لحقت بالظهر.

(٢) يريد **بالحي** المشابه للميت نفسه أي إن أطفاله أصبحوا اليوم يطلقون أبصارهم إليه لظنهم أن فيه حياة تقدره على سدّ حاجتهم وهو أشبه بالميت في العجز عن إجابة النداء وتحقيق الرجاء. وهم أيضًا يقلبون أبصارهم في بيت يشبه عدم البيت لأن من لا قوت عنده فهو عرضة للهلكة فلا يكون في البيت وقاية له فكأنه في غير بيت.

(٣) **فض** الشيء بدّده. **وعقد الضلوع** جمع عقدة ما تماسكت عليه الضلوع بسلسلة الفقار. ومشهد الصغار على الحال التي وصف مع العجز عن إغاثتهن مما يحدث في النفس همًّا ويسلّط عليها حزنًا يقصم الظهر وينثر الضلوع من عقدها.

(٤) **تداعى** القوم دعا بعضهم بعضًا. وزغبه تداعت باسم الجوع أي كل واحد يدعو الآخر يا جائع أو هل أنت جائع أو أنا جائع فهل عندك شيء فيجيب الآخر وأنا مثلك وما شابه ذلك.

(٥) إذا كان الزمن **زمن اللئام** أي زمن عزهم وظهور أمرهم وإقبال الدهر عليهم كان الفقر في ذلك الزمن علامة لأهل الكرم لأن كل لئيم فيه موسر ويكون كل كريم معسرًا فيكون الإعسار علامة الكرام.

(٦) **صار** الأمر إلى اللئام فوصلتهم الدنيا بحطامها وأعوز الكرام وجود السداد لحاجتهم فرغبوا إلى اللئام يستمنحونهم العطاء وذلك من **أشراط القيامة** أي علامات انتهاء الدنيا وقرب يوم البعث والنشور لأن الدنيا إذا انتهت إلى آخر أجلها أصيبت بما يشبه الهرم فاختلّ منها =

وَلَقَدْ ٱخْتَرْتُمْ يَا سَادَةُ(١). وَدَلَّتْنِي عَلَيْكُمُ ٱلسَّعَادَةُ. وَقُلْتُ قَسَمًا(٢). إِنَّ فِيهِمْ لَدَسَمًا. فَهَلْ مِنْ فَتًى يُعَشِّيهِنَّ. وَهَلْ مِنْ حُرٍّ يُغَدِّيهِنَّ أَوْ يُرَدِّيهِنَّ(٣). قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ: فَوَٱللَّهِ مَا ٱسْتَأْذَنَ عَلَى حِجَابِ سَمْعِي كَلَامٌ رَائِعٌ أَبْرَعُ. وَأَرْفَعُ وَأَبْدَعُ. مِمَّا سَمِعْتُ مِنْهُ(٤). لَا جَرَمَ إِنَّا ٱسْتَمْحَنَا ٱلْأَوْسَاطَ(٥). وَنَفَضْنَا ٱلْأَكْمَامَ وَنَحَّيْنَا ٱلْجُيُوبَ. وَنُلْتُهُ أَنَا مُطْرَفِي(٦) وَأَخَذَتِ ٱلْجَمَاعَةُ إِخْذِي(٧). وَقُلْنَا لَهُ: ٱلْحَقْ بِأَطْفَالِكَ. فَأَعْرَضَ عَنَّا بَعْدَ شُكْرٍ وَفَّاهُ. وَنَشْرٍ مَلَأَ بِهِ فَاهُ(٨).

= نظام البنية واختلطت عليها مذاهب الإدراك فخرفت وأخذت تسند الأمر إلى غير أهله وتمنح الشيء غير مستحقه خبطًا بغير ربط لهذا قد يسود اللئام ويلتجئ إليهم الكرام.

(١) **اخترتم** مبني للمجهول نائب فاعله ضمير المخاطبين المتصل. أي وقع عليكم الاختيار مني للاستعطاء أيها السادة. ويروى: اخترتكم.

(٢) أي **اقسم قسمًا** أحلف يمينًا أن فيهم أي في القوم الذين يخاطبهم لدسمًا يريد خيرًا لأن الدسم في الطعام آية ملاءمته للطباع وسهولته على المتناولين بخلاف ما إذا كان يابسًا جافًا فإنه يشجي الطاعم وقلّما يفيد البنية بالتغذية وهذا مثل مشهور يقال: في فلان دسم إذا ظن به الخير. وفي النسخة: بدل دسمًا شيمًا جمع **شيمة** بمعنى السجية الطيبة سجية السخاء والكرم.

(٣) **يعشيهن** يطعمهن العشاء. **ويغشيهن** يكسوهن الغشاء أي اللباس لأنهن عراة. **ويغديهن** يطعمهن الغداء. **ويرديهن** يلبسهن الرداء وهو الكساء والبردة.

(٤) إذا طرق الكلام موضع السمع من الإذن فتارة ينبو عنه فينغلق باب الفهم دونه وأحيانًا يلتئم معه فيفتح له أبواب الذهن. فشبه حال السمع في طوريه بحال من له حجاب يقف المستأذن دونه والكلام بطارق قد يؤذن له فيدخل وقد لا فيرجع. **والرائع** المعجب. **والبرع** أي أعلى في جماله وحسنه وكل ما فاقك في كمال فقد برعك.

(٥) **لا جرم** كلمة تستعمل بمعنى حقًا. **واستمحنا** الأوساط سألناها أن تعطينا ما ننول به الرجل. **والأوساط** هي مناطقهم التي شدوها على أوساطهم لأن عادة أهل السفر أن يضعوا معظم دنانيرهم في تلك المناطق ثم يتمنطقون بها ولا يضعون في جيوبهم إلّا بعض الدراهم القليلة القيمة فهؤلاء أرادوا أن يعطوه من كثرهم لا من قلّهم فلهذا طلبوا من أوساطهم. **ونحوا** جيوبهم أي لم يطلبوها لينيلوه منها لقلة ما فيها ونفضوا أكمامهم ليخلصوا أيديهم إلى أوساطهم فيسرعون إلى العطاء. ويروى بدل نحينا الجيوب بحثنا بالباء والثاء بينهما حاء أي فتشنا فيها كما فتشنا في الأوساط لننوله.

(٦) **المجرف والمطرف** رداء من خز معلم.

(٧) **لخذ لخذه** سار على طريقته أي فعل الجماعة مثل ما فعلت فمنهم من أعطى عينًا ومنهم من كساه بما فضل من ثيابه.

(٨) يريد من **النشر** الثناء لأنه ينشر المحامد ويبثها بين الناس.

المقَامَةُ الفَزارِيَّة

حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ: كُنْتُ فِي بَعْضِ بِلَادِ فَزَارَةَ(١) مُرْتَحِلًا نَجِيبَةً. وَقَائِدًا جَنِيبَةً(٢). يَسْبَحَانِ بِي سَبْحًا. وَأَنَا أَهِمُّ بِٱلْوَطَنِ فَلَا ٱللَّيْلُ يَثْنِينِي بِوَعِيدِهِ(٣). وَلَا ٱلْبُعْدُ يَلْوِينِي بِبِيدِهِ. فَظَلِلْتُ أَخْبِطُ وَرَقَ ٱلنَّهَارِ(٤) بِعَصَا ٱلتَّسْيَارِ. وَأَخُوضُ بَطْنَ ٱللَّيْلِ. بِحَوَافِرِ ٱلْخَيْلِ. فَبَيْنَا أَنَا فِي لَيْلَةٍ يَضِلُّ فِيهَا ٱلْغَطَاطُ(٥). وَلَا يُبْصِرُ فِيهَا ٱلْوَطْوَاطُ. أَسِيحُ سَيْحًا(٦) وَلَا سَانِحَ إِلَّا ٱلسَّبُعُ(٧). وَلَا بَارِحَ إِلَّا ٱلضَّبُعُ. إِذْ عَنَّ لِي رَاكِبٌ تَامُّ

---

(١) **فزارة** قبيلة من قبائل العرب.

(٢) **النجيبة** الناقة الكريمة. **والجنيبة** من الخيل والإبل ما تقوده لتراوح بينه وبين ما ركبته فإذا تعبت راحلتك تحولت عنها إلى الجنيبة لتريح تلك. **ومرتحلًا** يريد راكبًا من باب الكناية لأن الارتحال من وضع الرحل على الناقة مثلًا ولا يضع رحله على ناقته إلّا ليركب.

(٣) **يهم** بالوطن يريده بعزيمة ثابتة لا يثنيه عن تلك العزيمة وعيد اللّيل بظلامه وأهوال ما يقع فيه ولا يلويه ويحوله عنها بعد المسافة بينه وبين الوطن وإن كان في ذلك **بيد** جمع بيداء متباعدة الأطراف خالية من السكان توحش سالكيها وتهلك المجتازين فيها.

(٤) **خبط** الشجرة أو خبط ورقها أي نفض الورق ليسقط وإضافة الورق للنهار من إضافة المشبه به للمشبه كإضافة العصا إلى التسيار بمعنى السير فكأن ساعات النهار ورق لدوحة الزمان لأنه يكسو الزمان بهاء كما يكسو الورق دوحته. وكأن السير عصا ينثر بها ورقة بعد ورقة. أي أنه قطع بسيره النهار ساعة بعد ساعة حتى جاء الليل فخيله بحرًا عظيم الغمرات بما فيه من مظان الازعاج والإخافة لهذا عبر عن السير فيه بالخوض في بطنه في حوافر الخيل.

(٥) **الغطاط** (بالغين المعجمة ووزن سحاب) القطا وهو يضرب المثل في الهداية يقال: فلان أهدى من القطا. والليل الذي يضلّ فيه القطا بهيم ساج لا سبيل فيه إلى الهداية. والوطواط من طبيعة بصره أن لا يرى إلّا في الليل فإذا لم يبصر الوطواط في ليلة كانت من الظلام بسواد لا مسرب للضياء فيه بالمرة ولم يكن حالها من حال سائر الليالي في شيء.

(٦) شبّه نفسه في سرعة سيره وسهولة انقياد نجائبه به بالماء، **يسيح** أي يسيل على وجه الأرض لا يحس له بوقع كما شبّه سير النجيبة والجنيبة في أول المقامة بالسبح وهو العوم في الماء.

(٧) **السانح** الذي يمر عن يمينك. **والبارح** الذي يمر عن يسارك من وحش وطير وظبي ويتيمنون بالسانح كما يتشاءمون بالبارح. أي ان الطريق مسبعة مخوفة حتى أن السائر فيها لا يجد من الحيوان سانحًا ولا بارحًا إلّا المفترسة من سبع وضبع.

ٱلْآلَاتِ[١] يَؤُمُّ ٱلْأَثَلَاتِ. يَطْوِي إِلَيَّ مَنْشُورَ ٱلْفَلَوَاتِ. فَأَخَذَنِي مِنْهُ مَا يَأْخُذُ ٱلْأَعْزَلَ. مِنْ شَاكِي ٱلسِّلَاحِ[٢] لٰكِنِّي تَجَلَّدْتُ فَقُلْتُ: أَرْضَكَ لَا أُمَّ لَكَ[٣] فَدُونَكَ شَرْطُ ٱلْحِدَادِ[٤]. وَخَرْطُ ٱلْقَتَادِ. وَخَصْمٌ ضَخْمٌ. وَحَمِيَّةٌ أَزْدِيَّةٌ[٥]. وَأَنَا سِلْمٌ إِنْ شِئْتَ[٦]. وَحَرْبٌ إِنْ أَرَدْتَ. فَقُلْ لِي مَنْ أَنْتَ. فَقَالَ: سِلْمًا أَصَبْتَ. فَقُلْتُ: خَيْرًا أَجَبْتَ فَمَنْ أَنْتَ. قَالَ: نَصِيحٌ إِنْ شَاوَرْتَ[٧]. فَصِيحٌ إِنْ جَاوَزْتَ. وَدُونَ ٱسْمِي لِثَامٌ[٨]. لَا تُمِيطُهُ ٱلْأَعْلَامُ. قُلْتُ: فَمَا ٱلطُّعْمَةُ[٩]. قَالَ: أَجُوبُ جُيُوبَ ٱلْبِلَادِ[١٠]. حَتَّى أَقَعَ عَلَى جَفْنَةِ

---

(١) **عنّ لي** ظهر لي وتراءى. **والتّام** الآلات المستكمل لسلاحه. **ويؤم الأثلات** أي يقصد أشجارًا من الأثل كانت أمامه في جهة المتكلم. ثم عبّر عن سرعته في المسير نحوه بقوله يطوي إلي أي نحوي منشور الفلوات جمع **فلاة** وهي البيداء الواسعة القفراء فكأنها لديه ثوب منشور وهو بسرعته يطويها حتى يضم أبعد أطرافها إليه.

(٢) **الأعزل** من لا سلاح معه. **وشاكي** السلاح حديده وذو شوكته. والأعزل يأخذه من شاكي السلاح إذا رآه وظنّ فيه الشرّ أشدّ الخوف.

(٣) **التجلّد** التثبت وإظهار القوة. **وأرضك** منصوب بالفعل المنوي أي ألزم أرضك وقف. **ولا أم له** دعاء عليه بفقد أمه. يبدأه بالشتم ليظن فيه قوة فيخشاه إذ لا يبدأ بالسوء إلّا قادر عليه عادة.

(٤) **الحداد** جمع حديد بمعنى القاطع من النصل سيفًا أو غيره أو النافذ من الظبا للأسنة ونحوها. **والشرط** من شرط الحجام موضع الحجامة إذا بزغه كنى به عن أثر الحداد وهو الجرح والقطع أي ليس بيني وبينك إلّا السيف. **والقتاد** شجر صلب له شوك صلب كذلك مثل الإبر. **وخرطه** ما خرط من شوكه ونثر على الأرض. والأمر الصعب المنال يقولون دونه خرط القتاد أي لا بدّ أن يصل الطالب إليه من طريق يدوس فيها على شوك القتاد وهي الطريق التي لا تداس.

(٥) نسبة إلى الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ أي قبيلة كبيرة لها بطون كثيرة مشهورة بالقوة وإباء الضيم.

(٦) **سلم** بكسر السين لا آتي حربًا إن شئت ذلك بأن لا تبدأني بالشر. ويقول أنا **حرب** أي محارب لك إن أردت ذلك بأن بادأتني بالعدوان.

(٧) **نصيح** صادق في نصحه لك إن شاورته يكنى بذلك عن صدق وصحة رأي معًا وهي فضيلة العقل والخلق. ثم ضمّ إلى ذلك فضيلة النطق فقال: فصيح إن حاورته أي حادثته.

(٨) **اللثام** ما يغطى به الفم من النقاب وأراد أنه أخفى اسمه كما يخفي المتلثم فمه فأي علم من الأعلام ذكره لا يميط عن اسمه ولا يكشف الحقيقة من علمه.

(٩) **الطعمة** بضم الطاء وسكون العين وجه الكسب يقال فلان عفيف الطعمة أي نقي.

(١٠) **جيوب** البلاد والأرضين مداخلها. **وجلبها** قطعها ووصل من جيب إلى آخر.

جَوَادٍ[١]. وَلِي فُؤَادٌ يَخْدِمُهُ لِسَانٌ. وَبَيَانٌ يَرْقُمُهُ بَنَانٌ[٢]. وَقُصَارَايَ كَرِيمٌ يَخْفِضُ لِي جَنِيبَتَهُ[٣]. وَيَنْفُضُ إِلَيَّ حَقِيبَتَهُ. كَٱبْنِ حُرَّةٍ طَلَعَ عَلَيَّ بِٱلْأَمْسِ. طُلُوعَ ٱلشَّمْسِ. وَغَرَبَ عَنِّي بِغُرُوبِهَا لٰكِنَّهُ غَابَ وَلَمْ يَغِبْ تَذْكَارُهُ. وَوَدَّعَ وَشَيَّعَتْنِي آثَارُهُ[٤]. وَلَا يُنَبِّئُكَ عَنْهَا. أَقْرَبُ مِنْهَا[٥]. وَأَوْمَأَ إِلَى مَا كَانَ لَبِسَهُ. فَقُلْتُ: شَحَّاذٌ وَرَبِّ ٱلْكَعْبَةِ أَخَّاذٌ[٦]. لَهُ فِي ٱلصَّنْعَةِ نَفَاذٌ. بَلْ هُوَ فِيهَا أُسْتَاذٌ. وَلَا بُدَّ مِنْ أَنْ تَرْشَحَ لَهُ وَتَسِحَّ عَلَيْهِ[٧]. فَقُلْتُ: يَا فَتَى قَدْ جَلَّيْتَ عِبَارَتَكَ[٨] فَأَيْنَ شِعْرُكَ مِنْ كَلَامِكَ. فَقَالَ: وَأَيْنَ كَلَامِي مِنْ شِعْرِي. ثُمَّ ٱسْتَمَدَّ غَرِيزَتَهُ[٩]. وَرَفَعَ عَقِيرَتَهُ. بِصَوْتٍ مَلَأَ ٱلْوَادِيَ وَأَنْشَأَ يَقُولُ:

---

(١) **الجفنة** القصعة الكبيرة. يريد حتى يصل إلى جواد كريم يأكل الضيفان من جفنته فيقع عليها.

(٢) **أطراف** الأصابع وبها الرقم أي الكتابة. أي له فؤاد ذكي يخدمه بالتعبير عما يمثله من المعاني لسان فصيح وله بيان بديع ومقال في الفصاحة رفيع تخطه أنامله أي أنه فصيح اللّسان فصيح القلم.

(٣) **الجنيبة** هنا إحدى الجنيبتين وهما شقا الحمل سُمِّيتا بذلك لأن كل واحدة منهما في جنب من جنبي البعير. **وخفضها** له إدناؤها منه وإنزالها من ظهر حاملها لتعطي له وقد يراد منها الجنيبة بمعنى المجنوبة وهي التي تقاد مع المركوبة. وفي رواية: يخفف لي جنيبته. ومعنى تخفيفها إليها الإسراع بها إليه هبة ليركبها ويبلغ غاية سفره عليها. والوجه ما اخترناه. **وقصاراي** أقصى مطلبي ذلك الكريم. **والحقيبة** وعاء الثياب ونحوها. **ونفضها** له إعطاؤه كل ما فيها وتفريغها له من كل ما حوت.

(٤) أي أن ذلك الكريم الذي عبّر عنه بابن الحرة إشارة لطيب منبته وإن كان ودعه وفارقه لكن آثاره من العطايا والهبات لم تودع ولم تفارق بل لم تزل تشيعه وتسير معه.

(٥) أي لا يخبرك عن تلك الآثار مخبر أقرب منها نفسها فإنها موجودة حاضرة رؤيتها هي الخبر عنها. **وأوما** أي أشار إلى الثياب التي كان قد لبسها في ذلك الوقت.

(٦) **الشحاذ** السائل وسمي بذلك لأنه يشحذ بسؤاله الهمم للعطاء. **والأخّاذ** نعت لشحاذ وصف مبالغة من الأخذ. وقوله **ورب الكعبة** قسم مقحم بين الوصف وموصوفه.

(٧) يخاطب نفسه كأنه يخاطب شخصًا آخر بقوله: لا بدّ أن **ترشح** لهذا الشحاذ أي تعطيه. ثم لما وجد الرشح لا يكفي استدرك بما عطف وقال: ويسح عليه من **سح** الماء إذا سال من فوق.

(٨) **جليت** عبارتك أظهرت منزلتها من مقام الفصاحة وأبرزتها في حلية البلاغة فأين مكانة شعرك من مكان كلامك. فأجاب منكرًا من شعري أي أن كلامي في الدرجة الدنيا جدًا من شعري بحيث لا يقاس إليه. وفي رواية: **احليت في** مكان جليت. أي وجدتها حلوة.

(٩) **الغريزة** الطبيعية أراد منها قريحة ذهنه. **واستمدها** طلب المدد منها بالتفكر. **ورفع عقيرته** صاح.

وَأَرْوَعَ أَهْدَاهُ لِيَ ٱللَّيْلُ وَٱلْفَلَا ... وَخَمْسٌ تَمَسُّ ٱلْأَرْضَ لٰكِنْ كَلَا وَلَا(١)
عَرَضْتُ عَلَى نَارِ ٱلْمَكَارِمِ عُودَهُ ... فَكَانَ مُعَمًّا فِي ٱلسِّيَادَةِ مُخْوَلَا(٢)
وَخَادَعْتُهُ عَنْ مَالِهِ فَخَدَعْتُهُ ... وَسَاهَلْتُهُ مِنْ بِرِّهِ فَتَسَهَّلَا(٣)
وَلَمَّا تَجَالَيْنَا وَأَحْمَدَ مَنْطِقِي ... بَلَانِيَ مِنْ نَظْمِ ٱلْقَرِيضِ بِمَا بَلَا(٤)

---

(١) **الأروع** الشهم الذكي الفؤاد أو الشجاع ومن إذا رأيته جهرك منظره ولكرامته عليه جعله بمنزلة جوهر نفيس يهدي فقال: أهداه لي الليل والفلا وخمس إلخ لأنه صادفه في الليل وفي الفلا. والذي ساقه إليه ومشى به نحو الأرجل وعبّر عنها بالخمس لأن كل رجل لها خمس أصابع وكل رجل ذات أصابع فهي بدون أصابعها لا تقوى على المشي ولا تؤدي العمل الذي نيط بها كما ينبغي فكأن الرجل هي الأصابع في فائدتها. وقوله **تمسّ الأرض** كناية عن سرعتها وأنها لا تلاقي الأرض إلّا مساسًا على غير ثبات وأكّد ذلك بقوله لكن كلا ولا أي أن مقدار مسيسها للأرض مقدار أن تلفظ بلفظ لا وقد عرف ضرب المثل سرعة في الزوال بلفظ لا ولا. وفي رواية: حمش جمع **الأحمش** وهو السريع الخفيف يصف قوائم فرسه وعليه فيكون القائل فارسًا لا راجلًا.

(٢) **المكارم** جمع مكرمة وهي إتيان الكرم وفعاله وشبّه المكارم بالنار في أن النار إذا عرض عليها شيء أذاعت ما فيه من طيب وخبيث وهكذا يعرض اللئيم عن المكارم فيأباها فيظهر لؤمه وخبث طبيعته. ويعرض الكريم فيعرف كرمه وحسن ملكته. ورشح هذا بقوله «عوده» والضمير للأروع. **والعود** طيب معروف تفوح رائحته إذا عرض على النار. والإضافة للتشبيه أيضًا. فلما عرض عوده على نار المكرمة عبقت منه رائحة الكرم ولا يكون ذلك إلّا إذا كرمت أصوله في آبائه وأمهاته فظهر أنه معهم في السيادة. وفي نسخة: **في السوابق** جمع سابقة أي من فعال الخير يريد أن له أعمامًا سادة أو يسبقون إلى الخيرات ولا يكون أعمامه كذلك حتى يكون البيت منبت كرم. **والمخول** من له أخوال وهو مخول في السيادة له فيها أخوال فيكون منبت أمه طيب التربة كمنبت آبائه.

(٣) من عادة الكريم أن يخدع عن ماله لأن المال حقير في نظره فلا يستعمل الحذق في حفظه لكن ذلك إذا كانت الخديعة بالاستجداء وحسن الوسيلة في الاستعطاء أما إذا كانت بطريق الغش في المعاملة فلا ينخدع الكريم لخادعه لأن الانخداع بغش المعامل إنما يكون عن غفلة وبلاهة وليسا من خلال الكرم في شيء. وقد روي عن عبدالله بن جعفر بعض الأسخياء المشهورين وهو يدقق في محاسبة أحد معامليه فقيل له: إنك تعطي الآلاف الكثيرة ولا تبالي كيف أعطيتها. فما بالك تسأل عن الدوانق. فقال: إنني أسمح بمالي لكن لا أسمح بعقلي. فهذا يمدح الأروع الذي لاقاه بأنه لما خادعه من ماله خدعه وغلبه بالخديعة. **وساهله** أتى إليه بما يسهل من برّه عليه فتسهل أي صار سهلًا. ويروى بدل من برّه في برّه.

(٤) **تجالينا** جلى كل واحد منا عن نفسه لصاحبه. وجاليته بالأمر جاهرته. **واحمد منطقي** رضيه إذ وجده محمودًا. وأراد من منطقه ما نطق به من نثر الكلام أولًا. وقوله: **بلاني** أي اختبرني بما اختبرني به من نظم القريض وهو الشعر.

فَـمَـا هَـزَّ إِلَّا صَـارِمًـا حِـيـنَ هَـزَّنِـي وَلَـمْ يَـلْـقَـنِـي إِلَّا إِلَـى ٱلـسَّـبْـقِ أَوَّلَا(١)
وَلَـمْ أَرَهُ إِلَّا أَغَـرَّ مُـحَـجَّـلًا وَمَـا تَـحْـتَـهُ إِلَّا أَغَـرَّ مُـحَـجَّـلَا(٢)

فَقُلْتُ لَهُ: عَلَى رِسْلِكَ يَا فَتَى(٣) وَلَكَ فِيمَا يَصْحَبُنِي حُكْمُكَ(٤). فَقَالَ: ٱلْحَقِيبَةُ بِمَا فِيهَا(٥). فَقُلْتُ: إِنَّ وَحَامِلَتَهَا(٦). ثُمَّ قَبَضْتُ بِجُمْعِي عَلَيْهِ(٧) وَقُلْتُ: لَا وَٱلَّذِي أَلْهَمَهَا لَمْسًا(٨). وَشَقَّهَا مِنْ وَاحِدَةٍ خَمْسًا. لَا تُزَايِلُنِي أَوْ أَعْلَمَ عِلْمَكَ(٩) فَحدرَ لِثَامَهُ عَنْ وَجْهِهِ(١٠) فَإِذَا هُوَ وَٱللَّهِ شَيْخُنَا أَبُو ٱلْفَتْحِ ٱلْإِسْكَنْدَرِيُّ. فَمَا لَبِثْتُ أَنْ قُلْتُ:

---

(١) من عادة الشجاع أن يهز سيفه ليبلوه قبل أن يضرب به وكان جعل اختباره له بالشعر بمنزلة هز الشجاع لسيفه فقال: إنه لما هزّني باختباره لم يهز إلّا صارمًا أي سيفًا قاطعًا يعني نفسه. ولما ابتلاني في السبق إلى غايات الإجادة لم يلقني إلّا أولًا إلى السبق أي أولًا في التقدم إليه.

(٢) **الأغرّ** أصله ما في وجهه غرة بيضاء من الخيل أريد به في مثل هذا الموضوع الكريم الفعّال الواضحة النية فيما يفعل. **والمحجل** من الخيل ما في قوائمه كلها أو بعضها بياض يأخذ من موضع الخلخال أي إلى ما فوق ولا يتجاوز الركبة. يضم إلى الأغرّ في المدح لإفادة أن الكرم كما يظهر في أعالي الفعال يظهر كذلك في أدانيها كما قال:

وأيـامـنـا مـشـهـورة فـي عـدونـا لـهـا غـرر مـعـلـومـة وحـجـول

«**وما تحته**» معطوف على الضمير في لم أره أي لم أر ما تحته إلّا أغرّ محجلًا. ولعلّه كان راكبًا جوادًا عندما لقيه. وعيسى بن هشام يحكي عن نفسه أنه كان راكبًا ناقته في أول سفره. ولعل الجنيبة كانت جوادًا والغرّة والتحجيل فيما تحته على حقيقتهما. ويروى في الشطر الأول: إلّا أعز بالعين المهملة والزاي. **محجبًا** من الحجاب أي لم أره إلّا أعزّ الناس جانبًا وأمنعهم من الهيبة حجابًا.

(٣) **على رسلك** كلمة تقوم مقام قف أو تمهّل وأصل الرسل بالكسر التؤدة.

(٤) لك الحكم فيما **يصحبني** أي فيما معي مما أحمله.

(٥) **الحقيبة** وعاء المتاع الذي معه يطلبها هي وما فيها من ثياب ونحوها.

(٦) «**إنّ**» جواب بمعنى نعم وحاملتها أي الناقة التي كانت تحمل الحقيبة معطوفة على ما فهم من أن وتقدير الكلام أعطيتك الحقيبة وحاملتها.

(٧) **جمعه** بالضم مجموع أصابعه.

(٨) **الضمير** في ألهمها للأصابع التي قبض بها عليه. **وألهمها** اللّمس أودعه فيها. وشقّها خمس أصابع من كف واحدة.

(٩) **لا تزايلني** لا تفارقني إلّا أن أعلم حقيقة حالك. يقال: علمت علمه إذا وقفت على حاله كما هي. وحقيقة القول علمت العلم المتعلق بك ولا يكون الإدراك علمًا إلّا إذا كان منطبقًا على المعلوم.

(١٠) **حدر** لثامه أماله عن وجهه حتى انكشف فظهر أن ذلك الفارس الشاكي السلاح هو شيخه أبو الفتح فلم يلبث أن أنشأ هذه الأبيات الآتية.

تَـوَشَّـحْـتَ أَبَـا ٱلْـفَـتْـحِ ... بِـهٰـذَا ٱلـسَّـيْـفِ مُـخْـتَـالَا[(١)]
فَـمَـا تَـصْـنَـعُ بِـٱلـسَّـيْـفِ ... إِذَا لَـمْ تَـكُ قَـتَّـالَا
فَـصُـغْ مَـا أَنْـتَ حَـلَّـيْـتَ ... بِـهِ سَـيْـفَـكَ خَـلْـخَـالَا[(٢)]

(١) **توشح** السيف تقلّده ومثله توشّح به. **والمختال** المعجب بحليته. يقول: إنك تعجب بما تقلدت من هذا السيف غير أنه لا محل للإعجاب فإنه لا ينبغي الإعجاب بشيء إلّا إذا كان في الموضع منه. فإن لم يكن قتالًا عارفًا كيف يزعج الأرواح من أجسامها بسيفه فماذا يصنع به وأي موضع للعجب به. ويروى: محتالًا بالهاء المهملة بدل مختالًا. والصواب ما ذكرناه.

(٢) **يقول:** إذا لم تك قتالًا وتوشّح السيف يشينك لا يزينك لأنك لست من أهله فإنما شأنك شأن النساء فصغ الحلية التي حليت بها سيفك واصنعها خلخالًا فهو أليق بك من السيف. وقوله: فما تصنع بالسيف إلخ تضمين لأبيات وهي:

لـقـد بـلـغـت مـا قـالا ... فـمـا بـالـيـت مـا قـالا
دع الـسـيـف لـمـن يـعـصـي ... بـه فـي الـحـرب أبـطـالا
وصـغ مـا كـنـت حـلـيـت ... بـه سـيـفـك خـلـخـالا
فـمـا تـصـنـع بـالـسـيـف ... إذا لـم تـك قـتـالا

المقَامَةُ الجَاحِظيَّة

حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ: أَثَارَتْنِي وَرِفْقَةً وَلِيمَةٌ[١] فَأَجَبْتُ إِلَيْهَا لِلْحَدِيثِ ٱلْمَأْثُورِ عَنْ رَسُولِ ٱللَّهِ صَلَّى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَوْ دُعِيتُ إِلَى كُرَاعٍ لَأَجَبْتُ. وَلَوْ أُهْدِيَ إِلَيَّ ذِرَاعٌ لَقَبِلْتُ[٢]. فَأَفْضَى بِنَا ٱلسَّيْرُ إِلَى دَارٍ.

تُرِكَتْ وَٱلْحُسْنَ تَأْخُذُهُ تَنْتَقِي مِنْهُ وَتَنْتَخِبُ[٣]
فَٱنْتَقَتْ مِنْهُ طَرَائِفَهُ وَٱسْتَزَادَتْ بَعْضَ مَا تَهَبُ[٤]

قَدْ فُرِشَ بِسَاطُهَا. وَبُسِطَتْ أَنْمَاطُهَا[٥]. وَمُدَّ سِمَاطُهَا. وَقَوْمٍ قَدْ أَخَذُوا ٱلْوَقْتَ بَيْنَ آسٍ مَخْضُودٍ[٦]. وَوَرْدٍ مَنْضُودٍ. وَدَنٍّ مَفْصُودٍ. وَنَايٍ وَعُودٍ. فَصِرْنَا إِلَيْهِمْ وَصَارُوا

---

(١) **اثارتني** أي هيّجتني وحرّكتني لإجابتها مع رفقة دعوا كذلك إليها. فوليمة فاعل أثار.

(٢) **المأثور** المروي عنه. **والكراع** بضم الكاف مستدق الساق يذكّر ويؤنّث وهو أحقر عضو في الحيوان يؤكل ولا يدعو إليه إلّا من بلغ به الفقر غايته. فالحديث تطييب في ترغيب نفس الفقير بإجابته إلى دعوته مهما بلغ منه الفقر وبقبول هديته وإن كانت ذراعًا من لحم. وفيه حثّ على إجابة الغني وقبول هديته أيضًا استجلابًا لمحبته أو استبقاءً لها. وموضع الإشارة إلى ذلك لفظ «لو» كما لا يخفى.

(٣) **تُرِكَتْ** والحسن بنصب الحسن أي خلي بينها وبينه. و«**تاخذ**» في موضع الحال كأنها غاية لتركها مع الحسن أي إنه خلي بينها وبين الحسن أي لتأخذ. و«**تنتقي**» بدل من تأخذه تفصيل له بعد إجمال. **والانتقاء** والاختيار أي تختار منه ما شاءته. يخيل الدار بما استجمعت من وجوه الحسن كأنها شخص مختار قد ملك الحسن يختار من أطواره ما شاء فهو يأخذ أكمله وأبهجه.

(٤) **انتقت** اختارت. **والطرائف** جمع طريف وهو الغريب النادر. فاختارت من الحسن غرائبه ونوادره ولم تقتصر اختيارها على ما يتم بهاءها ويكمل به جمالها بل طلبت من الزيادة على ذلك شيئًا من الحسن تهبه لغيرها فالحسن فيها يفضل عن الغاية.

(٥) **الأنماط** جمع نمط وهو ظهارة الفرش أيًا كان. وبسط الأنماط تغشية كل فراش بغشائه اللائق به. وكل **مصطف** فهو سماط فمدّ السماط وتصفيف مواد الزينة في جوانبها.

(٦) **وقوم** معطوف على دار. **والآس** شجر ورقه طيب الرائحة تسمّيه العامة ريحانًا ويعرف في مصر بالمرسين يحملونه إلى المقابر ليوضع على أسنمة القبور. **والمخضود** مفعول من =

إِلَيْنَا(١). ثُمَّ عَكَفْنَا عَلَى خِوَانٍ قَدْ مُلِئَتْ حِيَاضُهُ(٢). وَنَوَّرَتْ رِيَاضُهُ. وَٱصْطَفَّتْ جِفَانُهُ. وَٱخْتَلَفَتْ أَلْوَانُهُ. فَمِنْ حَالِكٍ بِإِزَائِهِ نَاصِعٌ(٣). وَمِنْ قَانٍ تِلْقَاءَهُ فَاقِعٌ. وَمَعَنَا عَلَى ٱلطَّعَامِ رَجُلٌ تُسَافِرُ يَدُهُ عَلَى ٱلْخِوَانِ(٤). وَتَسْفِرُ بَيْنَ ٱلْأَلْوَانِ. وَتَأْخُذُ وُجُوهَ ٱلرُّغْفَانِ(٥). وَتَفْقَأُ عُيُونَ ٱلْجِفَانِ. وَتَرْعَى أَرْضَ ٱلْجِيرَانِ. وَتَجُولُ فِي ٱلْقَصْعَةِ. كَٱلرُّخِّ فِي ٱلرُّقْعَةِ يَزْحَمُ بِٱللُّقْمَةِ ٱللُّقْمَةَ. وَيَهْزِمُ بِٱلْمِضْغَةِ ٱلْمِضْغَةَ. وَهُوَ مَعَ ذٰلِكَ سَاكِتٌ لَا يَنْبِسُ بِحَرْفٍ(٦). وَنَحْنُ فِي ٱلْحَدِيثِ نَجْرِي مَعَهُ حَتَّى وَقَفَ بِنَا عَلَى ذِكْرِ ٱلْجَاحِظِ

= خضده إذا ثناه من غير كسر. وكثيرًا ما يأتون بالآس يصنعون منه أشكالًا للزينة ولا بدّ في تشكيله بما يحبون من ثنيه وعطف بعض عيدانه على الآخر. **والمنضود** المصفوف. **والدن** وعاء الخمر. **والمفصود** الذي فض ختامه شبّهه بالعرق الذي يفصد فيسيل دمه. وكان الخمر لنقاوة لونه دم يسيل من العرق إذا فصد. **والناي** لفظة فارسية لآلة من المطربات تشبه الشبابة عند العرب والنغمات فيها صفيرية. **والعود** من الآلات ذوات الأوتار معروفة.

(١) أقبلنا عليهم وانصرفنا نحوهم وأقبلوا علينا.

(٢) **الخوان** ما يوضع فيها. **ونور** الشجر أخرج نوره وهو الزهر. ويريدون من الرياض البقاع بأشجارها والقصد فيها إلى الأشجار. والكلام تمثيل للخوان وما عليه من أنواع الطعام وألوانها بالرياض وألوان أزهارها. **والجفان** القصع الكبار وخصصها بالذكر مع أنها في الحياض لامتياز لها على سائر الآنية واختلاف الألوان كالتفسير لتنوير الرياض كما أن اصطفاف الجفان للتنصيص على بعض الحياض.

(٣) بيان لاختلاف الألوان فتجد بينها من **الحالك** أي الشديد السواد وبإزائه **الناصع** وهو شديد البياض، ومن **القاني** وهو البالغ في الحمرة وتلقاءه **الفاقع** وهو الشديد الصفرة.

(٤) يشبّه يده في تطاولها إلى ما بعد عنه بالمسافر يذهب من بلد إلى بلد ويسند إليها السفر. **وتسفر** من سفر بين القوم إذا مشى بينهم للصلح. ويده تجمع بين الألوان وتوفق بينها في اشغال المعدة وعمل التغذية وهي إذا امتزجت هناك زال التباين والتضاد بينها.

(٥) **الرغفان** جمع رغيف وما كان منه إلى أعلى التنور عند خبزه يسمى وجهًا وهو أجوده. وخيل ما في الجفان مقلًا في جفون وذلك الرجل يتناول من أوساطها فكأنه يفقأ تلك المقل بيده. وكنّى بأرض الجيران عمّا بين يديهم من الأطعمة واختصاص كل ما بين يديه من الطعام عادة مألوفة عند العرب وفي آداب الشريعة الإسلامية عن النبي ﷺ «كل مما يليك». فكأن ما يلي الآكل أرض له هو أحق برعيها من غيره. **والرخ** هنا آلة من أحجار الشطرنج يسير على الاستقامة حيث اتجه. **والرقعة** رقعة الشطرنج. وكان الأدخل في المبالغة لو أرادها أن يقول كالفرز في الرقعة كما لا يخفى لأن الفرز يسير في كل وجه من وجوه الرقعة.

(٦) لا **ينبس** أي لا ينطق. وقوله نجري معه أي مع الحديث فهو ينتقل بنا من موضوع إلى موضوع. والضمير في وقف للحديث أيضًا. **والجاحظ** من سلفاء العلماء في الأمة الإسلامية مات في خمس وخمسين ومائتين من الهجرة وكان أخطب أهل وقته وأكتب أبناء =

وَخَطَابَتِهِ. وَوَصْفِ ٱبْنِ ٱلْمُقَفَّعِ وَذَرَابَتِهِ. وَوَافَقَ أَوَّلُ ٱلْحَدِيثِ آخِرَ ٱلْخِوَانِ(١) وَزُلْنَا عَنْ ذٰلِكَ ٱلْمَكَانِ. فَقَالَ ٱلرَّجُلُ: أَيْنَ أَنْتُمْ مِنَ ٱلْحَدِيثِ ٱلَّذِي كُنْتُمْ فِيهِ. فَأَخَذْنَا فِي وَصْفِ ٱلْجَاحِظِ وَلَسَنِهِ(٢). وَحُسْنِ سَنَنِهِ فِي ٱلْفَصَاحَةِ وَسُنَنِهِ. فِيمَا عَرَفْنَاهُ. فَقَالَ: يَا قَوْمُ لِكُلِّ عَمَلٍ رِجَالٌ. وَلِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالٌ. وَلِكُلِّ دَارٍ سُكَّانٌ. وَلِكُلِّ زَمَانٍ جَاحِظٌ(٣). وَلَوْ ٱنْتَقَدْتُمْ. لَبَطَلَ مَا ٱعْتَقَدْتُمْ. فَكُلٌّ كَشَرَ لَهُ عَنْ نَابِ ٱلْإِنْكَارِ(٤). وَأَشَمَّ بِأَنْفِ ٱلْإِكْبَارِ. وَضَحِكْتُ لَهُ لِأَجْلُبَ مَا عِنْدَهُ وَقُلْتُ: أَفِدْنَا. وَزِدْنَا. فَقَالَ: إِنَّ ٱلْجَاحِظَ فِي أَحَدِ شِقَّيِ ٱلْبَلَاغَةِ يَقْطِفُ(٥). وَفِي ٱلْآخَرِ يَقِفُ. وَٱلْبَلِيغُ مَنْ لَمْ يُقَصِّرْ نَظْمُهُ عَنْ نَثْرِهِ. وَلَمْ يُزْرِ كَلَامِهِ بِشِعْرِهِ(٦). فَهَلْ تَرْوُونَ لِلْجَاحِظِ شِعْرًا رَائِعًا. قُلْنَا: لَا. قَالَ: فَهَلُمُّوا إِلَى كَلَامِهِ

= عصره. **وابن المقفع** من رجال المائة الثانية من الهجرة من الحكماء المشهورين والبلغاء المعروفين وهو الذي ترجم كتاب كليلة ودمنة من الفارسية. **وبالذرابة** حدة اللّسان.

(١) اتفق أن أول الحديث في الجاحظ وابن المقفع كان في آخر لحظة من جلوسهم على الخوان فقد أقام الخوان مقام وقت تعلق العمل به. **وزال** عن المكان تنحّى عنه.

(٢) **اللَّسَن** بالتحريك ذلاقة اللّسان وحسن انطلاقه في البيان. **والسنن** الأول بفتح السين الطريقة. **والسنن** الثاني بفتحها وكسرها وضمها النهج. وقوله «فيما عرفناه» أي فيما علمناه من المأثور عنه وعن غيره كان استحسانًا لطريقته ونهجه.

(٣) تلك الجمل كلها أمثال في أن الشيء يختلف باختلاف زمانه ومكانه فكلامهم في الجاحظ وتفضيلهم له على من سواه يصحّ لو قيس الجاحظ مع أهل زمنه. فلو قيس إلى أبناء زمانهم فربما كان فيهم من يماثل الجاحظ ويفوقه يريد أنه جاحظ الزمان أو يزيد عليه.

(٤) وفي رواية: عن نابه للإنكار. وأشم بأنفه للإكبار. **كشر** عن نابه أبداه وكشفه يكون ذلك عند الضحك وشدّة الغضب وما هنا من قبيل الثاني. **واشم** بأنفه رفعه لإكبار الكلام وإعظامه. والإشارة إلى أنه أكبر من قائله ولا ينبغي أن يصدر من مثله. والرواية التي اخترناها أعلى وأبلغ. ويروى: وضحكت إليه بدل ضحكت له ولأجلب ما لديه بدل أجلب ما عنده والكل صحيح فصيح.

(٥) **احد** شقي البلاغة يريد منه النثر. **ويقطف** من قطفت الدابة إذا ضاق خطوها في المشي. والشق الآخر هو النظم. وليس للجاحظ فيه شهرة يزاحم بها الشعراء فكأنه لم يقل فيه شيئًا.

(٦) كأنه يشترط في البليغ أن يكون مجيدًا في النثر والنظم معًا فلا يزري نثره بشعره. أي إذا نظرت إلى كلامه في النثر ثم نظرت إلى شعره في النظم لا تحقر النظم لعلو النثر عليه بل ترى كلًا منهما رفيعًا في بابه. أما من إذا نظرت إلى نثره حقرت شعره بالقياس إليه فليس ببليغ. هكذا يزعم أبو الفتح وما زعمه بصحيح عند أهل الصناعة. نعم إذا اجتمعت الإجادة في النوعين لواحد كان أكمل من المجيد في واحد فقط.

فَهُوَ بَعِيدُ ٱلْإِشَارَاتِ[١]. قَلِيلُ ٱلاسْتِعَارَاتِ. قَرِيبُ ٱلْعِبَارَاتِ. مُنْقَادٌ لِعُرْيَانِ ٱلْكَلَامِ يَسْتَعْمِلُهُ[٢]. نُفُورٌ مِنْ مُعْتَاصِهِ يُهْمِلُهُ. فَهَلْ سَمِعْتُمْ لَهُ لَفْظَةً مَصْنُوعَةً. أَوْ كَلِمَةً غَيْرَ مَسْمُوعَةٍ[٣]. فَقُلْنَا لَا. قَالَ: فَهَلْ تُحِبُّ أَنْ نَسْمَعَ مِنَ ٱلْكَلَامِ مَا يُخَفِّفُ عَنْ مَنْكِبَيْكَ[٤] وَيَنِمُّ عَلَى مَا فِي يَدَيْكَ. فَقُلْتُ: إِي وَٱللَّهِ. قَالَ: فَأَطْلِقْ لِي عَنْ خِنْصِرِكَ[٥]. بِمَا يُعِينُ عَلَى شُكْرِكَ. فَنُلْتُهُ رِدَائِي. فَقَالَ:

---

(١) **الضمير** في فهو بعيد إلخ للجاحظ أي إنه يوجز في القول ويرمي به إلى معانٍ بعيدة أو يسوق الكلام إلى معانٍ قريبة ثم يومي في سياقه إلى أخرى بعيدة ومع ذلك يسلك مسالك الحقيقة على بعد من الاستعارة وخفي التشبيه. **وقرب** العبارات دنوها من المتعارف في التخاطب لا ترقى على المألوف بمرتبة عالية.

(٢) **عريان** الكلام ما كان باديًا لسامعه بجوهره لا تكسوه ثوب الصنعة ولا ينجلي في حلل التخييل من نسج القريحة. **ومعتاص** الكلام هو ما أبدع فيه صاحبه بما يعمل في تزيينه وزخرفته فبعد عن أذهان العامة فاعتاص عليها أي امتنع. وكان الكلام العريان له غلبة على الجاحظ فهو منقاد له. وقوله **يستعمله** على تقدير فهو يستعمله ومثل ذلك يهمله. وفي رواية: بديعه عوض معتاصه.

(٣) أي أن المفردات في كلام الجاحظ والأساليب ليس منها شيء يستغربه السمع ويستطرفه بل كله مما لم تلطفه الصنعة ولم يأت منه على النفس ما تعجب له. وهذه الأوصاف التي يعدها كأنها من مناقص كلام الجاحظ هي أعلى مزايا الكلام عند أهله وهي التي ترفع مقامه على غيره وهذا المذهب الذي سلكه الجاحظ هو مذهب رجال البلاغة الأولين ومجال فرسانها السابقين. أما المصنوعات فهي من احداث الموضوعات لا ينظر إليها إلّا صبية هذه الصناعة. ويروى: أو كلمة مسجوعة.

(٤) **المنكب** مجتمع رأس العضد والكتف. وكان عيسى بن هشام قد حمل حملًا ثقيلًا بالتزامه المدافعة عن الجاحظ ولا يجد سبيلًا لإلقاء هذا الحمل ما لم يجد دليلًا واضحًا على خلاف ما يعتقد. وأبو الفتح يريد أن يأتي له من الكلام بما يقنعه بأن في الناس من هو أفصح لسانًا من الجاحظ وأدق منه صنعة فيخف الحمل عن منكبيه ويجد راحة اليقين بما كشف له من الحقيقة. ونمّ عليه أفشى حاله وبثّه في الناس. **وما في يديه** كنى به عن المال وكان هذا الكلام يحمل عيسى بن هشام على بذل ماله فيشيع ذكره بين الناس به.

(٥) **الخنصر** أقصر الأصابع ويضرب المثل بعقده في الحرص فيقال هذا مما تعقد عليه الخناصر أي يحرص عليه لأنه أول ما يقبض العاد عقد الحسب على الأصابع وآخر ما يفتح منها بعد قبض خمسة وتكميل الحساب إلى العشرة. فبفتحه تكون الكف كلها مبسوطة وهو أقرب الأصابع طرفًا إلى الكف فإذا انقبض الكف على شيء كان أول إصبع ينطبق عليه هو الخنصر فكأنه وضع المعقد على شيء في الكف. فقوله أطلق لي خنصرك كناية عن أبسط يدك إليه بعطاء يحرك في نفسي داعية إلى مدحك فينطلق به لساني وتجود قريحتي فإن الكلام =

لَعَمْرُ ٱلَّذِي أَلْقَى عَلَيَّ ثِيَابَهُ … لَقَدْ حُشِيَتْ تِلْكَ ٱلثِّيَابُ بِهِ مَجْدَا[١]
فَتًى قَمَرَتْهُ ٱلْمَكْرُمَاتُ رِدَاءَهُ … وَمَا ضَرَبَتْ قِدْحًا وَلَا نَصَبَتْ نَرْدَا[٢]
أَعِدْ نَظَرًا يَا مَنْ حَبَانِي ثِيَابَهُ … وَلَا تَدَعِ ٱلْأَيَّامَ تَهْدِمُنِي هَدًّا[٣]
وَقُلْ لِلأُولَى إِنْ أَسْفَرُوا أَسْفَرُوا ضُحًى … وَإِنْ طَلَعُوا فِي غُمَّةٍ طَلَعُوا سَعْدَا[٤]
صِلُوا رَحِمَ ٱلْعُلْيَا وَبُلُّوا لَهَاتَهَا … فَخَيْرُ ٱلنَّدَى مَا سَحَّ وَابِلُهُ نَقْدَا[٥]

= إذا لم يكن له من النفس باعث فقلّما يكون جيدًا. وفي نسخة: أطلق لي عن خصرك بدون نون بعد الخاء و**الخصر** ما بين الأضلاع ورأس الورك. ومن عادة أهل الخيلاء أن **يتخصّروا** أي يضعوا أيديهم في خصورهم فيكون خصره بين إبهامه وسبابته فإذا أطلق خصره فقد خلي من خيلائه وهبط إلى معرفة حال مخاطبه أو مجالسه فصار إطلاق الخصر كناية عن إعطاء المخاطب حقّه وإجابة السائل إلى سؤله. ويقال في تفسير **اطلق** خصرك أخرج لي عن ردائك واخلعه عليّ لأن الرداء ملفوف على الخصر فيطلق عنه بخلعه. وهو قريب أيضًا. وقوله: **فنلته** أي أعطيته ردائي إذ لم يكن معي ما أنقده.

(١) إذا حشيت الثياب وملئت بالمجد ولا مالىء لها إلّا لابسها هو المجد بعينه.

(٢) **قمرته** أي غلبته في القمار والغالب فيه يأخذ من المغلوب ما تقامرا عليه من المال. فقد أنزل المكرمات منزلة مقامر مع الممدوح فغلبته فسلبته ثيابه والانغلاب للمكارم فخر للمغلوب وأي فخر أعظم من أن يكون الرجل مشيرًا تحت سلطان المكارم وهو الغالب على إرادته. ثم نفى عنه أن يكون منه مع المكارم ما يكون بين المتقامرين من طلب كل غلبة الآخر فقال: إن المكارم في غلبتها لم تضرب **قدحًا** وهو بالكسر سهم القمار لأن من عادتهم كانوا إذا تقامروا أن يأتوا بسهام كتب على بعضها نصيب وأغفل البعض الآخر ثم أجالوها وهو المعنى من ضربها ثم مدّ كل يده فمن خرج له ذو النصيب فاز ومن خرج له الغفل غرم. **والنرد** بالفتح آلة للعب القمار تعرف اليوم عند العوام بالطاولة. فالمكارم وإن كانت قمرته إلّا أنها لم تستعمل مع آلة القمار بل كان الغلب لها لذاتها.

(٣) يطلب منه أن يعيد النظر في حاله فيمنحه منحة أخرى سوى الرداء فيحفظ نفسه من الأيام التي تهدمه بشدائدها هدًّا والهدم والهدّ بمعنى واحد.

(٤) **«الأولى»** في مكان «الذين» وأراد منهم هنا القوم المجتمعين مع الممدوح في مجلسهم ووصفهم بأنهم إن **اسفروا** أي أشرقوا وظهروا على عوائدهم كان إشراقهم إشراق **الضحى** وهو ضوء الشمس عند سطوعه بعد أول طلوعها وهو أظهر ما يكون من ضيائها. وإن طلعوا في **غمة** أي ظلمة طلعوا مطالع السعد وفي الكواكب سعد ونحس. فهؤلاء إن برزوا للكروب جلوها دائمًا فهم سعد أبدًا.

(٥) **صلوا** رحم العليا إلخ مفعول قل. **والعليا** الشرف وقد أقامها مقام نسيب من أنسبائهم يحتاج منهم إلى صلة الرحم والإحسان إليه. **واللهاة** اللحمة المشرفة على الحلق في أقصى سقف الفم. إذا عطش الشخص قالوا جفت لهاته ويبست. فكأنه يقول العليا من ذوي نسبكم وهي عطشى فبلوا لهاتها وارووها بالعطاء. **والندى** يطلق على الكرم وهو المعنى القريب =

قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ: فَٱرْتَاحَتِ ٱلْجَمَاعَةُ إِلَيْهِ. وَٱنْثَالَتِ ٱلصِّلَاتُ عَلَيْهِ[(١)].
وَقُلْتُ لَمَّا تَآنَسْنَا: مِنْ أَيْنَ مَطْلِعُ هٰذَا ٱلْبَدْرِ. فَقَالَ:

إِسْكَنْدَرِيَّةُ دَارِي لَوْ قَرَّ فِيهَا قَرَارِي
لٰكِنَّ لَيْلِي بِنَجْدٍ وَبِٱلْحِجَازِ نَهَارِي

= المراد هنا وعلى رطوبة الهواء وهو أصل المعنى في المادة. والوابل الغزير وفي غزارة الندى حياة الأرض بنباتها فإن أريد المعنى الثاني كان السّح والوابل على حقيقتهما وتكون القضية من قبيل الاستدلال بضرب المثل أي كما أن خير الندى ما سحّ وابله حالًا كذلك خير الكرم ما أغزر نائله وأسرع عاجله. وإن كان المراد من الندى معناه الأول فالسّح والوابل تخييل له في صورة الأول.

(١) **الصلات** جمع صلة أراد منها العطايا. وإنما سميت بالصلة لأنها تصل ما بين المعطي والآخذ وتربط بينهما برباط المحبة. **وانثالت** انهالت وانصبت عليه من الحاضرين. وبقية الكلام والبيتان واضح المعنى.

المقَامَةُ المَكفوفيَّة

حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ: كُنْتُ أَجْتَازُ(١) فِي بَعْضِ بِلَادِ ٱلْأَهْوَازِ. وَقُصَارَايَ لَفظَةٌ شَرُودٌ أَصِيدُهَا(٢). وَكَلِمَةٌ بَلِيغَةٌ أَسْتَزِيدُهَا. فَأَدَّانِيَ ٱلسَّيْرُ إِلَى رُقْعَةٍ فَسِيحَةٍ مِنَ ٱلْبَلَدِ(٣) وَإِذَا هُنَاكَ قَوْمٌ مُجْتَمِعُونَ عَلَى رَجُلٍ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْهِ وَهُوَ يَخْبِطُ ٱلْأَرْضَ بِعَصًا عَلَى إِيقَاعٍ لَا يَخْتَلِفُ(٤) وَعَلِمْتُ أَنَّ مَعَ ٱلْإِيقَاعِ لَحْنًا. وَلَمْ أَبْعُدْ لِأَنَالَ مِنَ ٱلسَّمَاعِ حَظًّا(٥). أَوْ أَسْمَعَ مِنَ ٱلْفَصِيحِ لَفْظًا. فَمَا زِلْتُ بِٱلنَّظَّارَةِ(٦) أَزْحَمُ هٰذَا وَأَدْفَعُ ذَاكَ حَتَّى وَصَلْتُ إِلَى ٱلرَّجُلِ وَسَرَّحْتُ ٱلطَّرْفَ مِنْهُ إِلَى حُزُقَّةٍ كَٱلْقَرَنْبَى(٧) أَعْمَى مَكْفُوفٍ. فِي

---

(١) **أجتاز** أمرُّ. **والأهواز** تسع كور بين البصرة وفارس لكل كورة منها اسم ولكن لا تفرد باسم هوز وهي: رامهرمز وعسكر مكرم وتستر وجنديسابور وسوس وسرق ونهر تيري وايذج ومناذر.

(٢) **قصاراه** غايته ونهايته أي قصارى ما أطلب أن أصيد لفظة تشرد عن الأذهان ولا تتقيد بها لقلة استعمالها إلّا على ألسنة البلغاء والفصحاء فهي ليست مبتذلة تطرق الآذان كل يوم. **واستزيدها** أطلب زيادتها على ما عندي. ويروى: أستفيدها.

(٣) يريد بالبلد أحد بلاد الأهواز لأن الأهواز عدة كور كما تقدم فتعريفها للعهد الذهني.

(٤) أي إن قرعه بالعصا كان على أصول الأنغام ليس فيه اختلال ولا تشويش وهو معنى الاختلاف. **والإيقاع** هو أن يوقع المغني كل لحن موقعه ويبينه ويميزه عن غيره. وقد علم من الإيقاع في قرع العصا أن معه لحنًا في الصوت أيضًا.

(٥). **كنى** بنفي البعد عن القرب والدنو من المتكلم لينال حظًا من سماعه.

(٦) **النظارة** القوم يجتمعون لينظروا إلى شيء من قتال ونحوه وهؤلاء قد اجتمعوا لينظروا المتكلم.

(٧) **الحزقة** والحزق العظيم البطن القصير وإذا مشى كأنه يدير عجزه. **والقرنبى** بالقصر دويبة تشبه الخنفساء طويلة الرجلين. ولفظ «منه» متعلق بما هو حال من حزقة تقدم عليها ولو أخّر لكان وصفًا لها وهو من باب التجريد كما تقول لقيت به أسدًا ورأيت فيه شيخًا جليلًا. كأن هذا المتكلم مجموع كراته من جملتها الحزقة مع أن الحزقة هو بعينه. ويصح أن يكون «منه» متعلقًا بسرحت أي أطلقت النظر منه إلى كذا أي بسببه وفيه وهو ظاهر. **ومكفوف** صفة مؤكدة لأعمى أي مكفوف البصر ممنوع من النظر. **والشملة** كساء يشتمل به. **والخذروف** كما تقدم حصاة تعمل من الطين وتثقب فيجعل فيها الصبيان خيطًا فيديرها الصبي على رأسه في الهواء بسرعة يضرب بسرعته المثل.

شَمْلَةِ صُوفٍ. يَدُورُ كَٱلْخُذْرُوفِ. مُتَبَرْنِسًا بِأَطْوَلَ مِنْهُ(١) مُعْتَمِدًا عَلَى عَصًا فِيهَا جَلاجِلُ يَخْبِطُ ٱلأَرْضَ بِهَا عَلَى إِيقَاعٍ غَنِجٍ(٢). بِلَحْنٍ هَزِجٍ. وَصَوْتٍ شَجٍّ. مِنْ صَدْرٍ حَرِجٍ. وَهُوَ يَقُولُ:

يَا قَوْمُ قَدْ أَثْقَلَ دَيْنِي ظَهْرِي ... وَطَالَبَتْنِي طَلَّتِي بِٱلْمَهْرِ(٣)
أَصْبَحْتُ مِنْ بَعْدِ غِنًى وَوَفْرِ ... سَاكِنَ قَفْرٍ وَحَلِيفَ فَقْرِ(٤)
يَا قَوْمُ هَلْ بَيْنَكُمُ مِنْ حُرِّ ... يُعِينُنِي عَلَى صُرُوفِ ٱلدَّهْرِ(٥)
يَا قَوْمُ قَدْ عِيلَ لِفَقْرِي صَبْرِي ... وَٱنْكَشَفَتْ عَنِّي ذُيُولُ ٱلسِّتْرِ(٦)
وَفَضَّ ذَا ٱلدَّهْرُ بِأَيْدِي ٱلْبَتْرِ ... مَا كَانَ لِي مِنْ فِضَّةٍ وَتِبْرِ(٧)
آوِي إِلَى بَيْتٍ كَقَيْدِ شِبْرِ ... خَامِلَ قَدْرٍ وَصَغِيرَ قِدْرِ(٨)
لَوْ خَتَمَ ٱللَّهُ بِخَيْرٍ أَمْرِي ... أَعْقَبَنِي عَنْ عُسْرٍ بِيُسْرِ(٩)

---

(١) **متبرنسًا** من تبرنس إذا لبس البرنس وهو كل ثوب يكون غطاء الرأس جزءًا منه متصلًا به. فهذا الرجل برنسه يزيد عنه طولًا وهو دليل على أن البرنس لم يكن مفصلًا عليه بل جاءه من مانح.

(٢) **الغنج** الحسن **والهزج** الذي فيه هزج وهو الترنم. **والصوت** الشجي الصادر عن حزن وأسف ونسبة الشجي إليه مع أن الشجي صاحبه لأنه مظهر الحزن الكامن في قلب الحزين. **والحرج** الضيق. والكناية بضيق الصدر عن شدّة الغم مبذولة غير مجهولة.

(٣) **يشكو** من ثقل الدين عليه بثقل مطالبة الغرماء له كأنما يحمل على ظهره ما لا يحتمل وزاده ثقلًا مطالبة طلته (بفتح الطاء) أي زوجته بمهرها.

(٤) **الوفر** الزيادة في الثروة. **والقفر** ما لا نبات فيه ولا عمران. وحليف الفقر معاهدة الذي لا يسلمه.

(٥) **صروف** الدهر ما يأتي من شدائد.

(٦) **عيل صبره** غلب من شدة الفقر. ومن عادة الغني أن يستر ما في النفس من حاجة وذلّة فإذا نزل الفقر انكشف ستر الغنى. ورشح استعارة الستر بالذيول.

(٧) **فضّه** فرّقه. وذا اسم إشارة فاعل فض. والدّهر بدل منه. **والبتر** القطع. و«ما كان» مفعول فض. **والتبر** بالكسر ما كان من الذهب غير مسكوك وأراد منه الذهب مطلقًا. أي فرق هذا الدهر ما كان عندي من فضة وذهب بيد باترة قاطعة مبيدة.

(٨) **آوي** إلى البيت ارجع إليه للثواء به. **وقيد الشبر** وقاده مقداره. يصف ضيق البيت حتى أن مساحته لا تزيد على شبر. **وخامل القدر** ساقطه لا ذكر له بين الناس ولا منزلة له في قلوبهم. **والقدر** بالكسر ما يطبخ فيه. فهو مع سقوط قدره ليس عنده من القوت إلّا ما يسعه قدر صغير.

(٩) لو جعل اللّه خاتمة أمره خيرًا جعل له في عاقبة العسر الذي هو فيه يسرًا وغنى. وفي نسخة: من بدل عن.

هَلْ مِنْ فَتًى فِيكُمْ كَرِيمِ ٱلنَّجْرِ   مُحْتَسِبٍ فِيَّ عَظِيمَ ٱلْأَجْرِ[١]
إِنْ لَمْ يَكُنْ مُغْتَنِمًا لِلشُّكْرِ

قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ: فَرَقَّ لَهُ وَٱللَّهِ قَلْبِي وَٱغْرَوْرَقَتْ لَهُ عَيْنِي[٢]. فَنُلْتُهُ دِينَارًا كَانَ مَعِي. فَمَا لَبِثَ أَنْ قَالَ:

يَا حُسْنَهَا فَاقِعَةٌ صَفْرَاءُ   مَمْشُوقَةٌ مَنْقُوشَةٌ قَوْرَاءُ[٣]
يَكَادُ أَنْ يَقْطُرَ مِنْهَا ٱلْمَاءُ   قَدْ أَثْمَرَتْهَا هِمَّةٌ عَلْيَاءُ[٤]
نَفْسُ فَتًى يَمْلِكُهُ ٱلسَّخَاءُ   يَصْرِفُهُ فِيهِ كَمَا يَشَاءُ[٥]
يَا ذَا ٱلَّذِي يَعْنِيهِ ذَا ٱلثَّنَاءُ   مَا يَتَقَصَّى قَدْرَكَ ٱلْإِطْرَاءُ[٦]
ٱمْضِ إِلَى ٱللَّهِ لَكَ ٱلْجَزَاءُ

---

(١) **يستفهم** استفهام محرض حاث لا استخبار من يطلب الجواب بنعم أو لا. **والنجر** بالفتح الأصل. **واحتساب** الأجر فيه جعل العوض عما يعطيه نيل الأجر والثواب الأخروي من اللّه فكأنه حسب عوضه على اللّه وادخره في خزانته فهو معدود في حسابه هذا إذا لم يكن مغتنمًا وطالبًا غنيمة الحمد والشّكر.

(٢) **اغرورقت** العين غرقت في دموعها. **ونلته** أعطيته.

(٣) ينادي حسنها كأنه باد له ظاهر يجيبه في ندائه أبانه منه لظهور حسنها في نهايته. **وفاقعة** بالرفع خبر لمحذوف استأنفه لبيان وجوه الحسن. **والفاقعة** الشديدة الصفرة وكان من اللازم تأخيرها عن صفراء لتأتي موكدة للوصف غير أنه عدل عن ذلك للوزن وجعلها وصفًا ثم بيّنه بالصفراء كأنه قال فاقعة في صفرتها ولا خير فيه. **والممشوقة** الخفيفة. ويروى: **مشوفة** أي مجلوة. ويروى مشرقة. **والقوراء** وصف من **قار** الشيء إذا قطعه من وسطه فكان فيه بعد القطع خرق مستدير غير أنه أراد منها هنا المستديرة فقط وجرّدها عن بقية المعنى كأنه قال: سبكها صانعها مستديرة.

(٤) **لشدة** صفائها وبريقها يكاد الناظر يظن الماء يقطر منها أو يظنها سائلة يقطر ماؤها. وقد كانت هذه الموصوفة ثمرة للهمة العلياء التي أنالته إياها فاقتطفها.

(٥) **نفس** بدل من همة. يدل على أن نفس هذا الفتى كلها همّة علياء فهي مبالغة في مدحه بعلو الهمة. ثم فصل ما أجمل بقوله يملكه السخاء كأن السخاء سلطان يملك الممدوح أن يصرفه في الوجوه التي يشاء ذلك السخاء أن يصرفه فيها فارادته ما يريد منه الكرم.

(٦) ينادي الممدوح تنويهًا بشأنه. ويعنيه أي يقصده ويتوجه إليه ثنائي هذا وما يتقصى قدره أي ما يأتي على وصف أقصاه الإطراء والمبالغة في المدح. **وامض** إلى اللّه أي اذهب إلى فضله فجزاؤك مذخور لك عنده. ويروى: على اللّه. فيكون خيرًا للجزاء وامض لا يتعلق بها شيء بعدها.

وَرَحِمَ ٱللَّهُ مَنْ شَدَّهَا فِي قَرْنٍ مِثْلِهَا(١). وَآنَسَهَا بِأُخْتِهَا. فَنَالَهُ ٱلنَّاسُ مَا نَالُوهُ ثُمَّ فَارَقَهُمْ وَتَبِعْتُهُ وَعَلِمْتُ أَنَّهُ مُتَعَامٍ(٢) لِسُرْعَةِ مَا عَرَفَ ٱلدِّينَارَ. فَلَمَّا نَظَمَتْنَا خَلْوَةٌ مَدَدْتُ يُمْنَايَ إِلَى يُسْرَى عَضُدَيْهِ وَقُلْتُ: وَٱللَّهِ لَتُرِيَنِّي سِرَّكَ. أَوْ لَأَكْشِفَنَّ سِتْرَكَ. فَفَتَحَ عَنْ تَوْأَمَتَيْ لَوْزٍ(٣) وَحَدَرْتُ لِثَامَهُ عَنْ وَجْهِهِ فَإِذَا وَٱللَّهِ شَيْخُنَا أَبُو ٱلْفَتْحِ ٱلْإِسْكَنْدَرِيُّ. فَقُلْتُ: أَنْتَ أَبُو ٱلْفَتْحِ فَقَالَ: لَا

أَنَا أَبُو قَلَمُونٍ ... فِي كُلِّ لَوْنٍ أَكُونُ(٤)
إِخْتَرْ مِنَ ٱلْكَسْبِ دُونًا ... فَإِنَّ دَهْرَكَ دُونُ(٥)
زَجِّ ٱلزَّمَانَ بِحُمْقٍ ... إِنَّ ٱلزَّمَانَ زَبُونُ(٦)
لَا تُكْذَبَنَّ بِعَقْلٍ ... مَا ٱلْعَقْلُ إِلَّا ٱلْجُنُونُ(٧)

---

(١) خيل تلك القطعة الذهبية في صورة ماشية وتخيل لها قرنًا ودعا لمن يربطها في قرن مثلها بالرحمة وجعل ذلك كناية عن إعطاء دينار آخر.

(٢) **متعام** يظهر العمى وليس بأعمى.

(٣) **التوام** ما ولد مع غيره في بطن واحد. واللّوزة يوجد في قلبها لبان أحدهما بجانب الآخر. شبّه عينيه بهما إبانة لصحتهما واستوائهما في الصحة فإن ما كان من اللّوز ذا لبين يكون سليمًا جيدًا. **وحدر** لثامه حوله من موضعه الذي كان يستره من الوجه.

(٤) **ابو قلمون** ثوب رومي من الإبريسم يظهر للعين في ألوان مختلفة يراعون ذلك في صنعته.

(٥) إذا كان الدهر لا يواخي إلّا الأدنياء فاختر من الكسب، **الدون** أي السافل ليوافيك الدهر كما وافى سائر الأسافل.

(٦) **زجى الشيء** تزجية دفعه برفق أي ادفع عنك شدّة الزمان بالحمق فإن الزمان زبون كالناقة التي تدفع بثفنات رجلها عند الحلب.

(٧) **تكذبن** مبني للمجهول أي لا تكذبك نفسك بما تمنيك من الشهرة بالعقل والوقوف عند ما يحده ويرشد إليه فإن العقل ما أودع فيك ليفيدك الخير في حياتك والسعادة في معيشتك. ولا يأتيك بمثل هذه الفائدة إلّا الجنون فهو العقل بعينه. وهذا مذهب الشيخ أبي الفتح وعليه كل مجنون. ويروى: لا تكدين بعقل. وهو للمجهول أيضًا من كداه كرماه إذا حبسه. أي لا تكن ممنوعًا بعقلك عما فيه صلاح عيشك.

المقَامَةُ البُخَارِيَّة

حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ: أَحَلَّنِي جَامِعَ بُخَارَى يَوْمٌ[١] وَقَدِ ٱنْتَظَمْتُ مَعَ رُفْقَةٍ فِي سِلْكِ ٱلثُّرَيَّا[٢]. وَحِينَ ٱحْتَفَلَ ٱلْجَامِعُ بِأَهْلِهِ[٣] طَلَعَ إِلَيْنَا ذُو طِمْرَيْنِ[٤] قَدْ أَرْسَلَ صِوَانًا[٥] وَٱسْتَتْلَى طِفْلًا عُرْيَانًا[٦] يَضِيقُ بِٱلضُّرِّ وُسْعُهُ. وَيَأْخُذُهُ ٱلْقُرُّ وَيَدَعُهُ. لَا يَمْلِكُ غَيْرَ ٱلْقِشْرَةِ بُرْدَةً[٧]. وَلَا يَكْتَفِي لِحِمَايَةِ رَعْدَةٍ[٨]. فَوَقَفَ ٱلرَّجُلُ وَقَالَ: لَا يَنْظُرُ لِهٰذَا ٱلطِّفْلِ إِلَّا مَنِ ٱللَّهُ طَفَّلَهُ[٩]. وَلَا يَرِقُّ لِهٰذَا ٱلضُّرّ إِلَّا مَنْ لَا يَأْمَنُ مِثْلَهُ. يَا أَصْحَابَ

---

(١) أحلني جعل لي منه محلًا ويوم فاعل أحل.

(٢) أي اندرجت في جماعة كأنهم في الإلفة قد نظموا في سلك انتظمت فيه **كواكب الثريا** وهي مجموع النجوم السبعة التي في عنق الثور لأن هذه الكواكب لا تفترق ومن كان اجتماعهم على مثال اجتماعها كانوا على رباط من المحبة لا ينقطع أو أراد التشبيه في الانضمام مع ضيق المكان. ويروى بدل سلك **سمط** وهو السلك ما دام اللؤلؤ مثلًا منظومًا فيه.

(٣) **احتفل** الجامع بأهله كما يقال: احتفل الوادي بالسيل إذا جاء بملء جوانبه.

(٤) **رداء ومئزر** كل منهما خلق بال. ويروى بدل إلينا علينا.

(٥) **الصوان** للثوب وعاؤه الذي يحفظ فيه وقد أرسله أي جعل طرفًا منه على عاتقه وأرسل بقيته تسيل على ظهره لفراغه إذ لو كان فيه شيء ما أمكن إرساله.

(٦) **استتلى** أي استتبع خلفه طفلًا عريانًا. **وسعه** أي طاقته تضيق عن احتمال ما به من الضر. ويروى: يضيق بالضر ويسعه أي إنه لا يحتمل الضرّ ولكن الضر يحيط به. ويروى: يضيق به الضر ويسعه أي إن الضر ملازم له وإنما تختلف عليه أطواره من ضِيق به وسعة. **والقر** البرد قد تسلط عليه فهو في قبضته لا واقي له منه يأخذه إن شاء ويتركه.

(٧) يريد من **القشرة** جلده **والبردة** كساء يلتحف به. أي لا ملحفة له إلّا جلده.

(٨) **الرعدة** الرعشة. **والارتعاد** من برد ونحوه أي ليست عنده حماية ومنعة **يكتفي** أي يمتنع ويتخلص بها من الرعدة. وفي رواية: لا يلتقي لحياه رعدة. **واللحيان** تثنية لحي وهو عظم الحنك الذي عليه الأسنان وهو منبت اللّحية.

(٩) **طفّله الله** أي رفق به من طفل الراعي الإبل إذا رفق بها في السير حتى تلحقها أطفالها. ويروى: لا يرحم هذا الطفل إلّا من رحم طفله. أي من كانت له رحمة بطفله ويخشى أن ينزل به مثل ما نزل بهذا فليرحمه. ويروى: من يرحم اللّه طفله. وهو ظاهر.

ٱلْجُدُودِ ٱلْمَفْرُوزَةِ(١). وَٱلْأَرْدِيَةِ ٱلْمَطْرُوزَةِ(٢). وَٱلدُّورِ ٱلْمُنَجَّدَةِ. وٱلْقُصُورِ ٱلْمُشَيَّدَةِ. إِنَّكُمْ لَنْ تَأْمَنُوا حَادِثًا. وَلَنْ تَعْدَمُوا وَارِثًا. فَبَادِرُوا ٱلْخَيْرَ مَا أَمْكَنَ. وَأَحْسِنُوا مَعَ ٱلدَّهْرِ مَا أَحْسَنَ. فَقَدْ وَٱللَّهِ طَعِمْنَا ٱلسِّكْبَاجَ(٣). وَرَكِبْنَا ٱلْهِمْلَاجَ. وَلَبِسْنَا ٱلدِّيبَاجَ. وَٱفْتَرَشْنَا ٱلْحَشَايَا بِٱلْعَشَايَا. فَمَا رَاعَنَا إِلَّا هُبُوبُ ٱلدَّهْرِ بِغَدْرِهِ(٤) وَٱنْقِلَابُ ٱلْمِجَنِّ لِظَهْرِهِ. فَعَادَ ٱلْهِمْلَاجُ قَطُوفًا(٥) وَٱنْقَلَبَ ٱلدِّيبَاجُ صُوفًا. وَهَلُمَّ جَرًّا إِلَى مَا تُشَاهِدُونَ مِنْ حَالِي وَزِيِّي. فَهَا نَحْنُ نَرْتَضِعُ مِنَ ٱلدَّهْرِ ثَدْيَ عَقِيمٍ(٦). وَنَرْكَبُ مِنَ ٱلْفَقْرِ ظَهْرَ بَهِيمٍ(٧). فَلَا نَرْنُو إِلَّا بِعَيْنِ ٱلْيَتِيمِ(٨). وَلَا نَمُدُّ إِلَّا يَدَ ٱلْغَرِيمِ. فَهَلْ مِنْ كَرِيمٍ يَجْلُو غَيَاهِبَ هٰذِهِ ٱلْبُؤُوسِ(٩). ....

---

(١) **اراد بالجدود** الحظوظ والأرزاق المتسعة والمفروزة الممتازة كأنهم في حال من ذلك لا يشاركهم فيه غيرهم. ويروى: **الخزوز** جمع خز وهو الثوب ينسج من صوف وحرير أو حرير فقط. وهذه الرواية أنسب بذكر الأردية.

(٢) **الأردية** جمع رداء وهو الكساء والبردة. **والمطروز** المعلم. طرز ثوبه أعلمه. **والمنجدة** المزينة. **والقصور المشيّدة** المرفوعة أو المطلية بالشيد أي الجصّ.

(٣) **السكباج** لحم يطبخ بالخل. ويمرق له مرق والمجموع يقال له سكباج وربما أضيف إليه الزعفران وذلك كان من طعام المترفين في تلك الأزمان. **والهملاج** الدابة الحسنة السير في سرعة وسهولة. **والديباج** الحرير. **والحشايا** جمع حشية ما يحشى بقطن أو صوف ليفرش لجلوس أو نوم. **والعشايا** جمع عشية وهي آخر النهار أو من المغرب إلى العشاء أراد به أوقات الراحة والفراغ.

(٤) **ما راعنا** إلخ أي ما شعرنا إلّا وقد هبّ الدهر أي نهض وثار علينا بغدره المعتاد فسلبنا ما كان بأيدينا. **وانقلاب** المجن لظهره علامة العدوان والمحاربة وقالبه الدهر.

(٥) **القطوف** الدابة الضيقة الخطا البطيئة السير.

(٦) **المرأة** لا تلد فثديها جاف يابس لا درّ فيه فكأن الدهر أم له ترضعه من مثل هذا الثدي ولا يجد من الرضاعة إلّا ألم تعب المص وهو تمثيل للعدم والفاقة.

(٧) **البهيم** الأسود لا يخالطه لون آخر فهو قد ركب الفقر على أنه في هذا اللون الكريه لا يشوبه بياض اليسر والغنى تصوير لدوام الفقر في جميع حالاته وأوقاته على نمط واحد.

(٨) **لا نرنو** أي لا ننظر إلّا كما ينظر اليتيم واليتيم منكسر القلب بائس البال ينظر إلى من تعولهم آباؤهم نظرة الآسف الحزين على فقد ناصره وقلّة كاثره وهكذا حال الفقير مع الأغنياء ويد الغريم ثقيلة على من تمدّ إليه فإن صاحب الدين أثقل على مدينه من حينه. أي نمد يدنا إلى من يبغض مدّها إليه ويستثقله. وفي نسخة: العديم بدل الغريم ومعناها الفقير والأول أفضل.

(٩) **البؤوس** جمع بؤس وهو شدّة الحاجة. **وغياهبها** ظلماتها. يريد ما تغشى به القلوب من الحيرة والدهش في طلب ما يدفعها. **ويجلوها** يكشفها.

وَيَفُلُّ شَبَا هٰذِهِ ٱلنُّحُوسِ[١]. ثُمَّ قَعَدَ مُرْتَفِعًا وَقَالَ لِلطِّفْلِ: أَنْتَ وَشَأْنُكَ[٢]. فَقَالَ: مَا عَسَى أَنْ أَقُولَ وَهٰذَا ٱلْكَلَامُ لَوْ لَقِيَ ٱلشَّعْرَ لَحَلَقَهُ. أَوِ ٱلصَّخْرَ لَفَلَقَهُ. وَإِنَّ قَلْبًا لَمْ يُنْضِجْهُ مَا قُلْتَ لَنِيءٌ[٣] وَقَدْ سَمِعْتُمْ يَا قَوْمُ. مَا لَمْ تَسْمَعُوا قَبْلَ ٱلْيَوْمِ. فَلْيُشْغِلْ كُلٌّ مِنْكُمْ بِٱلْجُودِ يَدَهُ. وَلْيَذْكُرْ غَدَهُ. وَاقِيًا بِيَ وَلَدَهُ[٤]. وَٱذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَأَعْطُونِي أَشْكُرْكُمْ. قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ: فَمَا آنَسَنِي فِي وَحْدَتِي إِلَّا خَاتَمٌ خَتَّمْتُ بِهِ خِنْصِرَهُ[٥]. فَلَمَّا تَنَاوَلَهُ أَنْشَأَ يَصِفُ ٱلْخَاتَمَ عَلَى ٱلْإِصْبَعِ وَجَعَلَ يَقُولُ:

وَمُمَنْطَقٍ مِنْ نَفْسِهِ ... بِقِلَادَةِ ٱلْجَوْزَاءِ حُسْنَا[٦]
كَمُتَيَّمٍ لَقِيَ ٱلْحَبِيبَ ... م فَضَمَّهُ شَغَفًا وَحُزْنَا[٧]

---

(١) **النحوس** جمع نحس وهو ما قدر من الشقاء **وشبا** جمع شباة وهي من النصل حده ومن السنان ظبته ومن العقرب إبرته تخيلها جارحًا أو واخزًا ذا حد قاطع أو حمة نافذة وهو يطلب من **يفلها** أي يثلمها فإذا انثلمت زال أذاها وشرّها.

(٢) تكلم عن نفسك كما تكلمت عن نفسي.

(٣) جعل الكلام نارًا أوقدت على قلوب السامعين لتنضجها فتتهيأ للانتفاع بها كما يصنع باللّحم ونحوه. وقد كانت نار هذا الكلام في أشد ما يمكن من الالتهاب فقلب لم تنضجه نيء بطبيعته ليس فيه استعداد للنضج. وفي نسخة: «لم ينصحه لغبي» من النصيحة والغباوة.

(٤) أي وليذكر يومًا بعد يومه ربما يحدث له فيه من الحال مثل ما حدث لي ويضطر أن يتناول من الوسائل ما أتناول. وذكر مثل ذلك يحرك الشفقة ويدعو إلى الرحمة. أو أراد من هذه يوم القيامة. وقوله: **واقيًا** بي ولده صائنًا بما يجود به علي ولده من أن يقع في مثل ما وقعت فيه. وهذا من بعض ما يجازي به اللّٰه المتصدقين أن يحفظهم في أولادهم إذا حفظوا أولاد غيرهم.

(٥) جعل فراغ يده من النقدين بمنزلة الوحشة من بعد الرفيق فكأنه كان وحيدًا موحشًا ولم يؤنسه مما يمنح إلّا ذاك الخاتم **فختم به** أي ألبسه خنصر الغلام. ويروى: ختمت به ضجره. أي جعلت إعطاءه له خاتمة لضجره وسآمته من الفقر والفاقة.

(٦) أوصاف للخاتم. **وممنطق** أي مستدير بمنطقة من نفسه ليست من خارج عنه كما هو المعهود في **المناطق** فإنها أحزمة تشد بها الأوساط. وعبّر عن المنطق التي تمنطق بها الخاتم من نفسه بالقلادة وإن كانت القلادة مختصة بالحلي الذي تقلّد به الأعناق لأنه أراد تشبيه ما استدار به بقلادة الجوزاء في الحسن كما قال: لا في مكان الوضع. والجوزاء مجموع كواكب تحسب في البروج الاثني عشر وقلادتها مثل عند العرب في نهاية حسن المطوق.

(٧) **المتيم** المذلل بالحب المستعبد له يشبّه به الخاتم في ضمّه لخنصره كما يضم من تيّمه الحب حبيبه عند لقائه ضمّة المشتاق يبعث عليها الشغف وتمكن الحب من القلب قضاء لحق الشوق إن كان غائبًا أو ضمّة يبعث عليها الحزن من الفراق عند الوداع وكلاهما في لقاء وفيهما التزام شديد من المحب للحبيب لا يكاد يفارقه.

مُتَألِّفٍ مِنْ غَيْرِ أُسْرَتِهِ م ... عَلَى ٱلْأَيَّامِ خِدْنَا[(١)]
عِلْقٌ سَنِيٌّ قَدْرُهُ ... لَكِنَّ مَنْ أَهْدَاهُ أَسْنَى[(٢)]
أَقْسَمْتُ لَوْ كَانَ ٱلْوَرَى ... فِي ٱلْمَجْدِ لَفْظًا كُنْتَ مَعْنَى

قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ: فَنِلْنَاهُ مَا تَاحَ مِنَ ٱلْفَوْرِ[(٣)]. فَأَعْرَضَ عَنَّا حَامِدًا لَنَا. فَتَبِعْتُهُ حَتَّى سَفَرَتِ ٱلْخَلْوَةُ عَنْ وَجْهِهِ[(٤)]. فَإِذَا هُوَ وَٱللَّهِ شَيْخُنَا أَبُو ٱلْفَتْحِ ٱلْإِسْكَنْدَرِيُّ. وَإِذَا ٱلطَّلَا زُغْلُولُهُ[(٥)]. فَقُلْتُ:

أَبَا ٱلْفَتْحِ شِبْتَ وَشَبَّ ٱلْغُلَامُ[(٦)] ... فَأَيْنَ ٱلسَّلَامُ وَأَيْنَ ٱلْكَلَامُ

فَقَالَ:

غَرِيبًا إذا جَمَعَتْنَا ٱلطَّرِيقُ ... أَلِيفًا إِذَا نَظَمَتْنَا ٱلْخِيَامُ[(٧)]

فَعَلِمْتُ أَنَّهُ يَكْرَهُ مُخَاطَبَتِي فَتَرَكْتُهُ وَٱنْصَرَفْتُ.

---

(١) **خدنا** مفعول به لمتألف. **والمتألف** طالب الإلفة الآخذ بأسبابها. **والأسرة** العشيرة. **والخدن** الصاحب والخليل. أي إن هذا الخاتم قد استأنس إلى صديق من غير قبيلته واتخذه على الأيام عونًا. فعلى الأيام متعلق بخدنا على تأويل المعين لما في الصداقة من معنى المعاونة.

(٢) **العلق** النفيس من كل شيء. أي إنه نفيس على القدر لكن من أعطاه أعلى قدرًا منه فإن خيرًا من الخير فاعله.

(٣) أي تشاركنا في إعطائه بعد ما انفردت في هبة الخاتم لولده ومنحناه ما تهيأ من فورنا أي وقتنا الأول المعقب لكلامه بلا تأخير. **والضمير** في نلناه للرجل لا للغلام.

(٤) أي تبعه حتى انفرد به عن الناس وخلا به فلما أمن إطلاع الناس عليه كشف عن وجهه فكانت الخلوة هي السبب في كشف وجهه لهذا نسب إليها الكشف في قوله: **سفرت الخلوة** أي كشفت عن وجهه.

(٥) **الطلا والطلو** ولد الظبي. وقد يقال لكل صغير طلا. وزغلوله أي ولده. ووجه الاستعارة ظاهر.

(٦) رحلت عن الصبا وشخت وهذا سن الكمال يذهب فيه طيش الشباب وتخلّفه رزانة الأشياخ. ثم إن غلامك قد شبّ أي أتى عليه من العمر ما إذا أضمّ إلى عمرك قبل ولادته لكان منهما عمر الشيخوخة فهو تأكد لقوله شبت. ولا يليق بالأشياخ أن يهملوا سنن الصداقة ومن سننها إذا تلاقى الصديقان فعرف أحدهما الآخر أن يبتدي العارف بالسلام والكلام ليتم التعارف ثم يفتتح الإنس أبوابه ويمد الحديث أطنابه فأين السلام الواجب عليك إلقاؤه وأين الكلام المفروض إبداؤه.

(٧) إذا جمعتنا الطريق وجدتني **غريبًا** أي لا معارفة بيني وبينك فلا سلام ولا كلام لأني لا أريد أن تعرفني فيعرفني الناس. وإذا نظمتنا الخيام وصرنا في أوطاننا وعن الناس في سترة رأيتني أليفًا أفاتحك الكلام وأبداك بالسلام أي ونحن الآن في طريق فدعني. لهذا قال: **فعلمت أنه** يكره مخاطبتي.

المقَامَةُ القَزْوينيَّة

حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ: غَزَوْتُ ٱلثَّغْرَ بِقَزْوِينَ[١]. سَنَةَ خَمْسٍ وَسَبْعِينَ. فِيمَنْ غَزَاهُ. فَمَا أَجَزْنَا حَزْنًا. إِلَّا هَبَطْنَا بَطْنًا[٢]. حَتَّى وَقَفَ ٱلْمَسِيرُ بِنَا عَلَى بَعْضِ قُرَاهَا. فَمَالَتِ ٱلْهَاجِرَةُ بِنَا إِلَى ظِلِّ أَثْلَاتٍ[٣]. فِي حُجْرَتِهَا عَيْنٌ كَلِسَانِ ٱلشَّمْعَةِ[٤]. أَصْفَى مِنَ ٱلدَّمْعَةِ. تَسِيحُ فِي ٱلرَّضْرَاضِ[٥]. سَيْحَ ٱلنَّضْنَاضِ. فَنِلْنَا مِنَ ٱلطَّعَامِ مَا نِلْنَا. ثُمَّ مِلْنَا إِلَى ٱلظِّلِّ فَقِلْنَا[٦]. فَمَا مَلَكَنَا ٱلنَّوْمُ حَتَّى سَمِعْنَا صَوْتًا أَنْكَرَ مِنْ صَوْتِ حِمَارٍ. وَرَجْعًا أَضْعَفَ مِنْ رَجْعِ ٱلْحُوَارِ[٧]. يَشْفَعُهُمَا صَوْتُ طَبْلٍ كَأَنَّهُ خَارِجٌ مِنْ

---

(١) مدينة من بلاد الجبل في شماليها من جهة الديلم والكل من بلاد فارس وما كان من وطنك عند حدود بلاد محاربك من دول الأجانب فهو ثغر. وفي ذلك التاريخ كانت قزوين من ثغور بلاد المسلمين وما وراءها من البلاد لم يكن قد اكتمل افتتاحه. و**غزا** الثغر داخلًا إليه محاربًا عدوه فيه.

(٢) **الحزن** ما غلظ من الأرض وقلما يكون الأمر مرتفعًا. و**لجزناه** خلفناه وراءنا وتركناه. وأراد **بالبطن** ما انخفض منها. يريد أن مسالكهم لم تكن في سهل منبسط ولكن كانت من نجود إلى وهود.

(٣) **الهاجرة** وسط النهار في القيظ وفيما يشتدّ الحرّ فهي على ما كان من حرّها ألجأتنا إلى الاستظلال بظل الأثلات. و**الأثل** نوع من الشجر معروف يشبه الطرفاء.

(٤) **الحجرة** الناحية أي في ناحية الأثلاث والقرب منها ينبوع ماء ينبع منه أشبه بلسان الشمعة أي شعلت فتيلتها في صفائها ولمعانها وفسّر ذلك بقوله: أصفى من **الدمعة** واحدة دمع العين وهو مما يضرب به المثل في الصفاء.

(٥) **الرضراض** الحصى والأرض المرضوضة بالحجارة. و**النضناض** الحية لا تستقر في مكان وإذا نهشت قتلت. أي إن ماء هذه العين يجري على الحصباء جريان الحية المذكورة.

(٦) تناولوا من الطعام ما تناولوه ثم مالوا إلى الظل ظل تلك الأثلاث **فقالوا** أي ناموا للقيلولة.

(٧) **الحوار** ولد الناقة إلى أن يفصل عن أمه. و**رجعه** خطوه. والمراد هنا صوت الوقع لخطوه. ووطأة الجمل خفيفة الواقع ووطأة الحوار أخف وقعًا وأضعف صوتًا. يريد أنه سمع صوتًا منكرًا ووطئًا خفيفًا وجعلهما شيئًا واحدًا لأنهما لشخص واحد. وجعل صوت الطبل **شافعًا** لهما أي جاعلًا لهما شفعًا بعد أن كان وترًا بحسب منشئهما: و**ماضغا** الأسد أصول لحييه عند منبت الأضراس. شبّه صوت الطبل بصوت الأسد الذي يخرج من بين ماضغيه في الشدّة والضخامة.

مَاضِغَيْ أَسَدٍ. فَذَادَ عَنِ ٱلْقَوْمِ[(١)]. رَائِدَ ٱلنَّوْمِ. وَفَتَحْتُ ٱلتَّوْأَمَتَيْنِ إِلَيْهِ[(٢)] وَقَدْ حَالَتِ ٱلْأَشْجَارُ دُونَهُ. وَأَصْغَيْتُ فَإِذَا هُوَ يَقُولُ. عَلَى إِيقَاعِ ٱلطُّبُولِ:

أَدْعُو إِلَى ٱللَّهِ فَهَلْ مِنْ مُجِيبْ ... إِلَى ذَرًا رَحْبٍ وَمَرْعًى خَصِيبْ[(٣)]
وَجَنَّةٍ عَالِيَةٍ مَا تَنِي ... قُطُوفُهَا دَانِيَةً مَا تَغِيبْ[(٤)]
يَا قَوْمُ إِنِّي رَجُلٌ تَائِبٌ ... مِنْ بَلَدِ ٱلْكُفْرِ وَأَمْرِي عَجِيبْ[(٥)]
إِنْ أَكُ آمَنْتُ فَكَمْ لَيْلَةٍ ... جَحَدْتُ رَبِّي وَأَتَيْتُ ٱلْمُرِيبْ[(٦)]
يَا رُبَّ خِنْزِيرٍ تَمَشَّشْتُهُ ... وَمُسْكِرٍ أَحْرَزْتُ مِنْهُ ٱلنَّصِيبْ[(٧)]

---

(١) ذاد أي طرد النوم الشبيه بالرائد وهو من يتقدم القوم إلى مكان الخصب ليعود إليهم بخبره. والشبه في عدم الاستقرار حيث يرود.

(٢) **التوامتان** تثنية توأمة مؤنث توأم وهو ما يولد مع غيره في بطن واحد. أراد بهما العينين لأنهما تخلقان معًا فشبّههما بالتوأمين أي نظرت إليه. **واصغيت** أي أملت أذني لأحقق ما يأتي به الصوت.

(٣) يزعم أنه يدعو إلى اللّه وهو خير من يدعى إليه أي إلى الإيمان به والأخذ بشريعته وملازمة ما أمر ومجانبة ما نهى. ثم أبدل من «إلى اللّه» «إلى ذرى إلخ» **والذرا والكنف** الناحية. **والرحب** الواسع. **والمرعى** مكان الرعي. **والخصيب** الكثير العشب. وفي نسخة: بدل مرعى عيش. **وخصب** العيش رفاهته لأن من دعا إلى اللّه فقد دعا إلى سعادة الآخرة من الاستحفاظ بكنف اللّه الواسع الذي لا يضيق عن أهله سبحانه وإن تجاوز عددهم حدّ النهاية وهناك رفاهة العيش ولينه الذي لا تخالطه خشونة وشظف. وشبّه مواطن اللذات الأبدية بالمرعى الكثير العشب لأن فيها كل ما تشتهي نفوس الصالحين مما يليق بنعيم أبدي في حياة أبدية.

(٤) **الجنة** دار الجزاء على الأعمال الصالحة في الدار الباقية وهي في شأنه عالية تسمو بما فيها على كل نعيم يتصور في جنان الدنيا. **وما تَنِي** ما تزال قطوفها أي ثمار أشجارها دانية أي قريبة من متناوليها لا تغيب عنهم. وكل ذلك تصوير لملازمة اللذات لأنفس المؤمنين في حياتهم الأخرى وصفائها عن ألم الشوق إلى المشتهى لا يمسّهم فيها نصب ولا يمسم فيها لغوب.

(٥) شروع منه في ذكر سابق حاله بعد ما ذكر حاضره. وهذا كان سدى الحيلة وذلك لحمتها وبها يتم نسيجها. **وتائب** أي راجع إليكم من بلد الكفر **والخروج** من بلاد الكفر فرارًا من كفر أهلها توبة إلى اللّه ورجوع إليه بالإيمان. ويروى: ثائب بالثاء المثلثة ومعناه راجع أو آت.

(٦) إن كان قد آمن اليوم فقد جحد ربه وأتى من المنكرات ما **يريب** فاعله أي يقلقه ويزعجه في ليال كثيرة. وفي نسخة: «جحدت فيها وعبدت الصليب» بدل ما تقدم.

(٧) بيان لمربيات الأعمال التي كان يأتيها أيام جحوده. وإنما اقتصر منها على تمشش =

ثُــمَّ هَــدَانِـي ٱلـلَّــهُ وَٱنْـتَـشَـانِـي مِنْ ذِلَّةِ ٱلْكُفرِ ٱجْتِهَادُ ٱلْمُصِيبْ[١]
فَظَلْتُ أُخْفِي ٱلدِّينَ فِي أُسْرَتِي وَأَعْبُدُ ٱللَّهَ بِقَلْبٍ مُنِيبْ[٢]
أَسْجُدُ لِلَّاتِ حِذَارَ ٱلْعِدَى وَلَا أَرَى ٱلْكَعْبَةَ خَوفَ ٱلرَّقِيبْ[٣]
وَأَسْأَلُ ٱللَّهَ إِذَا جَنَّنِي لَيْلٌ وَأَضْنَانِيَ يَوْمٌ عَصِيبْ[٤]
رَبِّ كَمَا أَنَّكَ أَنْقَذْتَنِي فَنَجِّنِي إِنِّيَ فِيهِمْ غَرِيبْ[٥]
ثُمَّ ٱتَّخَذْتُ ٱللَّيْلَ لِي مَرْكَبًا وَمَا سِوَى ٱلْعَزْمِ أَمَامِي جَنِيبْ[٦]
فَقَدْكَ مِنْ سَيْرِيَ فِي لَيْلَةٍ يَكَادُ رَأْسُ ٱلطِّفْلِ فِيهَا يَشِيبْ[٧]
حَتَّى إِذَا جُزْتُ بِلَادَ ٱلْعِدَى إِلَى حِمَى ٱلدِّينِ نَفَضْتُ ٱلْوَجِيبْ[٨]

= الخنزير وإحراز النصيب من المسكر لأنهما في المتعارف بين الناس من أبين ما يدل على استباحة ما حرّم في الدين الإسلامي. وتمشش الخنزير أكل مشاشه وهي رؤوس عظامه الليّنة، واحدتها مشاشة.

(١) أرشده اللَّه إلى الحق بعد الضلال عنه. **وانتاشه** أي أخرجه من ذل الكفر وخلّصه منه اجتهاده ونظره في الدلائل بقوة الفكر بدون معلم. ووصف اجتهاده بالمصيب لأنه أصاب الواقع وانطبق على الحقيقة وإنما كان في الكفر ذلّة لأنه بطل وليس في الوجود أعز من الحق ولا أذلّ من الباطل وأهله وأي ذلّ أعظم من خزي الجهل الذي هو مبعث الكفر.

(٢) **أسرته** عشيرته وكان يخفي دينه وهو فيهم لأنهم كفرة ويعبد اللَّه سرًّا بقلب راجع إليه وتائب.

(٣) **اللات** من أصنام العرب كانت لثقيف بالطائف زعموا أنه سمي برجل كان يلت عنده السمن بالزيت ويطعم الحاج. وعن مجاهد: كان رجل يلتّ السويق بالطائف وكانوا يعكفون على قبره ثم اتخذوه وثنًا. وسجوده للات دليل على أنه لم يكن صليبيًا فلا تصح الرواية التي ذكرناها سابقًا ولو كان صليبيًا لقال اسجد للابن. **والعدى** اسم جمع للعدو. **وحذار** مفعول لسجوده للات يبين سببه فالحامل عليه إنما هو خوف الأعداء. **ولا يرى** الكعبة أي لا يستقبلها في صلاته خوفًا من الرقيب يشي عليه أنه آمن فيقتلونه. وعبّر عن الاستقبال بالرؤية ذكرًا لاسم الملزوم وإرادة اللازم لأن من رآك فقد استقبلك غالبًا.

(٤) **جنّه** الليل ستره. **واضناه** نهكه وأضعفه. واليوم **العصيب** الشديد وإنما الشدّة لما يعرض فيه من الآلام والمعاناة التي لا تحتمل.

(٥) بيان للسؤال الذي ذكره في البيت السابق.

(٦) إذا ركب المسافر راحلة أو جوادًا وقاد معه راحلة أخرى أو جوادًا آخر حتى إذا تعب المركوب راوح على المقاد قيل للمقاد **جنيب** ومجنوب ومجنب. فهذا الشاعر ركب ليله وبئس المركب وليس له جنيب يراوح عليه سوى عزمه وما أتعبه سواه فأية شدّة لاقاها في سفره. ويروى بدل جنيب نجيب **والنجيب** من المراكب كريمها.

(٧) **قدك** بمعنى حسبك أي يكفيك أن تعلم ما أرهقني من النصب العناء في سيري في ليلة محشوة بالخطر مفعمة بالرعب والفزع خوف اطلاع الأعداء على ما أسررت فيقتلونني.

(٨) **جاز** بلاد العدى خلفها وتركها. وفي نسخة: **العمى** أي الكفر والضلال. **وحمى الملك** =

فَقُلْتُ إِذْ لَاحَ شِعَارُ ٱلْهُدَى نَصْرٌ مِنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبْ[(١)]

فَلَمَّا بَلَغَ هٰذَا ٱلْبَيْتَ قَالَ: يَا قَوْمُ وَطِئْتُ دَارَكُمْ[(٢)] بِعَزْمٍ لَا ٱلْعِشْقُ شَاقَهُ. وَلَا ٱلْفَقْرُ سَاقَهُ. وَقَدْ تَرَكْتُ وَرَاءَ ظَهْرِي حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا[(٣)]. وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا[(٤)]. وَخَيْلًا مُسَوَّمَةً[(٥)]. وَقَنَاطِيرَ مُقَنْطَرَةً. وَعُدَّةً وَعَدِيدًا. وَمَرَاكِبَ وَعَبِيدًا[(٦)]. وَخَرَجْتُ خُرُوجَ ٱلْحَيَّةِ مِنْ جُحْرِهِ[(٧)]. وَبَرَزْتُ بُرُوزَ ٱلطَّائِرِ مِنْ وَكْرِهِ[(٨)]. مُؤْثِرًا دِينِي عَلَى دُنْيَايَ[(٩)]. جَامِعًا يُمْنَايَ إِلَى يُسْرَايَ[(١٠)]. وَاصِلًا سَيْرِي بِسُرَايَ. فَلَوْ دَفَعْتُمُ ٱلنَّارَ

= ما يحميه من سطوة غيره ومن دخله كان آمنًا فكذا حمى الدين أرضه المسكونة بأهله من دخلها منهم أمن. ونفضت بالفاء من **نفض** السور إذا قرأها إلى آخرها. و**الوجيب** خفقان القلب ورجفانه. وعند الأمان ينتهي الرجفان. وقد يكون من نفض الغبار عن ثوبه أي أزال الوجيب عن قلبه كما يزيل الغبار عن ثوبه.

(١) **شعار** الهدى علامته. ولاح ظهر. والبقية ظاهرة.

(٢) دستها والمراد أتيتها. لا **يشوق** عزمي عشق أي لا يهيجه شوق سببه العشق ولا الفقر ساقني إليكم طلبًا للغنى. ويروى: بقلب بدل بعزم.

(٣) **الحدائق** جمع حديقة وهي الروضة ذات الأشجار.

(٤) **الكواعب** جمع كاعب وهي الجارية نهد ثديها. و**الأتراب** جمع ترب وهو من يكون على سنك. أي جوار فتيات ليس فيهن تفاوت ينقص حسن الكبيرة منهن.

(٥) **المسومة** المعلمة كأنها أعلمت لتمتاز عن غيرها وتعرف أنها الجياد. و**القناطير** المقنطرة أي من الذهب والفضة. و**العدة** ما تعد لمغالبة مناويك فتغلبه به. وأراد من **العديد** قومه الكثير وجمعه الغفير.

(٦) **المراكب** جمع مركب ما يركب عليه من حيوان وغيره كالعجلات مثلًا.

(٧) ذكر ضمير الحية لأنها تطلق على الذكر كما تطلق على الأنثى كإنسان فإذا أرادوا التمييز قالوا حية ذكر أو أنثى. فتاؤها للوحدة لا للتأنيث كتاء دابة يقولون دابة سريع وسريعة.

(٨) **وكر** الطائر مثواه وموضع مبيته ومبيضه في جبل أو عمارة. فإن كان في أفنان الشجر فهو **عش**. وإن كان في الأرض فهو **أفحوص**. والتشبيه في الفقرتين مثل لسرعة الانطلاق.

(٩) **مؤثرًا** أي مختارًا ومفضلًا ديني والإخلاص فيه على دنياي التي سبق ذكرها وهو شأن أضعف المؤمنين إيمانًا فضلًا عن أقواهم.

(١٠) **المتردد** في الأمر يقال فيه يقدم رجلًا ويؤخر أخرى أما **الناهض** به فيجمع كلًا منهما إلى الأخرى في التقدم إليه فيمناه ويسراه في رجليه. وقد يجوز أن يكون كناية عن فراغ اليد من المال لأن من جمع إحدى يديه إلى الأخرى لم يكن في واحدة منهما ما يملأها فيشغلها عن الانضمام إلى صاحبتها. وقد تكون كناية عن جمع قواه كلها للنجاة من أعدائه والفرار من بينهم. وعبّر باليدين لأنهما موضع البطش ومظهر القوة في الإنسان. وأراد من **السير** المشي في النهار. و**السرى** هو المشي في الليل.

بِشَرَرِهَا[١]. وَرَمَيْتُمُ ٱلرُّومَ بِحِجَارِهَا. وَأَعَنْتُمُونِي عَلَى غَزْوِهَا مُسَاعَدَةً وَإِسْعَادًا. وَمُرَافَدَةً وَإِرْفَادًا[٢]. وَلَا شَطَطَ فَكُلٌّ عَلَى قَدْرِ قُدْرَتِهِ[٣] وَحَسَبِ ثَرْوَتِهِ. وَلَا أَسْتَكْثِرُ ٱلْبَدْرَةَ[٤]. وَأَقْبَلُ ٱلذَّرَةَ. وَلَا أَرُدُّ ٱلتَّمْرَةَ. وَلِكُلٍّ مِنِّي سَهْمَانِ سَهْمٌ أُذَلِّقُهُ لِلِّقَاءِ[٥]. وَآخَرُ أُفَوِّقُهُ بِٱلدُّعَاءِ. وَأَرْشُقُ بِهِ أَبْوَابَ ٱلسَّمَاءِ. عَنْ قَوْسِ ٱلظَّلْمَاءِ.

قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ: فَٱسْتَفَزَّنِي[٦] رَائِعُ أَلْفَاظِهِ. وَسَرَوْتُ جِلْبَابَ ٱلنَّوْمِ.

---

(١) «**لو**» ههنا هي التي للحض والتحريض بمعنى هلا. أو هي التي للتمني بمعنى ليت. **ورمي** النار بشرارها مثل في مدافعة الشرّ بمثله كما قال: ودناهم كما دانوا. وإنما يكون الشيء مثل الشيء إذا كان من جنسه كما أن الشرر من جنس النار. ولأنه كان من ملّة الروم جعل نفسه شرارة من نارهم فلو رموهم به وأغزوه بلادهم لكان أنكى لهم. ويقال رمي فلان **بحجره** أي بقرنه الذي يضارعه في الصلابة وهو تعبير لسابقه.

(٢) **غزا** العدو طرقه في بلاده لانتهابه فيها أو إجلائه عنها. والمساعدة مفاعلة من **سعد** ضد شقي. **والمتعاونان** كل منهما يسعد الآخر. وهؤلاء يسعدونه إذا عاونوه بإبلاغه مطلبه من نيل شرف الشهادة وهو يسعدهم بإضعاف عدوّهم وتنكيله. فإن لم يكن عملكم للمشاركة في السعادة فليكن تفضلًا منكم بإسعادي. **والمرافدة** أن يعطي كل من معونته صاحبه. **والإرفاد** بمعنى الإعطاء والمساعدة. ويقال في المصدرين مثل ما قيل في الإسعاد والمساعدة.

(٣) **الشطط** مجاوزة الحد والقدر أي لا تكلفون شططًا يزيد على ما تستطيعون.

(٤) **البدرة** كيس فيه ألف أو عشرة آلاف دينار. **والذرة** واحدة الذر وهو صغار النمل يضرب بها المثل في القلة والحقارة. ويقال لكل جزء من أجزاء الهباء ذرة.

(٥) من أعانني فله مني حظان، حظ آجل وهو السعي في عمل يستحق به ثواب الآخرة يوم لقاء اللّٰه عزّ وجل، وحظ عاجل وهو توجّهي إلى اللّٰه بالدعاء وسؤاله سبحانه أن لا يخذل أهل المعونة. غير أنه لما عبّر عن الحظ بالسّهم جريًا على عادته أصحبه بما يوافق أصل معناه فقال **أُذَلِّقُهُ** أي أحدده من ذلق النصل إذا حدده. وقال أفوقه **والتفوق** وضع الفوق في السهم وهو موضع الوتر منه. ثم قال وأرشق به أبواب السماء عن قوس الظلماء فهو يملل سعيه في عمل يؤجرون بالمعاونة عليه بتحديد سهم يصيبون به غرضهم من صيد المنافع الأخروية وطلبه من اللّٰه أن يمدّهم بالمعونة كما أمدّوه بتفويق سهم ليرمي به فيصيب المرمى من الإجابة. ولكون الدعاء بالليل أجدر بالإجابة لصدوره عن محض الإخلاص جعل المرمى عن قوس الظلماء. وفي نسخة: **الظماء** وهو عبارة عن حرارة الالتجاء إلى اللّٰه والافتقار إليه وهي الباعث على الدعاء والمستتبعة للإجابة غالبًا.

(٦) **استفزه** استخفه. **والرائع** المعجب. **وسرى** الجلباب ألقاه وكشفه عن بدنه. **والجلباب** ما يلبس على الثياب. وشبّه النوم به لأنه يعمّ البدن بسكونه كما يشمل الجلباب جميع ما تحته. **وعدا** إلى القوم أسرع إليهم لينظر من المتكلم فيهم. وفي رواية: وغدوت بالمعجمة والأولى أولى.

وَعَدَلْتُ إِلَى ٱلْقَوْمِ. فَإِذَا وَٱللَّهِ شَيْخُنَا أَبُو ٱلْفَتْحِ ٱلْإِسْكَنْدَرِيُّ بِسَيْفٍ قَدْ شَهَرَهُ[١]. وَزِيٍّ قَدْ نَكَّرَهُ[٢]. فَلَمَّا رَآنِي غَمَزَنِي بِعَيْنِهِ وَقَالَ: رَحِمَ ٱللَّهُ مَنْ أَعَانَنَا بِفَاضِلِ ذَيْلِهِ[٣]. وَقَسَمَ لَنَا مِنْ نَيْلِهِ. ثُمَّ أَخَذَ مَا أَخَذَ وَخَلَوْتُ بِهِ فَقُلْتُ: أَأَنْتَ مِنْ أَوْلَادِ ٱلنَّبِيطِ[٤]. فَقَالَ:

أَنَا حَالِي مِنَ ٱلزَّمَا ... نِ كَحَالِي مَعَ ٱلنَّسَبْ[٥]
نَسَبِي فِي يَدِ ٱلزَّمَا ... نِ إِذَا سَامَهُ ٱنْقَلَبْ[٦]
أَنَا أُمْسِي مِنَ ٱلنَّبِيطِ م ... وَأُضْحِي مِنَ ٱلْعَرَبْ

(١) شهره سلّه ورفع به يده يشير إلى الضرب به.
(٢) الزي الهيئة تكون للشخص فيما يبدو من ظاهر بدنه وهي تكون من الثياب ومن تلوين البشرة وتغيير حالة الشعر وغير ذلك مما تختلف به الهيئات. ونكّره غيَّره إلى ما لا يعرف.
(٣) يعبرون بطول الذيل وفضوله عن الغنى ومنه ما يقولون: من يطل ذيل أبيه ينتطق به. وأصل الذيل فضل الثوب يجر على الأرض وهو لا يكون إلّا للغنى لهذا صحت الكناية لطوله عن الغني. أما الفقير فحسبه أن يستتر ولا سعة في ماله لجر الذيول. ثم فيه تورية بطلب التستر عليه. وفي رواية: رحم اللّه من أحسن عشرته وملك نفسه ونزع قشرته وأعاننا إلخ. ونزع القشرة خلع الثياب وإعطاؤها له. والنيل العطاء.
(٤) ويروى من بنات الروم.
(٥) أراد أن يقول حالي من النسب كحالي من الزمان فتقلبي في نسبي كتقلب الزمان بأحوالي. لكنه عكس في التشبيه وهو معهود في كلامهم يستحسن في مواضعه. ويروى: مع الزمان.
(٦) أي إذا كلّفه الانقلاب لأنه في قبضته لا يستطيع له خلافًا. والنبيط النبط وهم أجيال من العجم ينزلون بين العراقين.

المقامةُ السَّاسانيَّة

حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ: أَحَلَّتْنِي دِمَشْقَ بَعْضُ أَسْفَارِي[١]. فَبَيْنَا أَنَا يَوْمًا عَلَى بَابِ دَارِي. إِذْ طَلَعَ عَلَيَّ مِنْ بَنِي سَاسَانَ كَتِيبَةٌ قَدْ لَفُّوا رُؤُوسَهُمْ[٢]. وَطَلَوْا بِٱلْمَغْرةِ لَبُوسَهُمْ[٣]. وَتَأَبَّطَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ حَجَرًا يَدُقُّ بِهِ صَدْرَهُ. وَفِيهِمْ زَعِيمٌ لَهُمْ يَقُولُ وَهُمْ يُرَاسِلُونَهُ[٤]. وَيَدْعو وَيُجَاوِبُونَهُ. فَلَمَّا رَآنِي قَالَ:

(١) **أحلّه** بالمكان جعله محلًا له. **وبعض** فاعل أحل. أي إني كنت في بعض أسفاري وكان ذلك السفر سببًا لنزولي بدمشق في أثنائه. وفي رواية: أحلتني دمشق في بعض أسفاري. ومعناه جعلت لي دمشق منها محلًا.

(٢) **بنو ساسان** الشحاذون وأهل المسألة. **وساسان** يقولون إنه كان رجلًا فقيرًا حاذقًا في الاستعطاء دقيق الحيلة في الاستجداء فنسب إليه المكدون. وعندي أن الساسانية وبني ساسان وما شاكل ذلك من الألفاظ المشيرة بالتحقير لساسان وأنه جدّ السفلة أو شيخهم إنما جاءت بعد زوال الدولة الساسانية من الفرس التي كان مؤسسها أردشير بابك فلما محقها الإسلام وبقي من أطرافها أفراد أذلّاء سقطوا في ألسنة فتيان المسلمين الأوّلين فكانوا يطردونهم من مكان إلى مكان ويعيِّرونهم بعنوان آبائهم. فبعد أن كانت نسبتهم إلى **ساسان** نسبة مجد وحسب صارت نسبة قذف وسب. وكان في إشهار هذا الاسم بالتحقير غاية سياسية فضلًا عما تطمح إليه نفس الغالب من إذلال المغلوب وهي أن لا يبقى للدولة الساسانية ذكر في لسان ولا أثر في جنان ينبئ عن سلطانها أو رفعة شأنها وإذا خطر أمرها بالبال فلا يخطر إلّا مع لازمه الجديد وهو السفالة والدناءة. ثم نسي ذلك بمرور الأيام وبقي اللّفظ مستعملًا في الشحاذين وهم أدنى طبقة في الناس. ولقد سمعت في بعض البلاد سبًّا تعجبت لأول سماعه ثم انتبهت إلى سببه وذلك أن رجلًا قد رأى على ابنه شيئًا يشير إلى رخاوة فيه فكان نهاية شتم قاله في شدة غيظه يا برمكي فعلمت أن أهل الدولة من العباسيين بعد أن نكبوا البرامكة جعلوا عنوانهم عارًا لمن يتصل به وبقي ذلك إلى اليوم في ألسنة بعض البلاد في مصر. هذا وللبرامكة أعوان وأنصار حفظوا طيب ذكرهم في بطون الكتب إلى ما شاء الزمان أن يبقى. أما الساسانية فلم يكن لهم بعد تمكن الإسلام في فارس ولي ولا نصير.

(٣) **المغرة** بفتح الميم طين أحمر يصبغ به. وفي رواية: وذلّلوا بالمعرة نفوسهم. **والمعرة** الدناءة والسفالة وهي أشد العار. **وتابط** الشيء حمله تحت الإبط. **والزعيم** الرئيس المقدم بينهم.

(٤) **راسل** ههنا مفاعلة من **رسل** في قراءته بمعنى رتل لأنه في قوله يرتبه على نغم مخصوص وهم يعيدون لفظه مع النغم المناسب لنفسه فهم لذلك يراسلونه وهو يراسلهم.

أُرِيـدُ مِـنْـكَ رَغِـيـفَـا يَـعْـلُـو خُـوَانًـا نَـظِـيـفَـا[١]
أُرِيـدُ مِـلْـحًـا جَـرِيـشًـا أُرِيـدُ بَـقْـلًا قَـطِـيـفَـا[٢]
أُرِيـدُ لَـحْـمًـا غَـرِيـضًـا أُرِيـدُ خَـلًّا ثَـقِـيـفَـا[٣]
أُرِيـدُ جَـدْيًـا رَضِـيـعًـا أُرِيـدُ سَـخْـلًا خَـرُوفَـا[٤]
أُرِيـدُ مَـاءً بِـثَـلْـجٍ يَـغْـشَـى إِنَـاءً طَـرِيـفَـا[٥]
أُرِيـدُ دَنَّ مُـدَامٍ أَقُـومُ عَـنْـهُ نَـزِيـفَـا[٦]
وَسَـاقِـيًـا مُـسْـتَـهَـشًّـاً عَـلَـى ٱلْـقُـلُـوبِ خَـفِـيـفَـا[٧]
أُرِيـدُ دَنْـدَانَ مَـرْزٍ وَلَـسْـتُ أَرْضَـى طَـفِـيـفَـا
إِمَّـا جَـوَاداً عَـتِـيـقـاً يَـرِفُّ تَـحْـتِـي رَفِـيـفَـا
أو مُـسْـمِـعَـاتِ غِـنَـاءٍ يَـقُـمْـنَ دُونِـي صُـفُـوفَـا
أُرِيـد عَـبْـداً صَـبِـيـحَـاً يَـكُـدُّ خَـصْـراً لَـطِـيـفَـا
يَـكُـونُ بِـالـلَّـيْـلِ عُـرْسـاً وبِـالـنَّـهَـارِ عَـسِـيـفَـا
إذا احْـتَـفَـلْـنَـا وقُـوراً وإن خَـلَـونَـا سَـخِـيـفَـا
أُرِيـدُ مِـنْـكَ قَـمِـيـصًـا وَجُـبَّـةً وَنَـصِـيـفَـا[٨]

---

(١) تقدم أن **الخوان** هو ما يمدّ ليوضع عليه الطعام فإذا وضع عليه سمّي مائدة.

(٢) **الجريش** من الملح ما لم يطيب. **والبقل** ما ينبت أوراقًا بلا ساق. وأراد منه هنا ما يأكله الناس من الأطعمة استكمالًا للذة كالبقدونس والجرجير وما شابههما وطلبه قطيفًا يقطف ورقه كما تقطف الثمرة لا يقلع بجذوره طلبًا لنظافته.

(٣) **اللّحم الغريض** الطري. وخل **ثقيف** حامض جدًا.

(٤) كأنه يبيّن اللّحم الغريض وليس في اللّحم أشد طراوة من لحم الجدي وهو رضيع ولحم السّخل والجدي ولد المعزى لسنته الأولى. **والسّخل** ولد الضأن أول ولادته. والخروف الذكر منه وبين السّخل بالخروف لأن لحم الذكر أطيب من لحم الأنثى والسّخل يعمّهما. والمسموع أن السّخل جمع سخلة وهي للذكر والأنثى فيكون الشاعر قد أتى بلفظ الجمع للوزن وبينه بالجنس إظهارًا للرغبة في الكثير وعدم الاكتفاء بالقليل. ويروى: أو لا فسخلًا خروفًا.

(٥) لا يكتفي من الماء بما دون المثلج بردًا ولا يريده في إناء يعتاد الشرب فيه بل طلبه في إناء **طريف** أي نادر غريب في جوهره وصنعته.

(٦) **الدّن** الراقود العظيم للخمر. **والمُدام** الخمر. **والنزيف** السكران.

(٧) **مستهشًا** بفتح الهاء من استهشّه إذا استخفه يريد ساقيًا طروبًا يستخفه الطرب فيظرف في حركاته ولحظاته وعباراته فيكون خفيفًا على القلوب الملطّفة بحرارة المُدام.

(٨) **النّصيف** العمامة.

أُرِيــدُ نَــعْــلًا كَــثِــيــفَــا بِــهَــا أَزُورُ ٱلْــكَــنِــيــفَــا[١]
أُرِيــدُ مِــشْــطًــا وَمُــوسَــى أُرِيــدُ سَــطْــلًا وَلِــيــفَــا[٢]
يَــا حَــبَّــذَا أَنَــا ضَــيْــفًــا لَــكُــمْ وَأَنْــتَ مُــضِــيــفَــا[٣]
رَضِــيــتُ مِــنْــكَ بِــهٰــذَا وَلَــمْ أُرِدْ أَنْ أَحِــيــفَــا[٤]

قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ: فَنُلْتُهُ دِرْهَمًا وَقُلْتُ لَهُ: قَدْ آذَنْتُ بِٱلدَّعْوَةِ وَسَنُعِدُّ وَنَسْتَعِدُّ. وَنَجْتَهِدُ وَنَجِدُّ[٥]. وَلَكَ عَلَيْنَا ٱلْوَعْدُ مِنْ بَعْدُ. وَهٰذَا ٱلدِّرْهَمُ تَذْكِرَةٌ مَعَكَ فَخُذِ ٱلْمَنْقُودَ. وَٱنْتَظِرِ ٱلْمَوْعُودَ. فَأَخَذَهُ وَصَارَ إِلَى رَجُلٍ آخَرَ ظَنَنْتُ أَنَّهُ يَلْقَاهُ بِمِثْلِ مَا لَقِيَنِي[٦]. فَقَالَ:

يَــا فَــاضِــلًا قَــدْ تَــبَــدَّى كَــأَنَّــهُ ٱلْــغُــصْــنُ قَــدًّا[٧]
قَــدِ ٱشْــتَــهَــى ٱلــلَّــحْــمَ ضِــرْسِــي فَــأَجْــلِــدْهُ بِــٱلْــخُــبْــزِ جَــلْــدًا[٨]

(١) ويروى: نعلًا ثخينًا بدل كثيفًا.
(٢) السَّطل إناء من النّحاس كالمرجل له علاقة من حديد ونحوه كنصف دائرة تقوم على فتحته تتصل بعروتين في دائرة فتحته وهو معروف عند العامة بهذا الاسم أيضًا يستعمل لنقل الماء وهو في هذا البيت يطلب أدوات النظافة.
(٣) يمدح نفسه من حيث هو ضيف ويمدح المخاطبين من حيث هم مضيفون. أما هو فلخفّة طلبه وسهولته على المضيف وأما هم فلكرمهم وسخائهم بما يطلب منهم وهو تمليح في القول من باب قولهم ما ألطفه موضع ما أكثفه وما أخفّه مكان ما أثقله.
(٤) يقول إنه رضي بهذا المطلوب القليل وما يريد أن يحيف أي يظلم في طلب الكثير وهذا البيت لاحق بسابقه في المعنى والمذهب.
(٥) آذَنْتُ أي قد أعلمتك بأني دعوتك إلى ضيافتي. وسنعد أي نهيئ لك ما طلبت. ونستعد أي نتهيأ لقبولك ضيفًا شرهًا يطلب الكثير ويتخيله قليلًا وينفد مال السخي ويتوهّمه بخيلًا. والجد والاجتهاد يجريان مجرى واحدًا في المعنى.
(٦) أي أظنه أنه يوجه إليه من الطلب مثل ما وجّه إلى الراوي فيكون ضيق المادة في القول لا يعرف منه إلّا وجهًا واحدًا فلما استقبل الآخر بغير ما استقبل به الأول علم أن له فضلًا كما سيأتي ذكره.
(٧) بعد ما مدحه بالفضل وهو أخصّ مزايا الرجال وأعلى ما يمتدحون به مدحه بجمال الخلق أيضًا فقال تبدّى أي ظهر وتجلّى كأنه الغصن في قدّه. والقدّ القامة ويشبّهونها بالغصن في اعتدالها ورشاقتها.
(٨) كان اللّحم من المحظورات عليه لا يجوز له تعاطيه فاشتهاؤه ينزل منزلة الجرم الذي يستحق فاعله العقوبة عليه فيقول: إن ضرسه اشتهى اللّحم وأن تناوله اللّحم كتناول المسكر مثلًا يستحق الجلد عددًا من الضربات معلومًا. وبالغ في حرمانه من اللّحم بأن اشتهاءه ولو =

وَٱمْـنُـنْ عَـلَـيَّ بِـشَـيْءٍ وَٱجْـعَـلْـهُ لِـلْـوَقْـتِ نَـقْـدَا[١]
أَطْـلِـقْ مِـنَ ٱلْـيَـدِ خَـصْـرًا وَٱحْـلُـلْ مِـنَ ٱلْـكِـيـسِ عَـقْـدَا[٢]
وَٱضْـمُـمْ يَـدَيْـكَ لِأَجْـلِـي إِلَـى جَـنَـاحِـكَ عَـمْـدَا[٣]

قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَام: فَلَمَّا فَتَقَ سَمْعِي مِنْهُ هٰذَا ٱلْكَلَامُ عَلِمْتُ أَنَّ وَرَاءَهُ فَضْلًا[٤] فَتَبِعْتُهُ حَتَّى صَارَ إِلَى أُمِّ مَثْوَاهُ[٥]. وَوَقَفْتُ مِنْهُ بِحَيْثُ لَا يَرَانِي وَأَرَاهُ[٦]. وَأَمَاطَ

= لم يصحبه فعل يستحق الجلد. وطلب أن يعاقب عليه بالجلد لكن لا بالسّوط بل بالخبز. لشدّة ما سئم الخبز لعدم اختلاطه بغيره صار تناوله مؤلمًا كما يؤلم الجلد. وفي رواية: بالخبز. وكأنه يريد التجربة.

(١) طلب بأن يمنّ عليه بشيء ما خبزًا أو غيره وأن يجعله للوقت الحاضر نقدًا أي حالًا. ونقدًا مفعول ثان. وللوقت مرتبط بنقدًا أي حاضرًا في هذا الوقت.

(٢) تقدم أن إطلاق اليد من الخصر كناية عن تطامن النفس وتناولها لإجابة الغير فيما يسأل كأن الرجل ويده في خصره غير مبال بمن يخاطبه فإذا همّه أن ينيله طلبًا أو يجيب له سؤالًا أطلق يده من خصره إلى فعل ما يهمّه من شأنه ولذلك تراه بعد ما طلب إطلاق اليد من الخصر طلب حلّ عقد الكيس للإعطاء. ويروى: أطلق من البرد خصرًا يطلب خلع برده ومنحه إياه.

(٣) يشير إلى آية ﴿وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ من سورة طه في حكاية معجزات موسى عليه السلام. وموضع الرمز وصفها في الآية بالبيضاء وكان ذلك الوصف مرتبًا على ضمّها إلى الجناح ويقولون لليد المحسنة بيضاء. ومن كلامهم: لفلان في هذا العمل اليد البيضاء. وضمّ اليدين إلى الجناح هنا كناية عن إدناء اليد إلى موضع النقد وهو عادة يكون في ناحية الجيب. ولاحتمال أن يكون النقد في اليمين أو في اليسار أتى باليدين معًا حتى يحيط بالاحتمالين وأتى بلفظ «لأجلي» و«عمدًا» أي قصدًا للتنصيص على أن ضمّ اليد إنما هو للإعطاء وكأنه يقول اضمم يدك وملّ بها إلى حيث الدراهم تخرج بيضاء بما أنالت من الإحسان. وفي رواية: جناحيك بالتثنية.

(٤) كأن سمعه كان رتقًا وهذا الكلام بفصاحته فتقه فتقًا. والضمير في وراءه للكلام أي أن هذا الكلام مقدمة فضل وأن الفضل من ورائه وهذا يشف عنه.

(٥) أم مثواه صاحبة منزله ويكنّى بالوصول إليها الوصول إلى منزله سواء كان المنزل أم مثوى أم لا.

(٦) هذه النسخة الصحيحة بحيث لا يراني وأراه لأن المعنى على أن عيسى بن هشام استتر ليرى ماذا يصنع الساساني ليكشف حيلته هو ومن معه ولا يكون إلّا إذا اختفى عن أبصارهم إذ لو رأوه لعملوا على الثبات في حيلتهم. وفي نسخة: بحيث يراني ولا أراه وهي غلط ظاهر.

ٱلسَّادَةُ(١). فَإِذَا زَعِيمُهُمْ أَبُو ٱلْفَتْحِ ٱلْإِسْكَنْدَرِيُّ. فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ وَقُلْتُ: مَا هٰذِهِ ٱلْحِيلَةُ وَيْحَكَ. فَأَنْشَأَ يَقُولُ:

هٰـذَا ٱلـزَّمَـانُ مَـشُـومُ ... كَـمَـا تَـرَاهُ غَـشُـومُ(٢)
ٱلْـحُـمْـقُ فِـيـهِ مَـلِـيـحٌ ... وَٱلْـعَـقْـلُ عَـيْـبٌ وَلُـومُ(٣)
وَٱلْـمَـالُ طَـيْـفٌ وَلٰـكِـنْ ... حَـوْلَ ٱلـلِّـئَـامِ يَـحُـومُ(٤)

---

(١) أماطوا لثمهم أزالوها عن وجوههم. واللّثم جمع لثام. وزعيمهم أي رئيسهم الذي كان يقول ويجاوبونه.

(٢) مشوم تخفيف مشؤوم أي جلّاب للشؤم والنحس و«كما تراه» تابع لمشوم. وغشوم وصف آخر معناه الظلوم القاسي.

(٣) الحمق ضعف العقل وهو مما لا يبالى معه بالأعمال أيًا كانت فهذا الوصف مليح لأنّا نرى أربابه وذوي الاتصاف به في خير ونعمة. أمّا العقل فقد عدّ في هذا الزمان عيبًا ونقصًا ولؤمًا وسوء طبع لأن الجملة إذا كانت على اختلال أنكرت ما يخالف حالها من الانتظام وعدت المنتظم منه مختلًا والصحيح معتلًا. ويروى: غثّ ملوم. والغثّ المهزول يريد به الناقص الرديء.

(٤) الطّيف الخيال في المنام ونحوه وإنما كان طيفًا لأنه لا بقاء له يكسب لينفق ويختزن ليبذل فإن لم ينفده الإنفاق أنفدته عوادي الزمان ولهذا لا ترى غنيًا يخلد له غناه ولا فقيرًا يسجل عليه فقره. غير أنه وإن كان زائلًا إلّا أنه لا يحوم إلّا حول اللّئام ولا يطيف إلّا بهم.

المقَامَةُ القِرْدِيَّة

حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ: بَيْنَا أَنَا بِمَدِينَةِ ٱلسَّلَامِ(١). قَافِلًا مِنَ ٱلْبَلَدِ ٱلْحَرَامِ. أَمِيسُ مَيْسَ ٱلرَّجْلَةِ(٢). عَلَى شَاطِئِ ٱلدِّجْلَةِ. أَتَأَمَّلُ تِلْكَ ٱلطَّرَائِفَ. وَأَتَقَصَّى تِلْكَ ٱلزَّخَارِفَ(٣). إِذْ ٱنْتَهَيْتُ إِلَى حَلْقَةِ رِجَالٍ مُزْدَحِمِينَ يَلْوِي ٱلطَّرَبُ أَعْنَاقَهُمْ(٤). وَيَشُقُّ ٱلضَّحِكُ أَشْدَاقَهُمْ. فَسَاقَنِي ٱلْحِرْصُ إِلَى مَا سَاقَهُمْ(٥). حَتَّى وَقَفْتُ بِمَسْمَعِ صَوْتِ رَجُلٍ دُونَ مَرْأَى وَجْهِهِ لِشِدَّةِ ٱلْهَجْمَةِ. وَفَرْطِ ٱلزَّحْمَةِ(٦). فَإِذَا هُوَ قَرَّادٌ يُرْقِصُ قِرْدَهُ. وَيُضْحِكُ مَنْ عِنْدَهُ. فَرَقَصْتُ رَقْصَ ٱلْمُحَرَّجِ(٧). وَسِرْتُ سَيْرَ ٱلْأَعْرَجِ(٨). فَوْقَ رِقَابِ

---

(١) **مدينة السّلام** مدينة بغداد. **وقافلًا** أي راجعًا. **والبلد الحرام** مكة.

(٢) **أميس** من ماس إذا تبختر. **والرَّجْلَةِ** جمع رجل أي أمشي كما يمشي الرجال على شاطئ نهر الدجلة وهو نهر بغداد شقيق الفرات.

(٣) **الطَّرائف** جمع طريفة وهي الطّرفة الأمر المعجب المستحسن. **والتقصّي** المبالغة في طلب الوقوف على دقائق شيء. فهو يتقصّى الزخارف بنظره حتى لا يفوته منها فائت.

(٤) أي أن الطرب أخذ منهم حتى أنه ليميل أعناقهم من جانب إلى جانب. وهذه عادة الطرب يميل بعنقه ويضطرب بجميع بدنه.

(٥) حرصه على الاستقصاء ساقه إلى ما ساقهم حرصهم إليه وهو ما التفوا حوله فاندفاعه إلى ما اندفع إليه الجماعة وطلبه الوقوف حيث وقفوا هو حرصه على العلم بما يرى. أما حرصهم فربما لا يكون إلّا على استملاح المجون.

(٦) أي وقف بحيث يسمع صوت الرجل ولا يرى وجهه لشدة ما يسرع الناس للوقوف عليه. **وشدّة الهجمة** من هجم البرد أسرع دخوله. **والفرط** الإفراط ومجاوزة الحد أي لبلوغ الازدحام إلى حدّ يفوق المعروف منه.

(٧) **ارقص** القرد حمله على اللعب في وثباته وحركاته المعروفة. أما رقص عيسى بن هشام فهو نزواته ووثباته في الإسراع إلى مكان منه القراد وقرده. **والمحرج** الكلب المقلد بالحرج أي الودع ولا يقلّد بذلك حتى يكون معلمًا وهو إذا اشتد في الجري كان كل شدّه وثبًا وقفزًا.

(٨) **سير الأعرج** لا يخلو من صعود وهبوط وانحدار إلى الجوانب. ومن يسرع في المزدحم فهذا سيره.

ٱلنَّاسِ يَلْفِظُنِي عَاتِقُ هٰذَا لِسُرَّةِ ذَاكَ[١]. حَتَّى ٱفْتَرَشْتُ لِحْيَةَ رَجُلَيْنِ. وَقَعَدْتُ بَعْدَ ٱلْأَيْنِ[٢]. وَقَدْ أَشْرَقَنِي ٱلْخَجَلُ بِرِيقِهِ. وَأَرْهَقَنِي ٱلْمَكَانُ بِضِيقِهِ[٣]. فَلَمَّا فَرَغَ ٱلْقَرَّادُ مِنْ شُغْلِهِ. وَٱنْتَفَضَ ٱلْمَجْلِسُ عَنْ أَهْلِهِ[٤]. قُمْتُ وَقَدْ كَسَانِي ٱلدَّهْشُ حُلَّتَهُ[٥]. وَوَقَفْتُ لِأَرَى صُورَتَهُ. فَإِذَا هُوَ وَٱللَّهِ أَبُو ٱلْفَتْحِ ٱلْإِسْكَنْدَرِيُّ. فَقُلْتُ مَا هٰذِهِ ٱلدَّنَاءَةُ وَيْحَكَ. فَأَنْشَأَ يَقُولُ:

أَلْــذَّنْــبُ لِــلأَيَّــــامِ لَا لِــــي ... فَــاْعْــتَــبْ عَــلَــى صَــرْفِ ٱلــلَّــيَــالِــي[٦]

بِــٱلْــحُــمْــقِ أَدْرَكْــتُ ٱلْــمُــنَــى ... وَرَفَــلْــتُ فِــي حُــلَــلِ ٱلْــجَــمَــالِ[٧]

---

(١) الناس جلوس وليس بينهم فرج يطأها في سيره للوصول إلى حيث يرى القرد يسير فوق أعناق الناس **يلفظه** أي يرميه عاتق الأول إلى سرّة الثاني أي بطنه. عبّر عن البطن بالسرّة لأن السرّة في وسط البطن فإذا رمي إليها فقد رمي إلى البطن.

(٢) انتهى سيره إلى آخر الحلقة من قبل القراد وليس فيها مكان للجلوس على الأرض فجلس بين رجلين كان نصف مجلسه على وجه أحدهما ونصفه على وجه الآخر فقد افترش لحيتيهما وهو مبالغة في شدّة الازدحام. **والأَيْن** الإعياء من التعب. ويروى: بين اثنين بدل بعد الأين.

(٣) أصل المثل أشرقت فلانًا **بريقه** إذا وقفت دون ما يريد من قول وفعل. لكنه يريد أن الخجل أجرى من لساني ريقًا غزيرًا حتى أغصّني به لكثرته. فإضافة الريق إلى الخجل إضافة السبب إلى المسبّب. وهكذا يقال: الخجل يسيل الريق والخوف يجففه. **وأرهقه** كلّفه من المشقة ما لا يطاق لضيقه. ويروى: **ازهقني** بالزاي المعجمة من قولهم أزهق السهم عن الهدف إذا أجازه عنه كأن المكان لضيقه ألقاه خارجًا عنها.

(٤) كأن المجلس طائر ينفض ما على جناحيه من ماء أو تراب ليميطه عنهما وهو **ينتفض** أي يهتز لنفض ما على بدنه من ذلك. والمراد خلو المجلس من أهله.

(٥) **الدّهش**الذهول. وحلّة **الدهش** ما يظهر على الوجه وسائر الأعضاء من علاماته وآثاره.

(٦) **صرف** الليالي ما تتصرف به في الناس من نوائبها.

(٧) أراد من **الحمق** التحامق والتباله فإن صاحب الحيلة ليس بأحمق. وكثيرًا ما أفاد الحمق أهله عند أهله وأكسبهم أعظم أمانيهم لديهم. **ورفل** في حلله وأثوابه إذا جرّ ذيولها متبخترًا. أراد أنه بحمقه كسي في نظر الناس جمالًا ضافيًا يرفل في أثوابه أو أنه بالحمق كسب المال فاكتسى به أفخر الثياب وهي مجلبة الجمال.

المقَامَةُ المَوْصليَّة(١)

حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ: لَمَّا قَفَلْنَا مِنَ ٱلْمَوْصِلِ(٢). وَهَمَمْنَا بِٱلْمَنْزِلِ. وَمُلِكَتْ عَلَيْنَا ٱلْقَافِلَةُ. وأُخِذَ مِنَّا ٱلرَّحْلُ وَٱلرَّاحِلَةُ. جَرَتْ بِي ٱلْحُشَاشَةُ(٣) إِلَى بَعْضِ قُرَاهَا وَمَعِي ٱلْإِسْكَنْدَرِيُّ أَبُو ٱلْفَتْحِ. فَقُلْتُ: أَيْنَ نَحْنُ مِنَ ٱلْحِيلَةِ(٤). فَقَالَ: يَكْفِي ٱللَّهُ. وَدُفِعْنَا إِلَى دَارٍ قَدْ مَاتَ صَاحِبُهَا وَقَامَتْ نَوَادِبُهَا(٥). وَٱحْتَفَلَتْ بِقَوْمٍ قَدْ كَوَى ٱلْجَزَعُ قُلُوبَهُمْ. وَشَقَّتِ ٱلْفَجِيعَةُ جُيُوبَهُمْ. وَنِسَاءٍ قَدْ نَشَرْنَ شُعُورَهُنَّ. يَضْرِبْنَ صُدُورَهُنَّ. وَجَدَدْنَ عُقُودَهُنَّ(٦). يَلْطِمْنَ خُدُودَهُنَّ. فَقَالَ ٱلْإِسْكَنْدَرِيُّ: لَنَا فِي هٰذَا

---

(١) وقد ترجمت في بعض النسخ بمقامة الميت نسبة إلى حكاية الميت المذكورة فيها.

(٢) **قفلنا** أي رجعنا. **والموصل** قاعدة بلاد الجزيرة على الجانب الغربي من الدجلة ويقابلها على الجانب الشرقي من دجلة موقع مدينة نينوى. **والمنزل** الوطن الذي يقفل إليه فقلنا هنا في موضع خرجنا من الموصل قافلين. ووجهنا عزمنا في رجوعنا إلى أوطاننا وفي أثناء الطريق بعد مبارحتهم المدينة خرج عليهم السلبة فملكوا عليهم القافلة وأخذوا منهم ما كان معهم من **الرّحل** وهو ما يوضع على المطية ليركب عليه **والرّاحلة** هي المطية. يريد أنه لم يبق لهم شيء.

(٣) **الحشاشة** بقية النفس. أي أسرع به ما بقي من حياته إلى بعض قرى الموصل التابعة لها لعله يجد فيها منجى ويصيب ما يحفظ عليه تلك البقية من الحياة. ويروى: جررت الحشاشة. ويروى: **حزت** الحشاشة من حاز إبله ساقها سوقًا لينًا.

(٤) استفهام عن مكانهم بالنسبة إلى الحيلة يبعدون عنها أو يقرّبون منها. فقال **يكفي الله** أي يكفينا الله تعالى مؤونة التكلّف في الحيلة أي هي قريبة منّا يسهل علينا إتيانها بكفاية الله.

(٥) **النّوادب** جمع نادبة وهي التي تعدد أوصاف الميت عند البكاء عليه. **واحتفلت** أي امتلأت من احتفل الضرع باللّبن إذا امتلأ به. ويروى: واختلطنا بقوم إلخ. **والجزع** أشد الحزن لا يستطيع المصاب كتمانه فيشبّهه بالنار وأسند له فعل الكي لأن أثره في القلب ليس أقل من أثر النار إذا كوي بها الجسم. **والفجيعة** الرزية في فقد من يكرم على المفجوع. وإسناد شق الجيوب إلى الفجيعة لأنها السبب فيه. **وجيب القميص** مدخل الرأس منه. ومن عادة المفجوعين أن يمسكوا بجوانب جيب القميص ثم يحملون عليه فيشقونه إظهارًا لشدّة الحزن أو اضطرارًا بتغلّبها على العقل.

(٦) **وجددن** أي قطعن عقودهن أي قلائدهن. وفي معظم النسخ: وشددن عقودهن. فتكون =

ٱلسَّوَادِ نَخْلَةٌ(١). وَفِي هٰذَا ٱلْقَطِيعِ سَخْلَةٌ. وَدَخَلَ ٱلدَّارَ يَنْظُرُ إِلَى ٱلْمَيْتِ وَقَدْ شُدَّتْ عِصَابَتُهُ لِيُنْقَلَ(٢). وَسُخِّنَ مَاؤُهُ لِيُغْسَلَ. وَهُيِّئَ تَابُوتُهُ لِيُحْمَلَ. وَخِيطَتْ أَثْوَابُهُ لِيُكَفَّنَ. وَحُفِرَتْ حُفْرَتُهُ لِيُدْفَنَ. فَلَمَّا رَآهُ ٱلْإِسْكَنْدَرِيُّ أَخَذَ حَلْقَهُ. فَجَسَّ عِرْقَهُ(٣). فَقَالَ: يَا قَوْمُ ٱتَّقُوا ٱللَّهَ لَا تَدْفِنُوهُ فَهُوَ حَيٌّ وَإِنَّمَا عَرَتْهُ بَهْتَةٌ. وَعَلَتْهُ سَكْتَةٌ(٤). وَأَنَا أُسَلِّمُهُ مَفْتُوحَ ٱلْعَيْنَيْنِ. بَعْدَ يَوْمَيْنِ. فَقَالُوا: مِنْ أَيْنَ لَكَ ذٰلِكَ. فَقَالَ. إِنَّ ٱلرَّجُلَ إِذَا مَاتَ بَرَدَتْ إِسْتُهُ وَهٰذَا ٱلرَّجُلُ قَدْ لَمَسْتُهُ فَعَلِمْتُ أَنَّهُ حَيٌّ. فَكُلٌّ أَدخلَ إِصْبَعَهُ في دُبُرِهِ. وَقَالَ: ٱلْأَمْرُ عَلَى مَا ذَكَرَ. فَٱفْعَلُوا كَمَا أَمَرَ. وَقَامَ ٱلْإِسْكَنْدَرِيُّ إِلَى ٱلْمَيْتِ. فَنَزَعَ ثِيَابَهُ ثُمَّ شَدَّ لَهُ ٱلْعَمَائِمَ. وَعَلَّقَ عَلَيْهِ تَمَائِمَ(٥). ....

= جمع عقد بالفتح فإنهن يعقدن ما عليهن من الثياب على مواضع من البدن ليتمكَّنَّ من اللّطم. والنسخة التي بين أيدينا أوضح وأبين.

(١) أراد من **السّواد** ما بدا بهذا اللّون وإن لم يكن سوادًا حقيقيًا كما سمّوا رساتيق العراق سوادًا لكثرة أشجارها وزروعها فتبدو للناظر على بعد في لون السَّواد. واستعمل السّواد هنا في معنى النّخيل المتكاثف لأنه يلوح أسود فأطلق عليه ما منه الاشتقاق كأنه قال لنا في هذا النخيل نخلة وهو مثل تضربه إذا أصبت حظًا بين حظوظ. والميت العزيز ينتفع من النفقة عليه خلق كثير من الفقراء والمجهّزين والمسترحمين. فقد وجد الإسكندريّ له ولرفيقه سهمًا من المنفعة بين هذه السهام لكنه يفوق جميعها لأنه ينتفع منفعة من يحيي عزيز القوم وأولئك ينتفعون منفعة من يجد له في زاد أخراه. ومثل هذا المثل قوله: وفي هذا القطيع سخلة. **وقطيع** الغنم مثلًا الجماعة منها. **والسَّخلة** ولد الضأن ذكرًا أو أنثى. أي إن له بين المنافع منفعة وإن صغرت.

(٢) **العصابة** ما يشدّ من تحت ذقن الميت فيؤخذ من جانبي اللّحيين حتى يعقد بأعلى الرأس يفعل ذلك بالميت لينطبق الفم ولا يفتح فيقبح منظره أو يندفع بعض السائلات منه. **والتابوت** أو السرير الخشبة التي يحمل عليها المعروفة بالنعش. **وتكفين الميت** إدراجه في الأثواب التي تهيأ للموتى عادة وتعرف بالكفن. والمراد من **حفرته** قبره.

(٣) الضمير المضاف إليه عرق للحلق. وأراد من **عرق الحلق** الشريان الآخذ من تحته في العنق فإن له نبضًا كنبض شريان اليد يمكن أن يستدلّ منه على الموت والحياة بل هو في نظر العوام أدلّ.

(٤) **عرته** طرأت عليه. **والبهتة** البغتة أي عرض عليه عارض **بهته** أي قطعه عن الكلام وغيره من أعمال الحياة. **وعلته** أي غشيته سكتة أي نازلة بمخه عطّلت قواه عن تأدية وظائفها. ومفتوح العينين كناية عن حي.

(٥) في نسخة بعد نزع ثيابه: وقشر أهابه. **والإهاب** الجلد أراد منه الثياب أيضًا ورشح المجاز بقوله قشر. والجملة كالتكرار لسابقتها بعبارة أجود في نظره. **والعمائم** جمع عمامة ما =

وألعَقَهُ ٱلزَّيْتَ[١]. وَأَخْلَى لَهُ ٱلْبَيْتَ. وَقَالَ دَعُوهُ. وَلَا تَرْدَعُوهُ[٢]. وَإِنْ سَمِعْتُمْ لَهُ أَنِينًا فَلَا تُجِيبُوهُ. وَخَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ وَقَدْ شَاعَ ٱلْخَبَرُ وَٱنْتَشَرَ. بِأَنَّ ٱلْمَيْتَ قَدْ نُشِرَ[٣]. وَأَخَذَتْنَا ٱلْمَبَارُّ مِنْ كُلِّ دَارٍ[٤]. وَٱنْثَالَتْ عَلَيْنَا ٱلْهَدَايَا مِنْ كُلِّ جَارٍ. حَتَّى وَرِمَ كِيسُنَا فِضَّةً وَتِبْرًا[٥]. وَٱمْتَلَأَ رَحْلُنَا أَقِطًا وَتَمْرًا. وَجَهَدْنَا أَنْ نَنْتَهِزَ فُرْصَةً فِي ٱلْهَرَبِ فَلَمْ نَجِدْهَا حَتَّى حَلَّ ٱلْأَجَلُ ٱلْمَضْرُوبُ. وَٱسْتُنْجِزَ ٱلْوَعْدُ ٱلْمَكْذُوبُ[٦]. فَقَالَ ٱلْإِسْكَنْدَرِيُّ: هَلْ سَمِعْتُمْ لِهٰذَا ٱلْعَلِيلِ رِكْزًا. أَوْ رَأَيْتُمْ مِنْهُ رَمْزًا. فَقَالُوا: لَا. فَقَالَ: إِنْ لَمْ يَكُنْ صَوَّتَ مُذْ فَارَقْتُهُ فَلَمْ يَجِئْ بَعْدُ وَقْتُهُ. دَعُوهُ إِلَى غَدٍ فَإِنَّكُمْ إِذَا سَمِعْتُمْ صَوْتَهُ. أَمِنْتُمْ مَوْتَهُ ثُمَّ عَرِّفُونِي لِأَحْتَالَ فِي عِلَاجِهِ[٧]. وَإِصْلَاحِ مَا فَسَدَ مِنْ مِزَاجِهِ. فَقَالُوا: لَا تُؤَخِّرْ ذٰلِكَ

= يلف على الرأس في هيئة معروفة. وإلباسه العمائم لأنه معدود في الأحياء فجعل العمامة مكان العصابة. **والتمائم** جمع تميمة وهي ما يعلق من أوراق وتعاويذ ليظهر أثرها فيمن علقت عليه إما بحفظه من عين المعيان ولمس الجن مثلًا وإما بشفائه من أثر ذلك. ومن ذهب إلى تأثير بعض الأرواح في بعض إما بمجرد التوجه الروحاني أو مع ألفاظ أو أحرف أو ما شابه ذلك. فللتمائم عنده ما يصفون لها من الآثار إن وافقت شروطها. ومن ذهب إلى غير ذلك أنكرها وأنكر كل ما ينحو نحوها.

(١) ألعقه الزيت جعل الزيت في فمه ليلين يابسه.

(٢) أي إذا تحرك حركة بعد سريان الحياة فيه فلا تردعوه ولا تكفّوه عنها. وفي نسخة: فلا **تروّعوه** بواو مشدّدة بدل الدال أي لا تفزعوه بضجيج أصواتكم حوله **والانين** تأوّه المريض وصوته المندفع عن وجدان الألم كأنه يطلب به غياثًا مما هو فيه لهذا جعله بمنزلة النداء وقال لا **تجيبوه** أي لا يأت أحد عنده ليسأله عمّا يؤلمه يؤكد لهم أنه لا بدّ أن يحيى بتمائمه وعمائمه وأنه سيئن وعليهم أن لا يجيبوه إذا سمعوه.

(٣) **نشر الميت** بعث حيًا بعد موته.

(٤) **المبار** جمع مبرّة أراد منها الصلاة والمواهب لأنهم قد أحبّوا عزيز القوم فكل دار بها من ذلك مسرّة تحملها على مبرة.

(٥) **التّبر** الذهب غير مسكوك وأراد منه مطلق الذهب لأن المبرات بالنقود وهي ذهب مسكوك وفضة كذلك. **وورم الكيس** انتفاخه بما أودع فيه **والرّحل** هنا الوعاء كالعدل والجراب. **والاقط** اللّبن الحامض يملح ويجفف. وقد يطلق عليه اسم الجبن. فالمبرات كان بعضها نقودًا وبعضها طعامًا يليق بحال المسافرين وهو الأقط والتمر.

(٦) أي إن أهل الميت طلبوا من الإسكندريّ ورفيقه إنجاز وعدهما بحياة الميت بعد يومين. فقال الإسكندري: هل سمعتم لعليلكم هذا وهو الميت **ركزًا** أي صوتًا بأنين ونحوه أو رأيتم منه حركة ترمز وتشير إلى حياته.

(٧) أي إذا سمعوا الصوت وتحققوا الحياة فعليهم بإخباره لأجل أن يأخذ في علاج المرض ويدقق فيه حتى يشفى.

عَنْ غَدٍ قَالَ: لَا. فَلَمَّا ٱبْتَسَمَ ثَغْرُ ٱلصُّبْحِ(١) وَٱنْتَشَرَ جَنَاحُ ٱلضَّوْءِ. فِي أُفُقِ ٱلْجَوِّ. جَاءَهُ ٱلرِّجَالُ أَفْوَاجًا. وَٱلنِّسَاءُ أَزْوَاجًا. وَقَالُوا: نُحِبُّ أَنْ تَشْفِيَ ٱلْعَلِيلَ. وَتَدَعَ ٱلْقَالَ وَٱلْقِيلَ. فَقَالَ ٱلْإِسْكَنْدَرِيُّ: قُومُوا بِنَا إِلَيْهِ ثُمَّ حَدَرَ ٱلتَّمَائِمَ عَنْ يَدِهِ(٢). وَحَلَّ ٱلْعَمَائِمَ عَنْ جَسَدِهِ. وَقَالَ: أَنِيمُوهُ عَلَى وَجْهِهِ فَأُنِيمَ. ثُمَّ قَالَ: أَقِيمُوهُ عَلَى رِجْلَيْهِ فَأُقِيمَ. ثُمَّ قَالَ: خَلُّوا عَنْ يَدَيْهِ فَسَقَطَ رَاسِيًا(٣) وَطَنَّ ٱلْإِسْكَنْدَرِيُّ بِفِيهِ(٤). وَقَالَ: هُوَ مَيْتٌ كَيْفَ أُحْيِيهِ. فَأَخَذَهُ ٱلْجُفُّ(٥). وَمَلَكَتْهُ ٱلْأَكُفُّ. وَصَارَ إِذَا رُفِعَتْ عَنْهُ يَدٌ وَقَعَتْ عَلَيْهِ أُخْرَى. ثُمَّ تَشَاغَلُوا بِتَجْهِيزِ ٱلْمَيْتِ فَٱنْسَلَلْنَا هَارِبِينَ حَتَّى أَتَيْنَا قَرْيَةً عَلَى شَفِيرِ وَادٍ ٱلسَّيْلُ يُطَرِّفُهَا(٦). وَٱلْمَاءُ يَتَحَيَّفُهَا. وَأَهْلُهَا مُغْتَمُّونَ لَا يَمْلِكُهُمْ غُمْضُ ٱللَّيْلِ(٧). مِنْ

---

(١) كأنه تخيل انبجاس الظلام بالضياء في أول الصبح كانفتاح الفم عند الابتسام وإن ما يظهر من ذلك بمنزلة الثغر المتبسّم وبعد ذلك ينتشر الضوء إلى جنوب الفجر وشماله. فصحّ أن يشبّه المنتشر في اليمين بالجناح والمنتشر في الشمال بجناح آخر. **وأفق الجو** طرفه الدائر بالأرض وإنما يكون الضوء خاصًا بالأفق في أول الصبح قبل أن يسفر الضوء ويعلو حتى ينير الجو بتمامه.

(٢) **حدرها** نحاها عن يده بعدما كانت معلّقة عليها. وكان عليه أن يقول «وحل العمائم عن رأسه» لكنه حسب الرأس من جملة الجسد فأتى به للسجعة.

(٣) **راسيًا** أي ثابتًا لا حراك به. ويروى: رأسًا أي سقط لرأسه.

(٤) **طنّ بفيه** أي صوت به وإنما لم يقل صاح لأنه صوت الخزي والخجل فهو ضعيف كأنه طنين الذباب.

(٥) **الجف** بالضم العدد الكثير من الناس أي فأخذه الجمهور بالضرب. وفي نسخة: الخف بالخاء أي ضربوه بأخفافهم قصد إهانته. **والأكف** جمع كف. **وملكته** أحاطت به حتى لا سبيل له إلى التخلص منها فكأنه مملوك لها لا يخرج عما تريد به.

(٦) **شفير الوادي** على حرفه. **والسيل** الماء الكثير كان يسيل في ذلك الوادي **ويطرفها** من قولهم طرف الخيل إذا ردّ أوائلها على أواخرها أي إن السيل يأخذ بعض أطرافها فينتقل سكانه إلى الطرف الأبعد من السيل. فبعد ان كان في طرف عاد إلى مجتمع البيوت كما يكون من الخيل إذا طرفت. **ويتحيفها** أي يتنقصها من نواحيها وهي بمعنى الفقرة الأولى. ويروى: **يتطرفها** بدل يطرفها وهو من تطرّفت الناقة رعت أطراف المرعى. فالسيل يأخذ من أطرافها ويهدم من جوانبها كما تفعل الناقة بالمرعى. ويروى واد يتطرفها بدون ذكر السيل وأطلق الوادي على الماء الجاري فيه كما في النهر ونحوه.

(٧) **غمض الليل** أي غمض الجفون بالنوم في الليل. فالإضافة إلى الظرف الواقع فيه المضاف كما في مكر الليل. أي لا يستولي الغمض على أجفانهم خوفًا من السيل. وقد يقرأ غمض منونًا. **والليل** ظرف منصوب أي لا يملكهم ولا يستولي على أعينهم شيء من الغمض مدة الليل.

خَشْيَةِ ٱلسَّيْلِ. فَقَالَ ٱلإِسْكَنْدَرِيُّ يَا قَوْمُ أَنَا أَكْفِيكُمْ هٰذَا ٱلْمَاءَ وَمَعَرَّتَهُ[١]. وَأَرُدُّ عَنْ هٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ مَضَرَّتَهُ. فَأَطِيعُونِي وَلَا تُبْرِمُوا أَمْرًا دُونِي[٢]. فَقَالُوا: وَمَا أَمْرُكَ فَقَالَ ٱذْبَحُوا فِي مَجْرَى هٰذَا ٱلْمَاءِ بَقَرَةً صَفْرَاءَ[٣]. وافْتَضُّوا بي جَارِيَةً عَذْرَاءَ. وَصَلُّوا خَلْفِي رَكْعَتَيْنِ يَثْنِ ٱللَّهُ عَنْكُمْ عِنَانَ هٰذَا ٱلْمَاءِ[٤]. إِلَى هٰذِهِ ٱلصَّحْراءِ. فَإِنْ لَمْ يَنْثَنِ ٱلْمَاءُ فَدَمِي عَلَيْكُمْ حَلَالٌ[٥]. قَالُوا: نَفْعَلُ ذٰلِكَ. فَذَبَحُوا ٱلْبَقَرَةَ. وَزَوَّجُوهُ ٱلْجَارِيَةَ فافْتَضَّها. وَقَامَ إِلَى ٱلرَّكْعَتَيْنِ يُصَلِّيهِما وَقَالَ: يَا قَوْمُ ٱحْفَظُوا أَنْفُسَكُمْ لَا يَقَعْ مِنْكُمْ فِي ٱلْقِيَامِ كَبْوٌ[٦]. أَوْ فِي ٱلرُّكُوعِ هَفْوٌ. أَوْ فِي ٱلسُّجُودِ سَهْوٌ. أَوْ فِي ٱلْقُعُودِ لَغْوٌ. فَمَتَى سَهَوْنَا

---

(١) **معرة الماء** مساءته وأذاه.

(٢) **أبرم الأمر** أحكمه. أي لا تحكموا تدبير أمر دون أن أكون صاحب الرأي فيه.

(٣) تخصيص لونها بالصفرة ليوهمهم أن في هذا اللون خاصة لكف الماء عن قريتهم وتحويله إلى الصحراء كأنه يذكرهم بما أمر اللّه بني إسرائيل في قصة القتيل المذكورة في سورة البقرة في قوله تعالى: إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة ثم قال: إنه يقول إنها بقرة صفراء فاقع لونها تسرّ الناظرين فإذا ذكر السامعون ذلك لم يبعد منهم أن يصدقوا أن في نوع البقرة وفي لونها سرًا من أسرار اللّه تعالى في كشف السرائر ودفع الكرب. **والعذراء** البكر.

(٤) **يثن** اللّه عنكم إلخ تصوير للماء في صورة دابة مشتدة في عدوها مستعصية على قائدها لا تبالي ما وطئت. وخيّل لها **عنانًا** وهو سير اللّجام الذي تمسك به الدابة. فهو يعدهم أنهم إذا ذبحوا البقرة وأتوه بالعذراء وصلّوا خلفه الركعتين فاللّه الذي بيده أزمة الأشياء عامة يحوّل الماء إلى الصحراء كما يثني قائد الدابة عنانها إلى جهة فيصرفها إليها.

(٥) **حلال عليكم** أي لكم أن تستبيحوه فتسفكوه. والمعروف في صفة الحلال اللام فيقال حلال له وفي صلة الحرام على فيقال حرام عليه. لكنه لما تصور **لازم الدم** وهو الحرمة الدائمة إلّا بحق شرعي أخذ لفظ على الذي يجب أن يقرن به دائمًا ووصل به حلال إشارة إلى ما للدم في الأذهان من الحرمة. ويروى لكم بدل عليكم.

(٦) أي لا يملكم الضجر من طول القيام **فتكبوا** أي تنكبوا على وجوهكم ضعفًا منكم عن الثبات في قيامكم. يحذرهم من ذلك لئلا تخيب وسيلتهم إن وقع منهم شيء مما يحذرهم وقوعه. **والهفو** مصدر هفا إذا أسرع. أي إذا ركعتم فلا يسئمنكم طول الانحناء فتتسرعوا هافين إلى السجود. وإذا طال عليكم السجود فلا يسهون أحدكم فيرفع رأسه قبل أن يرفعها أمامه. وإذا قعدتم للتشهّد وأطال الإمام بكم القعدة فلا تلغوا فيما تقرأون بل عليكم بترديد ما ورد في السنّة أنه يقرأ في التشهّد لا تخرجوا عنه إلى ما يحسن لديكم مما لا يطابق سنة ولم تأت به آثار ويروى: لا يقع منكم في القيام كبر. وفي السجود سهو. وفي القعود لهو. وفي القراءة لغو. ويروى أيضًا: لا يقع منكم في القيام كبو. وفي الركوع سهو. وفي السجود هفو. وفي القراءة لغو. والمعنى في الكل ظاهر.

خَرَجَ أَمَلُنَا عَاطِلًا. وَذَهَبَ عَمَلُنَا بَاطِلًا. وَٱصْبِرُوا عَلَى ٱلرَّكْعَتَيْنِ فَمَسَافَتُهُمَا طَوِيلَةٌ. وَقَامَ لِلرَّكْعَةِ ٱلْأُولَى فَٱنْتَصَبَ ٱنْتِصَابَ ٱلْجِذْعِ(١). حَتَّى شَكَوْا وَجَعَ ٱلضِّلْعِ. وَسَجَدَ. حَتَّى ظَنُّوا أَنَّهُ قَدْ هَجَدَ(٢). وَلَمْ يَشْجُعُوا لِرَفْعِ ٱلرُّؤُوسِ. حَتَّى كَبَّرَ لِلْجُلُوسِ. ثُمَّ عَادَ إِلَى ٱلسَّجْدَةِ ٱلثَّانِيَةِ وَأَوْمَأَ إِلَيَّ فَأَخَذْنَا ٱلْوَادِي(٣) وَتَرَكْنَا ٱلْقَوْمَ سَاجِدِينَ لَا نَعْلَمُ مَا صَنَعَ ٱلدَّهْرُ بِهِمْ. فَأَنْشَأَ أَبُو ٱلْفَتْحِ يَقُولُ:

لَا يُبْعِدِ ٱللَّهُ مِثْلِي ... وَأَيْنَ مِثْلِي أَيْنَا(٤)
لِلَّهِ غَفْلَةُ قَوْمٍ ... غَنِمْتُهَا بِٱلْهُوَيْنَا(٥)
إِكْتَلْتُ خَيْرًا عَلَيْهِمْ ... وَكِلْتُ زُورًا وَمَيْنَا

(١) **الجذع** ساق النخلة ويضرب به المثل في الاستقامة لأنها ألزم له من بين الأشجار. ثم له جذور ضاربة في الأرض فهو غاية في الثبات. وهكذا كان حال أبي الفتح في قيامه للصلاة محافظًا على الاعتدال في القيام ثابتًا فيه ثبوت الجذع في الأرض. ولم يزل قائمًا وهم خلفه قيام حتى شكوا وجع ضلوعهم من طول ما قاموا.

(٢) **هجد** أي نام والهجود النوم بالنهار وقد كانت الصلاة التي دعاهم إليها نهارية. لم **يشجعوا** لم يجرؤوا على رفع رؤوسهم مع طول سجودهم إلّا بعد ما كبر للجلوس فرفعوا رؤوسهم لتكبيره **والتكبير** إيذان منه برفع رأسه. وعدم تجرئهم على رفع الرؤوس لشدة ما حذرهم في أول النصيحة.

(٣) **أوما إلى** أشار. والقوم في سجودهم لا يشعرون ولا يشجعون على رفع رؤوسهم. **واخذنا** الوادي أي سرنا على امتداده فجعلناه طريقًا لنا. ومن اختار طريقًا فكأنه أخذه من بين الطرق.

(٤) دعاء لمثله بالقرب من اللّه وأن لا يبعده عن أبوابه. وهو كناية عن امتداح نفسه بأنه مستحق لمقامات القرب بما له من الحذق الذي لا يشابهه فيه غيره. ولما وجد من نفسه قوة الحيلة وأن الناس صيد لشباكه يخلب عقولهم بخزعبلاته ويخدعهم بترهاته ادعى التفرّد في وصفه فاستفهم عن وجود مثله استفهام المنكر فقال: وأين مثلي أين أي لا يوجد مثلي.

(٥) ينسب الشيء إلى اللّه إذا كان عجيبًا. فهو يتعجّب من غفلتهم لكثافة حجابها عليهم وبلوغها من تغليف قلوبهم حدًّا لا يقدر على إيصالها إليه إلّا اللّه سبحان وتعالى. وقد غنم هذه الغفلة وجنى ثمرتها **بالهوينا** وهي تصغير الهونا مؤنث الأهون. ثم بيّن كيف غنم الغفلة فقال: اكتلت خيرًا أما هو فقد كالهم أي أعطى لهم بالكيل **زورًا** أي باطلًا **ومينا** أي كذبًا فما أربح صفقته وما أخسر صفقتهم. وفي نسخ كثيرة: «للّه قلعة قوم فتحتها بالهوينا» **والقلعة** الحصن. مثل حاله وحالهم بحال المتحاربين يغنم أحدهما ما كان فيه الآخر من مال بعد غلبته عليه.

المَقَامَةُ المَضِيرِيَّة

حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ: كُنْتُ بِٱلْبَصْرَةِ(١) وَمَعِي أَبُو ٱلْفَتْحِ ٱلْإِسْكَنْدَرِيُّ رَجُلُ ٱلْفَصَاحَةِ يَدْعُوهَا فَتُجِيبُهُ. وَٱلْبَلَاغَةِ يَأْمُرُهَا فَتُطِيعُهُ(٢). وَحَضَرْنَا مَعَهُ دَعْوَةَ بَعْضِ ٱلتُّجَّارِ فَقُدِّمَتْ إِلَيْنَا مَضِيرَةٌ(٣) تُثْنِي عَلَى ٱلْحَضَارَةِ وَتَتَرَجْرَجُ فِي ٱلْغَضَارَةِ. وَتُؤْذِنُ بِٱلسَّلَامَةِ. وَتَشْهَدُ لِمُعَاوِيَةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بِٱلْإِمَامَةِ. فِي قَصْعَةٍ يَزِلُّ عَنْهَا ٱلطَّرْفُ. وَيَمُوجُ فِيهَا ٱلظَّرْفُ(٤). ....

(١) **البصرة** مدينة معروفة على الشط الغربي من النهر الحادث من التقاء الفرات ودجلة تبعد عن مصبّه في خليج العجم سبعين ميلًا.

(٢) يقال فلان رجل الحرب مثلًا إذا كان فريدًا في القيام بأعبائها لا يباريه فيها أحد. ورجل الفصاحة صاحبها الفرد ليس في الرجال من تؤهله آلاته لأن يكون من رجالها اللائقين بنسبتهم إليها ونسبتها إليهم. ثم تمثل الفصاحة كأنها من حشم أبي الفتح وحفدته فهو إذا دعاها ليستخدمها فيما يريد من أغراضه تجيبه والبلاغة كذلك يأمرها بإصابة الغرض من قلوب سامعيه وبلوغ مراده من نفوسهم فتطيعه. وقد ترى في الكلام تمثيلًا لحال أبي الفتح في تسلّطه على الأساليب الفصيحة يورد بها مقاصده في المقامات المتعددة يأتي لكل مقام بما يناسبه كأنه حاكم يتحكّم فيها بما يريده لا يتكلف ولا يتعسّف.

(٣) **المضيرة** لحم يطبخ باللّبن المضير أي الحامض وربما خلط المضير بالحليب وهو الأجود ثم يضيفون إليه من الأبزار ما يوفّر اللّذة في طعمه وله مريقة يحمدون أكلها. وربما كان هذا اللّون من الطعام لا يبعد عن لبنية بلاد الشام. وإنما كانت تلك المضيرة تثني على الحضارة التي هي ضد البداوة لأنها بجودة طبخها تشير إلى أن أهل الحضر أحذق في صنعتها من سكان البدو. **والترجرج** التحرّك بشدة توصف به الأشياء الرقيقة كالفالوذج ونحوه وهو من آيات كثرتها. **والغضارة** القصعة الكبيرة. **وإيذانها** بالسلامة أي إن إشعارها بسلامة من يأكل منها لأنها لطيبها مستساغة سهلة الهضم لا يخشى آكلها من ضرر البطنة وإن بالغ في الالتهام. ومعاوية ادعى الخلافة بعد بيعة علي بن أبي طالب رضي الله عنه فلم يكن من يشهد له بها في حياة عليّ إلّا طلّاب اللّذائذ وبغاة الشهوات. فلو كانت هذه المضيرة من طعام معاوية لحملت آكليها على الشهادة له بالخلافة وإن كان صاحب البيعة الشرعية حيًا. وإسناد الشهادة إليها لأنها سببها الحامل عليها. والإمامة والخلافة في معنى واحد.

(٤) أراد من **الطرف** البصر وأصله من العين أو ما تحرك من أشفارها. وفي كلامهم تخييل =

فَلَمَّا أَخَذَتْ مِنَ ٱلْخُوَانِ مَكَانَهَا[١]. وَمِنَ ٱلْقُلُوبِ أَوْطَانَهَا. قَامَ أَبُو ٱلْفَتْحِ ٱلْإِسْكَنْدَرِيُّ يَلْعَنُهَا وَصَاحِبَهَا. وَيَمْقُتُهَا وَآكِلَهَا. وَيَثْلِبُهَا وَطَابِخَهَا[٢]. وَظَنَنَّاهُ يَمْزَحُ فَإِذَا ٱلْأَمْرُ بِٱلضِّدِّ. وَإِذَا ٱلْمِزَاحُ عَيْنُ ٱلْجِدِّ. وَتَنَحَّى عَنِ ٱلْخُوَانِ. وَتَرَكَ مُسَاعَدَةَ ٱلْإِخْوَانِ. وَرَفَعْنَاهَا فَٱرْتَفَعَتْ مَعَهَا ٱلْقُلُوبُ. وَسَافَرَتْ خَلْفَهَا ٱلْعُيُونُ وَتَحَلَّبَتْ لَهَا ٱلْأَفْوَاهُ[٣]. وَتَلَمَّظَتْ لَهَا ٱلشِّفَاهُ. وَٱتَّقَدَتْ لَهَا ٱلْأَكْبَادُ وَمَضَى فِي إِثْرِهَا ٱلْفُؤَادُ. وَلٰكِنَّا سَاعَدْنَاهُ عَلَى هَجْرِهَا[٤]. وَسَأَلْنَاهُ عَنْ أَمْرِهَا. فَقَالَ: قِصَّتِي مَعَهَا أَطْوَلُ مِنْ مُصِيبَتِي فِيهَا[٥].

= البصر كأنه شيء يمتد من العين إلى المبصر. فإذا كان المرئي متأنقًا لم يثبت عليه البصر بل ينقبض عنه ثم يمتد إليه. فهو يصف القصعة بأنها لامعة الجوهر كأنها مضيئة. **يزل** أي يزلق البصر عنها لشدة نقاوتها وظهور وبيصها فلا يثبت عليها. ويروى: يكل. **والظرف** حسن الهيئة وبراعة اللّسان فيما تسرّ الأنفس باستماعه ذلك أصله وأطلقه هنا وأراد مطلق الحسن والبهاء. وصوّره متموّجًا للأشعار بتوفّره فيها كأنه ماء في جوهرها يموج ويضطرب. وفي نسخة ويمرح بدل يموج **والطرف** بالطاء المهملة بدل الظاء المشالة وهو أحد الأطراف بدل الظرف يمثل بالفقرة سعة القصعة أي إن اليد تمرح فيها ذهابًا وإيابًا.

(١) **تقدم ذكر الخوان** وتفسيره مرارًا وهو ما يوضع عليه الطعام. وأخذ مكانها من الخوان كناية عن وضعها عليه. ولشدة ما اشتهتها الأنفس للتناول منها تمثلت في القلوب بشخصها حتى عدّ كل قلب وطنًا لها لا تفارقه. والضميران للمضيرة.

(٢) أراد من **المقت** الكلام الدال عليه وإلّا فهو فعل نفسي وهو أشد البغض. **والثلب** الشتم والسّب. **وصاحبها** وآكلها وطابخها معطوفات على الضمائر المتصلة كل على سابقه وهو معروف في الفصيح وإن كان قليلًا.

(٣) **تحلبت** أي سال ريقها لأجل المضيرة. والفم يتحلب عند رؤية شيء من المطعم تميل النفس إلى تناوله بل عند تذكره كذلك. ويروى: اجتلبت وتجلبت وكلاهما غير صحيح. **والتلمّظ** إخراج اللّسان بعد الأكل والشرب ليمسح به الشفتان ولا بدّ للشفتين من حركة عند ذلك فينسب إليهما الفعل أيضًا فلما تحلبت الأفواه شوقًا إلى المضيرة وتمكن خيالها في نفس القوم خيّل لهم أنهم أكلوا منها فتلمّظوا أو أن **التلمّظ** لمسح الريق المتحلب على الشفة أو أراد من التلمّظ حركة الشفاه بالكلام الخفي في شأنها وعبّر عنه بالتلمّظ لشدة خفائه كأنه بلا صوت فهو شبيه بحركة التلمّظ. **واتقاد** الأكباد إشعالها بحرارة الأسف عليها. ويروى: انقادت بدل اتقدت وما هي من الخطأ ببعيد. **ومضي الفؤاد في أثرها** تمثيل لتعلق نفوسهم بها حتى كأن أفئدتهم أي قلوبهم سائرة خلفها تتبعها إلى حيث حملت.

(٤) **ضمير هجرها** لأبي الفتح أي مع ما يجدون في أنفسهم من الألم لحرمانهم منها ساعدوا أبا الفتح على هجرها والابتعاد عنها وسألوه عن أمرها عنده وما الذي حمله على هذه النفرة واستتباعها بالنعرة.

(٥) **أبو الفتح** ليس بأقل تحرّقًا على الحرمان من المضيرة فمصيبته فيها عظيمة لكن السبب =

وَلَوْ حَدَّثْتُكُمْ بِهَا لَمْ آمَنِ ٱلْمَقْتَ(١). وَإِضَاعَةَ ٱلْوَقْتِ. قُلْنَا: هَاتِ. قَالَ: دَعَانِي بَعْضُ ٱلتُّجَارِ إِلَى مَضِيرَةٍ وَأَنَا بِبَغْدَادَ وَلَزِمَنِي مُلَازَمَةَ ٱلْغَرِيمِ(٢). وَٱلْكَلْبِ لِأَصْحَابِ ٱلرَّقِيمِ. إِلَى أَنْ أَجَبْتُهُ إِلَيْهَا وَقُمْنَا فَجَعَلَ طُولَ ٱلطَّرِيقِ يُثْنِي عَلَى زَوْجَتِهِ. وَيُفَدِّيهَا بِمُهْجَتِهِ(٣). وَيَصِفُ حِذْقَهَا فِي صَنْعَتِهَا. وَتَأَنُّقَهَا فِي طَبْخِهَا(٤) وَيَقُولُ: يَا مَوْلَايَ لَوْ رَأَيْتَهَا. وَٱلْخِرْقَةُ فِي إِسْتِهَا(٥). وَهِيَ تَدُورُ فِي ٱلدُّورِ(٦). مِنَ ٱلتَّنُّورِ إِلَى ٱلْقُدُورِ. وَمِنَ ٱلْقُدُورِ إِلَى ٱلتَّنُّورِ. تَنْفُثُ بِفِيهَا ٱلنَّارَ. وَتَدُقُّ بِيَدَيْهَا ٱلْأَبْزَارَ. وَلَوْ رَأَيْتَ ٱلدُّخَانَ وَقَدْ غَبَّرَ فِي ذٰلِكَ ٱلْوَجْهِ ٱلْجَمِيلِ. وَأَثَّرَ فِي ذٰلِكَ ٱلْخَدِّ ٱلصَّقِيلِ(٧). لَرَأَيْتَ مَنْظَرًا تُحَارُ فِيهِ ٱلْعُيُونُ.

= في النفرة منها أعظم وقصته في حكاية هذا السبب أطول.

(١) تقدم أن **المقت** أشد البغض. ولو حدث بالقصة على طولها لخشي أن يمقته السامعون وأن يضيع الوقت في حكايتها.

(٢) **الغريم** رب الدين وملازمته لمدينة يضرب بها المثل. فكأن هذا التاجر له دين في ذمّة أبي الفتح يتقاضاه ويلازمه إلى أن يقضيه إياه. **وأصحاب الرقيم** أهل الكهف وقصتهم في القرآن معروفة وكلبهم معهم لا يفارقهم. وفي الفقرة السابقة بين ثقل التاجر في دعوته وفي الثانية أشار إلى خسّته.

(٣) **فداه** قال له جعلت فداك. **والمهجة** دم القلب أي يقول في بيان منزلتها عنده وأنها أحب إليه من الحياة فلتكن مهجته فداء لها من الموت.

(٤) **التانق** في العمل الإتيان به على أحسن وجوهه.

(٥) المراد من **الخرقة** ما يضعه الطباخ في وسطه مرسلًا إلى ساقيه شبه المئزر ليفي ثيابه من الوضر.

(٦) **تدور** تتحرك **والدور** جمع دار أي تتحرك في كل دار تكون فيها. وتقول: فلان **رفيع** المقام في البلدان أي في أي بلد يكون فيها يرتفع مقامه. وفلان **حلس** أبيات أي كل بيت يكون فيه يلزمه لا يخرج منه. فهي تدور في دارها من **التنور** وهو ما يخبز فيه أنواع الخبز إلى **القدور** جمع قدر وهو الإناء يطبخ فيه. فهذه الزوجة تصنع الأشياء الكثيرة في الوقت الواحد لا يشغلها تفقد القدور المتعددة لألوان الطعام المختلفة عن تفقّد التنور وما يخبز فيه من فطير ونحوه، فهي تتردد بين القدور والتنور بخفة معجبة وهي مع ذلك لا تحتاج إلى منفاخ تستعين به على نفخ النار بل هي تنفخها بفيها. وكان الصواب «تنفخ» موضع «تنفث» لأن **النفث** نفخ يصحبه شيء من الريق أو أنه أراد أن القليل من نفسها يشعل النار **والنفث** نفخ خفيف وجرّده عن معنى استصحاب الريق. ولا تحتاج أيضًا إلى خادم يدق لها الأبزار. **والأبازير** والأبزار ما يوضع في الطعام لتطييبه كالفلفل والقرنفل ونحوهما.

(٧) **الصقيل** المجلو كالسيف الذي جلي حتى ظهر بريقه ولمعانه. ويروى: الأسيل بدل الصقيل. **واسل** الخد يأسل أسالة لان وطال فهو أسيل.

وَأَنَا أَعْشَقُهَا لِأَنَّهَا تَعْشَقُنِي. وَمِنْ سَعَادَةِ ٱلْمَرْءِ أَنْ يُرْزَقَ ٱلْمُسَاعَدَةَ مِنْ حَلِيلَتِهِ. وَأَنْ يُسْعَدَ بِظَعِينَتِهِ(١). وَلَا سِيَّمَا إِذَا كَانَتْ مِنْ طِينَتِهِ. وَهِيَ ٱبْنَةُ عَمّ لَحًا(٢). طِينَتُهَا طِينَتِي. وَمَدِينَتُهَا مَدِينَتِي. وَعُمُومَتُهَا عُمُومَتِي. وَأَرُومَتُهَا أَرُومَتِي(٣). لٰكِنَّهَا أَوْسَعُ مِنِّي خُلُقًا. وَأَحْسَنُ خَلْقًا(٤). وَصَدَعَنِي بِصِفَاتِ زَوْجَتِهِ. حَتَّى ٱنْتَهَيْنَا إِلَى مَحَلَّتِهِ. ثُمَّ قَالَ: يَا مَوْلَايَ تَرَى هٰذِهِ ٱلْمَحَلَّةَ. هِيَ أَشْرَفُ مَحَالّ بَغْدَادَ يَتَنَافَسُ ٱلْأَخْيَارُ فِي نُزُولِهَا. وَيَتَغَايَرُ ٱلْكِبَارُ فِي حُلُولِهَا(٥). ثُمَّ لَا يَسْكُنُهَا غَيْرُ ٱلتُّجَّارِ. وَإِنَّمَا ٱلْمَرْءُ بِٱلْجَارِ. وَدَارِي فِي ٱلسِّطَةِ مِنْ قِلَادَتِهَا(٦). وَٱلنُّقْطَةِ مِنْ دَائِرَتِهَا. كَمْ تُقَدِّرُ يَا مَوْلَايَ أُنْفِقَ عَلَى كُلّ دَارٍ مِنْهَا(٧). قُلْهُ تَخْمِينًا. إِنْ لَمْ تَعْرِفْهُ يَقِينًا. قُلْتُ ٱلْكَثِيرُ. فَقَالَ: يَا سُبْحَانَ ٱللّٰهِ مَا أَكْبَرَ هٰذَا ٱلْغَلَطَ. تَقُولُ ٱلْكَثِيرَ فَقَطْ. وَتَنَفَّسَ ٱلصُّعَدَاءَ(٨). وَقَالَ سُبْحَانَ مَنْ يَعْلَمُ ٱلْأَشْيَاءَ.

---

(١) **الظعينة** المرأة ما دامت في هودجها أراد منها الزوجة. **والحليلة** التي يحلُّ له استيلادها. **ويسعد** مبني للمجهول من أسعده إذا أعانه. وهذه الفقرة في معنى التي قبلها أي من أركان سعادة الرجل أن تكون زوجته معينة له على تدبير بيته والعمل له فيما يحتاج إليه فيه. ومن أهم الأعمال في البيت توفير اللّذة في مأكله ومشربه والخفة في الخدمة وكفاية مؤونة الخدم.

(٢) **لحا** مصدر لحت القرابة بيننا لحًا إذا التصقت والتحمت ثم قيل هو ابن عمي لحًا أي ملتصقًا أي ابن عم أقرب أخ للأب.

(٣) **الأرومة** الأصل. أصولها هي أصوله. والفقرات كلها تأكيد لمعنى لحًا.

(٤) أراد أن يبيّن ما امتازت به عليه وإن اتحد أصلهما فاستدرك على ما أوهمته وحدة الأصول والمنابت من أنها مثله في خلقه وخلقه فقال: غير أنها تمتاز عنه بسعة **الخلق** بضمتين أي الحلم والرزانة لا يضيق صدرها لكثرة ما نيط بها من مصالحه ومصالحها وبحسن **الخلق** بفتح فسكن بمعنى جمال الخلقة.

(٥) **يتغايرون** أي يغار كل واحد منهم عليها أن يسكنها غيره كما يغار الرجل أن يمس أجنبي ذوات رحمه بما لا يحل له كأنها من الشرف عندهم بحيث لا يستحق الحلول فيها إلّا من أهله لذلك شرفه ويأنف كل منهم أن يساكنهم بها إلّا من يحسبه من ذوي رتبته أو أن **المغايرة** هي المعارضة مطلقًا أي أنهم يتدافعون ويتزاحمون على حلولها ويروى: الأحرار بدل الكبار. ونسختنا أمس بالمعنى.

(٦) جعل بيوت المحلة كجواهر القلادة وبيته في مكان الوسط من تلك القلادة. **وواسطة القلادة** هي أعظم جوهر فيها.

(٧) **تقدر** من قدر تقديرًا بمعنى جعل قدرًا. أي بأي مبلغ تحدد وتحسب مقدار ما أنفق في كل دار من دور تلك المحلة.

(٨) **الصعداء** على وزن العلماء إطلاق النفس مندفعًا من الصدر من بين ضواغط الحزن والأسف وهو ما يعرف عند الجمهور من الناس عندنا بالتنهد وربما أبدلوا دال التنهد بالتاء =

وَٱنْتَهَيْنَا إِلَى بَابِ دَارِهِ. فَقَالَ: هٰذِهِ دَارِي كَمْ تُقَدِّرُ يَا مَوْلَايَ أَنْفَقْتُ عَلَى هٰذِهِ ٱلطَّاقَةِ[١]. أَنْفَقْتُ وَٱللَّهِ عَلَيْهَا فَوْقَ ٱلطَّاقَةِ. وَوَرَاءَ ٱلْفَاقَةِ. كَيْفَ تَرَى صَنْعَتَهَا وَشَكْلَهَا. أَرَأَيْتَ بِٱللَّهِ مِثْلَهَا. أُنْظُرْ إِلَى دَقَائِقِ ٱلصَّنْعَةِ فِيهَا وَتَأَمَّلْ حُسْنَ تَعْرِيجِهَا[٢] فَكَأَنَّمَا خُطَّ بِٱلْبِرْكَارِ. وَٱنْظُرْ إِلَى حِذْقِ ٱلنَّجَّارِ فِي صَنْعَةِ هٰذَا ٱلْبَابِ. ٱتَّخَذَهُ مِنْ كَمْ[٣]. قُلْ: وَمِنْ أَيْنَ أَعْلَمُ. هُوَ سَاجٌ مِنْ قِطْعَةٍ وَاحِدَةٍ لَا مَأْرُوضٌ وَلَا عَفِنٌ[٤]. إِذَا حُرِّكَ أَنَّ. وَإِذَا نُقِرَ طَنَّ[٥]. مَنِ ٱتَّخَذَهُ يَا سَيِّدِي ٱتَّخَذَهُ أَبُو إِسْحَقَ بْنُ مُحَمَّدٍ ٱلْبَصْرِيُّ وَهُوَ وَٱللَّهِ رَجُلٌ نَظِيفُ ٱلْأَثْوَابِ[٦]. بَصِيرٌ بِصَنْعَةِ ٱلْأَبْوَابِ. خَفِيفُ ٱلْيَدِ فِي ٱلْعَمَلِ لِلَّهِ دَرُّ ذٰلِكَ ٱلرَّجُلِ. بِحَيَاتِي لَا ٱسْتَعَنْتُ إِلَّا بِهِ عَلَى مِثْلِهِ. وَهٰذِهِ ٱلْحَلْقَةُ تَرَاهَا[٧] ٱشْتَرَيْتُهَا فِي سُوقِ

= فقالوا: فلان يتنهت. فلفظ «كثير» عريانًا من ثوب المبالغة في معناه أثار عند التاجر أسفًا من عدم معرفة الناس بما يصرف أهل المحلة في دورهم فتنفس له الصعداء.

(١) أراد من **الطاقة** ما يفهم من معناه إلى اليوم وهو ما يعبّر عنه بالشباك. و**الطاقة** الثانية الوسع والاستطاعة. أي إنه أنفق عليها ما يفوق استطاعته ويسوق إليه فاقته فهو يأتي من ورائها يحثّها إليه.

(٢) **التعريج** هو الميل والانحناء على نسب محفوظة يشكل به البنيان للزينة فيما تكون زينته به. و**البركار** هو البيكار آلة لتحديد الدوائر و**قسيها** تحفظ بها الدائرة أو القوس من تفاوت الانحناء في أجزائها.

(٣) أي من كم لوح أو قطعة صنع هذا الباب يريد أن يمتحن عقله بكشف غرابة الصنعة ثم أراد أن يظهر أنها دقيقة لا يمكن للمخاطب أن يعرفها فأمره أن يعترف بجهله ويسأل من أين يكون له علم استفهامًا إنكاريًا يقصد به السلب أي لا علم لي. ثم أخذ في بيان ما استفهم عنه أولًا فقال إنه من قطعة واحدة من ساج. و**الساج** هو شجر يعظم جدًا قالوا لا ينبت إلّا في أرض الهند. ويروى في البيان هو **خليطا** ساج وعاج وقد ازدوجا أي ازدواج اتخذه واللّه في كم قول ومن أين أعلم هو ساج قطعة لا مأروض إلخ. وقوله: «في كم» بمعنى من كم.

(٤) **المأروض** من الخشب الذي أكلته الأرضة. و**العفن** الذي فسد من رطوبة أصابته فيضعف تماسك أجزائه فهو يتفتت إذا مسّ.

(٥) إذا حرّك لفتح أو إغلاق **أنّ** أي كان له **انين** أي صوت مستطيل في دقة كأنه أنين المريض. وإذا **نقر** أي قرع للاستفتاح **طنّ** أي صوّت وسمع له طنين وهذه دلائل متانته وسلامته من الأرضة والعفن.

(٦) ويروى: الأسباب بدل الأثواب.

(٧) أراد **الحلقة** التي يطرق بها الباب عند الاستفتاح ويجذب منها عند الإقفال. و**سوق الطرائف** كان في بغداد لبيع النفائس. والدنانير **المعزية** نسبة إلى المعز وهذا كما يقال الآن في الديار الشامية لكل نقد مصريات نسبة إلى مصر. وكان المعز لدين اللّه حمل إلى مصر أموالًا =

ٱلطَّرَائِفِ مِنْ عِمْرَانَ ٱلطَّرَائِفِي بِثَلَاثَةِ دَنَانِيرَ مُعِزِّيَّةٍ وَكَمْ فِيهَا يَا سَيِّدِي مِنَ ٱلشَّبَهِ(١) فِيهَا سِتَّةُ أَرْطَالٍ وَهِيَ تَدُورُ بِلَوْلَبٍ فِي ٱلْبَابِ(٢) بِٱللَّهِ دَوِّرْهَا. ثُمَّ ٱنْقُرْهَا وَٱبْصُرْهَا وَبِحَيَاتِي عَلَيْكَ لَا ٱشْتَرَيْتَ ٱلْحَلَقَ إِلَّا مِنْهُ(٣) فَلَيْسَ يَبِيعُ إِلَّا ٱلْأَعْلَاقَ(٤). ثُمَّ قَرَعَ ٱلْبَابَ وَدَخَلْنَا ٱلدِّهْلِيزَ وَقَالَ: عَمَّرَكِ ٱللَّهُ يَا دَارُ. وَلَا خَرَّبَكَ يَا جِدَارُ. فَمَا أَمْتَنَ حِيطَانَكِ. وَأَوْثَقَ بُنْيَانَكِ. وَأَقْوَى أَسَاسَكِ. تَأَمَّلْ بِٱللَّهِ مَعَارِجَهَا(٥) وَتَبَيَّنْ دَوَاخِلَهَا وَخَوَارِجَهَا. وَسَلْنِي: كَيْفَ حَصَّلْتُهَا وَكَمْ مِنْ حِيلَةٍ ٱحْتَلْتُهَا. حَتَّى عَقَدْتُهَا(٦). كَانَ لِي جَارٌ يُكَنَّى أَبَا سُلَيْمَانَ يَسْكُنُ هٰذِهِ ٱلْمَحَلَّةَ وَلَهُ مِنَ ٱلْمَالِ مَا لَا يَسَعُهُ ٱلْخَزْنُ. وَمِنَ ٱلصَّامِتِ مَا لَا يَحْصِرُهُ ٱلْوَزْنُ(٧). مَاتَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ وَخَلَّفَ خَلَفًا(٨) أَتْلَفَهُ بَيْنَ ٱلْخَمْرِ وَٱلزَّمْرِ. وَمَزَّقَهُ بَيْنَ ٱلنَّرْدِ

= جمّة عند استيلائه عليها وعلى الشام وفرق منها في البلاد وكانت الأيام أيام قحط فشاع تداولها ونسبت الدنانير إليه فثبتت لها النسبة وإن تغيرت السكة. ويروى: مغربية وهي دنانير المعز أيضًا.

(١) **الشبه** بالتحريك والشبه بالكسر النحاس الأصفر.

(٢) **لولب** الآلة من الحديد لها محور ذو دوائر فيدار إلى اليمين مثلًا فيدخل في الثقب الذي يراد إدخاله فيه فإذا أريد إخراجه أدير إلى خلاف الجهة التي أدير إليها عند إدخاله. وقد يطلق على بعض أنواعه في بعض البلاد البرغي وفي بعضها القلاووظ.

(٣) **الضمير** إلى عمران الطرائفي.

(٤) **الأعلاق** جمع علق بمعنى النفيس فإن كان عمران قد امتاز ببيع النفائس والتاجر قد اشترى الحلقة منه فلا بدّ أن تكون نفيسة.

(٥) **المعارج** السلالم التي يصعد منها إلى أعلى الدار. ويروى بعد معارجها «ومدارجها» **والمدارج** هي المعارج وإنما العطف للإطناب بزيادة الألفاظ أو أراد من المدارج المسالك والمذاهب مطلقًا من عطف العام على الخاص.

(٦) **عقدها** أي ملكها كأنه ربطها وشدّها بنفسه فهي لا تنفصل عن تصرّفه أو أنه سلّط العقد على الدار وهو يريد البيع الذي هو واسطة التملّك أي كيف عقدت بيعها.

(٧) **الصامت** المال من الذهب والفضة ونحوهما من المعادن والجوهر في مقابلة **الناطق** وهي الأموال من الحيوان كالإبل والبقر والغنم ونحوها.

(٨) **خلف** الرجل من يخلفه في ماله أي يرثه ويقوم مقامه وأكثر إطلاقه في الذرية والبنين أي ترك أولادًا أتلفوا ماله هذا في المسكرات والمطربات. وقال بين الخمر والزمر لأن النفقة ليست قاصرة على أثمان المسكر وأجرة المطرب ولكن بين ذلك شهوات تنبسط فيها النفقات بما لا تبلغ أثمان المسكر وأجر المطرب مهما ارتفعت قيمتها وغلت أسعارها. **والنرد** الآلة المعروفة بالطاولة يلعب بها المقامرون غالبهم سالب ومغلوبهم مسلوب. **والقمر** مصدر قمره إذا غلبه في القمار وخسار المقامر لا يقف عند ما يغرمه لغالبيه بل الخسار الأعظم =

وَٱلْقَمرِ. وَأَشفَقْتُ أَنْ يَسُوقَهُ قَائِدُ ٱلْإِضطِرَارِ[١]. إِلَى بَيْعِ ٱلدَّارِ. فَيَبِيعَهَا فِي أَثْنَاءِ ٱلضَّجَرِ[٢]. أَوْ يَجْعَلَهَا عُرْضَةً لِلْخَطَرِ. ثُمَّ أَرَاهَا. وَقَدْ فَاتَنِي شِرَاهَا. فَأَنْقَطِعُ عَلَيْهَا حَسَرَاتٍ. إِلَى يَوْمِ ٱلْمَمَاتِ. فَعَمِدْتُ إِلَى أَثْوَابٍ لَا تَنِضُّ تِجَارَتُهَا[٣]. فَحَمَلْتُهَا إِلَيْهِ وَعَرَضْتُهَا عَلَيْهِ. وَسَاوَمْتُهُ عَلَى أَنْ يَشْتَرِيهَا نَسِيَّةً[٤]. وَٱلْمُدْبِرُ يَحْسَبُ ٱلنَّسِيَّةَ عَطِيَّةً[٥]. وَٱلْمُتَخَلِّفُ يَعْتَدُّهَا هَدِيَّةً. وَسَأَلْتُهُ وَثِيقَةً بِأَصْلِ ٱلْمَالِ[٦] فَفَعَلَ وَعَقَدَهَا لِي. ثُمَّ تَغَافَلْتُ عَنِ ٱقْتِضَائِهِ[٧] حَتَّى كَادَتْ حَاشِيَةُ حَالِهِ تَرِقُّ[٨] فَأَتَيْتُهُ فَٱقْتَضَيْتُهُ. وَٱسْتَمْهَلَنِي

= ضياع أوقاته في المغالبة واشتغاله بطلبها عن العمل في تدبير أمواله بما ينميها ويحفظها لهذا قال بين النرد والقمر.

(١) **اشفقت** خفّت وخشيت. وأراد من يسوقه يوصله. **والاضطرار** شدّة الحاجة التي لا تحتمل وهي تقود الإنسان إلى بيع أملاكه ليدفع بها الضرورة عن نفسه. وأراد أن يطابق بين السوق والقود لكنه أخطأ لأن السائق في المؤخر فلا يكون القائد وهو في المقدم إلّا على ما أولنا.

(٢) **الضجر** الملل وانخذال الصبر وإذا ضجر من الضياع باع الدار لمن يصادف بأي ثمن فلا يشعر صاحب القصة حتى يزيد في سومها ويأخذها. وقوله: فانقطع عليها حسرات يروى: فاتقطع.

(٣) **لا تنض** تجارتها من قولهم ما نض بيدي منه شيء أي ما حصل. أي قصد إلى أثواب كسدت تجارتها فلا يحصل منها ربح وحملها إلى ذلك المضيع.

(٤) **نسية** أصلها نسيئة بالهمز بعد الياء ثم سهل الهمز بقلبه ياء ثم أدغم. **والنسيئة** التأجيل أي سألته أن يشتريها لأجل فيكون ثمنها دينًا في ذمته.

(٥) **المدبر** الذي أدبر عن السعادة وولّاها ظهره فهو إلى الشقاء دائمًا فمن كان هذا حاله تراه يستسهل الأخذ بالنسيئة ويظنه عطية لأنه ينتفع بما أخذ ولا يدفع عليه في الحال شيئًا فكأنه منحة ولا يتدبر في إدباره عاقبة الدين ولا ثقل المطالبة. **والمتخلف** المتأخر عن الناس في حسن الحال فهو وراءهم في راحته وثروته وجميع وسائل سعادته فهذا لتأخره عن أهل الحزم يعتد النسيئة هدية بلا ثمن.

(٦) **الوثيقة** الصك الذي يكتبه الدائن على المدين شهادة بأن الدين في ذمّته **واصل المال** ثمن ما باعه من تلك الأثواب الكاسدة. **وعقد له** الوثيقة حررها وأمضاها والتزم بما ألزمته.

(٧) **الاقتضاء** طلب الدائن من المدين أن يقضيه دينه ويؤديه إياه.

(٨) تخيل حاله من الغنى في صورة جلباب قد تجلبب به وإنه بعد ما كان جديدًا كاد يخلق ويرث وأول ما يظهر الوهن في **حواشي الثوب** أي أطرافه لأن المحاكة تكون بها أكثر مما تكون ببقية أجزاء الثوب خصوصًا ما يلي الأرض منها. **ورقة الحاشية** ورقة الحال أمثال في ضعف الثروة وقلة ذات اليد غير أنه يوجد في ألسنة بعض الناس في بعض البلاد استعمال رقة الحاشية في لين الجانب وهو لازم لضعف الحال عادة فقد يكون مأخوذًا من هذا.

فَأَنْظَرْتُهُ[١]. وَٱلْتَمَسَ غَيْرَهَا مِنَ ٱلثِّيَابِ فَأَحْضَرْتُهُ وَسَأَلْتُهُ أَنْ يَجْعَلَ دَارَهُ رَهِينَةً لَدَيَّ. وَوَثِيقَةً فِي يَدَيَّ[٢]. فَفَعَلَ ثُمَّ دَرَّجْتُهُ بِٱلْمُعَامَلَاتِ إِلَى بَيْعِهَا حَتَّى حَصَلَتْ لِي بِجَدٍّ صَاعِدٍ[٣]. وَبَخْتٍ مُسَاعِدٍ وَقُوَّةِ سَاعِدٍ. وَرُبَّ سَاعٍ لِقَاعِدٍ[٤]. وَأَنَا بِحَمْدِ ٱللَّهِ مَجْدُودٌ. فِي مِثْلِ هٰذِهِ ٱلْأَحْوَالِ مَحْمُودٌ[٥]. وَحَسْبُكَ يَا مَوْلَايَ أَنِّي كُنْتُ مُنْذُ لَيَالٍ نَائِمًا فِي ٱلْبَيْتِ مَعَ مَنْ فِيهِ إِذْ قُرِعَ عَلَيْنَا ٱلْبَابُ. فَقُلْتُ: مَنِ ٱلطَّارِقُ ٱلْمُنْتَابُ[٦]. فَإِذَا ٱمْرَأَةٌ مَعَهَا عِقْدُ لَآلٍ[٧]. فِي جِلْدَةِ مَاءٍ وَرِقَّةِ آلٍ[٨] تَعْرِضُهُ لِلْبَيْعِ. فَأَخَذْتُهُ مِنْهَا إِخْذَةَ خَلْسٍ[٩]. وَٱشْتَرَيْتُهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ. وَسَيَكُونُ لَهُ نَفْعٌ ظَاهِرٌ. وَرِبْحٌ وَافِرٌ. بِعَوْنِ ٱللَّهِ وَدَوْلَتِكَ[١٠]. وَإِنَّمَا حَدَّثْتُكَ بِهٰذَا ٱلْحَدِيثِ لِتَعْلَمَ سَعَادَةَ جَدِّي فِي ٱلتِّجَارَةِ. وَٱلسَّعَادَةُ تُنْبِطُ ٱلْمَاءَ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ[١١]. أَللَّهُ أَكْبَرُ لَا يُنْبِئُكَ أَصْدَقُ مِنْ نَفْسِكَ. وَلَا أَقْرَبُ مِنْ

---

(١) **انظره** أخره حتى ينظر كيف يقضيها.

(٢) **الوثيقة** هنا بمعنى ما تكون به الثقة في قضاء دينه استعملها بالمعنى الأعم أي ما يستوثق به أيًا كان. والسياق يعين المراد.

(٣) أي بحظ صاعد بي على مراقي السعادة. **والبخت** معاونة القدر لا كسب للإنسان فيها. وقوله **وقوة ساعد** إشارة إلى أنه لم ينله بمحض المعونة البختية بل كان له فيها سعي بحيلته فهو كمن حصلها بقوة ساعده وعمل يديه.

(٤) **رب ساع لقاعد** من كلام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب رضي اللّه عنه في تهوين الدنيا أي قد سعى المرء في كسب ولا ينتفع به هو وإنما يتركه فينتفع به قاعد لم يكسبه بسعيه. وموضع سوقه في القصة حال رب الدار أبي سليمان فإنه سعى وعمَّر وبنى وشيّد فكانت ثمرة سعيه للقاعد الذي لم يبن ولم يعمر ولكنه انتفع بسكن الدار والتمتع بالراحة فيها وهو صاحب القصة فأما سعيه في امتلاكها فليس بشيء لقلة الخسارة فيه.

(٥) **المجدود** العظيم الحظ.

(٦) **المنتاب** الذي يأتي القوم مرة بعد أخرى كأنه جعل إتيانه نوبًا. ثم شاع فيمن يأتي وقت لا يأتي الناس فكأنه لم يطرق بابك إلّا بعد ما طرق أبوابًا فرد فانتهت نوبة الطرق إلى بابك.

(٧) **لآل** جمع لؤلؤ أو لؤلؤة.

(٨) **في جلدة ماء** أي إن هذه اللآلي في صفائها كأنها في جلدة من الماء فظاهره أشبه بجلد من ماء. **والآل** سراب وهو يبدو للنظر كأنه ماء وليس بماء فهو وصل من الرقة إلى حد العدم.

(٩) أخذ العقد بثمن بخس زهيد فلا يعد ثمنًا لهذا العقد فكأنه أخذه اختلاسًا ومخاتلة.

(١٠) **دولتك** معطوف على عون اللّه. وأراد من **دولته** قوة معونته بشهره والرواية عنه حتى تتوجه إليه رغبات الراغبين.

(١١) **تنبط الماء** تستنبعه منها والحجارة في يبسها وصلابتها ليست مظنة الماء ومن ساعده البخت تراه يكسب من حيث لا مظنة للكسب.

أَمْسِكَ(١). اشْتَرَيْتُ هَذَا الْحَصِيرَ فِي الْمُنَادَاةِ. وَقَدْ أُخْرِجَ مِنْ دُورِ آلِ الْفُرَاتِ(٢). وَقْتَ الْمُصَادَرَاتِ وَزَمَنَ الْغَارَاتِ(٣). وَكُنْتُ أَطْلُبُ مِثْلَهُ مُنْذُ الزَّمَنِ الْأَطْوَلِ فَلَا أَجِدُ. وَالدَّهْرُ حُبْلَى لَيْسَ يُدْرَى مَا يَلِدُ(٤) ثُمَّ اتَّفَقَ أَنِّي حَضَرْتُ بَابَ الطَّاقِ(٥). وَهَذَا يُعْرَضُ فِي الْأَسْوَاقِ. فَوَزَنْتُ فِيهِ كَذَا وَكَذَا دِينَارًا. تَأَمَّلْ بِاللَّهِ دِقَّتَهُ وَلِينَهُ وَصَنْعَتَهُ وَلَوْنَهُ فَهُوَ عَظِيمُ الْقَدْرِ. لَا يَقَعُ مِثْلُهُ إِلَّا فِي النَّدْرِ(٦). وَإِنْ كُنْتَ سَمِعْتَ بِأَبِي عِمْرَانَ الْحَصِيرِيِّ فَهُوَ عَمَلُهُ وَلَهُ ابْنٌ يَخْلُفُهُ الْآنَ فِي حَانُوتِهِ لَا يُوجَدُ أَعْلَاقُ الْحُصُرِ إِلَّا عِنْدَهُ(٧) فَبِحَيَاتِي لَا اشْتَرَيْتَ الْحُصُرَ إِلَّا مِنْ دُكَّانِهِ فَالْمُؤْمِنُ نَاصِحٌ لِإِخْوَانِهِ. لَا سِيَّمَا مَنْ تَحَرَّمَ بِخُوَانِهِ(٨). وَنَعُودُ إِلَى حَدِيثِ الْمَضِيرَةِ. فَقَدْ حَانَ وَقْتُ الظَّهِيرَةِ. يَا غُلَامُ الطَّسْتَ

---

(١) أما إن الإنسان لا يصدقه في الخبر مثل نفسه فظاهر لأن نفسه هي المدرك منه ولا تكذب فيما وصل إليها إذا رددته في ذكرها. وأما أنه لا ينبئه أقرب من أمسه فلأن المدركات الماضية تضعف صورها من المخيلة فكلما امتد عليها الزمان تضعف القوة الذاكرة في استحضارها حتى تنسى وأقرب ماض من أيامك الأمس فما أدركت فيه باق في الذاكرة على قوة تشخصه فهو أقرب المخبرين إليك يمثل لك حكاية الأمر كأنه حاضر لديك.

(٢) **آل الفرات** علي بن محمد بن موسى بن الحسن بن الفرات وأخوه العباس أحمد بن محمد بن الفرات وأخوهما أبو الخطاب جعفر بن محمد كان أولهم وزيرًا للمقتدر بالله بن المعتضد العباس ثم نكبه وصادره على جميع أمواله في سنة ٣١٢ من الهجرة فيشير صاحب القصة إلى ما أصاب آل الفرات في نكبتهم.

(٣) **الغارة** يصحبها في الغالب سلب ونهب حتى عدّ من لوازمها فلهذا تطلق ويراد منها الانتهاب وأخذ الأموال بالقهر بدون سبب شرعي من الأسباب المعروفة عقودًا كانت أو غيرها. فهو يريد من الغارات ما أراده من المصادرات وقوله: فلا أجد، يروى: فلم أجد.

(٤) شبّه الدهر بالحبلى فإن فيه خفايا حوادث لا يعرف نوعها ولا مقدار أثرها حتى يأتي بها. وأن أحشاء الحبلى تكون من الجنين ما لا يعرف أذكر هو أم أنثى وحي هو أم ميت وذكي هو أم خبيث ولا ما رواه ذلك من صفات كثيرة حتى يبرز. وكما لا بدّ من ظهور ما أكانت أحشاء الحبلى كذلك لا بدّ من تصريح الزمان بما يضمر. وقوى التشبيه بقوله: ليس يدري ما يلد. وضرب هذه القضية مثلًا لما كان يخفيه الزمان عليه من وجود حصير مثل الذي وجده. ثم أعثره عليه بما حدث من مصادرات آل الفرات.

(٥) من أبواب بغداد.

(٦) **الندر** مصدر ندر الشيء يندر ندرًا وندرًا إذا قلّ وجوده.

(٧) **الأعلاق** النفائس كما قدمنا.

(٨) **الخوان** ما يوضع عليه الطعام كما تقدم وتحرم أي تمنّع يقال: تحرم من فلان بذمة أو عهد أو جوار إذا صار في حمايته. وأبو الفتح سيأكل على مائدة التاجر فيكون في حرمه =

وَٱلْمَاءَ. فَقُلْتُ: ٱللَّهُ أَكْبَرُ رُبَّمَا قَرُبَ ٱلْفَرَجُ. وَسَهُلَ ٱلْمَخْرَجُ. وَتَقَدَّمَ ٱلْغُلَامُ. فَقَالَ: تَرَى هٰذَا ٱلْغُلَامَ. إِنَّهُ رُومِيُّ ٱلْأَصْلِ عِرَاقِيُّ ٱلنَّشْءِ. تَقَدَّمْ يَا غُلَامُ وَٱحْسِرْ عَنْ رَأْسِكَ[(١)]. وَشَمِّرْ عَنْ سَاقِكَ. وَٱنْضُ عَنْ ذِرَاعِكَ[(٢)] وَٱفْتَرَّ عَنْ أَسْنَانِكَ. وَأَقْبِلْ وَأَدْبِرْ. فَفَعَلَ ٱلْغُلَامُ ذٰلِكَ. وَقَالَ ٱلتَّاجِرُ. بِٱللَّهِ مَنِ ٱشْتَرَاهُ. ٱشْتَرَاهُ وَٱللَّهِ أَبُو ٱلْعَبَّاسِ. مِنَ ٱلنَّخَّاسِ[(٣)]. ضَعِ ٱلطَّسْتَ. وَهَاتِ ٱلْإِبْرِيقَ. فَوَضَعَهُ ٱلْغُلَامُ وَأَخَذَهُ ٱلتَّاجِرُ[(٤)] وَقَلَّبَهُ وَأَدَارَ فِيهِ ٱلنَّظَرَ ثُمَّ نَقَرَهُ. فَقَالَ: ٱنْظُرْ إِلَى هٰذَا ٱلشَّبَهِ[(٥)] كَأَنَّهُ جُذْوَةُ ٱللَّهَبِ[(٦)]. أَوْ قِطْعَةٌ مِنَ ٱلذَّهَبِ. شَبَهُ ٱلشَّامِ. وَصَنْعَةُ ٱلْعِرَاقِ[(٧)]. لَيْسَ مِنْ خُلْقَانِ ٱلْأَعْلَاقِ[(٨)]. قَدْ عَرَفَ دُورَ ٱلْمُلُوكِ وَدَارَهَا[(٩)]. تَأَمَّلْ حُسْنَهُ وَسَلْنِي. مَتَى ٱشْتَرَيْتَهُ وَٱللَّهِ عَامَ ٱلْمَجَاعَةِ[(١٠)]. وَٱدَّخَرْتُهُ لِهٰذِهِ ٱلسَّاعَةِ. يَا غُلَامُ ٱلْإِبْرِيقَ[(١١)]. فَقَدَّمَهُ. وَأَخَذَهُ ٱلتَّاجِرُ فَقَلَّبَهُ. ثُمَّ قَالَ:

= وحمايته لذلك ولهذا يجب عليه أن ينصحه في شراء الحصير أن لا يكون إلّا من دكان ابن صاحبه.

(١) **حسر** عن رأسه كشف عنها.

(٢) أي انزع ثوبك عن ذراعك. **وافتر** أي تبسم لتكشف عن أسنانك. وقوله «وأقبل» و«أدبر» يروى فيه: وأقبل ببدرك وأدبر بربلك. **وبدره** وجهه **وربله** ما عظم من مؤخره.

(٣) **النخاس** بائع العبيد يتجر فيها.

(٤) **الضمير** في أخذه للإبريق أي أخذ التاجر الإبريق وقلبه. **وادار** نظره فيه أي قلبه ليحيط بجوانبه، يروى: فقلبه ونقره وأجال فيه نظره.

(٥) **الشبه** كما تقدم النحاس الأصفر.

(٦) **الجذوة** مثلثة الجيم القبسة من النار والقطعة من الجمر.

(٧) **شبه الشام** نحاسه وكان مشهورًا بالجودة وصفاء اللّون.

(٨) **الأعلاق** النفائس. **وخلقانها** جمع خلق بمعنى البالي الرثيث فهو علق وليس ببال ولا رثيث فان.

(٩) **فاعل** عرف ضمير الإبريق أي إنه كان يستعمل في دار بعض الملوك. **ودارها** فعل وفاعله ضمير الإبريق أيضًا ومفعوله ضمير دور الملوك أي أن هذا الإبريق طاف في دور الملوك دارًا بعد دار يتنافسون فيه لنفاسته فينتقل من يد ملك إلى يد آخر. وقوله فيما بعد. «تأمل حسنه» يروى بدله: «احزر باللّٰه وزنه وتأمل حسنه ومتنه».

(١٠) يريد أن مالكه كان حريصًا عليه لا يبيعه لولا أن العام كان عام مجاعة. والاضطرابات للقوت هو الذي دعا إلى بيعه.

(١١) **الإبريق** مفعول المحذوف أي هات الإبريق أو قدم الإبريق.

وَأُنْبُوبُهُ مِنْهُ(١). لَا يَصْلُحُ هٰذَا ٱلْإِبْرِيقُ إِلَّا لِهٰذَا ٱلطَّسْتِ. وَلَا يَصْلُحُ هَذَا ٱلطَّسْتُ إِلَّا مَعَ هَذَا الدَّسْتِ(٢). إِلَّا فِي هٰذَا ٱلْبَيْتِ. وَلَا يَجْمُلُ هٰذَا ٱلْبَيْتُ إِلَّا مَعَ هٰذَا ٱلضَّيْفِ. أَرْسِلِ ٱلْمَاءَ يَا غُلَامُ(٣). فَقَدْ حَانَ وَقْتُ ٱلطَّعَامِ. بِٱللَّهِ تَرَى هٰذَا ٱلْمَاءَ مَا أَصْفَاهُ أَزْرَقُ كَعَيْنِ ٱلسِّنَّوْرِ(٤). وَصَافٍ كَقَضِيبِ ٱلبِلَّوْرِ. ٱسْتُقِيَ مِنَ ٱلْفُرَاتِ(٥). وَٱسْتُعْمِلَ بَعْدَ ٱلْبَيَاتِ. فَجَاءَ كَلِسَانِ ٱلشَّمْعَةِ. فِي صَفَاءِ ٱلدَّمْعَةِ(٦). وَلَيْسَ ٱلشَّأْنُ فِي ٱلسَّقَاءِ. ٱلشَّأْنُ فِي ٱلْإِنَاءِ(٧). لَا يَدُلُّكَ عَلَى نَظَافَةِ أَسْبَابِهِ. أَصْدَقُ مِنْ نَظَافَةِ شَرَابِهِ(٨). وَهٰذَا ٱلْمِنْدِيلُ سَلْنِي عَنْ قِصَّتِهِ. فَهُوَ نَسْجُ جُرْجَانَ. وَعَمَلُ أَرَّجَانَ(٩). وَقَعَ إِلَيَّ فَٱشْتَرَيْتُهُ فَٱتَّخَذْتُ

---

(١) مزية أخرى من مزايا الإبريق وهي أن أنبوبه الذي ينزل منه الماء هو منه أي ليس قطعة أخرى تلتحم به ولا يكون ذلك إلّا من حذق صانعه وفيه متانة الإبريق وإنه لا يهن منه جزء قبل جزء وأول ما يعرض الخلل عادة في الأنبوب فإذا كان منه فكله في جودة واحدة.

(٢) أراد من **الدّست** أشرف مجلس في البيت بما فيه من فرش ووسائد.

(٣) هذا أوان أمره بصب الماء من الإبريق ليغسل أبو الفتح يده قبل الطعام.

(٤) **السنّور** هو الذي يسمى الهر ويسمى القط.

(٥) **استقى** أي أخذ من نهر الفرات وهو معروف بصفاء الماء وإنما صحّ التعبير عن أخذ الماء بالاستقاء لأن الماء يؤخذ عامة للسقيا فتوسع في الاستعمال وعد كل أخذ منه استقاء. والفرات بعيد عن بغداد بمسافة طويلة ولا يجاورها إلّا دجلة فكان لهذا التاجر عناية باختيار المياه حتى أنه ليبعث السفار لاستقائه من الفرات. وزاد في صفائه أنه استعمل بعد البيات أي بعد ما بات عنده ليلة فإن كان فيه عكر رسب وخلص الماء منه.

(٦) **لسان الشمعة** مصباحها المضيء منها وشبّهه باللسان لقربه منه في شكله. **ودمعة العين** يضرب بها المثل في الصفاء.

(٧) أي شأن صفاء الماء ونقاوته ليس من براعة السقاء الذي يحمل الماء واختياره لمواضع الاستقاء بل ذلك منشأه من الإناء وهو عود إلى مدح الإبريق. ويروى: وليس الشأن في الماء لكن الشأن في السقاء. يريد أن جنس الماء في نفسه وهو ماء الفرات ليس له شأن في الصفاء ولكن الشأن في السقاء الذي يختار مواضع الاستقاء فهو ينتقي أصفاها. وهذه الرواية بعكس المتقدمة أشبه.

(٨) إذا كان الشراب من الماء صافيًا نظيفًا دلّ ذلك على نظافة أسباب الماء وهي الأدوات التي فيها حمل وفيها اختزن. ويروى «إلّا نظافة أثوابه» وهو يؤيد الرواية الثانية فهو يمدح السقاء الذي يحمل ماءه لبيته.

(٩) عمل أرجان أي إنه بعد ما نسج في جرجان وهي البلدة التي اشتهر نساجها في جودة النسج وإتقانه حبكوه وطرفوه في أرجان وهي شهيرة أيضًا في مثل هذه الصنعة. وإلّا فبين جرجان وأرجان مسيرة الليالي والأيام الطوال. فأرجان في آخر حدود فارس من ناحية خوزستان =

ٱمْرَأَتِي بَعْضَهُ سَرَاوِيلَ. وَٱتَّخَذَتْ بَعْضَهُ مِنْدِيلًا. دَخَلَ فِي سَرَاوِيلِهَا عِشْرُونَ ذِرَاعًا. وَٱنْتَزَعْتُ مِنْ يَدِهَا هٰذَا ٱلْقَدْرَ ٱنْتِزَاعًا. وَأَسْلَمْتُهُ إِلَى ٱلْمُطَرِّزِ حَتَّى صَنَعَهُ كَمَا تَرَاهُ وَطَرَّزَهُ[١]. ثُمَّ رَدَدْتُهُ مِنَ ٱلسُّوقِ. وَخَزَنْتُهُ فِي ٱلصُّنْدُوقِ. وَٱدَّخَرْتُهُ لِلظُّرَافِ[٢]. مِنَ ٱلْأَضْيَافِ. لَمْ تُذِلَّهُ عَرَبُ ٱلْعَامَّةِ بِأَيْدِيهَا[٣]. وَلَا ٱلنِّسَاءُ لِمَآقِيهَا. فَلِكُلِّ عِلْقٍ يَوْمٌ[٤]. وَلِكُلِّ آلَةٍ قَوْمٌ. يَا غُلَامُ ٱلْخُوَانَ. فَقَدْ طَالَ ٱلزَّمَانُ. وَٱلْقِصَاعَ. فَقَدْ طَالَ ٱلْمَصَاعُ[٥]. وَٱلطَّعَامَ. فَقَدْ كَثُرَ ٱلْكَلَامُ. فَأَتَى ٱلْغُلَامُ بِٱلْخُوَانِ. وَقَلَبَهُ ٱلتَّاجِرُ عَلَى ٱلْمَكَانِ. وَنَقَرَهُ بِٱلْبَنَانِ[٦]. وَعَجَمَهُ بِٱلْأَسْنَانِ. وَقَالَ: عَمَّرَ ٱللّٰهُ بَغْدَادَ فَمَا أَجْوَدَ مَتَاعَهَا. وَأَظْرَفَ

= فيما يلي شرق العراق العربي. وجرجان بين طبرستان وخراسان وهي فيما يقرب من أواخر مملكة إيران الآن وقلب بلاد فارس الأولى على القلب من بلاد أفغانستان.

(١) **التطريز** في معناه المعروف إلى اليوم وهو رقم الثوب وتوشيته بإعلامه وغالب ما يكون في الأطراف.

(٢) **الظراف** جمع ظريف وهو هنا الحسن الهيئة **والزي النظيف** الثوب والبدن.

(٣) أي إنه بعد ما ردّه من السوق عندما تمّ تطريزه خزنه في الصندوق وأعدّه للأضياف الظراف ولم يبتذله للاستعمال حتى تمتهنه أيدي العرب من العامة. فاستعمل الإذلال وأراد به الامتهان بكثرة المسح في الأيدي الغليظة كأيدي العرب من العامة فإنهم على ما في أيديهم من الخشونة لا يبالون بالنظافة فلا تخلو من الوسخ غالبًا فتصيب المنديل بما يذهب برونقه ويزيل من جدته. ويروى: لم تذله العامة. بدون كلمة العرب. والنساء عطف على العرب أو العامة على الرواية الأخرى. وأعاد **لا** للتنبيه على عين المعطوف عليه من التصريح بحكمه في الارتباط بالفعل أي ولم تذله النساء بمآقيها **والمآقي** جمع مأق أو مؤق وهو طرف العين مما يلي الأنف. وقد جرت عادة المرأة إذا اكتحلت أنْ تمسح مؤق عينها بطرف المنديل لتخفيف الكحل حتى يبقى ما حسن منه مع التوقي من بقاء ما يقذي الحدقة وأثر ذلك في المنديل ليس بأقل من أثر الأدران التي تصيبه من أيدي العرب.

(٤) تقدم أن **العلق** النفيس. فلكل نفيس يوم يستعمل هو فيه ولا يليق ابتذال النفائس في جميع الأيام ولا استعمال الواحد حيث ينبغي استعمال الآخر دون غيره فيوم هذا المنديل يوم حضور مثل هذا الضيف الجليل. ثم إن لكل قوم آلة تليق لاستعمالهم وهذا الضيف العزيز لا يليق به إلّا هذا المنديل وما يماثله.

(٥) **المصاع** فعال من ماصع القوم مماصعة ومصاعًا تجالدوا وتقاتلوا كأنه أحس بأن إطالته في وصف زوجته وما بعدها مجالدة لضيفه ويشبه أن يكون مقاتلة لثقل الأسر عليه مع احتراق أحشائه بالجوع.

(٦) **البنان** أطراف الأصابع. **وعجمه** أي اختبره بأسنانه عضًا.

صُنَّاعَهَا. تَأَمَّلْ بِٱللَّهِ هٰذَا ٱلْخُوَانَ. وَٱنْظُرْ إِلَى عَرْضِ مَتْنِهِ(١). وَخِفَّةِ وَزْنِهِ. وَصَلَابَةِ عُودِهِ وَحُسْنِ شَكْلِهِ. فَقُلْتُ: هٰذَا ٱلشَّكْلُ. فَمَتَى ٱلْأَكْلُ. فَقَالَ: ٱلْآنَ. عَجِّلْ يَا غُلَامُ ٱلطَّعَامَ. لٰكِنَّ ٱلْخُوَانَ قَوَائِمُهُ مِنْهُ(٢). قَالَ أَبُو ٱلْفَتْحِ: فَجَاشَتْ نَفْسِي(٣) وَقُلْتُ: قَدْ بَقِيَ ٱلْخَبْزُ وَآلَاتُهُ(٤). وَٱلْخُبْزُ وَصِفَاتُهُ. وَٱلْحِنْطَةُ مِنْ أَيْنَ ٱشْتُرِيَتْ أَصْلًا(٥). وَكَيْفَ ٱكْتَرَى لَهَا حَمْلًا. وَفِي أَيِّ رَحًى طَحَنَ. وَإِجَّانَةٍ عَجَنَ(٦). وَأَيَّ تَنُّورٍ سَجَرَ(٧). وَخَبَّازٍ ٱسْتَأْجَرَ. وَبَقِيَ ٱلْحَطَبُ مِنْ أَيْنَ ٱحْتُطِبَ. وَمَتَى جُلِبَ وَكَيْفَ صُفِّفَ حَتَّى جُفِّفَ. وَحُبِسَ حَتَّى يَبِسَ. وَبَقِيَ ٱلْخَبَّازُ وَوَصْفُهُ وَٱلتِّلْمِيذُ وَنَعْتُهُ(٨) وَٱلدَّقِيقُ وَمَدْحُهُ. وَٱلْخَمِيرُ وَشَرْحُهُ. وَٱلْمِلْحُ وَمَلَاحَتُهُ. وَبَقِيَتِ ٱلسُّكُرُّجَاتُ مَنِ ٱتَّخَذَهَا(٩). وَكَيْفَ ٱنْتَقَذَهَا(١٠).

---

(١) **المتن** الظهر وأراد من متنه سطحه وما اتسع منه مما يوضع عليه الأكل. و**الخوان** يعرف عند العامة اليوم بالطاولة أو الطرابيزة فظهرها أعلاها الذي يوضع عليه الطعام.

(٢) يريد أن يبيّن أن ظهر الخوان وقوائمه من قطعة واحدة وهي مزية من مزاياه.

(٣) **جاشت** هاجت وغلت غضبًا. ويروى: فحاسبت نفسي. فإن كان قوله «وقلت» بيانًا للجملة قبله كانت هذه الرواية هي الصحيحة. ويصح أن يكون قوله «وقلت» ابتداء لبيان ما أوجب الجيشان فالرواية الأولى أيضًا في صحتها.

(٤) **الخبز** بالفتح مصدر خبز يخبز و**الخبز** الثاني بالضم وهو المخبوز. ويروى: قد بقي الخبز وصفاته والخبّاز وآلاته. والأولى أصح لأن الخباز يأتي ذكره بعد فيتكرر.

(٥) **اصلًا** تمييز من ضمير اشتريت أي أين أشتري أصلها وهو الحب. و**حملًا** مفعول لاكترى. والمكترى في الحقيقة الحامل لكنه أوقع الاكتراء على الحمل لأنه المقصود به.

(٦) **الإجانة** المركن وهو إناء يغسل فيه ويعجن وتقضى به حاجات كثيرة من شبه ذلك.

(٧) **سجر التنّور** ملأه وقودًا وأحماه.

(٨) أراد تلميذ الخباز. ويروى: قبل قوله وبقي الخباز «وبقي من شقه وكيف قضينا حقه» أي شقّ الحطب وكسره ليصلح للوقود وكيف قضى حقه من الأجرة على ذلك.

(٩) **السكرجات** الصحاف التي توضع فيها ألوان الطعام. و**اتخذها** صنعها. ويقال: اتخذت إبريقًا من النحاس مثلًا أي صنعته منه.

(١٠) **انتقذها** بالقاف أي استخلصها بالشراء من يد صانعها أو بائعها. ففاعل انتقذ ضمير صاحب القصة بخلاف فاعل اتخذ فإنه ضمير من. ومن **استعملها** أي استعمل نوعها أي إن نوع هذه الصحاف يستعمله أي طبقة من الناس الأعالي منهم أو الأداني أو الملوك أو الصعاليك. ومن **عملها** أي طبقة من الصنّاع تصنعها. **فمن اتخذها** يريد منه الشخص. **ومن عملها** يريد منه الطائفة. ويروى: انتفذها بالفاء ولا معنى لها. ويروى: انفذها أي أرسلها إليه بعد صنعتها.

وَمَنِ ٱسْتَعْمَلَهَا. وَمَنْ عَمِلَهَا. وَٱلْخَلُّ كَيْفَ ٱنْتُقِيَ عِنَبُهُ. أَوِ ٱشْتُرِيَ رُطَبُهُ. وَكَيْفَ صُهْرِجَتْ مِعْصَرَتُهُ(١) وَٱسْتُخْلِصَ لُبُّهُ(٢) وَكَيْفَ قُيِّرَ حُبُّهُ(٣). وَكَمْ يُسَاوِي دَنُّهُ. وَبَقِيَ ٱلْبَقْلُ كَيْفَ ٱحْتِيلَ لَهُ حَتَّى قُطِفَ. وَفِي أَيِّ مَبْقَلَةٍ رُصِفَ(٤). وَكَيْفَ تُؤُنِّقَ حَتَّى نُظِّفَ(٥). وَبَقِيَتِ ٱلْمَضِيرَةُ كَيْفَ ٱشْتُرِيَ لَحْمُهَا. وَوُفِّيَ شَحْمُهَا. وَنُصِبَتْ قِدْرُهَا. وَأُجِّجَتْ نَارُهَا(٦). وَدُقَّتْ أَبْزَارُهَا. حَتَّى أُجِيدَ طَبْخُهَا وَعُقِّدَ مَرَقُهَا(٧). وَهٰذَا خَطْبٌ يَطُمُّ(٨). وَأَمْرٌ لَا يَتِمُّ. فَقُمْتُ. فَقَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ. فَقُلْتُ: حَاجَةً أَقْضِيهَا. فَقَالَ: يَا مَوْلَايَ تُرِيدُ كَنِيفًا يُزْرِي بِرَبِيعِيِّ ٱلْأَمِيرِ. وَخَرِيفِيِّ ٱلْوَزِيرِ(٩). قَدْ جُصِّصَ أَعْلَاهُ وَصُهْرِجَ أَسْفَلُهُ وَسُطِّحَ سَقْفُهُ(١٠) وَفُرِشَتْ بِٱلْمَرْمَرِ أَرْضُهُ. يَزِلُّ عَنْ حَائِطِهِ ٱلذَّرُّ فَلَا يَعْلَقُ(١١). وَيَمْشِي عَلَى أَرْضِهِ ٱلذُّبَابُ فَيَزْلَقُ. عَلَيْهِ بَابٌ غِيرَانُهُ مِنْ خَلِيطَيْ سَاجٍ

---

(١) **صهرجت** طليت بالصاروج وهو النورة وأخلاطها. وأراد من **المعصرة** ما يوضع فيه العنب أو الرطب للعصير. ثم يدار عليه حجر العصر. **والحوض** الذي يسيل إليه العصير.

(٢) أراد من **اللّب** النوى في الرطب وما يشبهه في العنب أي كيف نقّي من لبّه. وقد يراد من اللّب الخلاصة والضمير للخل أي كيف استخلص أجوده من رديئه.

(٣) **الحب** الخابية أو الجرّة الكبيرة. وقير مبني للمجهول كغير أي طلي **بالقير** وهو القطران. **والدّن** الخابية أيضًا. أراد أنه لا بدّ من الكلام كم تساوي الخابية بعد الكلام في كيف قيرت إلّا أنه أعادها بلفظ آخر صريح لأن المقام للإطناب.

(٤) **المبقلة** ما يوضع فيه البقل. **ورصف** أي ضمّ بعضه إلى بعض.

(٥) أي كيف جرى التأنّق والدّقة في العمل حتى نظف ذلك البقل من الأتربة التي لا تخلو منها وهو في منبته. وقوله في الحديث عن المضيرة (ووُفّي شحمها) يروى (ووفر شحمًا) والتوفير التكثير.

(٦) **لججت** النار أشعلت وأضرمت.

(٧) **عقد** المرق تعقيدًا إذا أغلاه حتى غلظ.

(٨) **الخطب** الأمر الجسيم. **ويطم** أي يعظم ويتفاقم.

(٩) **ربيعي الأمير** ما يتخذه من المساكن في الخلوات أيام الربيع ومثله يتأنق فيه لأنه يبنى لترويح النّفس وإنعاشها. فكنيف صاحب القصة يزري ويتنقّص بحسنه ونظافته قصر الأمير المختص بإقامته أيام الربيع. ومثله خريفي الوزير.

(١٠) **جصص** طلي بالجص وهو الجير. **وصهرج** طلي بالصاروج كما تقدم قبل أسطر. **وسطح** أي سوّي سقفه.

(١١) **الذّرّ** صغار النمل. **ويزل** عن حائطه يزلق عنه لشدة ملاسته ومثله ما يزلق الذباب إذا مشى على أرضه.

وَعَاجٍ[١]. مُزْدَوِجَيْنِ أَحْسَنَ ٱزْدِوَاجٍ. يَتَمَنَّى ٱلضَّيْفُ أَنْ يَأْكُلَ فِيهِ. فَقُلْتُ: كُلْ أَنْتَ مِنْ هٰذَا ٱلْجِرَابِ. لَمْ يَكُنِ ٱلْكَنِيفُ فِي ٱلْحِسَابِ. وَخَرَجْتُ نَحْوَ ٱلْبَابِ. وَأَسْرَعْتُ فِي ٱلذَّهَابِ. وَجَعَلْتُ أَعْدُو وَهُوَ يَتْبَعُنِي وَيَصِيحُ يَا أَبَا ٱلْفَتْحِ ٱلْمَضِيرَةَ. وَظَنَّ ٱلصِّبْيَانُ أَنَّ ٱلْمَضِيرَةَ لَقَبٌ لِي فَصَاحُوا صِيَاحَهُ فَرَمَيْتُ أَحَدَهُمْ بِحَجَرٍ. مِنْ فَرْطِ ٱلضَّجَرِ. فَلَقِيَ رَجُلٌ ٱلْحَجَرَ بِعِمَامَتِهِ. فَغَاصَ فِي هَامَتِهِ[٢]. فَأُخِذْتُ مِنَ ٱلنِّعَالِ بِمَا قَدُمَ وَحَدُثَ. وَمِنَ ٱلصَّفْعِ بِمَا طَابَ وَخَبُثَ. وَحُشِرْتُ إِلَى ٱلْحَبْسِ. فَأَقَمْتُ عَامَيْنِ فِي ذٰلِكَ ٱلنَّحْسِ. فَنَذَرْتُ أَنْ لَا آكُلَ مَضِيرَةً مَا عِشْتُ. فَهَلْ أَنَا فِي ذَا يَا آلَ هَمَذَانَ ظَالِمٌ. قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ: فَقَبِلْنَا عُذْرَهُ. وَنَذَرْنَا نَذْرَهُ[٣]. وَقُلْنَا قَدِيمًا جَنَتِ ٱلْمَضِيرَةُ عَلَى ٱلْأَحْرَارِ[٤]. وَقَدَّمَتِ ٱلْأَرَاذِلَ عَلَى ٱلْأَخْيَارِ.

---

(١) **الغيران** جمع غار أصله الأخدود بين اللّحيين من الفم استعمله في الفواصل بين ألواح الباب. ثم قال: إن هذه المفاصل من **ساج** وهو خشب شجر عظيم قالوا إنه لا ينبت إلّا في بلاد الهند **وعاج** وهو عظم سن الفيل. يريد أن الباب من خشب الساج وإنه ركب العاج في فواصله للزينة فكانت تلك المفاصل من خليطين وهما الساج والعاج. وقد ازدوجا واصطحبا بحسن التأليف أحسن ازدواج.

(٢) دخل الحجر في **هامة** الرجل أي رأسه فهاج القوم على أبي الفتح لشجه أحد رجالهم فأخذوه بنعالهم القديم منها والحديث وأنالوه من الصفع بالطيب منه والخبيث أي الخفيف والثقيل والمؤلم منه وغير المؤلم.

(٣) نذروا أن لا يأكلوا مضيرة كما نذر.

(٤) لما كانت المضيرة سبب الدعوة إلى بيت التاجر وإجابة الدعوة جرت إلى حكاية الرجل حال زوجته وما بعدها وذلك أدى إلى حجز أبي الفتح وفراره مما عساه يزيد في إملاله وانطلاق الرجل خلفه ينادي بالمضيرة ومشايعة الصبيان له في الصياح وغيظ أبي الفتح ورميه الحجارة على الصائحين العادين خلفه وشجّه أحد الرجال وتحريك ذلك لهم على ضربه وصفعه ثم حبسه فقد كانت المضيرة هي السبب في هذا النحس الذي أصابه. ومن تسبب لك في مصيبة فقد جنى عليك فكأن المضيرة هي التي جنت عليه لا أولئك الضاربون والحابسون فلهذا نسب الجناية إليها. **والاحرار** أبو الفتح وأمثاله ولم يسمع بجنايتها إلّا على أبي الفتح لكن جنايتها عليه وحده جناية على الأحرار كلهم لأن الحر يألم بألم الحر. **والأراذل** الذين بدأوا بإساءته والصياح عليه لم ينتصف منهم ولكنهم انتقموا منه. ويروى بدل «الأراذل» الأنذال.

المَقَامَةُ الحِرْزِيَّة

حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ: لَمَّا بَلَغَتْ بِيَ ٱلْغُرْبَةُ بَابَ ٱلْأَبْوابِ[١]. وَرَضِيتُ مِنَ ٱلْغَنِيمَةِ بِٱلْإِيَابِ[٢]. وَدُونَهُ مِنَ ٱلْبَحْرِ وَثَّابٌ بِغَارِبِهِ[٣]. وَمِنَ ٱلسُّفُنِ عَسَّافٌ بِرَاكِبِهِ[٤]. ٱسْتَخَرْتُ ٱللَّهَ فِي ٱلْقُفُولِ[٥]. وَقَعَدْتُ مِنَ ٱلْفُلْكِ. بِمَثَابَةِ ٱلْهُلْكِ[٦]. وَلَمَّا مَلَكَنَا ٱلْبَحْرُ[٧]. وَجُنَّ عَلَيْنَا ٱللَّيْلُ غَشِيَتْنَا سَحَابَةٌ تَمُدُّ مِنَ ٱلْأَمْطَارِ حِبَالًا[٨]. وَتَحُوذُ مِنَ ٱلْغَيْمِ

---

(١) **باب الأبواب** ثغر من ثغور بحر الخزر في الشمال الغربي من بلاد فارس على حدودها ويعرف بدربند أيضًا وهو اليوم في بلاد داغستان في حوزة الروس. وإنما سمّي باب الأبواب للأبواب الحديدية التي كانت في أسواره.

(٢) **الرضى** من الغنيمة بالإياب مثل في الخيبة يضرب لكل من سعى إلى شيء فلم ينله غير أنه لم يعطب.

(٣) **دونه** أي دون الإياب أي مع أنه لم يغنم شيئًا سوى الرجوع بنفسه كان يحول بينه وبين الرجوع بحر الخزر وهو مشهور بالهياج والاضطراب. **والغارب** أعلى الموج وأن الغوارب تثب على المراكب لتعلوها. **فوثاب** صيغة مبالغة من وثب وكأن البحر حي له وثبات إرادية على الجواري التي تسير على ظهره. والبحر وثاب وغير وثاب والذي دون رجوعه هذا من البحر هو الوثاب. ويروى: «ودونه من البحر وثاب رجاف بغاربه. وفي السفن عساف بصاحبه». **والرجاف** الكثير الرجفان وهو الاضطراب.

(٤) **العساف** الذي يبالغ في الاعتساف وهو السير على غير طريق. والسفن بين تدافع الأمواج لا يمكن ضبط سيرها على طريق قويم فهي مع قذفات الأمواج تارة ترمي بها إلى اليمين وأخرى إلى الشمال ومرة إلى الخلف وأخرى إلى الأمام.

(٥) **استخرت** جواب لما. **والقفول** الرجوع. أي عزمت على ذلك وإن كان دونه ما تقدم ذكره.

(٦) **والمثابة** الموضع الذي يثاب إليه أي يؤوى إليه. **والهلك** بالفتح والضم الهلاك. أي كان جلوسي في موضع يثوب إليه الهلاك فأنا هالك فيه لا محالة. فالكلام كناية عن كونه في خطر الهلاك وهي من لطيف الكنايات.

(٧) توسطنا البحر فصار محيطًا بنا فكأنه مالك لنا لا نستطيع الافتكاك من قبضته. **وجنّ الليل** أظلم حتى ستر ما فيه.

(٨) تمثيل تلاحق القطرات النازلة وامتدادها في صور الحبال معروف مشهور.

جِبَالًا[١]. بِرِيحٍ تُرْسِلُ ٱلْأَمْوَاجَ أَزْوَاجًا. وَٱلْأَمْطَارَ أَفْوَاجًا[٢]. وَبَقِينَا فِي يَدِ ٱلْحَيْنِ[٣]. بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ. لَا نَمْلِكُ عُدَّةً غَيْرَ ٱلدُّعَاءِ[٤]. وَلَا حِيلَةَ إِلَّا ٱلْبُكَاءَ. وَلَا عِصْمَةَ غَيْرَ ٱلرَّجَاءِ. وَطَوَيْنَاهَا لَيْلَةً نَابِغِيَّةً[٥] وَأَصْبَحْنَا نَتَبَاكَى وَنَتَشَاكَى وَفِينَا رَجُلٌ لَا يَخْضَلُّ جَفْنُهُ[٦]. وَلَا تَبْتَلُّ عَيْنُهُ. رَخِيُّ ٱلصَّدْرِ مُنْشَرِحُهُ[٧]. نَشِيطُ ٱلْقَلْبِ فَرِحُهُ. فَعَجِبْنَا وَٱللَّهِ كُلَّ ٱلْعَجَبِ. وَقُلْنَا لَهُ: مَا ٱلَّذِي أَمَّنَكَ مِنَ ٱلْعَطَبِ. فَقَالَ حِرْزٌ لَا يَغْرَقُ صَاحِبُهُ[٨]. وَلَوْ شِئْتُ أَنْ أَمْنَحَ كُلًّا مِنْكُمْ حِرْزًا لَفَعَلْتُ. فَكُلٌّ رَغِبَ إِلَيْهِ. وَأَلَحَّ فِي ٱلْمَسْأَلَةِ عَلَيْهِ. فَقَالَ: لَنْ أَفْعَلَ ذٰلِكَ حَتَّى يُعْطِيَنِي كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ دِينَارًا ٱلْآنَ وَيَعِدَنِي دِينَارًا إِذَا سَلِمَ. قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ: فَنَقَدْنَاهُ مَا طَلَبَ. وَوَعَدْنَاهُ مَا خَطَبَ. وَآبَتْ يَدُهُ إِلَى جَيْبِهِ[٩] فَأَخْرَجَ قِطْعَةَ دِيبَاجٍ فِيهَا حُقَّةُ عَاجٍ. قَدْ ضُمِّنَ صَدْرُهَا رِقَاعًا. وَحَذَفَ كُلَّ

---

(١) **تحوذ** بالذال المعجمة من حاذ الدابة ساقها سوقًا سريعًا. أي إن هذه السحابة تسوق إلينا جبالًا من السحاب وكثيرًا ما تظهر السحب للعين كأنها جبال شامخة فالتشبيه على حدّه. وفي نسخة: «وتحدو» بدل تحوذ.

(٢) **الأفواج** الجماعات.

(٣) **الحين** الهلاك كأنه جبار له يدان قد وقعوا في قبضته بين بحرين بحر السماء وبحر الخزر. وفي نسخة: بين بحرين بدون تعريف.

(٤) **العدة** ما يستعان به على قهر العدو والنجاة من يده. ولم تبق لهم عدة ولا قوة سوى الدعاء والتضرّع إلى اللّٰه وهي عدة العاجزين إذا تجرّدت. ومن لا حيلة له إلّا البكاء فقد فقد الحيلة وكان البكاء غاية ما يدرك من الحظ. **العصمة** ما تعتصم به وتمتنع من الردى وإذا يئست فقد قضيت وإنما يعصم من الهلاك عند اشتداد البلاء بقية الرجاء في الفرج. فهم في حالة لم يبق مما يحفظ عليهم حياتهم سوى رجائهم في اللّٰه أن يخلصهم.

(٥) **نابغية** نسبة إلى النابغة. وليلته المشار إليها بقوله:

كليني لهم يا أميمة ناصب وليل أقاسيه بطيء الكواكب

أو قوله:

فبت كأني ساورتني ضئيلة من الرقش في أنيابها السم ناقع

(٦) **اخضل** يخضل صار نديًا بليلًا كُني بهذا عن عدم البكاء أي لا يندى جفنه بالدموع.

(٧) **رخي** الصدر كقولهم رخي البال أي واسعه.

(٨) **أصل الحرز** ما يحفظ به الأشياء من صندوق ونحوه ثم استعمل في كل ما يمنع من ضياع وتلف ثم خصص في اصطلاح المعوذين بما يكتب ويحمل فيقي حامله من الخطر أو يبلغه إلى وطر أو يحفظ عليه صحة أو يقيه من مرض كل ذلك في مزاعمهم وقد نهى الإسلام عنه.

(٩) **آبت** رجعت. ويروى: فمد يده. **والديباج** الحرير. **والعاج** سن الفيل. **والحُقّة** معروفة. ويروى: فأخرج خرقة ديباج في حقة عاج.

وَاحِدٍ مِنَّا بِوَاحِدَةٍ مِنْهَا(١). فَلَمَّا سَلِمَت ٱلسَّفِينَةُ. وَأَحَلَّتْنَا ٱلْمَدِينَةُ(٢) ٱقْتَضَى ٱلنَّاسَ مَا وَعَدُوهُ(٣). فَنقَدُوهُ وَٱنْتَهَى ٱلْأَمْرُ إِلَيَّ فَقَالَ: دَعُوهُ. فَقُلْتُ: لَكَ ذٰلِكَ(٤). بَعْدَ أَنْ تُعْلِمَنِي سِرَّ حَالِكَ. قَالَ: أَنَا مِنْ بِلَادِ ٱلْإِسْكَنْدَرِيَّة. فَقُلْتُ: كَيْفَ نَصَرَكَ ٱلصَّبْرُ وَخَذَلَنَا(٥). فَأَنْشَأَ يَقُولُ:

وَيْكَ لَوْلَا ٱلصَّبْرُ مَا كُنْـ ... ـتُ مَلَأْتُ ٱلْكِيسَ تِبْرَا(٦)
لَنْ يَنَالَ ٱلْمَجْدَ مَنْ ضَاقَ ... بِمَا يَغْشَاهُ صَدْرَا(٧)
ثُمَّ مَا أَعْقَبَنِي ٱلسَّا ... عَةَ مَا أُعْطِيتُ ضَرَّا(٨)

---

(١) حنف كل واحد منا بواحدة أي رمى كلًّا منا برقعة من ذلك الرقاع. والرقاع هي الأوراق المكتوبة أحرازًا. ويروى: وكف كل واحد بدل حذف ولا معنى لها.

(٢) المدينة فاعل أحلتنا أي جعلتنا المدينة حالين بما فيها من الاستعداد للحلول بها.

(٣) اقتضاهم طلب منهم أن يؤدوا إليه الدينار الذي وعد كل منهم أن يعطيه بعد السلامة.

(٤) قال الرجل دعوه أي اتركوه لا تأخذوا لي منه شيئًا. فقال عيسى بن هشام إني أسمح لك بالدينار لكن بعد أن تطلعني على باطن حالك. ويروى: شرح حالك بدر سر حالك.

(٥) الصبر ينصر صاحبه على زحف المصيبة فلا تفعل به ما تفعل بالجزع فإن الحزن والأسف وشدة الجزع من أشد نواهك البدن. وإذا خذل الصبر المصاب أسلمه للمصيبة تنهك قواه وتستلب راحته حتى لقد تسلمه إلى العطب.

(٦) جواب للسؤال السابق أي إنه صبر لعلمه بفوائد الصبر فلولا الصبر وظهور الطمأنينة عليه واهتمامهم بسؤاله عن حاله واحتياله عليهم بالإحراز ما ملأ الكيس ذهبًا فهي إحدى فوائد الصبر.

(٧) من ضاق صدره بما يغشاه أي يطرأ عليه من الكروب فهو ضعيف العزم واهنه فلا ينهض به عزمه إلى بلوغ المجد ونيله.

(٨) بعد ما بيّن في البيت السابق أن الصبر من قوة العزم وفاقده ليس أهلًا لنيل المجد وهي مزية ذاتية تحمل على اقتنائه وإلزام النفس بالتحلّي به أراد أن يبيّن أنه مع تلك المزية لا يكلف ضررًا فإن الذي أعطيته من النقود وكان من فوائد الصبر لم يجلب علي في هذه الساعة ضرًّا وخسارًا بل أفادني فوائد فإني أشتد به أزرًا إلخ. فهو في البيت الأول استدلّ على فضل الصبر بالفائدة المحسوسة وفي الثاني بالمزية الذاتية وإنه من آيات قوة النفس وعلو الهمّة وضده من علامات الخسّة والانحطاط. وفي الأبيات الثلاثة الأخيرة رجوع إلى تفصيل ما أجمل في الإشارة إليه في البيت الأول وقدم المحسوس لأنه أقرب تناولًا. ثم ثنى بالمعقول لأن النفس قد ركنت إلى التصديق فاستعدت للتأمل فلا يبعد عليها إدراك ما علا عن الحس. ثم ثلث بتفصيل الفوائد الحسية للصبر ترشيحًا للاستدلال.

بَـلْ بِـهِ أَشْـتَـدُّ أَزْرًا وَبِـهِ أَجْـبُـرُ كَـسْـرَا(١)
وَلَـوَ اَنِّـي اَلْـيَـوْمَ فِـي اَلْـغَـرْ قَـى لَـمَـا كُـلِّـفْـتُ عُـذْرَا(٢)

---

(١) الأزر الظهر. واشتداده كناية عن قوته. وما أخذه من المال يعين الضعيف فيقويه وينصره على الفقر. وجبر الكسر إزالة أثره وإعادة الكسير إلى صحته. ثم يكنى به عن سدّ الحاجة وما المحتاج بأحسن حالًا من الكسير.

(٢) أي لو غرقت السفينة وكنت معكم في الغرق جمع غريق لما وجد من يقول أين ما وعدت به من السلامة بسر إحرازك حتى أتكلف له عذرًا وهذا بيان لبصيرته في حيلته وهي من روح الصبر وشعلة من ناره.

المَقَامَةُ ٱلمَارِسْتَانِيَّة

حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ: دَخَلْتُ مَارِسْتَانَ ٱلْبَصْرَةِ(١) وَمَعِي أَبُو دَاوُدَ ٱلْمُتَكَلِّمُ(٢) فَنَظَرْتُ إِلَى مَجْنُونٍ تَأْخُذُنِي عَيْنُهُ وَتَدَعُنِي(٣). فَقَالَ: إِنْ تَصْدُقِ ٱلطَّيْرُ(٤) فَأَنْتُمْ غُرَبَاءُ. فَقُلْنَا: كَذٰلِكَ. فَقَالَ: مَنِ ٱلْقَوْمُ لِلّٰهِ أَبُوهُمْ. فَقُلْتُ: أَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ وَهٰذَا أَبُو دَاوُدَ ٱلْمُتَكَلِّمُ. فَقَالَ: ٱلْعَسْكَرِيُّ. قُلْتُ: نَعَمْ. فَقَالَ: شَاهَتِ ٱلْوُجُوهُ وَأَهْلُهَا(٥) إِنَّ ٱلْخِيرَةَ لِلّٰهِ لَا لِعَبْدِهِ(٦). وَٱلْأُمُورُ بِيَدِ ٱللّٰهِ لَا بِيَدِهِ. وَأَنْتُمْ يَا مَجُوسَ هٰذِهِ ٱلْأُمَّةِ تَعِيشُونَ جَبْرًا(٧). وَتَمُوتُونَ صَبْرًا. وَتُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَقْدُورِ قَهْرًا. وَلَوْ كُنْتُمْ فِي

---

(١) **المارستان** موضع ما يعالج المجانين.

(٢) **المتكلم** الناظر في علوم العقائد الدينية وفنها فن الكلام في اصطلاح أهلها وسمي بذلك لكثرة ما وقع فيه الجدال. وأهل الجدال فيه كانوا أبرع الناس منطقًا فسموا فنهم بالكلام. **وأبو داود** كان من متكلمي المعتزلة وما يقع من المجنون رد عليه في عقائده وسيأتي بيانها عند الرّد.

(٣) **تاخذه** عينه ينطلق إليه بصره. وتدعه يرجع عنه البصر.

(٤) **الطير** قد تكون اسم جنس الطائر. وفي عوائد العرب إذا أرادوا أمرًا أن يستدلوا على مغبته من خير وشر بأصوات الطائر أو بعض حركاته فتارة ينفرونه لينظروا إلى أي جهة يطير ثم يستنبطون من ذلك ما أرادوا. ثم عرف في كلامهم عند الحكم بما فهموه من أصوات الطير وحركاته أن يقولوا إن صدقت الطير كان كذا وكذا. ثم صار هذا القول مثلًا في كل تفرّس وحكم على الغيب بقوة الحدس. وقد يكون الطير ههنا اسمًا من **الطيرة** وهي التشاؤم وأصلها أيضًا مما قدمنا ولم يرد حقيقة معناها ولكنه أراد أن تصدق الفراسة لأن الطيرة تكاد تكون ضربًا منها إن صدقت.

(٥) **شاهت** الوجوه قبحت. وهي كلمة دعاء تقولها لمن لا يسرك أن تراه. ويروى: «البلدة وأهلها» وأراد بلدة داود ورفيقه.

(٦) **الخيرة** الاختيار المطلق. والمعتزلة يذهبون إلى أن العبد مختار مطلق في أفعاله وما لإرادة اللّه دخل فيها. والمجنون يدفع ذلك ويقرر أن الاختيار للّه وحده وليس العبد إرادة مطلقة في أفعاله وأن الأمور وتصريفها سواء كانت من فعال العبد أم لا هي بيد اللّه لا بيد العبد.

(٧) **مجوس هذه الامة** الذين ينكرون القدر الإلهي ويلمز به المعتزلة لقولهم المتقدم وهو يستدل عليهم بأنهم يعيشون في هذه الحياة جبرًا لأنهم ولدوا بغير اختيارهم ونموا بغير صنعهم =

بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ[١]. أَفَلَا تُنْصِفُونَ. إِنْ كَانَ ٱلْأَمْرُ كَمَا تَصِفُونَ[٢] وَتَقُولُونَ خَالِقُ ٱلظُّلْمِ ظَالِمٌ[٣]. أَفَلَا تَقُولُونَ خَالِقُ ٱلْهُلْكِ هَالِكٌ. أَتَعْلَمُونَ يَقِينًا. أَنَّكُمْ أَخْبَثُ مِنْ إِبْلِيسَ دِينًا. قَالَ: رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي[٤] فَأَقَرَّ وَأَنْكَرْتُمْ. وَآمَنَ وَكَفَرْتُمْ. وَتَقُولُونَ خُيِّرَ فَٱخْتَارَ[٥]. وَكَلَّا فَإِنَّ ٱلْمُخْتَارَ لَا يَبْعَجُ بَطْنَهُ. وَلَا يَفْقَأُ

= ولا يزالون لا يستشارون في حفظ حياتهم أو إعدامها فإن كانت معيشتهم جبرية وكل يحس من نفسه أنه مصرف بقوة أعلى من قوته وهو في يومه لا يعلم ما يكون في غده بل هو في عمله المشتغل به لا يأمن أن يعرض عليه ما يمنعه من إتمامه بل هو في تناول شربة من ماء أو لقمة من غذاء على خطر أن يغص بها فيموت فكيف مع شهود هذه الحال من أنفسهم يذهبون أن الخيرة لعبد في أحواله وأعماله. **والموت صبرًا** أن يحبس حتى يموت وهكذا حال كل حي هو مقبوض عليه في حياته بيد يجد أثر قبضها وهو لا يراها ولا يزال كذلك حتى يموت رغم أنفه فهو بمنزلة من يحبس حتى يموت. ويقال لمن أمسك ثم ضرب حتى مات أنه مات صبرًا. وهكذا الحي لا يزال يرمي بصدمات الفواعل التي قد يسمونها بالقوى الطبيعية ولا تزال تتقلّب عليه أدوار الحياة ويمنى بعوارض الأسنان حتى تنتهي به هذه القواسر إلى الموت كمن يرمى بالحجارة أو يضرب حتى يموت وليس في اختيار أحد أن يتملص من حكم سن الشبيبة أو الشيخوخة مثلًا. وقوله: **وتساقون** إلخ. أي كثيرًا ما يعرض لكم أن تريدوا شيئًا فتطلبوه ثم تنقلبوا عنه إلى ما لا تحبون على غير اختياركم فأنتم تساقون إلى ما قدره الله قهرًا بلا خيرة.

(١) هذا انتقال إلى دليل نقلي بعد ما فرغ من الدليل العقلي. والجملة آية من القرآن ﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ﴾ إلخ في جواب القائلين ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾ والمراد من الآية أن الجبن والقعود لا يطول أجلًا فلو كانوا في بيوتهم على حذر من حتوفهم وكان قد قدر لبعضهم أن يموتوا لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى حيث يصرعون.

(٢) ينكر عليهم عدم الإنصاف في دعواهم إن كانت كما يزعمونها فيما يظهر من كلامهم عليها أي أنهم في زعمهم هذا على ما يصفونه غير منصفين لظهور ما يخالفه ويدحض حجّتهم عليه إن كانت.

(٣) يقول المعتزلة في الاستدلال على أن الله لا يخلق أفعال العبد: لو كان الله خالقًا لأفعال العبد وفي العبيد من يقع منه الظلم قطعًا لكان الله خالقًا للظلم ولو كان خالقًا للظلم لكان ظالمًا فلو كان خالقًا لأفعال العبد لكان ظالمًا والتالي باطل بالإجماع فالمقدم باطل فليس بخالق لأفعال العبد. فهذا المجنون يعارض هذا الدليل بأنه خالق للهلك قطعًا في قوله لأن الإعدام كالإيجاد من خصائص القدرة الإلهية خصوصًا الهلاك العام عندما يؤذن العالم بالانقضاء فلو صحّ استدلالكم ذلك للزمكم أنه هالك لأنه خالق الهلك. ويروى: قاضي بدل خالق وهو بمعنى المقدر.

(٤) في قول إبليس هذا إقرار بأن الله هو الذي أغواه. والمعتزلة ينكرون مثل ذلك.

(٥) يقول المعتزلة إن العبد خير في أي الأفعال يفعل فاختار ما مالت إليه نفسه لا مدخل =

عَيْنَهُ. وَلَا يَرْمِي مِنْ حَالِقٍ ٱبْنَهُ. فَهَلِ ٱلْإِكْراهُ. إِلَّا مَا تَرَاهُ. وَٱلْإِكْراهُ مَرَّةً بِٱلْمِرَّةِ(١). وَمَرَّةً بِٱلدِّرَّةِ. فَلْيَخْزِكُمْ أَنَّ ٱلْقُرآنَ بَغِيضُكُمْ(٢). وَأَنَّ ٱلْحَدِيثَ يَغِيظُكُمْ. إِذَا سَمِعْتُمْ مَنْ يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ ٱلْحَدْتُمْ(٣). وَإِذَا سَمِعْتُمْ زُوِيَتْ لِيَ ٱلْأَرْضُ فَأُرِيتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا جَحَدْتُمْ(٤). وَإِذَا سَمِعْتُمْ عُرِضَتْ عَلَيَّ ٱلْجَنَّةُ حَتَّى هَمَمْتُ أَنْ أَقْطِفَ ثِمَارَهَا.

= لغير اختياره في فعله. وهذا المجنون يقول كلا لا يكون ذلك فإنّا نرى من الناس من **يبعج** بطنه بالسكين أي شقّه به ولا يعقل أن مثل ذلك الفعل باختياره ومنهم من يفقأ عين نفسه ومنهم من يرمي بابنه من **حالق** أي مكان عالٍ شامخ فيموت فهل يعقل أن ذلك يصدر عنه باختياره. مع أنه في إتيان هذا الفعل لا تختلف إرادته في توجهها إليه عنها في توجهها إلى سائر الأفعال فهي حركة إرادية كسائر الحركات. وما الإكراه إلّا هذا الذي تراه من تصرف الإنسان بتصريف قوة يجد أثرها ولا يرى جوهرها.

(١) **المرة** بالكسر العقل. والقضية جواب عما عساه يقال: إنّا نجد إرادتنا تنبعث عن تصديق عقولنا بغايات أعمالنا فكيف نكون مكرهين فيها. فقال: إن الإكراه يكون تارة بهذه القوة التي سميتها عقلًا فهي تسوقك إلى ما أراد بك مصرفك وهذا هو السائق الباطني وتارة **بالدرة** أي السوط الذي يضرب به فمكرهك المحسوس يسوقك إلى ما أراد بالسوط. ومكرهك المعقول يسوقك إليه باللبط.

(٢) فليكن موجبًا لخزيكم أن القرآن بغيضكم أي ممقوتكم الذي تبغضونه الذي ينطق بخلاف ما تعتقدونه وأن الحديث المروي عن النبي ﷺ يغيظكم أي يوجب كمدكم وحنقكم ثم بيّن ذلك بما يذكر من بعد في قوله إذا سمعتم إلخ.

(٣) **الحدتم** أي ملتم عن ظاهر ما يفهم منها وحدتم عنه إلى تأويل لا ينطبق على الآية وهذا متعلق بمسألة الاختيار أيضًا وأنه تعالى خالق كل شيء خيرًا كان أو شرًا والآية شاهدة على أن اللّٰه هو المضل كما أنه الهادي. والمعتزلة يقولون إنه لا يصح أن ينسب الإضلال إلى اللّٰه تعالى لأنه شر وإنما الضلال من اختيار البشر إما لتقصير في النظر أو ذهب وراء الأباطيل لشهوة النفس. ويؤولون هذه الآيات بأن الإسناد إلى اللّٰه إسناد إلى السبب الأول لأنه سبحانه خالق الأسباب الأولى باتفاق أهل الكلام بل المليين عمومًا. وقال نصير الدين الطوسي: إن الإضلال يطلق على أحد معانٍ ثلاثة: الأول الإشارة إلى الباطل. والثاني فعل الضلالة. والثالث الإهلاك بسببها، والأخير هو الذي يسند إلى اللّٰه أي ومن يهلكه اللّٰه فلا منقذ له. **والهداية** على مقابل كل معنى من معاني الإضلال.

(٤) المعتزلة لا ينكرون شيئًا من المعجزات حسيها ومعنويها ولا يجحدون أن اللّٰه تعالى قد يطلع نبيه على بعض غيبه. ولكن حديث **زويت** لي الأرض أي قبضت وتقاربت أطرافها حتى صارت بأجمعها مسرحًا لطرفي فأبصرت مشارقها ومغاربها إذا أخذ بظاهره دلّ على أن الأرض تنقبض وتتدانى أطرافها وهو مما يسهل القول بالإسراء والمعراج الجسدانيين يقظة. وجمهور المعتزلة ينكرونهما ويزعمون أنهما روحانيان أو من الرؤيا الصالحة كما روي عن معاوية وعائشة فهم إذا ذكر هذا الحديث **يجحدونه** أي ينكرون نسبته إلى النبي ﷺ حتى إذا صحّ ينظرون في تأويله.

وَعُرِضَتْ عَلَيَّ ٱلنَّارُ حَتَّى ٱتَّقَيْتُ حَرَّهَا بِيَدِي أَنْغَضْتُمْ رُؤُوسَكُمْ وَلَوَيْتُمْ أَعْنَاقَكُمْ[١]. وَإِنْ قِيلَ عَذَابُ ٱلْقَبْرِ تَطَيَّرْتُمْ[٢]. وَإِنْ قِيلَ ٱلصِّرَاطُ تَغَامَزْتُمْ[٣]. وَإِنْ ذُكِرَ ٱلْمِيزَانُ قُلْتُمْ: مِنَ ٱلْفِرَغِ كِفَّتَاهُ[٤]. وَإِنْ ذُكِرَ ٱلْكِتَابُ قُلْتُمْ: مِنَ ٱلْقِدِّ دَفَّتَاهُ[٥]. يَا أَعْدَاءَ ٱلْكِتَابِ وَٱلْحَدِيثِ بِمَا تَطَيَّرُونَ[٦]. أَبِٱللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ تَسْتَهْزِئُونَ. إِنَّمَا مَرَقَتْ مَارِقَةٌ فَكَانُوا خَبَثَ ٱلْحَدِيثِ[٧]. ....

---

(١) **انغضتم** رؤوسكم حركتموها كالمتعجبين من رواية هذا الحديث ولويتم أعناقكم إنكارًا لصحته لأنه لو صحّ لدلّ على أن النار والجنة موجودتان الآن وجمهور المعتزلة ومنهم القاضي عبدالجبار وأبو هاشم ينكرون ذلك. وفي رواية: (أن أقطف من ثمارها. وعرضت على النار حتى كدت أتشفع لأشرارها) ونسختنا أصح.

(٢) **عذاب القبر** بآلام حسية عقيدة أهل السنّة. وأنكره حزار بن عمرو وبشر المريسي وأكثر المتأخرين من المعتزلة فإذا ذكر عذاب القبر على المعروف من معناه **تطيروا** أي تشاءموا لأنه إنذار بمكروه كما في الطيرة الحقيقية وهو كناية عن إنكارهم له ونفورهم من القول به كما ينفر المتشائم مما تشاءم منه. ويروي: طنزتم بطاء فنون فزاي. **والطنز** السخرية. طنز به كنصر سخر به.

(٣) **الصراط** مجاز أهل الجنة إلى الجنة لا بدّ لأهل النعيم أن يمروا عليه. أنكر المعتزلة كونه جسرًا حسيًا يمدّ على متن جهنم كما روي وذهبوا إلى أنه عبارة عن طريق الحق والدين القويم والعدل في الأخلاق. فإذا ذكر الصراط على ما تعارفه مجسموه تغامز المعتزلة استهزاء بقائله.

(٤) **الفرغ** بالكسر الفراغ يريد به الخلاء أي إذا قيل لهم إن للأعمال ميزانًا قالوا تهكمًا كفتاه من الفراغ والفراغ ليس بمادة حتى تكون منه كفتان فهو كناية عن نفي الميزان الحسي وهو مذهب جمهور المعتزلة يقولون إن **الميزان** هو العدل الإلهي الذي لا يحيف وليس في يوم الحساب آلة للوزن. وهذا المجنون يقرعهم على تهكمهم هذا.

(٥) **الكتاب** القرآن والمعتزلة يذهبون إلى أنه حادث غير قديم ويستدلون بأنه مكتوب مقروء محصور بين الدفتين من **قد** أي جلد هي كلها أوصاف الحوادث فإذا ذكر عندهم قالوا دفتاه من الجلد يكنون بذلك عن حدوثه.

(٦) يكرر ذكر الطيرة في الإنكار إشارة إلى ما قصّ اللّه من كلام المنكرين لرسلهم ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ﴾ أي ماذا تنكرون مع وضوح الدليل وقيام الحجة.

(٧) **مرقت** مارقة خرجت جماعة عن نظام السنّة في أيام الحسن وهو من المحدثين. وكان المارقون الذين يذكرهم يأخذون عنه ومنهم واصل بن عطاء المعتزلي وقد اعتزل الحسن وأخذ يقرر خلاف مذهبه فلقّب بالمعتزل ولقّب أصحابه ومن شاركوهم في الأصول معتزلة وكانوا هؤلاء **خبث الحديث** أي كانوا لمجالس الحديث كالصدأ على الحديد وكما أن الكير ينفي الصدأ عن الحديد فهؤلاء قد نفاهم روح الحديث عنه وعزلهم عن مجالس أهله =

ثُمَّ مَرَقْتُمْ مِنْهَا فَأَنْتُمْ خَبَثُ ٱلْخَبِيثِ. يَا مَخَانِيثَ ٱلْخَوَارِجِ[١]. تَرَوْنَ رأيَهُمْ إِلَّا ٱلْقِتَالَ. وَأَنْتَ يَا ٱبْنَ هِشَامٍ تُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَتَكْفُرُ بِبَعْضٍ[٢]. سَمِعْتُ أَنَّكَ ٱفْتَرَشْتَ مِنْهُمْ شَيْطَانَةً[٣]. أَلَمْ يَنْهَكَ ٱللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَن تَتَّخِذَ مِنْهُمْ بَطَانَةً[٤]. وَيْلَكَ هَلَّا تَخَيَّرْتَ لِنُطْفَتِكَ[٥]. وَنَظَرْتَ لِعَقِبِكَ. ثُمَّ قَالَ: ٱللَّهُمَّ ٱبْدِلْنِي بِهٰؤُلَاءِ خَيْرًا مِنْهُمْ وَأَشْهِدْنِي مَلَائِكَتَكَ[٦]. قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ: فَبَقِيتُ وَبَقِيَ أَبُو دَاوُدَ لَا نُحِيرُ جَوَابًا[٧] وَرَجَعْنَا

= لأن المذهب في صدر الإسلام كان مذهب الحديث ما صحّ أخذ به وما لم يصح ترك. وأول من سلك طريق التأويل في العقائد وعدلوا عن الأخذ بالظواهر هم المعتزلة. ثم اختلف المتأخرون منهم عن المتقدمين في مسائل يطول شرحها. وكان داود العسكري الموجه إليه الكلام من متأخريهم فهو مارق من مارقين فهو وأمثاله خبث الخبيث فهم غاية في الخبث.

(١) **المخانيث** جمع مخناث وهو الرجل المتكسر على صورة الرجال وأحوال النساء. **والخوارج** الذين خرجوا على علي بن أبي طالب ورأيهم فيه تفسيقه بتحكيمه عمرو بن العاص وأبا موسى الأشعري فيما كان بينه وبين معاوية من النزاع والمعتزلة على شبه رأي الخوارج يفسقون أحد المتنازعين لا على التعيين ويرددون شهادتهما معًا لكن الخوارج من رأيهم قتال من ضلّلوه. أما المعتزلة فإنهم يقولون ما يقولون بين الحوائط لا يرون القتال ولا يحسنونه فهم في الخوارج وأمثاله خبث كالمخانيث في الرجال.

(٢) يقال لمن آمن بالدين ولم يرع بعض أحكامه أنه آمن ببعض الكتاب وكفر ببعض منه كما قال اللّه في حق اليهود تؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض. ويحق معنى الكفر إذا كان ترك رعاية الحكم عن إنكار له. وقد جاء في الكتاب نهى المؤمنين أن يتخذوا بطانة من دونهم وأن بطانة الرجل زوجته فكان ابن هشام آمن بالكتاب وكفر منه بآية النهي عن اتخاذ البطانة من دون المؤمنين.

(٣) أراد **بالشيطانة** إحدى نساء المعتزلة. **وافترشها** اتخذها فراشًا أي زوجة.

(٤) تقدم الكلام على هذه الفقرة في الكلام على قوله تؤمن ببعض وتكفر ببعض.

(٥) **التخير** اختيار الشيء. يحضّه على أن يختار حرثًا طيبًا ومنبتًا حسنًا تنبت فيه ذريته. والنساء منابت الذراري. ولأخلاقهن وأمزجتهن أثر ظاهر في أولادهن. فعلى العاقل أن يختار منهن خيرهن. فاللائمة على ابن هشام في اتخاذه زوجة من المعتزلة لأن أفكارها تهيئ في ولدها استعدادًا لقبول مثلها. ومثل ذلك قوله: ونظرت لعقبك. **والعقب** الذرية أيضًا. والنظر إليه مراعاته عند التزويج وتوجيه النية إلى استصلاحه وأول ما يقصد به إلى ذلك تزوج الصالحات ليلدن الصالحين.

(٦) **اشهاده لملائكته** بأن ينقله من هذه الحياة إلى الحياة الأخرى وفيها يلاقي الملائكة وهم خير من هؤلاء المعتزلة والذين يوالونهم فهو تفسير لقوله أبدلني بهؤلاء خيرًا منهم.

(٧) **لا نحير** جوابًا لا نرد. ورجعوا عن هذا المجنون بشر لأنهم بهتوا وفي أبي داود انكسار من الخزي الذي نزل به من تبهيت المجنون له.

عَنْهُ بِشَرٍّ وَإِنِّي لَأَعْرِفُ فِي أَبِي دَاوُدَ آنْكِسَارًا حَتَّى أَرَدْنَا آلْإِفْتِرَاقَ. قَالَ يَا عِيسَى هٰذَا وَأَبِيكَ آلْحَدِيثُ(١) فَمَا آلَّذِي أَرَادَ بِآلشَّيْطَانَةِ. قُلْتُ: لَا وَآللَّهِ مَا أَدْرِي غَيْرَ أَنِّي هَمَمْتُ أَنْ أَخْطُبَ إِلَى أَحَدِهِمْ وَلَمْ أُحَدِّثْ بِمَا هَمَمْتُ بِهِ أَحَدًا. وَآللَّهِ لَا أَفْعَلُ ذٰلِكَ أَبَدًا. فَقَالَ: مَا هٰذَا وَآللَّهِ إِلَّا شَيْطَانٌ. فِي أَشْطَانٍ(٢). فَرَجَعْنَا إِلَيْهِ. وَوَقَفْنَا عَلَيْهِ. فَآبْتَدَرْنَا بِآلْمَقَالِ. وَبَدَأْنَا بِآلسُّؤَالِ. فَقَالَ: لَعَلَّكُمَا آثَرْتُمَا أَنْ تَعْرِفَا مِنْ أَمْرِي مَا أَنْكَرْتُمَا. فَقُلْنَا: كُنْتُ مِنْ قَبْلُ مُطَّلِعًا عَلَى أُمُورِنَا. وَلَمْ تَعْدُ آلْآنَ مَا فِي صُدُورِنَا(٣) فَفَسِّرْ لَنَا أَمْرَكَ. وَآكْشِفْ لَنَا سِرَّكَ. فَقَالَ:

أَنَا يَنْبُوعُ آلْعَجَائِبْ ... فِي آحْتِيَالِي ذُو مَرَاتِبْ
أَنَا فِي آلْحَقِّ سَنَامٌ ... أَنَا فِي آلْبَاطِلِ غَارِبْ(٤)
أَنَا إِسْكَنْدَرُ دَارِي ... فِي بِلَادِ آللَّهِ سَارِبْ(٥)
أَغْتَدِي فِي آلدَّيْرِ قِسِّيسًا ... وَفِي آلْمَسْجِدِ رَاهِبْ

---

(١) أي هذا حديث المعتزلة وعقائدهم فهمناه. **وأبيك** قسم. فما مراده من الشيطانة التي ذكرها.

(٢) لأن الشيطان يرى من الناس ما تحدثهم به ضمائرهم فاطلاعه على أن ابن هشام عزم على أن يبعث إلى أحد المعتزلة ليخطب بنته مع أنه لم يحدث بعزمه أحدًا إنما هو من مسارق الشيطان. **والأشطان** الحبال جمع شطن وكان المجنون مقيدًا بحباله في المارستان.

(٣) أي إنك كاشفت عما في نفوسنا واطلعت على أمورنا حتى عزمي على خطبة بنت من بنات المعتزلة ولم **تعد** أي لم تتجاوز الآن ما في نفوسنا بل وافقته ووقفت عنده فإننا ما رجعنا إلّا لنعرف من حالك ما جهلناه.

(٤) **السنام** أعلى البعير معروف وهو مثل في العلو. **والغارب** الكاهل وهو كذلك مثل في الارتفاع غير أنه دون السنام. فهذا المجنون إذا أراد تقرير الحق عدّ في أعلى مقام منه والناس دونه وإذا عزم على تمويه الباطل عدّ في البارعين من المبطلين فالبيان مطاوعه واللّسن مشايعه.

(٥) **السارب** الذاهب في الأرض على وجهه لا يقصد غاية ينتهي إليها. وقوله إسكندر داري أي مدينة إسكندر. أو أنه أطلق اسم إسكندر على مدينته والاشتباه مأمون.

المقَامَةُ ٱلمَجَاعيَّة

حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ: كُنْتُ بِبَغْدادَ عَامَ مَجَاعَةٍ(١). فَمِلْتُ إِلَى جَمَاعَةٍ. قَدْ ضَمَّهُمْ سِمْطُ ٱلثُّرَيَّا(٢). أَطْلُبُ مِنْهُمْ شَيًّا. وَفِيهِمْ فَتًى ذُو لُثْغَةٍ بِلِسَانِهِ(٣). وَفَلَجٍ بِأَسْنَانِهِ. فَقَالَ: مَا خَطْبُكَ(٤). قُلْتُ: حَالَانِ لَا يُفْلِحُ صَاحِبُهُمَا. فَقِيرٌ كَدَّهُ ٱلْجُوعُ وَغَرِيبٌ لَا يُمْكِنُهُ ٱلرُّجُوعُ(٥). فَقَالَ ٱلْغُلَامُ: أَيَّ ٱلثُّلْمَتَيْنِ تُقَدِّمُ سَدَّهَا(٦). قُلْتُ: ٱلْجُوعُ فَقَدْ بَلَغَ مِنِّي مَبْلَغًا(٧). قَالَ: فَمَا تَقُولُ فِي رَغِيفٍ. عَلَى خُوَانٍ نَظِيفٍ(٨). وَبَقْلٍ قَطِيفٍ. إِلَى خَلٍّ ثَقِيفٍ. وَلَوْنٍ لَطِيفٍ(٩). إِلَى خَرْدَلٍ حِرِّيفٍ. وَشِوَاءٍ صَفِيفٍ. إِلَى

---

(١) **عام المجاعة** عام القحط وعموم الجوع.

(٢) **مال** إلى الجماعة تحول إليهم لالتماس الحاجة. وفي نسخة بدل ملت فدفعت بالبناء للمجهول أي دفعه الجوع إليهم لينال شيئًا من غذاء. **والسمط** هو سلك النظم ما دام المنظوم فيه فإن نثر منه فهو سلك: **والثريا** مجموع الكواكب المعروف ويشبّهون به الجموع الخفيفة في حسن النظام وتناسب الأفراد وتلازم المجتمعين بصلات الألفة والمحبة حتى كأنهم لا يتفارقون. وفي نسخة: قد نظمهم سلك الثريا. والمعنى واحد.

(٣) **اللثغة** عجز اللّسان عن النطق بالسين فيحولها إلى ثاء أو عن الراء فيحولها إلى غين أو لام. أو العجز عن بعض الحروف ثم إبداله بآخر مطلقًا. وأشهر استعمالها في المعنى الأول. **والفلج** تباعد ما بين الأسنان وهو مما تصاحبه اللثغة غالبًا.

(٤) ما الأمر الذي نزل بك فأنت تطلب المعونة على دفعه.

(٥) **كدّه** الجوع كلفه الكد والتعب وأجهده.

(٦) **الثلمة** هي الفرجة في المهدوم من أثر الهدم والفصل بين ما استوى من حد السيف مثلًا من أثر الكسر. **وثلم السيف** كسر حدّه والحائط خرقه أو شقّه. **والجوع** وكرب الغربة بلا رجوع ثلمتان عظيمتان في راحة المصاب بهما وفي قوته فكأنه يشبّه الراحة بسياج وهما يخرقانه أو يشبّه القوة بسيف وهما يثلمانه.

(٧) أي مبلغًا عظيمًا وأشار إلى تعظيمه بتنكيره. وفي نسخة: بلغ مني مبلغه.

(٨) **الخوان** كما تقدم ما يوضع عليه الطعام. **والبقل** يريد به ما يستصحب مع الطعام لتوفير اللّذة كالجرجير والبقدونس. **والقطيف** المقطوف خصّصه لأنه يكون أنظف من المقلوع من جذوره. وقوله إلى خل أي قد أضيف ذلك البقل إلى **خل ثقيف** أي شديد الحموضة.

(٩) **اللّون** نوع من التمر وهو أدنى من البرّين وأراد هنا منه نبيذه لا نفسه أي ونبيذ تمر قد =

مِلْحٍ خَفِيفٍ(١). يُقَدِّمُهُ إِلَيْكَ ٱلْآنَ مَنْ لَا يَمْطُلُكَ بِوَعْدٍ(٢) وَلَا يُعَذِّبُكَ بِصَبْرٍ ثُمَّ يَعُلُّكَ بَعْدَ ذٰلِكَ بِأَقْدَاحٍ ذَهَبِيَّةٍ(٣). مِنْ رَاحٍ عِنَبِيَّةٍ. أَذَاكَ أَحَبُّ إِلَيْكَ أَمْ أَوْسَاطٌ مَحْشُوَّةٌ. وَأَكْوَابٌ مَمْلُوَّةٌ وَأَنْقَالٌ مُعَدَّدَةٌ. وَفُرُشٌ مُنَضَّدَةٌ وَأَنْوَارٌ مُجَوَّدَةٌ(٤). وَمُطْرِبٌ مَجِيدٌ. لَهُ مِنَ ٱلْغَزَالِ عَيْنٌ وَجِيدٌ(٥). فَإِنْ لَمْ تُرِدْ هٰذَا وَلَا ذَاكَ فَمَا قَوْلُكَ فِي لَحْمٍ طَرِيٍّ. وَسَمَكٍ

= صفا ولطف وقد أضيف إليه شيء من الخردل لتزيد حرارته وهم يصنعون به ذلك لأنه أضعف من نبيذ العنب وأخف منه فإذا أرادوا إبلاغه من القوة أضافوا إليه بعض الأشياء الحريفة كالخردل وهو أجودها وأعونها على الهضم وأوفرها لذة عند اعتداله. **والحرافة** طعم من الطعوم لا يعبّر عنه بأبين من طعم الخردل.

(١) **الشواء** هنا اللّحم المشوي. **والصفيف** المصفوف. يقطع اللّحم ثم تنظم قطعه مصفوفة في مشكة من حديد ثم يستوى على النار فيها. ويعرف عند عامة مصر والشام بالكباب ويضيفونه في سوريا فيقولون **كباب السيخ** ولحم السيخ ويعنون **بالسيخ** تلك المشكة وهو إذا ضم إلى ملح خفيف كان من ألذّ المطعومات وإنما يصلح الطعام بالملح إذا كان خفيفًا فإن زاد عن الاعتدال لم يلذ طعمه بل يبشع. وتروى تلك الفقرات هكذا «ونقل قطيف على لون لطيف. وخردل حريف إلى شواء صفيف». **والنقل** ما ينتقل به على الشراب. والقطيف كالتفاح ونحوه. والمراد من اللون نبيذه غير مضاف إليه الخردل. **والخردل** في هذه الرواية صنف على حدة. ويروى ملح طريف بدل خفيف. **والطريف** النادر في جودته.

(٢) **مطل بوعده** سوفه ودفع به من وقت إلى آخر وطول الزمان إلى وفائه. والضمير في يقدمه إلى كل من المذكورات أو هو باعتبار مجموعها أي يقدم إليك الأشياء المذكورة سخي بها لا يماطل في الوفاء بوعده ولا يسوفه. ويروى: بدل بصبر «بصد».

(٣) **عله يعله** إذا سقاه تباعًا أي يتابع عليك السقي بأقداح إلخ. وإنما جعل السقي بعد الطعام متابعة له لأنه قد كان قدم إليه نبيذ اللون ليشربه مع الطعام فالشرب من **الرّاح** أي الخمر العنبية التي أخذت من عصير العنب يعد علا بعد الشرب من نبيذ التمر. ونسب الأقداح للذهب لأنها تكون بلونه إذا وضع فيها نوع من نبيذ العنب. وتشبيه الخمر **بالذهب المذاب** مطروق بل مبتذل.

(٤) أراد إن لم يكن الجوع قد أخذ منك وفيك بقية للطرب ولا حاجة بك إلى الطعام الآن فإني أعرض عليك الأوساط المحشوة إلخ. **والأوساط** جمع وسط بالتحريك وهو ما توسط بين الشيئين أراد بها مواضع الطرب وعبّر عنها بذلك ليشير إلى أنها مجالس أنس قد احتفلت بأهلها حتى حشيت أوساطها. **والأكواب** الأقداح التي لا عرى لها جمع كوب وهو القدح بلا عروة. ومملوءة أي من الشراب. **وأنقال** بالنون جمع نقل بالضم في المشهور بالفتح في الفصيح وهو ما ينتقل به على الشراب من فستق وتفاح ونحوهما. **ومعددة** كثيرة. **ومنضدة** مصفوفة مرتبة. ويروى: معدودة ومنضودة. **والأنوار المجودة** التي قد أجيد أسراجها وتونق في مسارجها كل ذلك وصف المجلس وما فيه.

(٥) انتقل من وصف المجلس وزينته إلى المقصود من الاجتماع فيه وهو المطرب فذلك =

نَهرِيٍّ(١). وَبَاذِنْجَانٍ مَقْلِيٍّ. وَرَاحٍ قُطْرُبُّلِيٍّ(٢). وَتُفَّاحٍ جَنِيٍّ(٣). وَمَضْجَعٍ وَطِيٍّ. عَلَى مَكَانٍ عَلِيٍّ. حِذَاءَ نَهرٍ جَرَّارٍ(٤). وَحَوْضٍ ثَرْثَارٍ. وَجَنَّةٍ ذَاتِ أَنْهَارٍ. قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ فَقُلْتُ: أَنَا عَبْدُ ٱلثَّلَاثَةِ(٥). فَقَالَ ٱلْغُلَامُ: وَأَنَا خَادِمُهَا لَوْ كَانَتْ(٦). فَقُلْتُ: لَا حَيَّاكَ ٱللَّهُ أَحْيَيْتَ شَهَوَاتٍ قَدْ كَانَ ٱلْيَأْسُ أَمَاتَهَا. ثُمَّ قَبَضْتَ لَهَاتَهَا(٧). فَمِنْ أَيِّ ٱلْخَرَابَاتِ أَنْتَ. فَقَالَ:

أَنَا مِنْ ذَوِي ٱلْإِسْكَنْدَرِيَّهْ ... مِنْ نَبْعَةٍ فِيهِمْ زَكِيَّهْ(٨)

= المطرب كما أنه يلذ استماعه لما يجيد من صنعته كذلك يروق للعين منظره لأنه أشبه الغزال في عينه وجيده أي عنقه وهما أجمل ما فيه. وعبارته من جمل التشبيه الفصيحة فيقولون: له من **سحبان** لسانه وبيانه وله من **علي** جأشه وجنانه يقصدون تشبيهه بمن ذكروا فيما أضافوا إليه.

(١) فإن كان به جوع خفيف لا يفرغ معه إلى الطرب ولا يسنده التنقل ولا هو من الشدّة بحيث يحتاج معه إلى وفرة الغذاء التي سبق وصفها في أول معروض فما يقول في طعام خفيف فيه لحم طري كلحم صغار الطير. ويروى «طيري» نسبة إلى الطير. **وسمك نهري** ينسب إلى النهر لأنه يخرج منه وهو أطرأ لحمًا من سمك البحر الملح غير أن هذا ألذ. وفي نسخة بدل نهري «بحري».

(٢) **الرّاح** الخمر. وقطربلي نسبة إلى قطربل قرية من قرى العراق يستجاد خمرها ويروى: راح نقي.

(٣) **الجني** من الثمر الطري الذي جني من قريب. **والوطي** من المراقد الممهد اللّين الذي لا يوجد فيه ما يقلقك. **والمكان العلي** المرتفع.

(٤) **شديد الجرية** يجر الماء بقوة. ويروى: جار. **والحوض الثرثار** الذي قد أخذت إليه شعبة من النهر غزيرة الماء تصب فيه من جانب وقد فتح للماء مصرف منه في جانب آخر فهو على الدوام يسمع فيه صوت الماء. ويروى: وبركة ذات ثرثار. **والجنة** أراد بها البستان بأشجاره وإنما يبهج منظر الأشجار إذا تلاعبت في جذورها جداول الأنهار.

(٥) يأكل الغذاء الأول ثم يحضر المجلس الثاني ثم إذا دخل به الشراب والطرب وانهضم غذاؤه عاد إلى الثالث ثم نام.

(٦) أي لو كانت موجودة لقنعت بأن أكون خادمًا لأربابها. وفي نسخة: لو حضرت بدل لو كانت. ولكن لا شيء منها بموجود وإنما الغرض بتعدادها تشويق الجائع وإثارة حر الخوى في جوفه.

(٧) عند ذكر تلك الملذات الماضية استحيت شهواتها الدافعة بالنفس إليها وانفتحت لها **اللّهاة** وهي منفتح الحلق من أقصى اللّسان. ثم لما دلّ على فقدها انقبضت اللّهاة التي كانت انفتحت لها لهذا أضاف اللّهاة إلى ضمير الشهوات.

(٨) **من ذوي الإسكندرية** من أهلها. **والنبعة** واحدة النبع وهو أجود شجر تتخذ منه =

سَخِفَ ٱلزَّمَانُ وَأَهْلُهُ فَرَكِبْتُ مِنْ سُخْفِي مَطِيَّهْ[١]

= القسي وأصلبه ومن أغصانه تتخذ الرماح. وأراد من أصل أصيل وزكية طيبة. ويروى: من ربعة الإسكندرية. ولا بدّ أن يكون ربعة بالتحريك بمعنى المنزل ولا يستقيم بها وزن البيت على بحر البيتين.

(١) سخف الرجل رقّ عقله فأتى بما لا يحسن. أي لما كان الزمان وأهله في سخف ورداءة عقل عاملتهما بما ينبغي لهما ولهذا تساخفت واتخذت لي مطية من سخفي تحملني إلى حيث أشاء من المآرب فالزمان السخيف لا يعلو فيه ولا ينال إربه إلّا السخيف.

المقامةُ الشّامِيّة

حدّثنا عيسى بْنِ هِشام قَال: لمّا وُلِّيتُ الحُكْمَ بِبِلادِ الشام اختَصَمَ إليّ رَجُلٌ وامْرأتانِ إحْدَاهُما تَدّعي صَدَاقاً. والأخرى تلتمِسُ طلاقاً وإنفاقاً. فقلتُ للرّجُلِ ما تقولُ في الملتمسةِ صداقها. فقال: أعزّ اللّه القاضي صداق عن ماذا. وأنا غريبٌ مِنْ أَهْلِ الإسكندريّةِ فواللّه ما أثْقلَتْ لي وَتِدَاً. ولا أشْبعتْ لي كَبِدَاً. ولا عمّرت خَراباً. ولا مَلأتْ جِراباً. فقُلْتُ: قد تبطّنتُها. قال نَعمْ لكن فماً غيرَ بارِدٍ. وثَدْياً غير ناهِدٍ. وبطناً غيرَ والدٍ. وعيناً عين واجدٍ. وريقاً غير رَيّقٍ. وطريقاً غير ضَيّقٍ. فَعَدلتُ للمرأةِ وقلتُ ما تقُولينَ قالتْ أيّدَ اللّهُ القاضي هو أكذبُ من أملهِ. وأسمجُ من عملِهِ. وأكثرُ في اللؤمِ من حيلِهِ. وأشدّ في الشؤم وأفسدُ عِشْرةً من أسفلِهِ. واللّهِ لقد صَادفتُ من فمِهِ صَقْراً. ومن يدِهِ صَخراً. ومنْ صدَرِهِ سمّ خَيّاطٍ. لا يرشحُ بقيراطٍ. ولقد زَفَفْتُ إليهِ بَدَناً كالدّيباجِ. وَوَجْهاً كالسّراجِ. وعيناً كعينِ النّعاجِ. وثدياً كحُقّ العاجِ. وبطناً كظهرِ الهِمْلاجِ. وحشي ضَيّقُ الرّتاجِ. خَشِنُ المنهاجِ. حارّ المِزَاجِ. صَعْبُ العلاجِ. ولكنْ كيف ألِدُ. وَهُوَ لا يُنجِزُ ما يعِدُ. وكيف يُنجزُ ولا يَجِدّ. وهو يَجتهدُ. لَوْ لَم يخُنْهُ الوتدُ. فقلت للرّجلِ قد رمتك بالعنّةِ. وَنَسَبْتكَ إلى الابنةِ. فمال إليها وقال: إِسْتُ البائنِ أعْلمُ ألم أجعَلْ تسعينكِ ثلاثينَ. ألَمْ أُعِزْك في ليلةٍ عشرينَ. حتى أسْقطتِ الجنينَ. فقالت: إشْهَدْ أيّها القاضي على هذا الإقرارِ. قال: خَدَعْتني يا دفار. وقالتِ الثانيةُ أصْلحَ اللّه القاضي أسألُ إمساكاً بمَعْروفٍ أو تسريحاً بإحسان. فقال الإسْكندريّ كم يُقيمها في الشّهر حتى أقدّمه سَلَفاً فقلتُ: مائة في الشَّهر. تُعينها على صَرْفِ الدّهرِ. فقال: لعلّك قسْتَ شهري بشهرك. إنّ أمري دون أمْرِك. فقلتُ لا أنقُصُها عن هذا القَدْر. فقال هي طالقٌ ثلثاً إن لَمْ تعطها نفقة شهرين دونَ الأَجَلِ بضربة. وقبل الماءِ بُشَرْبة. فقالت المرأةُ: اتّقِ اللّهَ أيّها القاضي في بناتٍ صِغَارٍ ليس لهنّ كادحٌ سواه. ولا كادّ إلّا إياه. فأمرتُ بتوفيرِ ذلك على المرأةِ وعادا بعدَ الشّهرينِ يلتمسانِ النّفَقَةَ فَضْلاً. فقلتُ: الطلاق يلزمُ القاضي إنْ نَظَر بينكما. فغيبا عينكما. فأنشأ الإسْكندريُّ يقولُ:

رُبَّ قــاضٍ عــلــى الــوَرى ... جــائــر الــحُــكْــم نــافِــذِهْ
سَــامَــنــي بَــذْل مــعــجــزٍ ... ونَــضَــى عــن نَــوَاجِــذِهْ
ذُقْــنُ مُــعْــطــيــهِ بــعــدمــا ... سَــامــنــي إِسْــتُ آخــذِهْ

فقلتُ القاضي لا يَسمعُ ما يَكْرُه لأن أحتملَ هذا خيرٌ من أن أزنَ ذاك.

المقَامَةُ ٱلوَعْظِيَّة

حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ: بَيْنَا أَنَا بِٱلْبَصْرَةِ أَمِيسُ[١] حَتَّى أَدَّانِي ٱلسَّيْرُ إِلَى فُرْضَةٍ[٢] قَدْ كَثُرَ فِيهَا قَوْمٌ عَلَى قَائِمٍ يَعِظُهُمْ وَهُوَ يَقُولُ: أَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّكُمْ لَمْ تُتْرَكُوا سُدًى[٣]. وَإِنَّ مَعَ ٱلْيَوْمِ غَدًا. وَإِنَّكُمْ وَارِدُو هُوَّةٍ[٤]. فَأَعِدُّوا لَهَا مَا ٱسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ. وَإِنَّ بَعْدَ ٱلْمَعَاشِ مَعَادًا. فَأَعِدُّوا لَهُ زَادًا[٥] أَلَا لَا عُذْرَ فَقَدْ بُيِّنَتْ لَكُمُ ٱلْمَحَجَّةُ[٦]. وَأُخِذَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْحُجَّةُ. مِنَ ٱلسَّمَاءِ بِٱلْخَبَرِ. وَمِنَ ٱلْأَرْضِ بِٱلْعِبَرِ. أَلَا وَإِنَّ ٱلَّذِي بَدَأَ

---

(١) **أميس** من ماس إذا تبختر. ويروى: أمشي وهو أليق بالشيخ من أميس.

(٢) **الفرضة** بالضم الثلمة في النهر تصعد منها السفن ويستقى منها. وأراد هنا الفرضة مطلقًا أي المكان الفسيح. وقوله قد كثر فيها قوم. ويروى: قد أكتز فيها قوم ولا معنى له والصواب ما في نسختنا.

(٣) **سدى** أي مهملين. يقال: إبل سدى أي مهملة ليس لها راع. أي إن الله لم يدعكم هملًا تعملون كما تشاؤون بل رعاكم بحكمته وحدّد أعمالكم بشريعته ووعد القائمين عند حدودها بمثوبته وواعد من تعداها بعقوبته. فإن قلتم إنكم اليوم في دار قد لا يصيبكم فيها ما وعدتم فاعلموا أن مع **اليوم غدا** أي أن يومكم لا يدوم لكم ولا بدّ أن ينضم الغد إليه ثم حكمه حكم اليوم وهكذا تتوالى الأيام حتى تنقضي الآجال وتقدمون على ما أعدّ لكم من ثواب وعقاب. ويمكن أن يكون معنى قوله مع اليوم غدًا أنه قريب منه ينحو نحو قولهم «كل آتٍ قريب» وأراد من غدًا يوم الارتحال عن هذه الحياة الدنيا أي إن يوم الفناء قريب منكم.

(٤) أراد من **الهوة** القبر وأن نعومة المستقر بعد ورود القبر إنما تكون لمن استقام في الدنيا حاله وصلحت فيها أعماله. فالإعداد للقبر وما بعده بتقويم الملكات وعمل الصالحات وهي القوة العظمى التي تتقى بها أهوال ما يلقاه الأشقياء بعد الموت.

(٥) **المعاد** يوم القيامة وبعث الأرواح في أجسادها للنشأة الثانية. ويشبّهون ما بين الموت وبينه بمسافة سفر ويشبهون طيب الأعمال بالزاد الذي يحمله المسافر ليسد به الحاجة عند انقطاعه عن وطنه وبعده عن مدخره في سكنه.

(٦) **المحجة** الطريق الواضح يريد منها طريق السعادة وأراد **بالخبر** ما جاء على ألسنة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مما فيه هداية للخلق إلى سبيل الحق. **والعبر** جمع عبرة وهي الموعظة. وإن في أحوال الأرض من تغيّرها وبنائها على التبدّل والفناء لموعظة وإرشادًا للمتأمّل إلى أن هذا الوجود الناقص الذي لا ثبات في أطواره لا بدّ أن يؤول إلى وجود في عالم أجلّ وأبقى.

ٱلْخَلْقَ عَلِيمًا يُحْيِي ٱلْعِظَامَ رَمِيمًا(١). أَلَا وَإِنَّ ٱلدُّنْيَا دَارُ جِهَازٍ. وَقَنْطَرَةُ جَوَازٍ(٢). مَنْ عَبَرَهَا سَلِمَ. وَمَنْ عَمَرَهَا نَدِمَ. أَلَا وَقَدْ نَصَبَتْ لَكُمُ ٱلْفَخَّ وَنَثَرَتْ لَكُمُ ٱلْحَبَّ فَمَنْ يَرْتَعْ. يَقَعْ. وَمَنْ يَلْقُطْ يَسْقُطْ(٣). أَلَا وَإِنَّ ٱلْفَقْرَ حِلْيَةُ نَبِيِّكُمْ فَٱكْتَسُوهَا. وَٱلْغِنَى حُلَّةُ ٱلطُّغْيَانِ فَلَا تَلْبَسُوهَا(٤). كَذَبَتْ ظُنُونُ ٱلْمُلْحِدِينَ. ٱلَّذِينَ جَحَدُوا ٱلدِّينَ. وَجَعَلُوا ٱلْقُرْآنَ عِضِينَ(٥). إِنَّ بَعْدَ ٱلْحَدَثِ جَدَثًا(٦). وَإِنَّكُمْ لَمْ تُخْلَقُوا عَبَثًا. فَحَذَارِ حَرَّ ٱلنَّارِ. وَبَدَارِ عُقْبَى ٱلدَّارِ(٧). أَلَا وَإِنَّ ٱلْعِلْمَ أَحْسَنُ عَلَى عِلَّاتِهِ(٨). وَٱلْجَهْلَ أَقْبَحُ عَلَى حَالَاتِهِ. وَإِنَّكُمْ أَشْقَى مَنْ أَظَلَّتْهُ ٱلسَّمَاءُ إِنْ شَقِيَ بِكُمُ ٱلْعُلَمَاءُ(٩). ٱلنَّاسُ بِأَئِمَّتِهِمْ. فَإِنِ

---

(١) **الرّميم** من العظام البالي. ومن تناولت قدرته بدا الأشياء مع العلم أكمل بها فلأن تتناول إعادة ما بدا أحق بها وأجدر.

(٢) إن **الحياة الدنيا** دار يتجهّز فيها إلى حياة أرقى منها وأبقى وهي أشبه بقنطرة بين العدم الأول والوجود الكامل فمن عبرها وتجاوزها ونظر إليها بحالها الحقيقية سلم من وصمة النقص والعناء في استدامة ما لا يدوم واستبقاء ما لا يبقى واستصفاء ما لا يصفو. ومن **عمرها** أي عمل فيها على أن تكون له مقرًا دائمًا واستفرغ وسعه في توفير ما تميل إليه الأهواء فيها ندم عند حلول أجله وظهور الخيبة في أمله وفوات الغاية من عمله.

(٣) تمثيل لما تزينه الشهوة في الحياة والألفاظ ظاهرة.

(٤) **الغنى** الذي هو حلّة الطغيان ما كان كنزًا للمال وخدمة للشهوة ومطاوعة للحرص. أما الغنى الذي يؤدى منه حق اللّه إلى عباده ويستعان به على تأييد الحق ودحض حجة الباطل فهو حلّة التقوى والوقاية من البلوى.

(٥) **عضين** جمع عضة وأصله الواو من عضوته أي فرقته. والمشركون كانوا يفرقون في القرآن أقاويلهم فيقولون. سحر وشعر وكهانة وأساطير الأولين.

(٦) أي بعد الحدوث والوجود في هذه الدنيا **الجدث** وهو القبر. **والعبث** ما لا حكمة في وجوده. والمراد منه هنا ما يراد من السدى في قوله أيحسب الإنسان أن يترك سدى أي مهملًا.

(٧) **بدار** بفتح أوله وكسر آخر أي بادروا. **وعقبى الدار** العاقبة المحمودة في الدار الآخرة. ويروى: نظار بدل بدار وهو اسم فعل بمعنى انتظروا أي استعدوا لتلك العاقبة.

(٨) **علّاته** حالاته وشؤونه سواء كان فيها ما يلذ للنفس أو ما يكره لها. **والعلم في** جميع حالاته حسن الحسن. **والجهل في** جميع هيئاته أقبح القبيح.

(٩) إن شقي العلماء بكم فأنتم أشقى أهل الأرض وشقاء العلماء أن لا يكون في الناس منتفع بعلمهم ومقتد بهداهم.

ٱنْقَادُوا بِأَزِمَّتِهِمْ. نَجَوْا بِذِمَّتِهِمْ[١]. وَٱلنَّاسُ رَجُلَانِ. عَالِمٌ يَرْعَى. وَمُتَعَلِّمٌ يَسْعَى[٢]. وَٱلْبَاقُونَ هَامِلُ نَعَامٍ[٣]. وَرَاتِعُ أَنْعَامٍ. وَيْلُ عَالٍ أُمِرَ مِنْ سَافِلِهِ. وَعَالِمِ شَيْءٍ مِنْ جَاهِلِهِ[٤]. وَقَدْ سَمِعْتُ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ ٱلْحُسَيْنِ كَانَ قَائِمًا يَعِظُ ٱلنَّاسَ وَيَقُولُ: يَا نَفْسُ حَتَّامَ إِلَى ٱلْحَيَاةِ رُكُونُكِ. وَإِلَى ٱلدُّنْيَا وَعَمَارَتِهَا سُكُونُكِ. أَمَا ٱعْتَبَرْتِ بِمَنْ مَضَى مِنْ أَسْلَافِكِ. وَبِمَنْ وَارَتْهُ ٱلْأَرْضُ مِنْ آلَافِكِ[٥]. وَمَنْ فُجِعْتِ بِهِ مِنْ إِخْوَانِكِ. وَنُقِلَ إِلَى دَارِ ٱلْبِلَى مِنْ أَقْرَانِكِ.

فَهُمْ فِي بُطُونِ ٱلْأَرْضِ بَعْدَ ظُهُورِهَا ... مَحَاسِنُهُمْ فِيهَا بَوَالٍ دَوَاثِرُ[٦]
خَلَتْ دُورُهُمْ مِنْهُمْ وَأَقْوَتْ عِرَاصُهُمْ ... وَسَاقَتْهُمُ نَحْوَ ٱلْمَنَايَا ٱلْمَقَادِرُ[٧]
وَخَلَّوْا عَنِ ٱلدُّنْيَا وَمَا جَمَعُوا لَهَا ... وَضَمَّتْهُمُ تَحْتَ ٱلتُّرَابِ ٱلْحَفَائِرُ[٨]

كَمِ ٱخْتَلَسَتْ أَيْدِي ٱلْمَنُونِ. مِنْ قُرُونٍ بَعْدَ قُرُونٍ. وَكَمْ غَيَّرَتْ بِبِلَاهَا. وَغَيَّبَتْ أَكْثَرَ ٱلرِّجَالِ فِي ثَرَاهَا[٩]:

---

(١) حال الناس متصل بحال أئمتهم وشأنهم معهم فإن انقاد الناس بأزمة الأئمة خلصت ذمّتهم من الحقوق اللازمة لها. **والأزمة** جمع زمام ما تقاد به الدابة.

(٢) عالم يرعى أي يعمل على وفق ما أرشد إليه العلم. والمتعلم يسعى حتى يكون العلم له وصفًا ثابتًا وترسخ به ملكات ثابتة في روحه ينشأ عنها أعمال صحيحة فينتقل من مقام الرواية إلى مقام الرعاية.

(٣) **هامل النّعام** المتروك سدى لا قائم عليه في تدبير معيشته وتربية فراخه. **والأنعام** البهائم.

(٤) ما أتعس حال **عال في ذاته** أي رفيع بما ارتفعت إليه نفسه من ذرى الكمال والفضل إذا كان مأمورًا ممن هو أسفل منه وحاله أدنى من حاله. وما أشقى عالمًا بشيء يؤمر فيه من جاهل بذلك الشيء. إذا أمر في الناس جهالهم وساد فيهم سفلتهم فقد تودع منهم. وقد يكون المعنى في الفقرة الثانية وويل عالم بشيء من جاهل به.

(٥) **الآلاف** جمع ألف كحمل وأحمال. ويروى: آلافك بتشديد اللام جمع آلف. **وعلي بن الحسين** هو زين العابدين أبو محمد علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضوان الله عليهم. وفي رواية ذكر اللقب والكنية والنسب كما قلنا في الأصل كلام المصنف.

(٦) **بَوال** جمع بال من بلي الثوب رث. **والدوائر** الهوالك الزائلة.

(٧) **أقوَت** عراصهم خلت من صبيانهم. **والعراص** جمع عرصة وهي البقعة بين الدور ليس فيها بناء والصبيان يعرصون فيها أي يلعبون ويمرحون **والمقادر** المقادير الإلهية والأقضية السماوية. والشطر الأول كناية عما تضمنه الثاني.

(٨) **خلوا** عن الدنيا مضوا عنها ورحلوا. **والحفائر** جمع حفيرة يريد منها القبور.

(٩) **المَنون** الموت ومثلها في صورة شاطر يختلس أرواح الناس قرونًا وأجيالًا بعد =

وَأَنْتَ عَلَى ٱلدُّنْيَا مُكِبٌّ مُنَافِسٌ لِخُطَّابِهَا فِيهَا حَرِيصٌ مُكَاثِرُ(١)
عَلَى خَطَرٍ تَمْشِي وَتُصْبِحُ لَاهِيًا أَتَدْرِي بِمَاذَا لَوْ عَقَلْتَ تُخَاطِرُ(٢)
وَإِنَّ ٱمْرَءًا يَسْعَى لِدُنْيَاهُ جَاهِدًا وَيَذْهَلُ عَنْ أُخْرَاهُ لَا شَكَّ خَاسِرُ

أَنْظُرْ إِلَى ٱلْأُمَمِ ٱلْخَالِيَة. وَٱلْمُلُوكِ ٱلْفَانِيَة. كَيْفَ ٱنْتَسَفَتْهُمُ ٱلْأَيَّامُ. وَأَفْنَاهُمُ ٱلْحِمَامُ(٣). فَٱنْمَحَتْ آثَارُهُمْ. وَبَقِيَتْ أَخْبَارُهُمْ.

فَأَضْحَوْا رَمِيمًا فِي ٱلتُّرَابِ وَأَقْفَرَتْ مَجَالِسُ مِنْهُمْ عُطِّلَتْ وَمَقَاصِرُ(٤)
وَخَلَّوْا عَنِ ٱلدُّنْيَا وَمَا جَمَعُوا بِهَا وَمَا فَازَ مِنْهُمْ غَيْرُ مَنْ هُوَ صَابِرُ
وَحَلُّوا بِدَارٍ لَا تَزَاوُرَ بَيْنَهُمْ وَأَنَّى لِسُكَّانِ ٱلْقُبُورِ ٱلتَّزَاوُرُ
فَمَا إِنْ تَرَى إِلَّا رُمُوسًا ثَوَوْا بِهَا مُسَطَّحَةً تَسْفِي عَلَيْهَا ٱلْأَعَاصِرُ(٥)

كَمْ عَايَنْتَ مِنْ ذِي عِزَّةٍ وَسُلْطَانٍ. وَجُنُودٍ وَأَعْوَانٍ. قَدْ تَمَكَّنَ مِنْ دُنْيَاهُ. وَنَالَ مِنْهَا مُنَاهُ. فَبَنَى ٱلْحُصُونَ وَٱلدَّسَاكِرَ. وَجَمَعَ ٱلْأَعْلَاقَ(٦) وَٱلْعَسَاكِرَ.

فَمَا صَرَفَتْ كَفَّ ٱلْمَنِيَّةِ إِذْ أَتَتْ مُبَادِرَةً تَهْوِي إِلَيْهِ ٱلذَّخَائِرُ(٧)

= قرون. والضمير في غيرت للمنون. والبلى الفناء وإضافة الثرى أي التراب إلى ضميرها لأنه مستودع ما تودعه فكأنه خزانة لها تودع فيه ما تشاء. ويروى: وكم غيّرت الأرض ببلاها إلخ وعلى هذا فالإضافة في ثراها إلى ضمير الأرض وهو ظاهر.

(١) **مُكِبٌّ** على الدنيا أي مقبل على تدبير أمر حياتك هذه واستيفاء ما تطالبك به الشهوة فيها فأنت منافس **لخطابها** جمع خاطب أي الذين يطلبونها ليسكنوا إليها كما يخطب الرجل زوجة ليسكن إليها ويلازم الإقامة معها. **والمنافسة** أن يطلب كل مثل ما يطلب الآخر. **والمكاثر** الذي يطلب أن يفوق جميع الخطاب في كثرة ما توفر لديه من الحطام.

(٢) **يخاطر** بنفسه.

(٣) من **انتسف البناء** قلعه من أصله. **والحمام** الموت.

(٤) **الرَّميم** البالي من العظام. **وإقفار** المجالس منهم خلوها. **والمقاصر** أراد منها المقاصير جمع مقصورة وهي الدار الواسعة الحصينة أو هي الدار ما اختصت بصاحبها لا يدخلها غيره ولذلك تسمى **الحجلة** مقصورة. ومقصورة المسجد مقام الإمام.

(٥) **الأعاصر** جمع إعصار وهي الريح الشديدة فيها **العصار** أي الغبار الكثير. **وتسفي عليها** من سفت الريح التراب ذرته أو حملته. والرموس القبور. **وثووا بها** أقاموا.

(٦) جمع بين البأس والفكاهة فبنى الحصون لبأسه. **والدساكر** وهي بيوت الملاهي والشارب للذة نفسه. **والأعلاق** النفائس.

(٧) **الذخائر** فاعل ما صرفت وكف المنية مفعوله. وفاعل تهوي ضمير كف المنية أي تمتد إليه لتخطفه.

وَلَا دَفَعَتْ عَنْهُ ٱلْحُصُونُ ٱلَّتِي بَنَى   وَحَفَّتْ بِهَا أَنْهَارُهَا وَٱلدَّسَاكِرُ
وَلَا قَارَعَتْ عَنْهُ ٱلْمَنِيَّةَ حِيلَةٌ   وَلَا طَمِعَتْ فِي ٱلذَّبِّ عَنْهُ ٱلْعَسَاكِرُ(١)

يَا قَوْمُ ٱلْحَذَرَ ٱلْحَذَرَ. وَٱلْبِدَارَ ٱلْبِدَارَ. مِنَ ٱلدُّنْيَا وَمَكَايِدِهَا. وَمَا نَصَبَتْ لَكُمْ مِنْ مَصَايِدِهَا. وَتَجَلَّتْ لَكُمْ مِنْ زِينَتِهَا. وَٱسْتَشْرَفَتْ لَكُمْ مِنْ بَهْجَتِهَا(٢).

وَفِي دُونِ مَا عَايَنْتُ مِنْ فَجَعَاتِهَا   إِلَى رَفْضِهَا دَاعٍ وَبِٱلزُّهْدِ آمِرُ(٣)
فَجِدَّ وَلَا تَغْفُلْ فَعَيْشُكَ بَائِدٌ   وَأَنْتَ إِلَى دَارِ ٱلْمَنِيَّةِ صَائِرُ(٤)
وَلَا تَطْلُبِ ٱلدُّنْيَا فَإِنَّ طِلَابَهَا   وَإِنْ نِلْتَ مِنْهَا رَغْبَةً لَكَ ضَائِرُ(٥)

وَكَيْفَ يَحْرِصُ عَلَيْهَا لَبِيبٌ. أَوْ يُسَرُّ بِهَا أَرِيبٌ(٦). وَهُوَ عَلَى ثِقَةٍ مِنْ فَنَائِهَا(٧). أَلَا تَعْجَبُونَ مِمَّنْ يَنَامُ وَهُوَ يَخْشَى ٱلْمَوْتَ. وَلَا يَرْجُو ٱلْفَوْتَ

أَلَا لَا وَلٰكِنَّا نَغُرُّ نُفُوسَنَا   وَتَشْغَلُهَا ٱللَّذَّاتُ عَمَّا تُحَاذِرُ
وَكَيْفَ يَلَذُّ ٱلْعَيْشَ مَنْ هُوَ مُوقِنٌ   بِمَوْقِفِ عَدْلٍ حَيْثُ تَبْلَى ٱلسَّرَائِرُ(٨)
كَأَنَّا نَرَى أَنْ لَا نُشُورَ وَأَنَّنَا   سُدًى مَا لَنَا بَعْدَ ٱلْفَنَاءِ مَصَايِرُ

---

(١) **حيلة** فاعل قارعت. والمنية مفعول سبق فاعله. **والمقارعة** المغالبة أي إن الحيل لم تجد في مغالبة المنية ومدافعتها عنه ولا طمعت العساكر في **الذّبّ** أي الدفع عنه كذلك.

(٢) عليكم بالمبادرة إلى التخلص من سلطة الدنيا على أنفسكم واختلاب مكايدها لعزائمكم **وتجلّت** أي تكشفت لكم عنه من الزينة وفي نسخة: تحلت أي تحلت وتزيّنت به. **واستشرفت** انتصبت لأعينكم في معنى تجلّت. والبهجة الحسن والسرور.

(٣) **الفجعات** جمع فجعة وهي الواحدة من الفجع أي الإيلام أو هو أن يرجع الإنسان بشيء يكرم عليه فيفقده. يقول: إن في أقل مما شاهد من موجعات الدنيا ورزاياها داعيًا إلى رفضها آمرًا له بالزّهد فيها وطلب التحوّل عنها إلى دار أشرف منها.

(٤) **بائد** زائل. وفي رواية: زائل. ويروى: زائر في آخر البيت بدل صائر.

(٥) **ضائر** خبر أن طلّابها. **والضائر** الضار. ويروى: رتبة بدل رغبة وهو ظاهر.

(٦) **الأريب** العاقل من أرب أرابة كظرف ظرافة إذا عقل أو هو من أرب بالشيء يأرب أربًا كفرح بمعنى درب عليه ومهر فيه أي كيف يسر بالدنيا ويركن إليها المحنّك المجرب. ويروى: وكيف يسر بلذاتها أريب.

(٧) يروى: وكيف نحلّ بفنائها ونحن على ثقة من فنائها أي كيف ننزل بذراها ونسكن لجوارها ونحن موقنون أن لا بدّ من فنائها.

(٨) **لذ العيش** وجده لذيذًا أي كيف يستلذّ العيش فيشتغل بلذاته عن عاقبته من كان له يقين بالمصير إلى موقف عدل تبلى فيه السرائر وينكشف ما بطن فيها. ويروى: يوم تبلى السرائر.

كَمْ غَرَّتِ ٱلدُّنْيَا مِنْ مُخْلِدٍ إِلَيْهَا[١]. وَصَرَعَتْ مِنْ مُكِبٍّ عَلَيْهَا. فَلَمْ تُنْعِشْهُ مِنْ عَثْرَتِهِ. وَلَمْ تُقِلْهُ مِنْ صَرْعَتِهِ[٢]. وَلَمْ تُدَاوِهِ مِنْ سَقَمِهِ. وَلَمْ تَشْفِهِ مِنْ أَلَمِهِ.

بَلَى أَوْرَدَتْهُ بَعْدَ عِزٍّ وَرِفْعَةٍ ... مَوَارِدَ سُوءٍ مَا لَهُنَّ مَصَادِرُ[٣]
فَلَمَّا رَأَى أَنْ لَا نَجَاةَ وَأَنَّهُ ... هُوَ ٱلْمَوْتُ لَا يُنْجِيهِ مِنْهُ ٱلْمُؤَازِرُ[٤]
تَنَدَّمَ لَوْ أَغْنَاهُ طُولُ نَدَامَةٍ ... عَلَيْهِ وَأَبْكَتْهُ ٱلذُّنُوبُ ٱلْكَبَائِرُ[٥]

بَكَى عَلَى مَا سَلَفَ مِنْ خَطَايَاهُ. وَتَحَسَّرَ عَلَى مَا خَلَّفَ مِنْ دُنْيَاهُ. حَيْثُ لَمْ يَنْفَعْهُ ٱلإِسْتِعْبَارُ[٦]. وَلَمْ يُنْجِهِ ٱلإِعْتِذَارُ.

أَحَاطَتْ بِهِ أَحْزَانُهُ وَهُمُومُهُ ... وَأَبْلَسَ لَمَّا أَعْجَزَتْهُ ٱلْمَعَاذِرُ[٧]
فَلَيْسَ لَهُ مِنْ كُرْبَةِ ٱلْمَوْتِ فَارِجٌ ... وَلَيْسَ لَهُ مِمَّا يُحَاذِرُ نَاصِرُ
وَقَدْ خَسِئَتْ فَوْقَ ٱلْمَنِيَّةِ نَفْسُهُ ... تُرَدِّدُهَا مِنْهُ ٱللُّهَى وَٱلْحَنَاجِرُ[٨]

---

(١) **المُخْلِدُ** إلى الشيء المائل إليه.

(٢) **لم تنعشه** لم تنهضه من سقطته ولم ترفعه منها. ويروى: فلم تقله من عثرته ولم تنعشه من صرعته. وهي أمس بالاستعمال في قران الألفاظ وإن كان المعنى لا يختلف.

(٣) فاعل أوردت ضمير الدنيا المحدث عنها. وموارد مفعوله. **والمصادر** المراجع بعد الورود أي من عادة الوارد لأجل الشرب أن يصدر عن المشرعة بعد الورود أما موارد السوء التي يردها المغرور بالدنيا فإنه لا صدر عنها.

(٤) **المؤازر** المعاون والنصير.

(٥) **عليه** متعلق بطول أي لو أغناه طول الندامة عليه عن وسائل النجاة مما نزل به لكان ندمه هذا مفيدًا. والضمير في عليه لما عاد إليه ضمير رأى وتندم وأمثالهما.

(٦) **الاستعبار** البكاء.

(٧) **أبلس** حزن حزنًا شديدًا فهو بمعنى إحاطة الأحزان والهموم. وترديد المعنى الواحد في الألفاظ الكثيرة للتهويل. أو هو بمعنى يئس من رحمة اللّه والعياذ باللّه. **والمعاذر** جمع معذرة بمعنى العذر. **والأعذار تعجزه** أي يبحث عنها فيعجز عن موافاتها ويعوزه وجودها. ويروى: وإبليس وهي بعيدة جدًا لا يصح معناها إلّا بتكلف زائد.

(٨) **خسئت** نفسه من خسىء الكلب إذا بعد كأن قد كان لنفسه مقر من جسده فلما سرت فيه المنية طفت نفسه فوق المنية كما يطفو الغثاء على الماء. وأول ما يظهر أثر الموت في أسفل البدن ولهذا جعل النفس عند تزعزعها من الجسد وابتعادها عن مقرها منه طافية فوق المنية ذاهبة إلى **اللّها** جمع لهاة وهي اللّحمة المشرفة على الحلق في أقصى سقف الفم. **والحناجر** جمع حنجرة وهي معروفة. وفي رواية جشأت بدل خسئت وهو بمعنى نهضت وجاشت للخروج. ويروى في الشطر الثاني: يرددها دون اللّهاة الحناجر وهو ظاهر. والكلام =

فَإِلَى مَتَى تُرَقِّعُ بِآخِرَتِكَ دُنْيَاكَ. وَتَرْكَبُ فِي ذَاكَ هَوَاكَ. إِنِّي أَرَاكَ ضَعِيفَ ٱلْيَقِينِ. يَا رَافِعَ ٱلدُّنْيَا بِٱلدِّينِ. أَبِهٰذَا أَمَرَكَ ٱلرَّحْمَانُ. أَمْ عَلَى هٰذَا دَلَّكَ ٱلْقُرْآنُ:

تُخَرِّبُ مَا يَبْقَى وَتَعْمُرُ فَانِيًا فَلَا ذَاكَ مَوْفُورٌ وَلَا ذَاكَ عَامِرُ[1]
فَهَلْ لَكَ إِنْ وَافَاكَ حَتْفُكَ بَغْتَةً وَلَمْ تَكْتَسِبْ خَيْرًا لَدَى ٱللَّهِ عَاذِرُ[2]
أَتَرْضَى بِأَنْ تَقْضِي ٱلْحَيَاةَ وَتَنْقَضِي وَدِينُكَ مَنْقُوصٌ وَمَالُكَ وَافِرُ[3]

قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ فَقُلْتُ لِبَعْضِ ٱلْحَاضِرِينَ: مَنْ هٰذَا. قَالَ: غَرِيبٌ قَدْ طَرَأَ لَا أَعْرِفُ شَخْصَهُ[4] فَٱصْبِرْ عَلَيْهِ إِلَى آخِرِ مَقَامَتِهِ. لَعَلَّهُ يُنْبِئُ بِعَلَامَتِهِ[5]. فَصَبَرْتُ فَقَالَ: زَيِّنُوا ٱلْعِلْمَ بِٱلْعَمَلِ وَٱشْكُرُوا ٱلْقُدْرَةَ بِٱلْعَفْوِ[6] وَخُذُوا ٱلصَّفْوَ وَدَعُوا ٱلْكَدَرَ[7] يَغْفِرِ ٱللَّهُ لِي وَلَكُمْ. ثُمَّ أَرَادَ ٱلذَّهَابَ فَمَضَيْتُ عَلَى إِثْرِهِ[8] فَقُلْتُ: مَنْ أَنْتَ يَا شَيْخُ. فَقَالَ: سُبْحَانَ ٱللَّهِ لَمْ تَرْضَ بِٱلْحِلْيَةِ غَيَّرْتَهَا[9] حَتَّى عَمَدْتَ إِلَى ٱلْمَعْرِفَةِ فَأَنْكَرْتَهَا. أَنَا أَبُو ٱلْفَتْحِ ٱلْإِسْكَنْدَرِيُّ. فَقُلْتُ: حَفِظَكَ ٱللَّهُ فَمَا هٰذَا ٱلشَّيْبُ. فَقَالَ:

نَذِيرٌ وَلٰكِنَّهُ سَاكِتٌ وَضَيْفٌ وَلٰكِنَّهُ شَامِتٌ

= مبني على ما يظهر لأعين العامة من أن النفس أشبه شيء بالنفس وأن الحشرجة تردّد الروح في مجرى النفس.

(١) يصح تفسير اسم الإشارة في الموضعين في كل من الفاني والباقي والمعنى صحيح لأن ما يبقى إذا خرب فلا هو موفور ولا هو عامر. والفاني وإن أفرغ الوسع في تعميره لا هو موفور ولا هو عامر لأن حكم طبيعته من الفناء يذهب السعي في تعميره باطلًا.

(٢) **عاذر** خبر للجار والمجرور أي فهل لك عاذر لدى اللّه أن وافاك حتفك أي هلاكك بغتة ولم تكن اكتسبت خيرًا تقدمه بين يديك ولا استبرأت بتوبة تغسل ما قدمت من خطيئاتك.

(٣) الضمير في تقضي وتنقضي للمخاطب. وفي رواية: تفني بدل تقضي والمعنى واحد ظاهر.

(٤) في رواية: لا أعرف إلّا شخصه: أي دون اسمه.

(٥) يروى: عن علامته. والمعنى واحد وظاهر.

(٦) في رواية: وقيدوا القدرة بالعفو. أي إن تأدية الشكر للّه تعالى على نعمة القدرة إنما يكون بالعفو عن الأذى الذي مكّنك اللّه من العقاب عليه. وفي المشهور الشكر قيد النعم والكفران فكاكها.

(٧) في رواية بعد هذا: واشكروا اللّه ليصونكم من خلل الغفلة والسهو.

(٨) في رواية: فنهضت على أثره.

(٩) أراد من **الحلية** الهيئة والصورة. **وغيرتها** ادعيت أنها متغيرة أي لم تكتف بزعمك أن صورتي تغيرت حتى قصدت أن تنكر معرفتك بي. ويروى: الحيلة بدل الحلية وهي غلط.

وَإِشْخَاصُ مَوْتٍ وَلٰكِنَّهُ إِلَى أَنْ أُشَيِّعَهُ ثَابِتُ[1]

(١) إشخاص موت أي إزعاجه يقال: أشخصه إذا أزعجه من مكانه. وأشخص فلانًا إلى فلان بعثه إليه. وعبّر بالأشخاص عن فاعله وهو الرسول أي هو رسول موت يزعجني بالدعوة إليه. ولكنه لا يكتفي بتبليغ الرسالة ثم يذهب بل هو ثابت معي حتى أشيّعه وأودعه بالفراق الأبدي. ويروى: إلى أن يودعني ثابت. أي هو رسول ولكنه ينتظر أن أفارق فيودعني لا أن يفارق فأودعه على عادة الرسل.

المَقَامَةُ ٱلأَسْوَدِيَّة

حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ: كُنْتُ أُتَّهَمُ بِمَالٍ أَصَبْتُهُ. فَهِمْتُ عَلَى وَجْهِي هَارِبًا(١) حَتَّى أَتَيْتُ ٱلْبَادِيَةَ فَأَدَّتْنِي ٱلْهَيْمَةُ(٢). إِلَى ظِلِّ خَيْمَةٍ. فَصَادَفْتُ عِنْدَ أَطْنَابِهَا(٣) فَتًى يَلْعَبُ بِٱلتُّرَابِ. مَعَ ٱلْأَتْرَابِ(٤). وَيُنْشِدُ شِعْرًا يَقْتَضِيهِ حَالُهُ. وَلَا يَقْتَضِيهِ ٱرْتِجَالُهُ(٥). وَأَبْعَدْتُ أَنْ يُلْحِمَ نَسِيجَهُ(٦). فَقُلْتُ: يَا فَتَى ٱلْعَرَبِ أَتَرْوِي هٰذَا ٱلشِّعْرَ أَمْ تَعْزِمُهُ. فَقَالَ: بَلْ أَعْزِمُهُ(٧) وَأَنْشَدَ يَقُولُ:

---

(١) أي إنه أصاب مالًا فاتهم فيه وظنّ به الحاكم أنه أصابه من غير وجهه. فالباء في قوله بمال باء السبب فوجهت عليه لذلك شبهت الجرم فخاف الوقوع في المحاكمة وتدقيق الحساب فهام. وقد تكون الباء للصلة وأن الجرم المتهم به هو المال نفسه لأن الظلمة كانوا إذا رأوا علائم للغنى على شخص عدوا ذلك جرمًا عظيمًا وأسرعوا إلى مصادرته وسلب ما بيده. وهام على وجهه ذهب في الأرض لا يدري أين ترمي به قدمه.

(٢) **الهيمة** بالفتح الواحدة من الهيم مصدر هام أي فأداني الهيام إلى ظل خيمة صادفتها لا عن سوق إرادة.

(٣) **الأطناب** جمع طنب بضمتين وهو الحبل يشدّ به سرادق البيت أو هو الوتد الذي تشدّ به الحبال. والمعنيان هنا صحيحان والثاني أقرب لأن الصبيان يلعبون عند الأوتاد على قرب منها.

(٤) **الأتراب** جمع ترب وهو من يكون على سنك.

(٥) **يقتضيه حاله** يناسب ما هو فيه من الفتاء والحداثة فحاله يطلب مثل تلك المعاني التي يفصح عنها شعره. **والارتجال** في الكلام إرساله نظمًا أو نثرًا من غير تهيئة ولا إعمال فكر سابق. وأراد منه هنا ملكة ذلك أي إن قوة ارتجاله التي يمكن أن تكون لمثله ممن على سنه لا يلتمس منها مثل ذلك الشعر بل هو أعلى منها فهي لا تستدعيه.

(٦) **النسيج** المنسوج كأن الشعر ثوب في التحام أجزائه وتناسبها وتأليفه **الحام** أي نسج وقد أبعد ابن هشام أن يكون الفتى هو ناسج ذلك الشعر أي مؤلفه أي عدّ ذلك بعيدًا. ويروى: «وأردت» بدل «أبعدت» أي تمنيت ذلك أو قصدت امتحانه لأقف على ذلك منه وفي الكل تكلف. والصحيح ما في نسختنا.

(٧) **رواية** الشعر إنشاده وهو من غير قول المنشد فهو يحدث به عن غيره ويحفظه عنه. وعزم القول قاله عن قريحته وقوة ملكته لا نقله عن قائل سواه. وأصل **العزم** عقد النية على الأمر وإمضاؤه بغير تردد استعمل في نفس العمل لأنه سببه كأنه قال: هل حفظت الشعر عن غيرك أو أصدرته =

إِنِّي وَإِنْ كُنْتُ صَغِيرَ ٱلسِّنِّ ... وَكَانَ فِي ٱلْعَيْنِ نُبُوٌّ عَنِّي[١]
فَإِنَّ شَيْطَانِي أَمِيرُ ٱلْجِنِّ ... يَذْهَبُ بِي فِي ٱلشِّعْرِ كُلَّ فَنِّ[٢]
حَتَّى يَرُدَّ عَارِضَ ٱلتَّظَنِّي ... فَٱمْضِ عَلَى رِسْلِكَ وَٱغْرُبْ عَنِّي[٣]

فَقُلْتُ يَا فَتَى ٱلْعَرَبِ أَدَّتْنِي إِلَيْكَ خِيفَةٌ[٤]. فَهَلْ عِنْدَكَ أَمْنٌ أَوْ قِرًى. قَالَ بَيْتَ ٱلْأَمْنِ نَزَلْتَ[٥]. وَأَرْضَ ٱلْقِرَى حَلَلْتَ. وَقَامَ فَعَلِقَ بِكُمِّي. فَمَشَيْتُ مَعَهُ إِلَى خَيْمَةٍ قَدْ أُسْبِلَ سِتْرُهَا. ثُمَّ نَادَى: يَا فَتَاةَ ٱلْحَيِّ هٰذَا جَارٌ نَبَتْ بِهِ أَوْطَانُهُ[٦]. وَظَلَمَهُ سُلْطَانُهُ. وَحَدَاهُ إِلَيْنَا صِيتٌ سَمِعَهُ[٧]. أَوْ ذِكْرٌ بَلَغَهُ. فَأَجِيرِيهِ. فَقَالَتِ ٱلْفَتَاةُ: ٱسْكُنْ يَا حَضَرِيُّ[٨]

أَيَا حَضَرِيُّ ٱسْكُنْ وَلَا تَخْشَ خِيفَةً ... فَأَنْتَ بِبَيْتِ ٱلْأَسْوَدِ بْنِ قِنَانِ[٩]

= عن قوة إرادتك واندفاع قريحتك إليه. فقال لا أرويه بل أقوله عن ملكتي وجود قريحتي.

(١) **نبو العين** تجافيها عن المرئي فالبصر لا يثبت عليه. ولا تنبو العين إلّا عن حقير في منظره.

(٢) لدقة ما في الشعر من المعاني ينسبون ما يقذف في ذهن الشاعر منها إلى وحي الشيطان كان ما ينقاد إلى الشعراء من مخدرات المعاني وطرائف الأساليب ليس مما يستقيده الناس عادة وإنما يزف به إليهم شياطينهم من الجن خصوصًا والشعر لا يكون غالبه إلا في الباطل وقليلًا ما يجود في الحق فلهذا غلبت نسبته إلى الشيطان لا إلى الملك. فهذا الفتى يزعم أن شيطانه ليس من أفراد الشياطين بل هو أمير الجن وصاحب السلطة فيهم فهو أوسعهم اقتدارًا لهذا يصرفه ويذهب به على صغر سنه في كل فن من فنون الشعر.

(٣) **التظني** إعمالك الظن في أمر لعله يكون كما تظن: يقال: ليس الأمر بالتظني ولا التمني. فيقول: إذا عرض لأحد أن يتظنى في أمري وإني لا أستطيع قول الشعر في سني هذا ردّ ذلك شيطاني ودفعه عني بما يصرفني فيه حتى يقطع ريبة المرتاب في شأني. **وعلى رسلك** بالفتح أي سيرك. **والرسل** السير السهل والبعير السهل السير أيضًا. وأما قولهم لمريد الذهب «**على رسلك**» فهو بكسر الراء بمعنى تأنّ لأن الرسل بالكسر الرفق والتؤدة. **واغرب** عني أبعد. ويروى: واعزب بالزاي بعد العين والمعنى واحد.

(٤) أي أوصلني إليك الخوف. والأمن ما يحفظ من المخوف. **والقِرى** ما يصنع للضيف من الطعام إكرامًا له.

(٥) «**بيت**» ظرف لنزلت. أي نزلت في بيت تأمن فيه مما تخاف وحللت أرض الكرم تصيب فيها من القرى ما تقر به عينك.

(٦) **نبت به** الأوطان لم يطب له المقام فيها كأنه لفظته ورمت به إلى غيرها. وقوله: «**وظلمه**» يروى: «وطلبه سلطانه» أي التمسه لإيقاع العقوبة به.

(٧) **حداه إلينا** ساقه صيت أي شهرة أو ذكر رفيع سمعه عنا بأنّا نجير من ينزل بحمانا. والفقرة الثانية في معنى الأولى فإن الشهرة إنما انتشار الذكر فالفصل بأو مما لا يناسب.

(٨) **اسكن** أي اطمئن. **والحضري** نسبة إلى الحضر وهو توطن المدن ويقابله البدو وهو الضرب في البوادي.

(٩) من مشايخ العرب كان بباديتهم مشهورًا.

أَعَزُّ ٱبْنِ أُنْثَى مِنْ مَعَدٍّ وَيَعْرُبٍ   وَأَوْفَاهُمْ عَهْدًا بِكُلِّ مَكَانِ[١]
وَأَضْرَبِهِمْ بِٱلسَّيْفِ مِنْ دُونِ جَارِهِ   وَأَطْعَنِهِمْ مِنْ دُونِهِ بِسِنَانِ[٢]
كَأَنَّ ٱلْمَنَايَا وَٱلْعَطَايَا بِكَفِّهِ   سَحَابَانِ مَقْرُونَانِ مُؤْتَلِفَانِ
وَأَبْيَضَ وَضَّاحِ ٱلْجَبِينِ إِذَا ٱنْتَمَى   تَلَاقَى إِلَى عِيصٍ أَغَرَّ يَمَانِي[٣]
فَدُونَكَهُ بَيْتَ ٱلْجِوَارِ وَسَبْعَةً   يَحُلُّونَهُ شَفَّعْتَهُمْ بِثَمَانِ[٤]

فَأَخَذَ ٱلْفَتَى بِيَدِي إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلَّذِي أَوْمَأَتْ إِلَيْهِ[٥]. فَنَظَرْتُ فَإِذَا سَبْعَةُ نَفَرٍ فِيهِ. فَمَا أَخَذَتْ عَيْنِي إِلَّا أَبَا ٱلْفَتْحِ ٱلْإِسْكَنْدَرِيَّ فِي جُمْلَتِهِمْ[٦]. فَقُلْتُ لَهُ: وَيْحَكَ بِأَيِّ أَرْضٍ أَنْتَ. فَقَالَ:

نَزَلْتُ بِٱلْأَسْوَدِ فِي دَارِهِ   أَخْتَارُ مِنْ طَيِّبِ أَثْمَارِهَا

---

(١) **اعز ابن انثى** أي أعز العرب كافة وكنت بابن الأنثى لأن شخصًا قد يولد لا عن ذكر كما عرف في شأن عيسى عليه السلام لكنه لم يعهد القول بأن أحدًا يولد لا عن أنثى. فلهذا كان ابن الأنثى أعم من ابن الذكر. **ومعد** بن عدنان أبو عرب الحجاز. **ويعرب** بن قحطان أبو عرب اليمن. وليس في العرب من ينتسب إلى غيرهما. وقد عرف في لسانهم التعبير عن القوم بأبيهم فيريد بمعد أبناء معد وبيعرب أبناء يعرب.

(٢) وأعرفهم بضرب السيف وأكثرهم به ضربًا لحماية جاره وقالوا في مثل هذا الموضع من دون جاره مثلًا لأن المجير يحول بين المعتدي وبين الجار فهو أدنى إلى المعتدي من الجار ومتوسط بينهما.

(٣) لا يذكر البياض في مدح الرجال عند العرب إلّا مرادًا منه نقاء العرض والنظافة من دنس اللؤم. **والوضاح** الأبيض الحسن. فوضاح الجبين تأكيد لأبيض. **والجبين** ناحية الجبهة مما يلي الصدغ. ولا يكون الجبين وضاحًا حتى يكون البياض مشرقًا. **وإذا انتمى** أي انتسب إلى آبائه تلاقى في نسبه ووصل إلى **عيص** أي أصل أغرّ أي مشهور معروف يلمع ذكره في الناس بحميد الخلال كما يلمع بياض الأغر. **والأغر** على نحو الأبيض **والوضاح** يقصد منه المعروف بالمكارم نقي النفس من دون المآثم. واليماني نسبة إلى اليمن مسموعة. **والأسود** بن قنان كان من عرب اليمن.

(٤) **دُونَكَهُ** بيت الجوار أي ألزمه. وبيت بدل من الضمير. كأنها قالت الزم بيت الجوار. وإنما أتت بالضمير لتقيمه مقام الإشارة فهي تقول هذا بيت الجوار فالزمه وفيه سبعة يحلونه وقد شفعتهم أي بعد أن كانوا وترًا وعددًا فردًا جعلتهم أنت شفعًا وعددًا زوجًا. وقوله بثمان أي يجعلهم ثمانية أو أراد بثامن ويقال للعدد الثامن أنه هو الثمانية أي متممها الا ترى أنك عند العد تأخذ الواحد بعد الأربعة وتقول خمسة ثم ما بعده وتقول ستة وهكذا إلى بقية الأعداد.

(٥) **اومات** أي أشارت والإشارة كانت في الضمير المتصل بدونك وقد تقدم توضيحه.

(٦) أي لم يصب نظري أحدًا أعرفه إلّا أبا الفتح في جملة أولئك السبعة.

فَـقُـلْـتُ إِنِّـي رَجُـلٌ خَـائِـفٌ هَـامَـتْ بِـي ٱلْـخِـيفَـةُ مِـنْ ثَـارِهَـا(١)
حِـيـلَـةُ أَمْـثَـالِـي عَـلَـى مِـثْـلِـهِ فِـي هٰـذِهِ ٱلْـحَـالِ وَأَطْـوَارِهَـا(٢)
حَـتَّـى كَـسَـانِـي جَـابِـرًا خَـلَّـتِـي وَمَـاحِـيًـا بَـيِّـنَ آثَـارِهَـا(٣)
فَـخُـذْ مِـنَ ٱلـدَّهْـرِ وَنَـلْ مَـا صَـفَـا مِـنْ قَـبْـلِ أَنْ تُـنْـقَـلَ عَـنْ دَارِهَـا(٤)
إِيَّـاكَ أَنْ تُـبْـقِـيَ أُمْـنِـيَّـةً أَوْ تَـكْـسَـعَ ٱلـشَّـوْلَ بِـأَغْـبَـارِهَـا(٥)

قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَام: فَقُلْتُ يَا سُبْحَانَ ٱللّٰهِ أَيَّ طَرِيقِ ٱلْكَرَائِهِ لَمْ تَسْلُكْهَا(٦). ثُمَّ عِشْنَا زَمَانًا فِي ذٰلِكَ ٱلْجَنَابِ(٧) حَتَّى أَمِنَّا. فَرَاحَ مُشَرِّقًا وَرُحْتُ مُغَرِّبًا(٨).

---

(١) **الخيفة** الخوف. **وهامت به** ذهبت به على وجهه وضمن هام معنى هرب فعلق به من أي هربت بي الخيفة من ثأرها الثأر الذي أوجبها. فهو يزعم أنه قتل قتيلًا وأولياء دمه يطلبونه بأثره فكأن ذلك الثأر الذي هو الموجب لخيفته وقد فرّ به الخوف منه. ويروى: أطمارها وهو تحريف أطوارها.

(٢) أي تلك حيلة أمثالي على مثله. والرجل العزيز الكريم لا يتبع أحوال الملتجئين إليه ليتبين بصدقهم من عدمه فعزته وكرمه يأبيان ذلك. وهذه الحال حال الفقر والضعف. وأطوارها درجاتها ومظاهرها من خفة تحتمل وثقل لا يطاق.

(٣) **الخلة** بالفتح الحاجة والفقر. احتال عليه حتى كساه وألبسه ثيابًا. وجابرًا حال من فاعل كسا. وماحيًا عطف على جابرًا. **والبين** الظاهر. أي ومزيلًا آثارها الظاهرة. والضمير للخلة.

(٤) الضمير في دارها للحياة الدنيا المفهومة عند المتخاطبين من ذكر الحيلة والحاجة ونيل ما صفا من المستلذات الحاضرة فإن ذلك كله شأن الحياة الدنيا.

(٥) **الشول** جمع شائلة وهي من النوق التي أتي عليها من وضعها سبعة أشهر فارتفع ضرعها وكاد يجف لبنها. **وكسع** الشول بأغبارها أبقى بقية من اللّبن في خلفها يريد تغزيرها. وفي الأساس: **كسع الناقة** بغبرها ضرب أخلافها بالماء البارد ليتراد في ظهرها فيكون أشد لها. وكلاهما إنما يفعل إذا أريد حفظ اللّبن للأيام الآتية خوف الحاجة فيها والإعواز مما يسدها فيستبقي ما في الضرع أو يضرب في الماء ليتراد إلى الظهر ليرجع إليه عند الحاجة. وهذا ينهى عن مراقبة الأماني وحرمان النفس من شيء الآن لشيء يؤمل فيه من بعد. فما في الضرع من بقية اللّبن احتلبه اليوم ونل من لذة الانتفاع به ولا تنظر في العاقبة فإنما العيش ما حضر وكذلك ما تيسر لك من غنيمة جود الكرام فاحتل لنيله ولا تخش أن يقال إنه محتال فبعد النوال لا يبالى بالمقال ولا تطمع في العود إليهم فتنقبض عن الاحتيال عليهم.

(٦) **الكرائه** جمع كريهة وهي ما تكرهه النفس من الشدائد. يستفهم عن طريق لها لم يسلكها أبو الفتح فهو لا يعرف طريقًا من طرق المكاره إلّا وقد سلكها فيومئ بهذا الاستفهام ومثله إلى النفي العام. وفي أكثر النسخ الكدية بدل الكرائه. **والكدية** الشحاذة وتكفف الناس وهي أكره الكرائه.

(٧) **الجناب** الفناء وما قرب محلة القوم ويكنون بالعيش فيه عن الإقامة في جوار صاحبه.

(٨) يريد تفارقنا فأنا إلى وطني وهو إلى حيث يجد صيدًا.

المقَامَةُ ٱلعِرَاقيَّة

حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ: طُفْتُ ٱلْآفَاقَ. حَتَّى بَلَغْتُ ٱلْعِرَاقَ. وَتَصَفَّحْتُ دَوَاوِينَ ٱلشُّعَرَاءِ. حَتَّى ظَنَنْتُنِي لَمْ أُبْقِ فِي ٱلْقَوْسِ مِنْزَعَ ظَفَرٍ(١). وَأَحَلَّتْنِي بَغْدَادُ(٢). فَبَيْنَمَا أَنَا عَلَى ٱلشَّطِّ(٣) إِذْ عَنَّ لِي فَتًى فِي أَطْمَارٍ(٤) يَسْأَلُ ٱلنَّاسَ وَيَحْرِمُونَهُ فَأَعْجَبَتْنِي فَصَاحَتُهُ. فَقُمْتُ إِلَيْهِ أَسْأَلُهُ عَنْ أَصْلِهِ وَدَارِهِ. فَقَالَ: أَنَا عَبْسِيُّ ٱلْأَصْلِ(٥) إِسْكَنْدَرِيُّ ٱلدَّارِ. فَقُلْتُ: مَا هٰذَا ٱللِّسَانُ. وَمِنْ أَيْنَ هٰذَا ٱلْبَيَانُ. فَقَالَ مِنَ ٱلْعِلْمِ. رُضْتُ صِعَابَهُ(٦) وَخُضْتُ بِحَارَهُ. فَقُلْتُ: بِأَيِّ ٱلْعُلُومِ تَتَحَلَّى. فَقَالَ: لِي فِي كُلِّ كِنَانَةٍ

---

(١) قد يروى منزع بكسر الميم والظفر بالتحريك. **والمنزع** السهم البعيد المرمى. **والظفر** مصدر ظفر فلان بمطلوبه أي وصل إليه أو بعدوه غلبه. وإضافة المنزع بذاك المعنى إلى الظفر لأنه آلته فإن السهام آلات حرب تستعمل في قهر الأعداء والظفر بالمطلوب من نكايتهم وغلبتهم على ما في أيديهم. **ولم يبقَ في القوس سهمًا** أي إنه رمى بجميع ما يمكن أن يرمي به من السهام وكل سهم أصاب غرضًا فقد أصاب جميع الأغراض فلم يبق سهم من سهام الظفر إلّا وقد رمى به وأصاب فليس في قوسه سهم لم يرم به حتى يرمى. **وظننتني** ظننت نفسي أي إنني أتيت على دواوين الشعراء كافة حتى ظننت نفسي محيطًا بجميع ما قيل من شعر فلا قول ينسب إلى قائل إلّا وقد ظفرت به. وعبّر عن هذا المعنى بعبارة المثل لم يبق في القوس منزعًا. وقد يروى **منزع** بفتح الميم مصدر ميمي من نزع القوس أو عنها أو بالسهم. والظفر على حاله. أي لم يبق في القوس موضعًا للنزع أي الرمي بالسهم أو عن القوس أو لمد القوس وجذب وترها للرمي على قصد الظفر بغرض يصاب. وبقية المعنى كما تقدم. وقد يروي الظفر مع الرواية الثانية بضم الظاء ومعناها هنا ما وراء معقد الوتر من القوس إلى طرفها وهو ما ترد إليه عند جذب الوتر للرمي. فإضافة المنزع إليه على معنى أنه هو المنزع الذي هو الظفر إنه أبلى موضع النزع من قوسه من كثرة ما رمى عنها. والرواية الأولى أبين.

(٢) أي وسعتني.

(٣) **الشط** شط الدجلة.

(٤) **عنّ له** ظهر. **والأطمار** الثياب البالية.

(٥) **عبسي** نسبة إلى عبس قبيلة من العرب منها عنترة العبسي المشهور.

(٦) بعدما قال إن لسانه وبيانه من العلم لأن سعة المنطق وشرفه إنما يكون لغزارة المعاني العالية ووفرة الألفاظ الغالية وملكة الأساليب المعجبة ولا يكون ذلك إلّا من علم أراد أن يبيّن =

سهمٌ[١] فَأَيَّهَا تُحسِنُ. فَقُلْتُ: ٱلشِّعْرَ. فَقَالَ: هَلْ قَالَتْ ٱلْعَرَبُ بَيْتًا لَا يُمْكِنُ حَلُّهُ[٢] وَهَلْ نَظَمَتْ مَدْحًا لَمْ يُعْرَفْ أَهْلُهُ[٣]. وَهَلْ لَهَا بَيْتٌ سَمُجَ وَضْعُهُ. وَحَسُنَ قَطْعُهُ[٤]. وَأَيُّ بَيْتٍ لَا يَرْقَأُ دَمْعُهُ[٥]. وَأَيُّ بَيْتٍ يَثْقُلُ وَقْعُهُ[٦]. وَأَيُّ بَيْتٍ يَشُجُّ عَرُوضُهُ وَيَأْسُو ضَرْبُهُ[٧]. وَأَيُّ بَيْتٍ يَعْظُمُ وَعِيدُهُ وَيَصْغُرُ خَطْبُهُ[٨]. وَأَيُّ بَيْتٍ هُوَ أَكْثَرُ رَمْلًا مِنْ يَبْرِينَ[٩]. وَأَيُّ بَيْتٍ هُوَ كَأَسْنَانِ ٱلْمَظْلُومِ. وَٱلْمِنْشَارِ ٱلْمَثْلُومِ[١٠]. وَأَيُّ بَيْتٍ يَسُرُّكَ أَوَّلُهُ

= كيف حصل العلم **وراض صعابه** أي ذلّلها كان معضلات المسائل كالصعاب من النوق تقف براكبها عن السير إلى الغاية المطلوبة له فهو **يروّضها** أي يذلّلها حتى تكون له منقادة إلى ما يريد.

(١) **سهم** مبتدأ. **ولي** في موضع الخبر. **والكنانة** وعاء السهام. والجملة مثل ضربه في أن له إلمامًا بكل فن ومعرفة بكل علم ومن له سهم في كل كنانة تيسر له الرمي بكل يد إلى كل غرض، وكذلك من له نظر في كل فن يمكنه أن يبحث في كل موضوع ويمد نظره للإحاطة بكل معنى.

(٢) **حل البيت** نثره. فللشعر أساليب تلجئ إليها مراعاة الوزن وغالب الشعر إذا حلّ إلى نثر ظهر انقلاب في تركيبه أو نقص أو زيادة فيه وذهب وزنه فالبيت الذي لا يمكن حلّه هو الذي جاء في أساليب النثر فلما نثر لم يتغير وضع ألفاظه كبيت الأعشى الآتي ذكره.

(٣) أي أنت بصفات مدح في نظمها لممدوح غير معروف للمادح.

(٤) أما سماجة الوضع فهي قبح ما سيق له النظم من المعنى فكأن البيت وضع لأجله. **وحسن القطع** حسن التفصيل كما يفصل الثوب على مقدار لابسه فقطعه حسن جميل وإن كان لابسه مشوهًا قبيحًا.

(٥) **البيت** لا دمع له غير أن ما فيه من المعاني والألفاظ يخيل للسامع انسكابًا لا ينقطع. **ورقأ الدمع** سكن وانقطع جريانه.

(٦) **البيت** الذي يثقل وقعه إما لثقل في النطق به وإما لكراهته في السمع كأنه وقع حافر في صخر وإما لأن معانيه تصور للذهن أثقالًا وكأنها سقطت من الذهن على ما لا يثبت لها.

(٧) **عروض البيت** الجزء الأخير من الشطر الأول. **والضرب** الجزء الأخير من الشطر الثاني. **ويشج** أي يجرح ويكسر. **ويأسو** أي يدوي ويطبب. وعروض البيت الآتي وهو «دلفت له إلخ» لفظ مشرفي وهو الحسام وهو يشج. وضربه السلام وهو **أسو** أي إن سامع أول البيت يظن ضربًا وحربًا وسامع آخره يظن إخوة وسلامًا.

(٨) **يعظم وعيده** أي إن صورة الإنذار فيه فخيمة عظيمة ولكن الخطب والشأن فيه صغير لا يبالى به.

(٩) **يبرين** أرض ذات رمل لا تدرك أطرافه عن يمين مطلع الشمس من حجر اليمامة. ومعنى كون البيت أكثر رملًا منها انه يمثل للسامع ما يكثر ذلك الرمل.

(١٠) أراد من **المظلوم** الذي حيف عليه فضرب على فمه فسقطت بعض أسنانه أو أراد منه =

وَيَسُوءُكَ آخِرُهُ(١). وَأَيُّ بَيْتٍ يَصْفَعُكَ بَاطِنُهُ وَيَخْدَعُكَ ظَاهِرُهُ(٢). وَأَيُّ بَيْتٍ لَا يُخْلَقُ سَامِعُهُ. حَتَّى تُذْكَرَ جَوَامِعُهُ(٣). وَأَيُّ بَيْتٍ لَا يُمْكِنُ لَمْسُهُ(٤). وَأَيُّ بَيْتٍ يَسْهُلُ عَكْسُهُ(٥). وَأَيُّ بَيْتٍ هُوَ أَطْوَلُ مِنْ مِثْلِهِ. وَكَأَنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِهِ(٦). وَأَيُّ بَيْتٍ هُوَ مَهِينٌ

= البعير المذبوح بغير داء مع إطلاقه عن قيده. وأسنان البعير لا تتصل اتصال أسنان الإنسان مثلًا. **والمنشار** آلة النجار المعروفة **والمثلوم** المكسور. وإنما كان البيت كذلك لأنه كثير الشينات وكل شين لها ثلاث أسنان وبين كل ثلاث وثلاث فاصل. والمنشار إذا تكسرت بعض أسنانه لا يبعد عن هذا. ومثله الذي تكسرت أسنانه بما ظلمه الظالم. ويروى: المطلوم بالطاء المهملة ولا معنى لها.

(١) لو أنك وصفت بأوله سرك الوصف به فإذا وصفت بآخره ساءك نسبته إليك.

(٢) **يخدع ظاهره** يظن أن فيه معنى فإذا تأملته كان أثره في نفسك أثر صفع الصافع لك وما أقبحه من أثر. ويروى: يصفيك بدل يصفعك ولا بدّ من أن يكون بالغين لا بالفاء بمعنى ينقصك فيتفق في المراد مع يصفعك.

(٣) البيت الذي تسمعه وأنت تظن أنه لشاعر آخر غير صاحب البيت كأنك لست بسامعه وإنما تسمع قول ذلك الشاعر الآخر فإذا أتى منشده على آخره وتعين قائله غير من كنت تسمع له رجع ذهنك عمن ظننته إلى قائله الحقيقي فكأنك لم تخلق ولم توجد له سامعًا إلّا بعد أن ذكرت جميع أجزائه فيخلق من الخلقة وذلك يأتي في كل بيت توافق عليه شاعران إلّا في الجزء الأخير وكان لأحدهما أشهر منه للآخر فإن **بيت طرفة** يكون سامعه سامعًا لبيت امرئ القيس حتى يأتي الجزء الأخير فينقلب سامعًا لبيت طرفة فكأنه لم يخلق السامع له إلّا عند ذكر جميع أجزائه. وإنما سميت المفاهيم التي ترد إلى الذهن من ألفاظ البيت **جوامع** لأن كل واحد منها يستورد الآخر معه في الفهم لشدة التناسب بينها عادة فكأن كلًا بالنسبة إلى البقية جامعة تشد بعضها ببعض وتضم الواحد منها للآخر. في أكثر النسخ: لا يخلف بالفاء بدل يخلق وهو من **أخلفت الشجرة** أنبتت عوض ما قطع منها كأن شيئًا قطع من السامع بتغير ظنه وخلفه شيء آخر. أو هو من أخلف فلان لنفسه إذا ذهب له شيء فجعل مكانه آخر. والسامع للبيت لا يذهب من ذهنه أنه لامرئ القيس حتى تأتي اللفظة الأخيرة فيخلفه عندها أنه لطرفة.

(٤) للطف الصورة التي يخيلها الذهن عند سماعه وانتهائها في اللطف إلى حد يبعدها عن الملموسات.

(٥) أي جعل الشطر الثاني منه أولًا والأول ثانيًا.

(٦) **البيت أطول** من مثله لاحتوائه على ألفاظ أكثر وحروف أوفر مما يكون في غيره من مثل وزنه وهو لطوله يظنه السامع ليس من أهله أي ليس من الأبيات التي على أوزانه وكما أن الأهل يتقاربون في أنسابهم فالأبيات من وزن واحد تتقارب في تقاطيعها فالواحد منها فيما بينها كأنه في أهله.

بِحَرْفٍ وَرَهِينٌ بِحَذْفٍ(١). قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ: فَوَٱللَّهِ مَا أَجَلْتُ قِدْحًا فِي جَوَابِهِ(٢) وَلَا ٱهْتَدَيْتُ لِوَجْهِ صَوَابِهِ إِلَّا: لَا أَعْلَمُ(٣). فَقَالَ. وَمَا لا تَعْلَمُ أَكْثَرُ. فَقُلْتُ: وَمَا لَكَ مَعَ هٰذَا ٱلفَضْلِ. تَرْضَى بِهٰذَا ٱلْعَيْشِ ٱلرَّذْلِ(٤). فَأَنْشَأَ يَقُولُ:

بُؤْسًا لِهٰذَا ٱلزَّمَانِ مِنْ زَمَنٍ كُلُّ تَصَارِيفِ أَمْرِهِ عَجَبُ
أَصْبَحَ حَرْبًا لِكُلِّ ذِي أَدَبٍ كَأَنَّمَا سَاءَ أُمَّهُ ٱلْأَدَبُ

فَأَجَلْتُ فِيهِ بَصَرِي. وَكَرَّرْتُ فِي وَجْهِهِ نَظَرِي فَإِذَا هُوَ أَبُو ٱلْفَتْحِ ٱلْإِسْكَنْدَرِيُّ. فَقُلْتُ: حَيَّاكَ ٱللَّهُ وَأَنْعَشَ صَرْعَكَ(٥) إِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَمُنَّ عَلَيَّ بِتَفْسِيرِ مَا أَنْزَلْتَ. وَتَفْصِيلِ مَا أَجْمَلْتَ. فَعَلْتَ(٦). فَقَالَ: تَفْسِيرُهُ أَمَّا ٱلْبَيْتُ ٱلَّذِي لَا

---

(١) **مَهين** بفتح الميم اسم مفعول. **ومهانة البيت** بأن تكون معانيه مما يهان ويحتقر في حقيقته. وكل أوصاف القدح كذلك فإنه لولا هوانها وخسّتها ما قدح بها في موصوفها. فالبيت المهين بحرف ما لو أبدل حرف منه بآخر لانقلب من المهانة إلى علو المكانة. وقد يكون **مُهين** بضم الميم اسم فاعل أي يهين من قيل فيه بحرف لو أبقي في بعض كلماته. ولو أبدل ذلك الحرف بغيره لم يكن مهينًا بل كان معظّمًا. ومعنى كونه **رهينًا بحذف** أن البيت بتمامه مأخوذ بحرف واحد من حروف بعض كلماته ومعناه في موضوعه من مدح وذم محبوس عليه لو حذف ذلك الحرف لانقلب المعنى ويروى: رهين بحرف مهين بحذف ومعناه يفهم مما قلناه.

(٢) **اجال القدح** خلطه بالقداح ثم حركها وأدارها من قداح الميسر أي سهامه تجال. ثم يأخذ المتقامرون كل واحد سهمًا فمن كان ذا حظ سهمه كسب ومن كان سهمه بلا خظ خسر. وضرب اجالة السهم هنا مثلًا للتفكير واجالة الرأي للعثور على جواب وإنما لم يفكر في الجواب لأن الأسئلة في غاية الغموض فأبواب الفكر دونها مسدودة. **والضمير في صوابه** للجواب أي لم يهتد إلى وجه صواب في الجواب عن مسائله.

(٣) أي لم يجد وجه صواب في الجواب إلّا قوله. **لا أعلم**. لأن مضمونها هو حقيقة حاله. ويروى: إلّا بلا أعلم وهي ظاهرة. ويروى: بلا لا أعلم والصواب فيها حذف لا الثانية. وقوله: وما لا تعلم أكثر أي الذي لم يتصوره ذهنك ولا بوجه ما أكثر من هذا الذي تصوره بوجه أنك لا تعلمه. وتسمية التصور على هذا الوجه علمًا بناء على عموم استعماله في كل ما يظهر في لوح الذهن صحيحًا كان أو باطلًا مطابقًا لمنشأ انتزاع له أو غير مطابق.

(٤) **الرذل** الرذيل الدون.

(٥) **الصرع** السقوط مصدر مبني للمجهول. وأصل **انعشه** أقامه من سقطته فحق الكلام أنعشك اللّه من صرعك أي رفعك من سقطتك. لكنه استعمل أنعش في معنى أزال السقطة أي أزال اللّه سقوطك ورفعك بعد هبوطك. ويروى: صرعتك. ويروى: لا حي اللّه طلعتك ولا نعش صرعتك وهي غير صحيحة لأن المقام للاستعطاف فلا يليق به الشتم.

(٦) **فعلت** جواب إن رأيت. واشتهر التفسير للتنزيل أي الكتاب المنزّل وكأنه يشير إلى أن ما =

يُمْكِنُ حَلُّهُ فَكَثِيرٌ وَمِثَالُهُ قَوْلُ ٱلْأَعْشَى:

دَرَاهِــمُـنَــا كُــلُّــهَــا جَــيِّــدٌ   فَـلَا تَـحْـسِـبَـنَّـا بِـتَـنْـقَـادِهَـا(١)

وَأَمَّا ٱلْمَدْحُ ٱلَّذِي لَمْ يُعْرَفْ أَهْلُهُ فَكَثِيرٌ وَمِثَالُهُ قَوْلُ ٱلْهُذَلِيِّ:

وَلَـمْ أَدْرِ مَـنْ أَلْـقَـى عَـلَـيْـهِ رِدَاءَهُ   عَلَى أَنَّهُ قَدْ سُلَّ عَنْ مَاجِدٍ مَحْضِ(٢)

وَأَمَّا ٱلْبَيْتُ ٱلَّذِي سَمُجَ وَضْعُهُ. وَحَسُنَ قَطْعُهُ. فَقَوْلُ أَبِي نُوَاسٍ:

فَـبِـتْـنَـا يَـرَانَـا ٱلـلَّـهُ شَـرَّ عِـصَـابَـةٍ   تُـجَـرِرُ أَذْيَـالَ ٱلْـفُـسُـوقِ وَلَا فَـخْـرُ(٣)

وَأَمَّا ٱلْبَيْتُ ٱلَّذِي لَا يَرْقَأُ دَمْعُهُ فَقَوْلُ ذِي ٱلرُّمَّةِ:

مَا بَالُ عَيْنِكَ مِنْهَا ٱلْمَاءُ يَنْسَكِبُ   كَـأَنَّـهُ مِـنْ كُـلَّـى مُـفْـرِيَّـةٍ سَـرَبُ(٤)

= جاء به من المسائل أشبه بمتشابهات المنزلات لهذا قال: تفسير ما أنزلت.

(١) **حبسه** وقفه. يقول: لا تقفنا ولا تضع وقتنا بتنقاد الدراهم وتمييز زيفها من جيدها فإن جميعها جيد ونظم البيت كأنه أسلوب منثور لا يمكن حله بأوجز ولا بأطول منه ولا بتقديم بعض أجزائه وتأخير بعض. وسيأتي له أن حلّه دراهمنا جيد كلها ولا يغير وزنه وهو اختلاف في الاعتبار.

(٢) البيت في مدح شخص غير معروف كان قد ألقى رداءه على أخ للشاعر ليحميه ممن كانوا قد أرادوا الفتك به فنجا بسبب ذلك فالشاعر يذكر القصة ويقول: لم أدر الشخص الذي ألقى رداءه على أخي حتى نجّاه من الهلكة على أن هذا المحسن قد انتزع عن أب ماجد أو أصل ماجد شريف خالص الشرف لم تشبه شائبة دنس. ويمكن عود الضمير في «أنه» إلى الرداء والماجد نفس صاحب الرداء أي على أن هذا الرداء إنما انتزع عن ماجد خالص المجد صريحه. وفي بعض النسخ قبل قوله الهذلي لفظ «أبي خراش» والمشهور أنه للأعشى.

(٣) بعدما ذكر من أنواع اللذات التي اغتنموا فرصها تلك الليلة في أبيات سابقة جاء بهذا البيت. **ويرانا الله** أي يعلمنا في حالنا هذه شر جماعة اجتمعت على أمر وتجرير أذيال الفسوق تمثيل لاشتمال الفسق جميع أعمالهم تلك الليلة حتى كان لهم كأنه ثوب سابغ أحاطهم وفاض عنهم بذيل يجرونه ولا فخر أولى بهم من هذا الفخر. والبيت رقيق في لفظه حسن في أسلوبه غير أنه سمج في موضوعه وأي سماجة أبين من الاعتراف بالفسق والفخر به والانتساب إلى الشر والمصارحة بالتفوق فيه مع الإقرار بأن الله يعلم جميع ذلك وعدم المبالاة به.

(٤) **الكلى** جمع كلية وللإنسان ونحوه من الحيوان كليتان وهما لحمتان منتبرتان حمراوان لازقتان بعظم الصلب عند الخاصرتين في كظرين من الشحم ووظيفتهما إفراز البول. **والكلية** أيضًا من السحاب أسفله ومن المزادة رقعة مستديرة تخرز عليها تحت العروة. فلفظ الكلى يحضر في ذهنك مثال البول ومثال **النشيئة** بمعنى السحابة ومثال أسفل **المزادة** وهي من =

فَإِنَّ جَوَامِعَهُ إِمَّا مَاءٌ أَوْ عَيْنٌ أَوِ ٱنْسِكَابٌ أَوْ نَشِيئَةٌ أَوْ أَسْفَلُ مُزَادَةٍ أَوْ شِقٌّ أَوْ سَيَلَانٌ. وَأَمَّا ٱلْبَيْتُ ٱلَّذِي يَثْقُلُ وَقْعُهُ فَمِثْلُ قَوْلِ ٱبْنِ ٱلرُّومِيِّ:

إِذَا مَنَّ لَمْ يَمْنُنْ بِمَنٍّ يَمُنُّهُ وَقَالَ لِنَفْسِي أَيُّهَا ٱلنَّفْسُ أَمْهِلِي(١)

وَأَمَّا ٱلْبَيْتُ ٱلَّذِي تَشُجُّ عَرُوضُهُ وَيَأْسُو ضَرْبُهُ فَمِثْلُ قَوْلِ ٱلشَّاعِرِ:

دَلَفْتُ لَهُ بِأَبْيَضَ مَشْرَفِيٍّ كَمَا يَدْنُو ٱلْمُصَافِحُ لِلسَّلَامِ(٢)

وَأَمَّا ٱلْبَيْتُ ٱلَّذِي يَعْظُمُ وَعِيدُهُ وَيَصْغُرُ خَطْبُهُ فَمِثَالُهُ قَوْلُ عَمْرُو بْنِ كُلْثُومَ:

كَأَنَّ سُيُوفَنَا مِنَّا وَمِنْهُمْ مَخَارِيقٌ بِأَيْدِي لَاعِبِينَا(٣)

وَأَمَّا ٱلْبَيْتُ ٱلَّذِي هُوَ أَكْثَرُ رَمْلًا مِنْ يَبْرِينَ فَمِثْلُ قَوْلِ ذِي ٱلرُّمَّةِ:

= أوعية الماء. والمفرية المقطوعة والسرب الماء السائل. فلهذا عدّ النشيئة وأسفل المزادة والبول من جوامع البيت لأنها تحضر الذهن من ألفاظه والشق من مفرية والسيلان من سرب والباقي معروف المأخذ. ويروى: بدل نشيئة «أو تشبيه به» أي ببعض ما سبق. والتشبيه بالشيء يحضر صورته. وفي بعض النسخ: أما ماء أو بول أو عين أو انسكاب أو تشبيه به أي بالانسكاب في قوله: كأنه من كلى إلخ. والصواب له بدل به أن أراد هذا الانسكاب الذي في البيت فإن أراد مطلقه صحّ فإن هذا الانسكاب شبيه بالانسكاب من الكلى المفرية حقيقة.

(١) **من** أنعم ويمنن بعدد ما أنعم به ويذكره للتبجح وطلب الإقرار بالصنيع والقيام بالشكر. **والمنّ** الإحسان **ويمنه** أي يحسنه وينعم به. أي إذا أنعم لم يذكر النعم التي ينعمها علي وطالب نفسي بالإمهال في ذكر نعمها وشكرها كتمًا لجميل فعله فهو يمنّ لا لطلب شكر بل يفيض الجود عن طبعه فيضًا. وثقل وقع البيت لأن تكرار المنّ في الشطر الأول مع برودة اللّفظ في الشطر الثاني مما يكره سماعه أو لأنه ذكر المنّ فيه أربع مرات وكل مَنٍّ مائتان وثمانون مثقالًا. فالذهن يحمل من ثقل البيت ألفًا ومائة واثنين وثلاثين مثقالًا وما هي بقليل.

(٢) **دلفت له** تقدمت. يقال: دلفت الكتيبة إلى الحرب أي تقدمت. **والمشرفي** نسبة إلى قرى من بلاد العرب تدنو من ريف العراق تسمى مشارف الشام والنسبة إليها مشرفي لا مشارفي. وأول البيت حرب وكلام وآخره مصافحة وسلام.

(٣) **المخاريق** ما يلعب به الصبيان من خرق مفتولة كمنديل ونحوه يتضاربون بها. وعمرو بن كلثوم يصف دنوهم من عدوهم وسرعة تضاربهم مع اختلاطهم بعدوهم واختلاط عدوهم بهم ويشبّه سيوفهم وسيوف أعدائهم بتلك المخاريق في أيدي الصبيان. **فوعيد البيت** أي ما ينذر به من السوء عظيم. ولكن إذا تذكرنا بأن المخاريق بأيدي اللاعبين قلما يكون عنها أذى يذكر أو نكاية يؤلم لها صغر به من السوء عظيم. ولكن إذا تذكرنا بأن المخاريق بأيدي اللاعبين قلما يكون عنها أذى يذكر أو نكاية يؤلم لها صغر عندنا الخطب وهان الأمر.

مُعْرَوْرِيًا رَمَضَ ٱلرَّضْرَاضِ يَرْكُضُهُ وَٱلشَّمْسُ حَيْرَى لَهَا فِي ٱلْجَوِّ تَدْوِيمُ[(١)]

وَأَمَّا ٱلْبَيْتُ ٱلَّذِي هُوَ كَأَسْنَانِ ٱلْمَظْلُومِ. وَٱلْمِنْشَارِ ٱلْمَثْلُومِ. فَكَقَوْلِ ٱلْأَعْشَى:

وَقَدْ غَدَوْتُ إِلَى ٱلْحَانُوتِ يَتْبَعُنِي شَاوٍ مِشَلٌّ شَلُولٌ شُلْشُلٌ شَوِلُ[(٢)]

وَأَمَّا ٱلْبَيْتُ ٱلَّذِي يَسُرُّكَ أَوَّلُهُ وَيَسُوؤُكَ آخِرُهُ فَكَقَوْلِ ٱمْرِئِ ٱلْقَيْسِ:

مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ مَعًا كَجُلْمُودِ صَخْرٍ حَطَّهُ ٱلسَّيْلُ مِنْ عَلِ[(٣)]

وَأَمَّا ٱلْبَيْتُ ٱلَّذِي يَصْفَعُكَ بَاطِنُهُ وَيَخْدَعُكَ ظَاهِرُهُ فَكَقَوْلِ ٱلْقَائِلِ:

---

(١) **معرويًا** من اعرورى الفرس إذا ركبه عريانًا. **والرمض** شدة وقع الشمس على الرمل ونحوه. **والرضراض** الحصى أو صغارها. **ويركضه** يضربه ويدوسه. **وتدويم الشمس** دورانها في كبد السماء كأنها لا تنتقل من موضعها يظهر ذلك في عين المسافر أيام الصيف في طول النهار وشدة الحر وخيلت له كثرة الرمل من ذكر الرضراض وأنه يركض بالسير السريع ولا يقطعه لأنه لو قطعه لخف عليه الأمر فلم يكن يرى الشمس تدور في كبد السماء ولا تنتقل على قوس الهبوط. وإيقاع الركض على الرمض نفسه ليدل على أن الرمل احترق من شدة الحرارة حتى انقلب إلى عين الحرارة. وليس في البيت ما يفيد كثرة الرمل إلى الحد الذي ذكره ولو أنه مثل بمثل قوله:

قطعنا العقنقل والأوعس وجزنا الكثيب إلى العانك

لكان أشد انطباقًا على ما قاله من أن البيت أكثر رملًا من يبرين. **فإن العقنقل** ما تراكم من الرمل **والأوعس** ما سهل ولان منه. **والكثيب** ما انبسط وطال منه. **والعانك** ما تعقد منه حتى لا يستطيع البعير أن يسير فيه. فالبيت كله رمل.

(٢) **الحانوت** دكان الخمار. **وشاء** من شأى يشؤو إذا سبق أي سابق من سباق. **والمشل** الخفيف السريع. **وشليل** تصغير شلل بضمتين بمعنى المشل. ويروى بدله شلول وهو بمعنى الشلل بضمتين. **والشلشل** بفتح الشينين وضمهما كذلك. **والشول** بفتح فكسر بمعناها. وهو يصف خادمه بغاية الخفة والسرعة في الحاجة.

(٣) يصف جواده بالانقياد وائتلافه لحركات القتال فنعته **بالمكر** أي السريع الكر والعطف إلى العدو إذا عطفته عن العدو لحيلة تتمكن بها منه. **ومقبل ومدبر** في معنى الوصفين الأولين. **ومعًا** حال من الأوصاف كلها والمراد أنها مجتمعة فيه متى أريد الواحد منها لم يقصر عنه وكل واحد يطلب في موضع. ثم يصفه في سرعته وشدة خلقه بأنه كجلمود صخر. **والجلمود** الصلب العظيم من الحجر. **والصخر** الحجر كما لا يخفى. **وعلٍ** بمعنى فوق. والحجر الجامد العظيم إذا دفعه السيل من فوق إلى أسفل كان أسرع شيء حركة لأن الثقيل يميل بطبعه إلى مركز الأرض في جوها ولا يعوقه عنها إلّا الموانع إن كانت، وكلما عظم الجسم وصلب ضعفت مقاومة الهواء له في ميله إلى الاتصال بالأرض فأسرع شيء حركة إلى أسفل صخرة عظيمة صلبة تنحدر بدفع السيل من مكان عالٍ. وأول البيت يسر أهل الذوق في النظم أما آخره فإنه يسوءهم أي يقبح عندهم موقعه لأن جلمود الصخر إذا انحط من علٍ لم =

عَاتَبْتُهَا فَبَكَتْ وَقَالَتْ يَا فَتَى ... نَجَّاكَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ مِنْ عَتْبِي(١)

وَأَمَّا ٱلْبَيْتُ ٱلَّذِي لَا يُخْلَقُ سَامِعُهُ. حَتَّى تُذْكَرَ جَوَامِعُهُ فَكَقَوْلِ طَرَفَةَ:

وُقُوفًا بِهَا صَحْبِي عَلَيَّ مَطِيَّهُمْ ... يَقُولُونَ لَا تَهْلِكْ أَسًى وَتَجَلَّدِ(٢)

فَإِنَّ ٱلسَّامِعَ يَظُنُّ أَنَّكَ تُنْشِدُ قَوْلَ ٱمْرِئِ ٱلْقَيْسِ. وَأَمَّا ٱلْبَيْتُ ٱلَّذِي لَا يُمْكِنُ لَمْسُهُ فَكَقَوْلِ ٱلْخُبْزُرُزِّيِّ:

تَقَشَّعَ غَيْمُ ٱلْهَجْرِ عَنْ قَمَرِ ٱلْحُبِّ ... وَأَشْرَقَ نُورُ ٱلصُّلْحِ مِنْ ظُلْمَةِ ٱلْعَتْبِ(٣)

وَكَقَوْلِ أَبِي نُوَاسٍ:

نَسِيمُ عَبِيرٍ فِي غِلَالَةِ مَاءٍ ... وَتِمْثَالُ نُورٍ فِي أَدِيمِ هَوَاءِ(٤)

= يمكن تحويله عن جهة انحطاطه فلو أن امرأ القيس كان راكبه في هذه الحالة لهوى به إلى حيث لا يجد للرجعة إلى الحياة سبيلًا فكيف يكون صاحب هذا الشبه مكرًا مفرًا إلخ.

(١) البيت ظاهر وهو كما كان يظن أن فيه معنى ولا معنى له. فإن التي تبكي من عتبه لا قوة لها عليه في عتبها فلا حاجة إلى الدعاء له بالنجاة منه على أن هذا القول في أشد ما يكون من البرودة. ويروى يصفيك بدل يصفعك ومعناه ينقصك كما تقدم.

(٢) تقدم بيان كيف أن البيت لا يخلق سامعه حتى تذكر جوامعه ورواية **يخلف** بالفاء بدل القاف فراجعه والبيت يروى مثله لامرئ القيس إلّا لفظ **تجلد** فإن بدّله في قول امرئ القيس **تجمّل**. وروايته لامرئ القيس أشهر لأن قصيدته على الألسنة أكثر دورانًا. ومعنى البيت مطروق معروف. أما تأليفه **فوقوفًا** حال من فاعل قفا أو نبك في «قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل» في قصيدة امرئ القيس وهو جمع واقف. **وصحبي** فاعل لوقوفًا. **ومطيّهم** مفعوله. وأعرب بعضهم وقوفًا مصدرًا مفعولًا مطلقًا لقفا والفاعل والمفعول على حاله. وهو ضعيف لأن وقوف أصحابه للتسلية إذ يقولون له: لا تهلك **أسى** أي حزنًا وتجمل. أما فعل قفا فهو طلب الوقوف للبكاء والتذكر. أما في قول **طرفة** فهو ومن لم يتقدمه أمر بالوقوف للبكاء. لكن المقام مقام تذكر وتعداد ماضيات يؤسف لفواتها فالإعراب الأول هو الصحيح في القصيدتين.

(٣) **غيمه وقمره ونوره وظلامه** كلها معانٍ لا تحس وإن كانت ألفاظها في أصل وضعها تدل على ما يحس. وما لا يقع تحت الحس لا يلمس بالضرورة وكيف يلمس غيم من الهجر وقمر من الحب أو يحس نور من الصلح أو ظلمة من العتب ولكن يخيلها الذهن تخييلًا. ويروى: الصبح بدل الصلح والغيب بدل العتب وهو تحريف. وقائل البيت يروى فيه الخبزرزي والخبزارزي.

(٤) **العبير** الزعفران أو ضرب من الطيب مركب من أنواع منه. **والغِلالة** بالكسر شعار يلبس تحت الثوب أو الدرع ولا يكون إلّا رقيقًا. **والأديم** الجلد. فإن كان جوهر ما يصفه نسيمًا =

وَأَمَّا ٱلْبَيْتُ ٱلَّذِي يَسْهُلُ عَكْسُهُ فَكَقَوْلِ حَسَّانٍ:

بِيضُ ٱلْوُجُوهِ كَرِيمَةٌ أَحْسَابُهُمْ ... شُمُّ ٱلْأُنُوفِ مِنَ ٱلطِّرَازِ ٱلْأَوَّلِ(١)

وَأَمَّا ٱلْبَيْتُ ٱلَّذِي هُوَ أَطْوَلُ مِنْ مِثْلِهِ فَكَحَمَاقَةِ ٱلْمُتَنَبِّي:

عِشْ أَبْقَ أَسْمُ سُدْ جُدْ قُدْ مُرِ ٱنْهَ أَسْرُ فُهْ تُسَلْ
غِظْ أَرْمِ صِبِ ٱحْمِ ٱغْزُ ٱسْبِ رُعْ زَعْ دِ لِ ٱثْنِ نَلْ(٢)

وَأَمَّا ٱلْبَيْتُ ٱلَّذِي هُوَ مُهِينٌ بِحَرْفٍ وَرَهِينٌ بِحَذْفٍ. فَكَقَوْلِ أَبِي نُوَاسٍ:

= مرّ على طيب وشعار الذي يخطر فيه من ماء وهو تمثال من النور في جلد من الهواء فكيف يحس بحاسة اللّمس. فمعنى أن البيت لا يلمس أنه مثل لنا من اللّطف ما يقصر عن دركه اللّمس أو ما لا تتأتى منه المصادمة حتى يؤثر في اللّمس. ويروى: عود بدل نور وهو غلط.

(١) **الشمم** ارتفاع قصبة الأنف واستواء أعلاها في حسن. **والشم** جمع أشم لمن اتصف بالشمم ثم صار الشمم كناية عن عزّة النفس والشهامة. فشم الأنوف أباة الضيم من الطراز الأول أي النمط الأعلى الذي لا يتقدم عليه في الكمال غيره. ولو عكست فقلت «شم الأنوف من الطراز الأول. بيض الوجوه كريمة أحسابهم» لكان المعنى كما هو وهو معنى سهولة العكس.

(٢) **عش** طلب من عاش يعيش. **وابق** من البقاء. **واسم** من السمو وهو الارتفاع. **وسد** من السيادة. **وجد** من الجود. **وقد** من قاد يقود قيادة يريد قيادة الجيش. **ومر** من أمر يأمر. **وانْهَ** من نهى ينهى. **واسر** من السرو وهو المروءة في سخاء. **وفه** من فاه إذا تكلم. أي تكلم بما لديك من العلوم وما اختزنه سرّك من المعارف العالية. **تسل** أي تسأل عما أشكل لحله وما غمض لتوضيحه وقد يفسر «فه» بالأمر بالعطايا وتسل بسؤال الحاجات فيكون **فه** مكرر جد. **وغلظ** من غاظه أي غظ أعداءك وارم من الرمي. **وصب** من صاب السهم لغة في أصاب. ومنه قول المتنبي أيضًا:

ورمى وما رمتا يداه فصابني ... سهم يعذب والسهام تريح

واحم من الحماية أي احم أولياءك. **واغز** من الغزو أي أغز أعداءك. **واسب** من سباء. أي أسب وأسر لنا الأعداء وذراريهم. **ورع** من راعه إذا أخافه. **وزع** من وزعه أي كفه. **ود** من وداه إذا أعطى ديته أي تحمل الدية عمن تلزمه من أنصارك. **ول** من الولاية. **واثن** من ثنى يثني أي حول قصد أعدائك عن السير إلى أرضك بما تقيم عليها من أسوار المهابة وما تبعثهم إلى قلوبهم من جيوش الرعب. **ونل** من النيل أي نل أمانيك وأبلغها بسعدك وجدك. وفي نسخة بدل نل صل وهو في معنى جد المتقدم. ويروى: مر أنه رف أسر نل. **ور** أمر من ورى الزند خرج شراره وهو كناية عن النجاح والظفر. **وف** أمر من الوفاء. **ونل هي** في معنى جد. والرواية التي اخترناها أقل تكرارًا وأجود.

لَقَدْ ضَاعَ شِعْرِي عَلَى بَابِكُمْ كَمَا ضَاعَ دُرٌّ عَلَى خَالِصَهْ[١]

وَكَقَوْلِ ٱلآخَرِ:

إِنَّ كَلَامًا تَرَاهُ مَدْحًا كَانَ كَلَامًا عَلَيْهِ ضَاءَ[٢]

يَعْنِي أَنَّهُ إِذَا أَنْشَدَ «ضَاعَا» كَانَ هِجَاءً. وَإِذَا أَنْشَدَ «ضَاءَ» كَانَ مَدْحًا. قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ: فَتَعَجَّبْتُ وَٱللَّهِ مِنْ مَقَالِهِ. وَأَعْطَيْتُهُ مَا يَسْتَعِينُ بِهِ عَلَى تَغْيِيرِ حَالِهِ. وَٱفْتَرَقْنَا.

---

(١) **خالصة** جارية كانت للرشيد قبيحة المنظر غير أنه كان يحبها فيزينها بثمين الحلى. قالوا ورآها أو سمع بها أبو نواس مرة فكتب على الباب هذا البيت فجرى ذلك مثلًا فيمن لا تفيده الزينة شيئًا لقبح خلقته. وشكت للرشيد لما خبرت بالبيت فدعا أبو نواس فمرّ بالباب فمحا العين إلّا رأسها فبقيت همزة فلما وبّخه الرشيد على صنعه قال: لم أفعل موجب العتب وإن شئت فانظر إلى البيت. فلما رآه الرشيد عجب من رقاعته وقال: هذا بيت قلعت عينه. فخروج البيت من باب الهجاء إلى باب المدح أو رجوعه من المدح إلى الهجاء متعلق بحرف واحد الهمزة تصير عينًا أو العين تصير همزة.

(٢) ما وجدت من الكلام مدحًا لهذا الممدوح فهو كلام **يضوء** أي ينير ويشرق على ذلك الممدوح لأنه أهل له فإذا أبدلت الهمزة بالعين كان المعنى فهو كلام ضائع عليه كاللباس الفاخر يضيع على لابسه إن لم يكن أهلًا للبسه. والشاعر وضع البيت على خيار المنشد إن شاء أبقاه مدحًا وإن شاء حوّله إلى هجاء حتى إذا ليم على المدح قال إنما قلت ضاعا وإذا عوتب على الذّم قال إنما قلت ضاء.

المقَامَةُ ٱلحَمْدانيَّة

حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ: حَضَرْنَا مَجْلِسَ سَيْفِ ٱلدَّوْلَةِ بْنِ حَمْدَانَ يَوْمًا وَقَدْ عُرِضَ عَلَيْهِ فَرَسٌ. مَتَى مَا تَرَقَ ٱلْعَيْنُ فِيهِ تُسْهِلِ(١). فَلَحَظَتْهُ ٱلْجَمَاعَةُ وَقَالَ سَيْفُ ٱلدَّوْلَةِ: أَيُّكُمْ أَحْسَنَ صِفَتَهُ. جَعَلْتُهُ صِلَتَهُ(٢). فَكُلٌّ جَهَدَ جَهْدَهُ. وَبَذَلَ مَا عِنْدَهُ. فَقَالَ أَحَدُ خَدَمِهِ: أَصْلَحَ ٱللَّهُ ٱلْأَمِيرَ رَأَيْتُ بِٱلْأَمْسِ رَجُلًا يَطَأُ ٱلْفَصَاحَةَ بِنَعْلَيْهِ(٣). وَتَقِفُ ٱلْأَبْصَارُ عَلَيْهِ. يَسْأَلُ ٱلنَّاسَ وَيَسْقِي ٱلْيَأْسَ(٤). وَلَوْ أَمَرَ ٱلْأَمِيرُ بِإِحْضَارِهِ لَفَضَلَهُمْ بِحِضَارِهِ(٥). فَقَالَ سَيْفُ ٱلدَّوْلَةِ: عَلَيَّ بِهِ فِي هَيْئَتِهِ. فَطَارَ ٱلْخَدَمُ فِي طَلَبِهِ. ثُمَّ جَاؤُوا لِلْوَقْتِ بِهِ(٦). وَلَمْ يُعْلِمُوهُ لِأَيَّةِ حَالٍ دُعِيَ. ثُمَّ قُرِّبَ وَٱسْتُدْنِيَ وَهُوَ فِي طِمْرَيْنِ قَدْ أَكَلَ ٱلدَّهْرُ عَلَيْهِمَا وَشَرِبَ(٧). وَحِينَ حَضَرَ ٱلسِّمَاطَ(٨) لَثَمَ ٱلْبِسَاطَ. وَوَقَفَ فَقَالَ سَيْفُ

---

(١) أي إن أعلاه سواء في الاحسن مع أدناه فلا ترتقي العين لنظر أعاليه حتى تنحط إلى أسافله إعجابًا بما فيها من المحاسن. وأصل **تسهل** من أسهل إذا نزل إلى السماء وكأنه يشير إلى أنه مع حسنه سلهب تصعد العين فيه لتصل إلى أعلاه ثم تسهل ليخالط البصر أدناه.

(٢) **الصلة** العطية. أي من أجاد في وصفه وهبته له.

(٣) **نللت** له الفصاحة حتى كأنه افترشها فهو يطأها بنعليه أو أنه خيل الفصاحة قد صارت له مهادًا وهو بكلامه يسري على أديمها كما يمشي بنعليه على أديم الأرض. ووقوف الأبصار عليه لشدة ما تعجب به فلا يستميلها عنه منظر غير منظره.

(٤) في نسخة بدل **يسال** الناس أي يستعطيهم **يشلي** الناس أي يغريهم بإعطائه أو يدعوهم إليه بفصاحته. **ويسقي الياس** من سقي فلان فلانًا إذا عابه. أي يعيب ما وصل إليه من اليأس والقنوط. وقد يروى البأس بمعنى الشدة التي هو فيها كان للفقر عليه بأسًا وصولة.

(٥) **الحضار** بكسر الحاء مصدر حاضر الجواب جاء به حاضرًا. أي لفاق على هؤلاء بسرعة جوابه الحاضر.

(٦) جاءوا به للوقت أوصلوه إلى سيف الدولة في ذلك الوقت عينه.

(٧) **الطمران** ثوبان باليان كساء وإزار. **واكل الدهر وشرب عليهما** مثل لطول الزمان عليهما في الابتذال والامتهان حتى خلقا وبليا.

(٨) **السماط** مفعول حضر. والسماط صف الحاضرين مع سيف الدولة وبين يديه. **ولثم البساط** قبله تعظيمًا للملك ومقامه. ويروى: شم البساط وهو كناية عن لثمه.

ٱلدَّوْلَةِ: بَلَغَتْنَا عَنْكَ عَارِضَةٌ(١) فَأَعْرِضْهَا فِي هٰذَا ٱلْفَرَسِ وَوَصْفِهِ. فَقَالَ: أَصْلَحَ ٱللَّهُ ٱلأَمِيرَ كَيْفَ بِهِ قَبْلَ رُكُوبِهِ وَوُثُوبِهِ. وَكَشْفِ عُيُوبِهِ وَغُيُوبِهِ. فَقَالَ: ٱرْكَبْهُ. فَرَكِبَهُ وَأَجْرَاهُ ثُمَّ قَالَ: أَصْلَحَ ٱللَّهُ ٱلأَمِيرَ هُوَ طَوِيلُ ٱلأُذُنَيْنِ. قَلِيلُ ٱلإِثْنَيْنِ. وَاسِعُ ٱلْمَرَاثِ(٢). لَيِّنُ ٱلثَّلَاثِ. غَلِيظُ ٱلأَكْرُعِ(٣). غَامِضُ ٱلأَرْبَعِ. شَدِيدُ ٱلنَّفَسِ(٤). لَطِيفُ ٱلْخَمْسِ. ضَيِّقُ ٱلْقَلْتِ(٥). رَقِيقُ ٱلسِّتِّ. حَدِيدُ ٱلسَّمْعِ(٦). غَلِيظُ ٱلسَّبْعِ. دَقِيقُ ٱللِّسَانِ. عَرِيضُ

---

(١) **العارضة** اللسن والبيان. وقوله **فاعرضها** أي أظهرها.

(٢) **المراث والمروث** خوران الفرس. **والخوران** المبعر يجتمع عليه حتار الصلب أو هو رأس المبعرة أو الذي فيه الدبر. **والحتار** لكل شيء ما استدار به وحرّفه. وقوله: لين الثلاث سيأتي بيانه في كلامه.

(٣) **الأكرع** جمع كراع وهو من الدواب ما دون الكعب ومن الإنسان ما دون الركبة أو هو مستدق الساق. وغامض الأربع يأتي تفسيرها.

(٤) **النفس** بالتحريك أي إذا تنفس كان نفسه شديدًا. قال بعض العرب في تعداد محامد الفرس: أن يشتد نفسه ويرحب متنفسه. **والمتنفس** بفتح المشدد المنخر. وقال شاعرهم:

لها منخر كوجار السباع ... فمنه تريح إذا تبتهر

والوجار جحر الضبع مبالغة في نعت منخرها بالسعة. ويروى: النفس بسكون الفاء وشدة النفس بشهامتها وهي تمتدح في الخيل كما تمدح في الرجال.

(٥) **القلت** النقرة في رأس الورك وهي الخربة وفي جوفها الموقف وهو **عصبة** في الخربة إذا انفكت عرجت الدابة ثم لا تبرأ أبدًا. قال النابغة:

شديد قلات الموقفين كأنما ... به نفس أو قد أراد ليزفرا

ويقال للقلت هذا حق أيضًا. ويطلق **الحق** كذلك على رأس الورك الذي فيه عظم الفخذ ورأس العضد الذي فيه الوابلة والنقرة في رأس الكتف وأصله كل ما يثبت فيه شيء فلا تلتبس عليك المعاني من عبارات اللغويين. ويروى: القلف وهو تحريف وسيأتي الكلام في رقيق الست.

(٦) **حديد السمع** أي حديد الأذن. فعبّر عن الأذن بالسمع لأنها آلته. ومن ممادح الخيل أن تكون أذناها محددتين رقيقتين منتصبتين. قال عتبة:

وترى أذنها كإعليط مرخ ... حدة في لطافة وانتصاب

ولابن دريد: «يدير إعليطين في ملمومة» **والإعليط** وعاء ثمر **المرخ** بالخاء وهو شجر سريع الوري قالوا: إذا سحق المرخ على العفار وهما أخضران رطبان انقدحت النار ومنه المثل: «في كل شجرة نار واستمجد المرخ والعفار». **والملمومة** الهامة المجتمعة. ويصح أن يكون السمع على حقيقته من القوة السامعة. وحدته قوته. قال المعري:

كأن أذنيه أعطت قلبه خبرًا ... عن السماء بما يلقى من الغير =

ٱلثَّمَانِ. مَدِيدُ ٱلضِّلْعِ(١). قَصِيرُ ٱلتِّسْعِ. وَاسِعُ ٱلشَّجْرِ(٢). بَعِيدُ ٱلْعَشْرِ. يَأْخُذُ بِٱلسَّابِحِ(٣). وَيُطْلِقُ بِٱلرَّامِحِ. يَطْلُعُ بِلَائِحٍ وَيَضْحَكُ عَنْ قَارِحٍ. يَحُزُّ وَجْهَ ٱلْجَدِيدِ. بِمَدَاقِّ ٱلْحَدِيدِ(٤). يُحْضِرُ كَٱلْبَحْرِ إِذَا مَاجَ(٥). وَٱلسَّيْلِ إِذَا هَاجَ. فَقَالَ سَيْفُ ٱلدَّوْلَةِ: لَكَ ٱلْفَرَسُ مُبَارَكًا فِيهِ. فَقَالَ: لَا زِلْتَ تَأْخُذُ ٱلْأَنْفَاسَ. وَتَمْنَحُ ٱلْأَفْرَاسَ(٦). ثُمَّ

= وقال المتنبي:

وتنصب للجرس الخفي سوامعًا يخلن مناجاة الضمير تناجيا

ومثل ذلك كثير في كلامهم للوصفين كل يحمد. وسيأتي الكلام في غليظ السبع.

(١) **مديد الضلع** سابغ الضلوع مستكملها وهو من دلائل أحكام الخلق. ومديد الضلوع يسمى الجرشع. وسيأتي تبيين التسع. وفي نسخة: بدل مديد الضلع شديد الضلع والمعنى فيها ظاهر.

(٢) أراد من **الشجر** شق الشدقين ويوصف واسع الفم من الخيل **بالهريت** قال:

هريت قصير عذار اللّجام أسيل طويل عذار الرسن

يقول: قصر عذار لجامه لاستطالة شق شدقيه وطال عذار رسنه لسيلان خديه واستطالتهما. ويروى: بدل الشجر النحر. وسيأتي الكلام على بعيد العشر.

(٣) **سبح الفرس** عدا عدوًا سريعًا. وأول ما ينطلق للجري من الفرس يداه ورجلاه تركضان الأرض لاعتماده عليهما عند نقل اليدين. واستعمل يأخذ ههنا موضع يمسك. يريد أن يصفه **بالتحجيل** فيقول: إنه محجل اليدين مطلق الرجلين وسمى اليدين **سابحًا** لأن بهما أول الجري. وسمى الرجلين **رامحًا** من رمح بمعنى ركض أي يدفع برجله في الأرض. وقوله: يطلع بلائح يريد أنه يقبل عليك **بلائح** وهو الفجر في جبهته يصف غرته وأنها لامعة في وجهه كما يلوح الصبح في برد الظلام. وأراد من الضحك ما يلزمه من بدو الأسنان **وقارح الفرس** سنّه التي يصير بها قارحًا. **وقرح الفرس قروحًا** شق نابه وطلع وهو في الخيل كالبازل في الإبل. والفلو في السنة الأولى حولي ثم جذع ثم ثني ثم رباع ثم قارح يستوي في لفظه الذكر والأنثى.

(٤) **الجديد** بالجيم وجه الأرض. **ويحزه** يقطعه. ويروى: **يخد** أي يشق. وفي نسخة: **الكديد** بالكاف وهو الأرض الغليظة. **والمداق** جمع مدق بكسر ففتح أو بضمتين وهو آلة يدق بها. وإضافتها إلى الحديد لأنها منه كما تقول خاتم فضة. وأراد من **مداق الحديد** حوافره فكأنها لصلابتها جبلت من حديد.

(٥) **احضر الفرس** ارتفع في عدوه. والاسم الحضر بالضم وإذا ماج البحر أي اضطرب تلاحقت أمواجه بسرعة شديدة جدًا فكذلك هذا الفرس إذا عدا تلاحق كفله بصهوته وصهوته بهاديه كما تتلاحق أمواج البحر المائج.

(٦) أراد **بالأنفاس** جمع نفس بالتحريك وهو هذا الهواء المندفع من رئة الحيوان أو الإنسان عبّر به عن الكلام لأن القول أشكال لذلك النفس إذا تكيف بالصوت وقطع بالحروف. يدعو له بملازمة الفضل في اشتراء الكلام الجيد بالخيل الجياد أي لا زلت تعاوض عن =

ٱنْصَرَفَ وَتَبِعْتُهُ وَقُلْتُ لَكَ عَلَيَّ مَا يَلِيقُ بِهٰذَا ٱلْفَرَسِ مِنْ خِلْعَةٍ(١) إِنْ فَسَّرْتَ مَا وَصَفْتَ. فَقَالَ: سَلْ عَمَّا أَحْبَبْتَ. فَقُلْتُ: مَا مَعْنَى قَوْلِكَ بَعِيدُ ٱلْعَشْرِ. فَقَالَ: بَعِيدُ ٱلنَّظَرِ(٢) وٱلْخطْوِ وَأَعَالِي ٱللَّحْيَيْنِ(٣). وَمَا بَيْنَ ٱلْوَقْبَيْنِ. وَٱلْجَاعِرَتَيْنِ(٤). وَمَا بَيْنَ ٱلْغُرَابَيْنِ. وَٱلْمِنْخَرَيْنِ(٥). وَمَا بَيْنَ ٱلرِّجْلَيْنِ(٦). وَمَا بَيْنَ ٱلْمَنْقَبِ وَٱلصِّفَاقِ(٧). بَعِيدُ ٱلْغَايَةِ فِي ٱلسِّبَاقِ. فَقُلْتُ: لَا فُضَّ فُوكَ فَمَا مَعْنَى قَوْلِكَ قَصِيرُ ٱلتِّسْعِ. قَالَ: قَصِيرُ ٱلشَّعْرَةِ قَصِيرُ ٱلْأُطْرَةِ قَصِيرُ ٱلْعَسِيْبِ. قَصِيرُ القَضِيبِ. قَصِيرُ ٱلْعَضُدَيْنِ قَصِيرُ ٱلرُّسْغَيْنِ. قَصِيرُ ٱلنَّسَا قَصِيرُ ٱلظَّهْرِ قَصِيرُ ٱلْوَظِيفِ(٨). فَقُلْتُ: لِلَّهِ أَنْتَ فَمَا مَعْنَى قَوْلِكَ: عَرِيضُ

= الأنفاس بالأفراس ولما لم تكن المعاوضة معاوضة مال بمال جعل أحد طرفيها أخذًا والآخر منحة.

(١) أراد **بالخلعة** سرجه ولجامه وآلاتهما.

(٢) بعيد النظر يرى الشيء على بعد وهو من محامد أوصاف الخيل يكثر ذكره في أشعارهم ويطول.

(٣) **اللّحيان** تثنية لحي وهو عظم الحنك الذي عليه الأسنان. ويروى: الجنبين. **وبعد الجنبين** كناية عن متانة الخلق.

(٤) **الوقبان** من الفرس هزمتان فوق عينيه. **والجاعرتان** مضرب الفرس بذنبه على فخذيه أو هما حرفا الورك المشرفان على الفخذين. ويقال: كوى دابته على جاعرتيها من المعنى الأول أو الثاني. أي بعيد ما بين الوقب والوقب وما بين الجاعرة والجاعرة. وكان الصواب تكرير لفظ بين في الجاعرتين فإن العبارة كما هي توهم أن المراد البعد ما بين مجموع الوقبين والجاعرتين فيكون الوقبان طرفًا والجاعرتان طرفًا آخر وليس كذلك فإن العدد يمنعه.

(٥) **الغرابان** طرفا الوركين الأسفلان يليان أعالي الفخذين. وقوله: **والمنخرين** أي بعيد ما بينهما. وكان الصواب زيادة «ما بين» أيضًا.

(٦) بعد ما بين الرجلين تارة يكون **فججًا** أو **فحجًا** وهو مذموم لكنه يريد تباعدًا مع السلامة من العيبين وصاحب هذا الوصف المحمود هو الملقب بالمجنب.

(٧) **المنقب** الموضع الذي ينقبه البيطار من بطن الدابة وهو على السرّة ينقبه البيطار ليخرج من السرّة ماء أصفر قال: «إقب لم ينقب البيطار سرّته»، **والصفاق** هو الجلد الأسفل تحت الذي عليه الشعر أو ما بين الجلد والمصران أراد بذلك أن يكون متين الجلدة واسعها. ويروى: الثقبة والنقبة ولا موضع لهما إلّا بتكلف.

(٨) **قصير الشعرة** أي أجرد من الخيل. **والأطرة** بالضم ما أحاط بالظفر من اللحم أراد منها هنا **الإطار** وهو ما أحاط بالشعر من الحافر وهو دائره الأعلى. وسوّغ له هذا الإطلاق أن الإطار كما أنه محيط بالحافر فمنزلته منه بمنزلة ما أحاط بالظفر منه. وأراد من **قصره** أن لا يكون بين الحافر والشعر فاصل عريض وهو دليل **الضبارة** وهي اجتماع الخلق وشدّته. =

ٱلثَّمَانِ. قَالَ: عَرِيضُ ٱلْجَبْهَةِ عَرِيضُ ٱلْوَرِكِ عَرِيضُ ٱلصَّهْوَةِ عَرِيضُ ٱلْكَتِفِ عَرِيضُ ٱلْجَنْبِ عَرِيضُ ٱلْعَصَبِ عَرِيضُ ٱلْبَلْدَةِ(١) عَرِيضُ صَفْحَةِ ٱلْعُنُقِ. فَقُلْتُ: أَحْسَنْتَ فَمَا مَعْنَى قَوْلِكَ غَلِيظُ ٱلسَّبْعِ. قَالَ: غَلِيظُ ٱلذِّرَاعِ غَلِيظُ ٱلْمَحْزِمِ(٢) غَلِيظُ ٱلْعُكْوَةِ غَلِيظُ ٱلشَّوَى غَلِيظُ ٱلرُّسْغِ(٣) غَلِيظُ ٱلْفَخِذَيْنِ غَلِيظُ ٱلْحَاذِ(٤). قُلْتُ: لِلَّهِ دَرُّكَ فَمَا قَوْلُكَ رَقِيقُ ٱلسِّتِّ. قَالَ: رَقِيقُ ٱلْجَفْنِ رَقِيقُ ٱلشَّالِفَةِ(٥) رَقِيقُ ٱلجَحْفَلَةِ رَقِيقُ ٱلْأَدِيمِ رَقِيقُ أَعَالِي ٱلْأُذُنَيْنِ رَقِيقُ ٱلْعُرُضَيْنِ(٦) فَقُلْتُ: أَجَدْتَ فَمَا مَعْنَى قَوْلِكَ لَطِيفُ ٱلْخَمْسِ. فَقَالَ: لَطِيفُ ٱلزَّوْرِ لَطِيفُ ٱلنَّسْرِ لَطِيفُ ٱلْجَبْهَةِ(٧) ....

= **والعسيب** عظم الذنب. **والعضد منه** ما غلظ من ذراعك الذي بين المرفق والكتف وهو من الفرس مثل ذلك ما بين الركبة والكتف. **والرسغ** المستدق بين الحافر وموصل الوظيف من اليد والرجل. **والنسا** عرق يخرج من الورك فيستبطن الفخذين ثم يمر بالعرقوب حتى يبلغ الحافر. وأراد من قصر النسا شدته وصلابته لأنه لو طال لكان مسترخيًا ضعيفًا والمعروف في كلامهم مدح الخيل بصلابة النسا لا بقصره وأراد من **الظهر** مركب الفارس منه كان الصهوة. **والوظيف** مستدق الذراع والساق وأراد من جمع أطراف القصر في أعضائه هذه أنه مضبر الخلقة محكمها. لكن إذا قصر عضداه ورسغاه ونساه ووظيفه كان كل قائم فيه قصيرًا فكان الفرس كاللاطئ بالأرض وأي مدح فيه إلّا أن يريد من القصر في بعضها لازمه من الاكتناز والقوة كما تقدم.

(١) **الصهوة** مقعد الفارس من الفرس. **والعصب** أطناب المفاصل وعريضها أوثقها وأقواها. **والبلدة** الصدر. ويروى: العكدة بدل البلدة. **والعكدة** العصعص ولا معنى لذكره هنا إلّا على بعد المناسبة وكأنه يريد العكوة.

(٢) **المحزم** موضع الحزام.

(٣) **العكوة** أصل ذنب الدابة حيث عري من الشعر من المغرز. **والشوى** جلدة الرأس. **والرسغ** تقدم تفسيره.

(٤) **الحاذ** الظهر أو موضع اللبد منه. وأراد غلظًا بلا سمن. وفي نسخة: بدل الحاذ «الحبال» بمعنى العروق وأربطة اليد.

(٥) **شالفة الفرس** هاديه وهو ما تقدم من عنقه. **والجحفلة** بتقديم الجيم للخيل والبغال والحمير بمنزلة الشفة للإنسان. **والأديم** الجلد. ويروى: بدل الجفن الخصر. ويروى: في كلها دقيق بدل رقيق.

(٦) **العرضان** جانب العنق. ويروى: الغرضين بالغين المعجمة ولا معنى له هنا.

(٧) **النسر** لحمة في باطن الحافر كأنها نواة أو حصاة وما ارتفع في باطن حافر الفرس من أعلاه. ويروى: البشرة بدل النسر. **والبشرة** ما ظهر من جلد الإنسان أطلقها هنا عن قيدها. **والجبهة** مستوى ما بين الحاجبين. وفي نسخة: **الجبة** وهي حجاج العين أي العظم =

لَطِيفُ ٱلرُّكْبَةِ لَطِيفُ ٱلْعُجَايَةِ(١). فَقُلْتُ: حَيَّاكَ ٱللَّهُ فَمَا مَعْنَى قَوْلِكَ غَامِضُ ٱلْأَرْبَعِ. قَالَ: غَامِضُ أَعَالِي ٱلْكَتِفَيْنِ(٢) غَامِضُ ٱلْمَرْفِقَيْنِ. غَامِضُ ٱلْحِجَاجَيْنِ. غَامِضُ ٱلشَّظَى. قُلْتُ: فَمَا مَعْنَى قَوْلِكَ لَيِّنُ ٱلثَّلَاثِ. قَالَ: لَيِّنُ ٱلْمَرْدَغَتَيْنِ لَيِّنُ ٱلْعُرْفِ لَيِّنُ ٱلْعِنَانِ(٣). قُلْتُ: فَمَا مَعْنَى قَوْلِكَ قَلِيلُ ٱلْإِثْنَيْنِ. قَالَ: قَلِيلُ لَحْمِ ٱلْوَجْهِ قَلِيلُ لَحْمِ ٱلْمَتْنَيْنِ(٤) قُلْتُ: فَمِنْ أَيْنَ مَنبِتُ هٰذَا ٱلْفَضْلِ. قَالَ: مِنَ ٱلثُّغُورِ ٱلْأُمَوِيَّةِ(٥). وَٱلْبِلَادِ ٱلْإِسْكَنْدَرِيَّةِ. فَقُلْتُ: أَنْتَ مَعَ هٰذَا ٱلْفَضْلِ. تُعَرِّضُ وَجْهَكَ لِهٰذَا ٱلْبَذْلِ(٦). فَأَنْشَأَ يَقُولُ:

سَاخِفْ زَمَانَكَ جِدًّا ... إِنَّ ٱلزَّمَانَ سَخِيفْ(٧)

= الذي ينبت عليه الحاجب. وفي نسخة: **الجبه** بالتحريك وهو اتساع الجبهة وحسنها.

(١) العجاية عصب مركب فيه فصوص من عظام كفصوص الخاتم عند رسغ الدابة.

(٢) **غامض اعالي الكتفين** ليس بناشزهما فهو مكتنز اللّحم غاب فيه ناتئ العظم. قال امرؤ القيس:

كأن على الكتفين منه إذا انتحى ... مداك عروس أو صلاية حنظل

والمداك الحجر الذي يسحق عليه الطيب. **والصلاية** الحجر الأملس الذي يكسر عليه أو يدق الحنظل يشبه أعلى كتفيه بهما في الملاسة والاستواء. **والمرفقان** مؤخر العضلين اللذين يتصل عليهما العضدان. **والحجاجان** منبت الحواجب ويروى بدل الحجاجين الحجابين والحاجبين وكلاهما غلط. **والشظى** عظيم مستدق لازق بالركبة أو بالذراع أو بالوظيف أو عصب صغار فيه. وغموض هذه الأشياء أن لا تكون بارزة ناشزة.

(٣) **المردغة** ما بين العنق والترقوة واللّحمة بين وابلة الكتف **وجناجن الصدر** أي عظامه **والعرف** الشعر النابت على محدب عنق الفرس. **والعنان** سير اللّجام. وأراد بلين هذه الأشياء سهولة انعطافها فكلما أراد الفارس عطف الفرس انعطف إلى حيث يريد.

(٤) **متنا الظهر** ما يكتنفان الصلب عن يمين وشمال من عصب. وقد جمع قلة اللّحمين طفيل الغنوي في قوله: «معرقة الألحى تلوح متونها» **والألحى** جمع لحي. **والمعرقة** التي لا لحم عليها. **وتلوح متونها** تظهر من قلة اللّحم عليها.

(٥) **الاموية** نسبة إلى بني أمية. **وإسكندرية** التي ينتسب إليها من ثغور الأندلس لا الإسكندرية المشهورة من بلاد مصر.

(٦) **بذل الوجه** يراد منه هنا هوانه واحتقاره كأنه مصدر للمجهول **والوجه المبذول** المهان المحتقر. ويروى: النذل ولا معنى له هنا لأنه لا يريد سب سيف الدولة وعرض وجهه للهوان جعله في سبيله.

(٧) **المساخفة** المحامقة كأن كلًّا من المتفاعلين يعامل الآخر بالحماقة. وحيث إن الزمان =

دَعِ الْحَمِيَّةَ نِسْيًا وَعِشْ بِخَيْرٍ وَرِيفِ[(١)]
وَقُلْ لِعَبْدِكَ هٰذَا يَجِيئُنَا بِرَغِيفِ

= سخيف أحمق لهذا تراه لا يواتي إلّا الحمقى فإن لم تكن سخيفًا فساخفه. ويروى: «فالدهر جد سخيف» بإضافة جد إلى سخيف فيصبح إطلاق القافية بجر الفاء في سخيف وما بعدها.

(١) **الحمية** الأنفة مما يشين عرضًا أو يمس شرفًا وكم يحتمل صاحبها في التوقي من الضيم والانتقام للنفس ممن يرومها بالسوء وكم يحرم من منافع كان يصيبها لو لم تنب به الحمية عن مواردها فهو يأمر بترك الحمية بل بنسيانها. **والوريف** ذو السعة في المأكل والمشرب. لكن أهل الحمية يرون فيها من اللذة ما يرى الإسكندريّ في السخافة بل ما يجدونه أوفر مما يجده.

المقَامَةُ ٱلرُّصَافيَّة

حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ: خَرَجْتُ مِنَ ٱلرُّصَافَةِ(١) أُرِيدُ دَارَ ٱلْخِلَافَةِ. وَحَمَارَّةُ ٱلْقَيظِ(٢) تَغْلِي بِصَدْرِ ٱلْغَيْظِ. فَلَمَّا نَصَفْتُ ٱلطَّرِيقَ ٱشْتَدَّ ٱلْحَرُّ. وَأعوزَنِي ٱلصَّبْرُ(٣). فَمِلْتُ إِلَى مَسْجِدٍ قَدْ أَخَذَ مِنْ كُلِّ حُسْنٍ سِرَّهُ(٤). وَفِيهِ قَوْمٌ يَتَأَمَّلُونَ سُقُوفَهُ. وَيَتَذَاكَرُونَ وُقُوفَهُ(٥). وَأَدَّاهُمْ عَجُزُ ٱلْحَدِيثِ(٦). إِلَى ذِكْرِ ٱللُّصُوصِ وَحِيَلِهِمْ. وَٱلطَّرَارِينَ(٧)

---

(١) **الرصافة المشهورة** محلة من بغداد وهي الجانب الشرقي منها. فإن كانت المرادة هنا وكانت دار الخلافة مقام الخلفاء في مدينة بغداد فهو كان يذهب من أحد جوانب المدينة إلى جانب منها وهو بعيد من العبارة لأن المسافة بين محلتين في مدينة واحدة لا يعوز الصبر قاطعها ما طالت واشتد الحر فيها فالمراد هنا بلدة قرب البصرة ودار الخلافة مدينة بغداد.

(٢) **حمارّة القيظ** شدّة الحر. ويروى: **جمارة القيظ** جمع جمرة. وأصل الغليان للماء عند بلوغ الحرارة به أشد درجاتها. ثم قيل فلان يغلي صدره من الغيظ تشبيهًا لما يتردد في الصدر عند الغضب بغليان للماء في القدر وانتشر الاستعمال في ذلك حتى صار أشبه بالحقيقة منه بالمجاز وعد أصلًا يلحق به ما ماثله فساغ أن يتخيل لحمارة القيظ نفسًا يفعل بها الغيظ وصبدرًا يغلي بحرارته وأن تصور في صورة غضوب مسّه ما يغيظه فهو منه في جيشان وغليان.

(٣) **أعوزه الصبر** يلتمسه ولا يجده.

(٤) **سر الحسن** خالصه.

(٥) لعله أراد من **الوقوف** جمع واقف كنى بها عن الأعمدة والأساطين. فالقوم ينظرون إلى سقوفه عجبًا بما رسم فيها من محاسن النقوش وما حليت به من أنواع الزينة ثم يذكرون سواريه وجودة معدنها وحسن اعتدالها وتناسب أجزائها وما ينحو نحو ذلك. وقد يراد من **الوقوف** جمع وقف وهو ما حبس على المسجد لينفق من ريعه عليه وإن كان الأشهر في جمعه أوقاف. وتذاكرهم الوقوف لأن وفرة ريعها هي التي مكنت من اتقان بنائه وتزيين سقوفه.

(٦) **عجز الحديث** آخره تشبيهًا بعجز الدابة.

(٧) **الطرارون** سلبة الأموال اختلاسًا.

وَعَمَلِهِمْ[(١)]. فَذَكَرُوا أَصْحَابَ ٱلْفُصُوصِ. مِنَ ٱللُّصُوصِ. وَأَهْلَ ٱلْكَفِّ[(٢)] وَٱلْقَفِّ[(٣)]. وَمَنْ يَعْمَلُ بِٱلطَّفِّ[(٤)]. وَمَنْ يَحْتَالُ فِي ٱلصَّفِّ[(٥)]. وَمَنْ يَخْنُقُ بِٱلدَّفِّ[(٦)]. وَمَنْ يَكْمُنُ فِي ٱلرَّفِّ. إِلَى أَنْ يُمْكِنَ ٱللَّفُّ[(٧)]. وَمَنْ يُبَدِّلُ بِٱلْمَسْحِ[(٨)] وَمَنْ يَأْخُذُ بِٱلْمَزْحِ[(٩)]. وَمَنْ يَسْرِقُ بِٱلنُّصْحِ[(١٠)]. ....

---

(١) إذا طمحت نفس الواحد منهم إلى سرقة مال بعينه نقش اسم صاحب المال على فص مثل فصه ووضعه على خاتمه ثم انتظر بصاحب المال غيبته وجاء بالخاتم لأهل بيته فطلب المال كأنه لرب البيت والخاتم علامة منه على الطلب فلا يجد أهل البيت بدًا من تسليمه له.

(٢) **أهل الكف** الذين يدخلون بين غالب ومغلوب فيكفون الغالب عن المغلوب ويصرفونه عنه وبين ذلك يختلسون ما يمكنهم اختلاسه وهؤلاء غير من يدعون إلى الصلح. أو هم الذين لا حيلة لهم إلّا في أكفهم يختطفون ما يلوح لهم متى ما أمكن الاختطاف ولا يستعملون وسيلة وراء ذلك وإلّا فكل سارق يستعمل كفّه لكن مع حيل أخرى.

(٣) **القف** يظهر أنه مصدر من قف الصيرفي سرق الدراهم بين أصابعه والمصدر المعروف فيه **القفوف** لا القف فلعله مصدر لم يروه بعض نقلة اللغة ورواه المصنف.

(٤) **طف الإناء** طفافه وهو ما ينقص من ملئه. يريد أن منهم من تكون سرقته بالتطفيف في المكيال والانتقاص منه.

(٥) **يحتال في الصف** يقف في صف المصلين حتى إذا اشتغلوا بركوع أو سجود سرق ما أمكن له من ثياب أو نحوها.

(٦) يدخل جماعة منهم إلى بيت ليسرقوا منه فإن وجدوا من يمانعهم كرب البيت أو حارسه بادر أحدهم إلى خنقه وضرب الآخرون دفوفهم فارتفعت أصوات الطبول ولم تسمع صيحة المخنوق وعمي الخبر على سائر الناس إذ لا يتوجه الذهن إلى أن بيتًا فيه دفوف وطبول يكون فيه سارقون وسلبة.

(٧) منهم من يدخل البيت على غفلة من أهله ويرتقي إلى الرف الذي يضعون عليه طرائفهم فيكمن فيه بين الأشياء الموضوعة فيه حتى يتمكن من لفّ ما عليه وطيّه ثم إذا حانت الفرصة وثب من الرف ونجا بما أخذ.

(٨) يضع دراهم رديئة غير رائجة أو زائفة في فمه ثم يتعرض لبعض المتشككين في جودة نقودهم عند قبضها من مشتر أو صيرفي ويستأذنهم في نقدها لهم فيتناول الدراهم ويدنيها من فيه ثم يمسحها يوهم ربها أنه يتبين جودتها وهو في الحقيقة يبدّلها بما وضع في فمه من زائف ونحوه.

(٩) يأخذ منك شيئًا فإذا فطنت له ردّه إليك في هيئة المازح ثم لامك على إغفالك ما كان سرقه وحذرك ضياعه إن أغفلته.

(١٠) **يسرق بالنصح** يكون نصحه هو عين فعل السرقة كأن يدخل على شخص وبين يديه كيس نقود ويقول له: إن فلانًا كان بين يديه كيس مثل هذا (ويضع يده عليه) فدخل عليه =

وَمَنْ يَدْعُو إِلَى ٱلصُّلْحِ(١). وَمَنْ قَمَشَ بِٱلصَّرْفِ(٢). وَمَنْ أَنْعَسَ بِٱلطَّرْفِ(٣) وَمَنْ خَاصَمَ بالحق ومن عالج بالسوق ومن زج إلى خلف. ومن غرّك بالألف. وَمَنْ بَاهَتَ بِٱلنَّرْدِ(٤). ومَنْ أتحفَ بالوَرْدِ. وَمَنْ غَالَطَ بِٱلْقِرْدِ. وَمَنْ كَابَرَ فِي ٱلرَّيْطِ. مَعَ ٱلْإِبْرَةِ وَٱلْخَيْطِ(٥). وَمَنْ جَاءَكَ بِٱلْقُفْلِ(٦). وَشَقَّ ٱلْأَرْضَ مِنْ سُفْلٍ(٧). وَمَنْ نَوَّمَ بِٱلْبَنْجِ(٨). أَوِ ٱحْتَالَ بِنِيرَنْجٍ(٩) ....

= أحد الطرارين فقبض على الكيس هكذا وأخذه من بين يديه وأقبل نحو الباب حتى إذا خرج أغلق الباب هكذا. ويكون هو قد فعل ذلك كله وهرب وصاحب الكيس ذاهل يصغي للحكاية ولا يشعر إلّا وقد تمّت الحيلة عليه. وقد وقع مثل هذا في أيامنا على مشهد منا في بعض الاحتفالات المعروفة في مصر بالموالد.

(١) يرقب متنازعين حتى إذا اشتبك النزاع بينهما جاء ليصلح فمد يده إلى كل منهما يسكن ما هاج ولا يزال يتردد بينهما حتى يتسنى له سلب ما طالت إليه يده منهما أو من أحدهما وهما في شغل بشأنهما وشأنه فيهما.

(٢) **قمش** جمع. وهذا يأتي الصيرفي بعلة أنه يريد صرف دينار مثلًا فيأخذ ما بين يدي الصيرفي ويفر.

(٣) يتناوم عن صاحب المال فيؤثر فيه تناومه فينام فيأخذ المال ويتركه نائمًا.

(٤) **من باهت بالنرد** الذي يذهب للسرقة مستصحبًا النرد فإذا دخل البيت الذي يسرق منه بسط النرد. فإن فطن له ربّ الدار وتحقق أنه يقبض عليه صاح ونادى بأنه يظلمه ولا ينصفه في القمار يمنعه ما أقرّه به ولا يزال به حتى يأخذ منه شيئًا أو ينجو من يده.

(٥) **الريط** جمع ريطة وهو الثوب اللين الرقيق يشبه الملحفة أراد به هنا ما يرتدي به فوق الثياب مطلقًا. **والهميان** الذي يعقد على الدراهم يكون تحت الثياب ولا يتمكن من قطعه وأخذ ما فيه إلّا بكشف الريط فهذا السارق يمشي خلف الرجل فيرفع ريطته إلى عاتقه ويأخذ يخيط طرفها الأسفل بما على العاتق منها ليكشف الهميان فإذا أحسّ به صاحب الهميان وصاح قال له لا تخف فقد كنت أخيط لك ريطتك هكذا أفلا تحب وبهذا ينجو بعد أن يكون قد سرق أو قبل ذلك. وهذا الجواب نوع من المكابرة أي المغالبة ظاهر.

(٦) **من جاء بالقفل** هو الذي يأتي التاجر مثلًا بقفل مكسور أو يسهل فتحه بغير مفتاحه فيضعه التاجر غلقًا لمخزنه فيأتي هذا ويفتحه ويأخذ مما استودع في مخزن التاجر.

(٧) يشق الأرض من أسفل البيت حتى يصل الشق إلى داخله فإذا جاء الليل دخل من الشق فسرق ما شاء.

(٨) يحتال على صاحب المال حتى يطعمه مطعومًا قد خلطه بالبنج إما حلوى أو غيرها **والبنج** مخدر معروف فإذا تناول صاحب المال منه أخذه شبه النوم فينال السارق من ماله ما أراد.

(٩) **النيرنج** ضرب من الشعبذة يشبه السحر ينخدع له ضعفاء القلوب لغرابة ما يرون من مظاهره فيبذلون المال لمنتحليه محتارين لما بهرهم من غرابته. أو يأخذ بأبصارهم ويملك قلوبهم حتى يشغلهم النظر فيه عن حفظ ما يكون بأيديهم فيتمكن السارق من ندله فيندله.

وَمَنْ بَدَّلَ نَعْلَيْهِ(١). وَمَنْ شَدَّ بِحَبْلَيْهِ(٢). وَمَنْ كَابَرَ بِٱلسَّيْفِ(٣) وَمَنْ يَصْعَدُ فِي ٱلْبِيرِ(٤). وَمَنْ سَارَ مَعَ ٱلْعِيرِ(٥). وَأَصْحَابُ ٱلْعَلَامَاتِ(٦). وَمَنْ يَأْتِي ٱلْمَقَامَاتِ. وَمَنْ فَرَّ مِنَ ٱلطُّوْفِ(٧). وَمَنْ لَاذَ مِنَ ٱلْخَوْفِ. وَمَنْ طَيَّرَ بِٱلطَّيْرِ(٨). وَمَنْ لَاعَبَ بِٱلسَّيْرِ. وَقَالَ: ٱجْلِسْ وَلَا ضَيْرْ(٩). وَمَنْ يَسْرِقُ بِٱلْبَوْلِ(١٠). ....

---

(١) يأخذ إلى الحمام أو المسجد نعلين خلقين وينتهز غفلة من المجتمعين ويبدلهما بجديدين.

(٢) يصعد على الجدران أو السطوح مثلًا فيشد حبلًا بما عليها من ثياب وفرش ثم ينزل إلى الأرض ويجذب ما شد به حبليه وإنما أثنى الحبل لأن الغالب على مثل هذا السارق أن يكون معه حبال متعددة ليتمكن من سرقة أشياء متعددة وليس المراد الحصر في الاثنين. وفي بعض النسخ بعد هذا «ومن جاءك كالضيف» والصواب حذفه لأنه يأتي فيمن يقتحم الباب على ذي منتاب. **والمنتاب** الضيف.

(٣) **كابر بالسيف** غالب به وهم قطّاع الطريق.

(٤) يختبئ في بئر حتى إذا أتى المستقون للاستقاء صعد إليهم مع الدلاء فيخافونه يظنونه من الجن فيتذرّع بخوفهم إلى سلبهم. ويروى: يعرج بدل يصعد وهو بمعناه.

(٥) **العير** بالكسر القافلة أي جماعة الإبل تحمل الميرة يسير السارق معها كأنه أحد المسافرين يقصد حيث يقصدون حتى إذا وجد غرة منهم أخذ ما أخذ وتوارى عنهم.

(٦) أراد من **العلامات** ما تتخذه الطوائف المتزهدة لتمييزها بعضها عن بعض كما نراه في أبناء الطرق المتصوفين لهذا العهد وأمثالهم في الملل الأخر فإن لكل طريقة زيًّا يتزيّا به أهلها فمن السارقين من يتزيا بزي من هذه الأزياء ليغر الناس فيأمنوه فيتمكن من اختلاس أموالهم. ومثلهم من يأتي المقامات فهو يلبس لباس الأعلياء ويلج البيوت ويتصل بالمقامات الرفيعة ولا يدفعه الحفاظ حياء وتوقيرًا فينال بذلك بغيته من السرقة.

(٧) **الطوف** العسس. يوهم السارق أنه فار منهم فيدخل بيتًا فما وجده أخذه فإن فطنا له قال إن الطواف يطلبه وإنما جاء ليختفي من طلبهم وهو مظلوم يطلب بلا سبب. فينجو بهذه الحيلة ومثله من لاذ من الخوف يتعلق بك ويلتجئ إليك يوهمك أنه خائف وليس به حتى إذا لاحت له منك غرة أخذ منك ما أخذ وشكرك على حمايته ومضى.

(٨) يتخذ حمامًا يطيّره إلى بعض الدور ثم يدخل إليها ليسرق فإذا فطن له قال جئت لآخذ طيري من داركم.

(٩) **السير** قدة من جلد مستطيلة. واللعب بالسير معروف يخبئون شيئًا في مكان ويطلب من الشخص أن ينبئ عنه فإن لم يصب ضرب السير على يده أو رجله فإن أصاب انتقلت النوبة إليه يخبئ الشيء ويسأل غيره وهكذا، وقد يطلبك السارق إلى مثل هذا اللعب وهو لا يخلو من منازعة فينتهزها فرصة للسلب. **والضير** الضرر.

(١٠) يجلس بجانب المال إن كان بالفناء كأنه يبول ويأخذ منه ما يريد فإن فطن له قال إنه كان يبول. ومنهم من يكشف سوءته كأنه يبول فيغض صاحب المال بصره حياء فيأخذ منه ما شاء.

وَمَنْ يَنْتَهِزُ ٱلْهَوْلَ(١). وَمَنْ أَطْعَمَ فِي ٱلسُّوقِ. بِمَا يَنْفُخُ فِي ٱلْبُوقِ(٢). وَمَنْ جَاءَ بِبَسْتُوقٍ(٣). وَأَصْحَابُ ٱلْبَسَاتِينِ(٤). وَسُرَّاقُ ٱلرَّوَازِينِ(٥). وَمَنْ ضَبَرَ فِي ٱلصَّرْحِ(٦). وَمَنْ سَلَّمَ فِي ٱلسَّطْحِ(٧). وَمَنْ دَبَّ بِسِكِّينٍ(٨). عَلَى ٱلْحَائِطِ مِنْ طِينٍ. وَمَنْ جَاءَكَ فِي ٱلْحِينِ. يُحَيِّي بِٱلرَّيَاحِينِ(٩). ....

(١) يتربص بالناس أن يقعوا في هول معركة أو حريق أو شبههما فينتهز اشتغالهم بدفع ما هالهم فرصة للاختلاس

(٢) **من اطعم في السوق** إلخ هو الذي يغش الناس بزعمه أنه يعالج الشهوة بدواء يقويها. **والبوق** كناية.

(٣) **البستوق والبستوقة** إناء كالقلة من فخار. يجيئك به يوهمك أنه يطلب ماء للشرب فإن تيسّر له شيء أخذه وإن نذر به احتج بما جاء له.

(٤) يأتي إليك أحدهم يصف نفسه بالحذق في القيام على البساتين وخدمتها حتى توليه خدمة بستانك فإذا ائتمنته عليه سرق منه ما شاء ولا يشتبه في أمره من يراه متصرفًا فما سرق لأنه يظنه نائبًا عنك. يروى: البساتيق بدل البساتين وهو غير صحيح فإن الذين يأتون بالبساتيق تقدم ذكرهم فيمن جاء ببستوق.

(٥) **الروازين** جمع روزنة وهي الكوة فهؤلاء يمدّون أيديهم إلى داخل البيت من كوته فيأخذون ما وصلوا إليه. وحق الجمع روازن لكنه زاد الياء لمشاكلة البساتين وهو معروف عند أهل اللغة عند عدم الالتباس. ويروى: بدل الروازين الزواريق وكأنه جمع زورق بمعنى السفينة الصغيرة وهؤلاء يحملون الناس في سفنهم حتى إذا توسّطوا بهم البحر سلبوهم ما معهم فإن قاوموهم أغرقوهم.

(٦) **الصرح** البناء العالي. وضبر بالضاد والباء الموحدة أي وثب. وأصل **الضبر** أن يجمع الفرس قوائمه ويثب. أي منهم من تخف حركته حتى لقد يثب على البناء فيكون فيه ويسرق منه ما أحرز فيه. وفي بعض النسخ: صير (بالصاد المهملة والياء المثناة من تحت) ولا معنى لها.

(٧) هذا لا يصعد إلى الأعالي بالوثوب ولكن معه حبل في طرفه آلة معكوفة فيرميها إلى السطح فتنشب فيه فيصعد على الحبل إلى السطح ثم منه يدخل البيت فيسرق منه **فسلم في السطح** أوصل آلته إليه كأنه يعطيه إياها.

(٨) **دبّ** مشى على هينة كيلا يحس به أحد ومعه سكين يقتل بها من يصدّه عما يريد أو يمزق ما يحول بينه وبين ما عزم على سرقته. وخصّ الحائط بأنه من طين ليدل على مهارة السارق في إمساك جسمه ودبيبه على هذا الحائط مع ضعف تماسكه ولو كان الحائط من حجر أو آجر لسهّل على الداب عليه أن يتمسّك به. أما وهو من طين فخطر التمسّك به قريب.

(٩) يدخل البيت وفي يده ريحان أو ورد وما شابهها كأنه يريد إهداءها لرب البيت أو من يجده. ثم يأخذ ما أمكنه.

وَأَصْحَابُ ٱلطَّبَرْزِينِ[١]. كَأَعْوَانِ ٱلدَّوَاوِينِ. وَمَنْ دَبَّ بِأَنِينٍ. عَلَى رَسْمِ ٱلْمَجَانِينِ[٢]. وَأَصْحَابُ ٱلْمَفَاتِيحِ[٣]. وَأَهْلُ ٱلْقُطْنِ وَٱلرِّيحِ[٤]. وَمَنْ يَقْتَحِمُ ٱلْبَابَ. عَلَى زِيِّ مَنِ ٱنْتَابَ[٥]. وَمَنْ يَدْخُلُ فِي ٱلدَّارِ. عَلَى صُورَةِ مَنْ زَارَ. وَمَنْ يَدْخُلُ بِٱللِّينِ. عَلَى زِيِّ ٱلْمَسَاكِينِ. وَمَنْ يَسْرِقُ فِي ٱلْحَوْضِ. إِذَا أَمْكَنَ فِي ٱلْخَوْضِ[٦]. وَمَنْ سَلَّ بِعُودَيْنِ[٧]. وَمَنْ حلَفَ بِٱلدَّيْنِ[٨]. وَمَنْ غَالَطَ بِٱلرَّهنِ[٩]. ....

---

(١) **الطبرزين** آلة من السلاح يعبر عنها بالطبر كان يحملها أعوان الشرطة. فمن السارقين من يتقلّد هذه الآلة كأنه شرطي ثم يدخل البيت الذي يريد السرقة منه من أي طريق وبأية حيلة فإذا ظفر به صاح بصاحب الدار إن الأمر كذلك فلا يقبضون عليه قبضهم على السارق بل يمتثل المأمور منهم أمره حتى إذا خرج ووجد سبيل النجاة أفلت.

(٢) يلابس عمل السرقة فإذا أحسّ بمتيقّظ لعمله أخذ في الأنين والخلط في الأصوات والحركات تشبّهًا بالمجانين ليظن به ذلك فيترك ويسلم من المؤاخذة.

(٣) **أصحاب المفاتيح** الذين يستصحبون معهم مفاتيح كثيرة لفتح الأقفال للبيوت أو الصناديق.

(٤) يأخذون ندائف من القطن فيطيّرونها في مجرى الريح إلى البيوت ثم يطلبونها فيجدون سبيلًا لدخول تلك البيوت وهو دعوى أن القطن كان في أيديهم فانتزعته الريح فهم يطلبونه وفي هذا الطلب يغنمون السلب.

(٥) يقتحم الباب يلجه بدون استيناس. ومن انتابك الذي ينزل عليك ضيفًا. فمن السارقين من يلج عليك الباب وهو في هيئة ضيف يطلب القرى. ومثله الذي يأتي بعده وهو من يدخل في الدار على صورة الزائر. والفرق بينهما أن الثاني أعجل من الأول وإقامته أقصر مدة. والذي بعد ظاهر وكثير بين الناس في هذه الأيام.

(٦) من السارقين من يراقب المستحم حتى إذا خلع ثيابه ونزل في الحوض ونحوه اختطف الثياب وفر. وفي الداخلة على الحوض سببية. وتخصيص الحوض بالذكر ليس لتخصيص العمل ولكن لأنه الغالب في الاستحمام. وفي عامة النسخ إذا أمكن بالكاف ولعل الصواب بالعين الفعل مجهول أي إذا حصل الإمعان في الحوض بمعنى عندما يمعن المستحم في الحوض ويطمئن ويعود من الصعب عليه أن يخرج في أثر السارق ولا يصح أمكن إلّا بجعل الفاعل ضمير الأمر المعروف من السياق وجعل في سببية كسابقتها.

(٧) **من سل بعودين** الذي يقوم على سطح بيته ينتظر مرور العير حتى إذا حاذته أرسل عصًا طويلة رأسها كرأس المحجن فتناول بها من ظهور الأحمال ما سهّل نزعه من أثواب ونحوها.

(٨) يدّعي على عظيم من الناس مقدارًا من النقود أو غيرها ليس بكثير بحيث يخجل ذلك العظيم أن يساق فيه إلى القاضي وإذا حضر عند القاضي يأنف أن يحلف على البراءة منه فيضطرا إلى دفعه قبل أن يصل إلى القاضي.

(٩) يأتي إلى التاجر فيأخذ منه مالًا ويدع عنده رهنًا في حرز مغلق يوهم أن فيه جوهرًا نفيسًا ولا يكون كذلك. ويروى: حصل بالرهن بدل غالط ومعناه ظاهر.

وَمَنْ سَفْتَجَ بِٱلدَّيْنِ(١). وَمَنْ خَالَفَ بِٱلْكِيسِ(٢). وَمَنْ زَجَّ بِتَدْلِيسٍ(٣). وَمَنْ أَعْطَى ٱلْمَفَالِيسَ(٤). وَمَنْ قَصَّ مِنَ ٱلْكُمِّ(٥). وَقَالَ: ٱنْظُرْ وَٱحْكُمْ. وَمَنْ خَاطَ عَلَى ٱلصَّدْرِ(٦) وَمَنْ قَالَ: أَلَمْ تَدْرِ(٧). وَمَنْ عَضَّ وَمَنْ شَدَّ(٨). ....

---

(١) **سفتج** عامل بالسفتجة وهي المعروفة اليوم عند التجار بالبولصة. وهذا السارق يأتي لمسافر يحمل معه نقودًا فيقول له: أريحك من ثقل النقود وأعطيك سفتجة لفلان في البلد الذي تذهب إليه ولنا قبله دين أو معه معاملة فهو يعطيك هناك ما دفعت ههنا ولا يكون لشيء من ذلك حقيقة.

(٢) **من خالف بالكيس** الذي يأتي إلى التاجر يساومه في سلعة ويبرز كيسًا ينقد منه دراهم أو دنانير تحت بصر التاجر يوهمه أنه ينقده الثمن فإذا لم يرض التاجر لقلّة المقدار ردّ الكيس إلى كمه أو مستودعه الآخر من ثيابه وهو يماكس التاجر حتى إذا تمّ القول بينهم أخرج كيسًا غير الذي كان يبرزه إلّا أنه في لونه وهيئته فينقد منه العدد الذي اتفق عليه وليس بدراهم ولا دنانير بل هو فلوس ثم يدفعها إلى التاجر وهو لا يعرف في الكيس إلّا الدنانير أو الدراهم فيأخذ المنقود يعد آحاده فقط ولا يجيد التأمل في جوهره ويكون السارق قد أخذ السلعة ونجا. ويروى: بدل خالف بالكيس أودعك الكيس وهو الذي يودعك كيسًا على أنه دنانير وهو في الحقيقة فلوس والطريقة في الإبدال هي ما ذكرنا.

(٣) **من زجّ بتدليس** الذي ينتقد دراهم لغيره فيدخل فيها زيوفًا ويرسل الجياد إلى مخابئ من ثيابه من حيث لا يشعر صاحب الدراهم.

(٤) يعقد معاقد التجار حتى إذا أمنوه على أموالهم أخذ يعامل بعض المفاليس فيعطيهم من السلع بأضعاف قيمتها يوهم أنه واسع المعاملة جمّ الربح. وبعد أن يوقع أن ما في ذمّة أولئك المفاليس يساوي ما في ذمّته للتجار أشهر أنه مفلس وادّعى أن أموال مطالبيه قد هلكت عند مداينيه ويكون قد أخفى من الأموال شيئًا كثيرًا.

(٥) يقصّ كمّه فإذا رأى إنسانًا قد حمل نقودًا بين يدي تاجر أو صرّاف تبعه ثم تعلق به وادعى أنه جاره وأخذ نقوده وقال للناس: انظروا كيف قطع كمي وأخذ ما كنت عقدت فيه واحكموا لي عليه.

(٦) هذا مثل من كابر في الربط يستصحب إبرة وخيطًا فإذا رأى غرًّا ينخدع أخذ بتلابيبه ثم شرع يخيط ثوبه على صدره وينصح الغر بأن ذلك أولى له فيدهش ذلك لغرابة فعله وقوله فيسلبه ما يسلبه في حال دهشته ثم ينصرف.

(٧) يأتي إلى المخدوع فيقول له: ألم تدر ما وقع بفلان هذا اليوم، صادفه سارق فأمسك بثيابه هكذا وجاذبه وفي مجاذبته تيسّر له الوصول إلى موضع الدراهم من ثوبه ويتعجب من الواقعة فلا ينصرف إلّا وقد أوقعها بمن يرويها له يكون القول كذبًا فينقلب صدقًا غير أن الزمان مختلف.

(٨) **من عض** يبدأ شخصًا بالمنازعة فإذا اشتبك معه أخذ يعضه في مظان النقود فيقرض ما ارتبطت به. ومن **شدّ** يربط الثوب ونحوه بما يمسكه في يده فينهض عنه صاحبه وقد انسلّ عنه وهو غافل.

وَمَنْ دَسَّ إِذَا عَدَّ[(١)]. وَمَنْ لَجَّ مَعَ ٱلْقَوْمِ. وَقَالَ: لَيْسَ ذَا نَوْم[(٢)]. وَمَنْ غَرَّكَ بِٱلْأَلْفِ[(٣)]. وَمَنْ زَجَّ إِلَى خَلْفٍ[(٤)]. وَمَنْ يَسْرِقُ بِٱلْقَيْدِ. وَمَنْ يَأْلَمُ لِلْكَيْدِ[(٥)]. وَمَنْ صَافَعَ بِٱلنَّعْلِ[(٦)]. وَمَنْ خَاصَمَ فِي ٱلْحَقِّ[(٧)] وَمَنْ عَالَجَ بِٱلشَّقِّ[(٨)]. وَمَنْ يَدْخُلُ فِي

---

(١) **من دسّ إذا عدّ** مثل الذي زجّ بتدليس فهو في عدّه الدراهم لغيره يدس فيها الزيوف ويختلس الجياد.

(٢) يأتي مع أصحابه إلى نائم فيلغطون حتى يوقظوه بما يقولون إنه نائم أو ليس بنائم وهم يوهمونه إنهم يريدون دفن شيء ويخافون اطلاعه عليه فيتناوم كيدًا لهم ويشتد الخلاف بينهم في نومه ويقظته فيمتحنون حاله فيأخذون في سلبه ثيابه وما معه وهو يتناوم ولا يدفعهم كيدًا لهم ويشتد الخلاف بينهم في نومه ويقظته فيجده خزفًا أو لا يجد شيئًا وإنما كانوا يحفرون لخدعته وهو يظن أنه كان يكيد لهم.

(٣) يضع عند التاجر كيسًا مملوءًا مختومًا يسع نحو الألف من الدنانير ويكون قد جعل في رأس الكيس مقدارًا من الدنانير وبقيته فلوس ثم يرجع إلى التاجر فيفتح الكيس ويأخذ من الدنانير ما يشتري به شيئًا من السلع ويختمه ولا يزال هكذا حتى يستنزف الدنانير ولا يبقى إلّا الفلوس. ثم يأتي إلى التاجر فيأخذ منه عرضًا كثيرًا والتاجر واثق بأن عنده ما لا يضيع معه شيء يعطيه ثم لا يعود إليه بعد ذلك فإذا طال الزمن اضطر التاجر لفتح الكيس فلا يجد فيه إلّا الفلوس.

(٤) **زجّ** هنا بمعنى دفع. يتفق السارق مع شخص آخر فيذهبان إلى الصيارفة أو الباعة فيأخذ شيئًا يقلبه في يده ثم يدفعه بنوع من الخفة لا يحس به ربّ المال إلى صاحبه فيأخذه ويذهب فيضطرب السارق ويقول لعنه اللّه سلب وذهب فما أصنع.

(٥) يقيد نفسه ويمشي يرسف في قيده فإذا رأيته ملت إلى التأمل في حاله والسؤال عنها فيقول كنت أسيرًا أعاني من الأعداء شدة العناء فترق له وتفك قيوده ثم تؤويه فإذا وجد منك غرة سرق وانطلق. **والذي يألم للكيد** مثله.

(٦) هذا مثل الذي بدل نعليه في سبق. يصفع شخصًا بنعل له عتيق فإذا خلع الشخص نعله ليصفعه به اختطفه منه وفر. ويروى: صانع بالنون بدل صافع ولا معنى لها هنا.

(٧) **خاصم في الحق** نازع فيه وأنكره وذلك بأن يعرف أن معك مبلغًا من الدراهم فيتعرض ولك يعرض عليك أن عنده سلعة تساوي قيمة أعلى من المبلغ الذي معك ويرضى فيها بما معك ولا يظهر لك أنه عارف به ثم يقول: نعم. فيقول: كلا فتبرزه وتعده. فإذا صار في يده أنكر أنه لك فأما فرّ من بين يديك بما أخذ وأما صالحته على بعضه.

(٨) يعالج السرقة ويحاول الوصول إليها بشق ما وضعت فيه من كيس ونحوه.

ٱلسِّرْبِ[١]. وَمَنْ يَنْتَهِزُ ٱلنَّقْبَ[٢]. وَأَصْحَابُ ٱلْخَطَاطِيفِ[٣]. عَلَى ٱلْحَبْلِ مِنَ ٱللِّيفِ. وَٱنْجَرَّ ٱلْحَدِيثُ إِلَى ذِكْرِ مَنْ رَبِحَ عَلَيْهِمْ.

فَقالَ كَهْلٌ منهُمْ سأحدّثكم بما يُضحِكُ السّامعَ. وَيُشبِعُ الجائعَ. اعلموا أَنّي كنتُ بالمَراغةِ. في صَفّ الصاغة. فرأيت فتىً قد بقَلَ وجهُهُ أو كاد كأنّه العافيةُ في بَدنٍ كريم فما أخذته عيني حتى أَخَذَ قلبي وَرَاوَدْتُه بعشرينَ فلم يُجبْ وبثلاثين فلم يُوجِبْ وارتقيتُ إلى خمسينَ فلم يطلُبْ. وَبَلْغتُ المائة فلم يكتُبْ. ثُمّ ما بقيت حِيلةٌ إلّا أعملتُها. ولا حطّة إلّا احتملتها. وهو لا يزيدُني على الصّدِّ. ولا يمنحُني غيرَ الردِّ. فبينا أنا ذاتَ لَيلةٍ في غيرِ زيّها نائمٌ مَعَ جَاريةٍ إذْ عنّ لنا في السّطحِ سوادٌ. ونظرتُ فإذا هُوَ المُرادُ. فقلتُ للجاريةِ مهما سألتُكِ عن شَيءٍ فلا تزيديني على بلى ثم نَزَلَ وليس معه شعارٌ. إلا إزارٌ وصدارٌ. وكمن في بيتٍ. بمأمن فوتٍ. ومسمع صوت. فقلتُ للجاريةِ أليس المركبُ المذهبُ في بيتِ الركاب. وَقَلج نائمٌ خلفَ البابِ. قالتْ بَلى قلتُ فالدواةُ المحلاةُ أليستْ هيَ في بيتِ الشراب. وَطَغجَ عندَ البابِ. قالت بلى قلت فصندوقُ الثّياب. أليس هُوَ في السّردابِ. وتكينُ خلفَ البابِ. قالتْ بلى قلتُ فطيبي نوماً ولبثتُ هُنيهةً للمكرِ. وغَطَطْتُ غطيطَ البِكْرِ. وتحيّرَ الفتى بين بيتِ الركابِ. وبيت الشّراب والسّردابِ. ثم عَمَد إلى صُندوقِ الثّيابِ. فقُمتُ ودخلتُ وراءَهُ أُوهِمُهُ أني أزورُ غلامي ويُوهمني مثله وكببتُهُ لجبينِهِ. ودفعتُهُ في سْرقينهِ. وجعلتُ أغمدُ في الغلاف. ويئنّ تحت الثقافِ. حتى أرقتُ. فحين أفقتُ. قمتُ ونهضتُ وقلتُ له اتّقِ اللّهَ يا تكينُ اجمعْ أطرافَكَ في حفظ البيتِ. وعُدتُ إلى فراشي حتى آضتْ أناتي. واستَوَتْ قناتي. وطلبَ الفتى صُندوقَ الثيابِ فلم يجدْه وخرج من السّردابِ. يُريدُ بيتَ الشّرابِ. فلما حَصلَ فيه قُمتُ ودخلتُ على إثرهِ أُوهِمُهُ مثلَ الأوّلِ ويُوهمني مثله ثمّ قلتُ له نَمْ يا طغجُ يَقْظان الفُؤادِ واحفظِ البيتَ من اللصُوصِ وخرجتُ وفتّش الغلامُ البيت. فلم يجدْ فيه سوى البيت. وكأنه فطنَ للحالِ فخرجَ يُريدُ السّطح فقلتُ يا فتى ما لك والذّهاب. فقد بقي بيت الرّكابِ. فقالَ اسكُتْ قطَعَ اللّهُ لسانك فقد مَزّقتَ سرمي. قلتُ فما جُرمي. ثم

(١) يكمن في حفيرة من الأرض حتى يجد فرصة للسرقة.

(٢) **ينتهز النقب** ينقب البيوت ويعد نقبها غنيمة لأنها وسيلة إلى ما يغنمه بالسرقة.

(٣) يشدّون الخطاطيف بأطراف الحبال ويرسلونها إلى البيوت فما تعلق بها أخذوه.

خرجَ وطلبْتُه بالمَراغة. فلم أجدْهُ فعجبنا من حَديثه. فإذا هو أبو الفَتْحِ الإِسْكَنْدرِيُّ. فقلتُ له هذا وأبيكَ الحديث. فما الذي أردتَ بقولك ليلة في غيرِ زيها. قال كانت ليلة قمراء وأنشد:

وَطَيْفٌ سَرَى وَٱللَّيْلُ فِي غَيْرِ زِيِّهِ ... وَوَافَاهُ بَدْرُ ٱلتَّمِّ فَٱبْيَضَّ مَفْرِقُهْ[1]

---

(١) الطيف الخيال الطائف في المنام. وسرى سار ليلًا ليوافي محبه والليل في غير زيّه. الزي الهيئة من اللّباس. وزي الليل السواد وإذا كان القمر طالعًا منيرًا كان الليل لابسًا لبياض النور بدلًا عن زيه وهو أسود الظلام. وجملة وافاه معطوفة على ما تعلق به في غير زيه فهي معطوفة على الخبر أي والليل في غير زيّه وقد وافاه بدر التم. ووافاه من وافى فلان القوم أتاهم. فتكون هذه الجملة كالتفسير لقوله في غير زيه. وبدر التم القمر في كماله. والمفرق وسط الرأس وابيضّ مفرقه تمثيل لبياض الليل الطارئ على سواده ببياض الشيب العارض لشعر الرأس.

المَقَامَةُ ٱلمِغْزَلِيَّة

حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ: دَخَلْتُ ٱلْبَصْرَةَ وَأَنَا مُتَّسِعُ ٱلصِّيتِ كَثِيرُ ٱلذِّكْرِ(١). فَدَخَلَ إِلَيَّ فَتَيَانِ. فَقَالَ أَحَدُهُمَا: أَيَّدَ ٱللَّهُ ٱلشَّيْخَ دَخَلَ هٰذَا ٱلْفَتَى دَارَنَا فَأَخَذَ قَبَجَ سُنَّارٍ(٢). بِرَأْسِهِ دُوَارٌ(٣). بِوَسْطِهِ زُنَّارٌ(٤). وَفَلَكٌ دَوَّارٌ. رَخِيمُ ٱلصَّوْتِ إِنْ صَرَّ(٥). سَرِيعُ ٱلْكَرِّ إِنْ فَرَّ. طَوِيلُ ٱلذَّيْلِ إِنْ جَرَّ. نَحِيفُ ٱلْمُنَطَّقِ. ضَعِيفُ ٱلْمُقَرْطَقِ(٦). فِي

---

(١) **الصيت** الثناء الحسن ينتشر بين الناس في عمل محدود أو جملة أعمال واتساعه اتساع البقاع التي ينتشر الثناء فيها على ألسنة أهليها **وكثير الذكر** كالتفسير له.

(٢) **قبج سنار** هكذا في النسخ التي وقعت إلينا قبج بالقاف والباء والجيم. ولم نر للقبج معنى سوى الحجل والكروان للطائرين المعروفين ولا مناسبة بينهما وبين ما يمكن قصده هنا. والظاهر أن الصواب **فنج** بفاء ونون فجيم مع فتحات وهو معرب فنك الفارسية لحيوان يتخذ من جلده أحسن الفراء وأشرفها قالوا إنه صالح لجميع الأمزجة المعتدلة. والسنار بضم السين وتشديد النون السنور للهر وهو الحيوان الإنسي المعروف بالقط. قيل إن ذلك الحيوان إنما يسمى **فنجًا** وهو جرو كما يدل عليه لفظه في الفارسية وهو ليس من الحيوانات الأهلية فأضافه إلى السنار ليفيد أنه جرو ذلك الحيوان على أنه مستأنس كالسنور وسهل له ذلك شبهه بالقط في خلقته كأنه قال أخذ فنجًا أهليًا أو أخذ جرو سنور إلّا أنه في صنفه أشبه بالفنج في طيب فروته. وانما رمز بذلك الى المغزل لأنه وهو مكتس بالغزل يشبه أعلاه أعلى الهر. ثم هو إذا غزل به أعلى صوف وأجوده وكان الغزل باقيًا عليه يكون شبيهًا بذلك الحيوان في أن عليه ما يتخذ منه أفضل لباس فذلك الحيوان يتخذ اللباس من جلده وهذا يتخذ اللباس مما هو في الصورة كجلده وإنما ينطبق الرمز على المغزل إذا أشير فيه إلى أنه حيوان أهلي لأن المغزل لا يفارق بيوت الغازلين به كما أن الهر الإنسي لا يعيش إلّا في البيوت التي أنس بها.

(٣) **الدوار** بالضم والفتح شبه الدوران يأخذ في الرأس وهكذا المغزل غير أن المغزل يدور رأسه حقيقة. والدوار في الرأس أشبه بالمخيل وإن كان الرأس لا يخلو معه من اضطراب.

(٤) **الزنار** ما يشدّه رهبان النصارى على أوساطهم. وفي المغزل ما يشبهه كما لا يخفى. ثم في وسطه مع الزنار الذي يلف عليه من خيوط الغزل فلك دوار وهو ما صنع من نفس عوده مستديرًا عليه كأنه حزام من خشب.

(٥) **صر** صوت. وللمغزل صوت خفيف عند شدّة دورانه.

(٦) **المنطق** مكان النطاق وهو ما يشدّ في الوسط من نطقه بالتضعيف أي ألبسه النطاق والمنطقة. **والمقرطق** مكان القرطق بضم فسكون ففتح وهو قباء ذو طاق واحد معرب كرته =

قَدْرِ ٱلْحَرَرِ(١). مُقِيمٌ بِٱلْحَضَرِ. لَا يَخْلُو مِنَ ٱلسَّفَرِ. إِنْ أُودِعَ شَيْئًا رَدَّ. وَإِنْ كُلِّفَ سَيْرًا جَدَّ. وَإِنْ أَجَرَّ حَبْلًا مَدَّ(٢). هُنَاكَ عَظْمٌ وَخَشَبٌ(٣). وَفِيهِ مَالٌ وَنَشَبٌ(٤). وَقَبْلٌ وَبَعْدٌ(٥). فَقَالَ ٱلْفَتَى: نَعَمْ أَيَّدَ ٱللَّهُ ٱلشَّيْخَ لِأَنَّهُ غَصَبَنِي عَلَى

مُرَهَّفٍ سِنَانُهُ مُذَلَّقٍ أَسْنَانُهُ(٦)

= الفارسية وأراد منه عودة بتمامه لأنه إذا لم يكن عليه من الخيوط إلّا طاق واحد كان ضعيفًا بخلاف ما إذا تضاعفت الطاقات فإنه يكون بها غليظًا.

(١) هكذا في النسخ بحاء وراءين ولا يتجه له معنى ولعل الصواب **الجزر** بجيم فزاي فراء لأن المغزل بما عليه من الصوف أشبه بجزرة طويلة غليظة في شكلها وتدرّج حجمها من غلظ إلى دقة مع استدارة رأسها.

(٢) قلّما يتمكن المسافر من العمل في الغزل إلّا أن ينزل فربما يغزل عند نزوله وإنما يشتغل بالغزل المقيمون. فالمغزل من آلات الإقامة وعمله من عملها. ومع ذلك فهو مسافر ما دام في عمله. ويريد بسفره تلك الحركة المستديرة عند سحل الخيط أو برمه والحركة المترددة عند طيّه على عوده ولا غزل بدون إحدى الحركتين فهو مسافر بهذا المعنى لا يقيم. والمراد من الشيء الذي إذا أودعه ردّه لا يخون فيه هو ما عليه من الغزل فإنك تطويه عليه فيكون وديعة لديه ثم تسترده منه ولا يمنعك. وإذا كلفته السير عند الإدارة للغزل جدّ فيه وأتى على الغاية مما يمكن له. وإن أجرّ حبلًا مدّ. أي وإن تركته يجر حبلًا يريد به الخيط الذي يطوى عليه مدّ في ذلك الحبل وأطال فيه من أجر الفصيل رسنه إذا تركه يجرّه.

(٣) **الخشب** عود المغزل. والعظم رأسه وهو يصنع من العظم غالبًا وقد يصنع من الخشب كالعود أيضًا وقد يصنع الرأس من العظم مع الخشب مركبًا قطع أحدهما في الآخر.

(٤) **المال والنشب** في مثل هذا الحديث شيء واحد وإنما أتى باللفظين المترادفين لتعظيم المنفعة وعرضها في معرض التفخيم لكن قد يستعمل النشب في أخص من المال ولا يصح هنا هذا الاستعمال.

(٥) **قبل وبعد** على الظرفين أي في هذا الملغز فيه من المنافع والمرافق ما يسبق وجودك فترثه عن سلفك كالبيوت من الشعر وكالثياب الثمينة التي يحرص على صونها أزمانًا طويلة. وفيه كذلك ما يبقى بعدك ويورث عنك فتكون **قبل** اسمًا للسابق مطلقًا لا بقيد كونه من زمان أو مكان. **وبعد** اسمًا للاحق كذلك. ويصح أن يكون اللفظ الأول بتحريك أوله وفتح ثانيه من قولهم: ما لي قبل بكذا أي ليست لي به طاقة. وفي المغزل قبل لأن ما عليه من الغزل يفيد في مدافعة الحر والبرد إذا نسج أثوابًا تعد لذلك. واللفظ الثاني بضم أوله وفتح ثانيه من قولهم: ما عنده بعد أي طائل وهو غير ذي بعد أي لا خير فيه.

(٦) **المرهف** المحدد المرقق. **والسنان** نصل الرمح كنى به عن أطراف أسنان المشط غير أنه يمثل المشط في صورة إنسان أو حيوان غيره. **والمذلق** المحدد أيضًا من ذلق السكين حدّده.

أَوْلَادُهُ أَعْـــوَانُـــهُ تَــفْــرِيــقُ شَــمْــلٍ شَــانُــهُ[١]
مُــوَاثِــبٌ لِــصَــاحِــبِــهْ مُــعَــلَّــقٌ بِــشَــارِبِــهْ[٢]
مُــشْــتَــبِــكُ ٱلْأَنْــيَــابِ فِــي ٱلشَّــيْــبِ وَٱلشَّــبَــابِ[٣]
حُــلْــوٌ مَــلِــيــحُ ٱلشَّــكْــلِ ضَــاوٍ زَهِــيــدُ ٱلْأَكْــلِ[٤]
رَامٍ كَــثِــيــرُ ٱلنَّــبْــلِ حَــوْفَ ٱللُّــحَى وَٱلسَّــبْــلِ[٥]

فَقُلْتُ لِلْأَوَّلِ: رُدَّ عَلَيَّ ٱلْمشْطَ لِيَرُدَّ عَلَيْكَ ٱلْمِغْزَلَ.

---

(١) أراد من **أولاده** الذين هم أعوانه الأسنان لأنها منه كما أن الولد من أبيه. ومن شأن المشط تفريق ما اجتمع من شمل الشعر. لهذا قال: تفريق شمل شأنه. فشأن خبر تفريق.

(٢) **مواثب لصاحبه** مساور له يقفز عليه فيتعلق برأسه أو بلحيته أو بحاجبه.

(٣) **الشيب** بكسر الشين جمع أشيب وهو الذي ابيضّ شعره في طور من أطوار سنّه. **والشباب** جمع شاب وهو الفتى إلى أن يكتهل. **والأنياب** هنا أسنان المشط أيضًا وهو مشتبكها في الفتيان والشيب. لأن كلًّا يحتاج لتسريح شعره.

(٤) **ضاو** من ضوي يضوى ضوى دقّ عظمه وقلّ جسمه خلقة أو هزالًا. والمشط كذلك دقيق رقيق. **وزهيد الأكل** قليله لأنه إنما يتناول بعض ما يتشبث به من الشعر.

(٥) **رام** لأنه يرمي بأسنانه ما ينشب فيه من الروس واللّحي والشوارب **ونبله الكثير** أسنانه وقوله: **حوف اللّحى** إلخ كذا في نسختنا حوف بالفاء أي إنه في رميه يحوف اللّحى والسبل حوفًا أي يأتي في **حوافيها** أي أطرافها وهو بعيد ولعل الصواب **حوق** بالقاف من حاق الشيء دلّكه وملّسه ويكون مفعولًا لأجله لرام أي إنه رام لتمليس اللّحى والسبل وإزالة ما تلبّد منها من أوساخ ونحوها. **والسبلة** ما على الشارب من الشعر وكأن المصنف جمعها على سبل بالتحريك ثم سكّن باءه لتوافق السجعات.

المَقَامَةُ ٱلشِّيرازيَّة

حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ: لَمَّا قَفَلْتُ مِنَ ٱلْيَمَنِ. وَهَمَمْتُ بِٱلْوَطَنِ ضَمَّ إِلَيَّ رَفِيقٌ رَحْلَهُ[1] فَتَرَافَقْنَا ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ حَتَّى جَذَبَنِي نَجْدٌ. وَٱلْتَقَمَهُ وَهْدٌ. فَصَعِدْتُ وَصَوَّبَ[2]. وَشَرَّقْتُ وَغَرَّبَ. وَنَدِمْتُ عَلَى مُفَارَقَتِهِ بَعْدَ أَنْ مَلَكَنِي ٱلْجَبَلُ وَحَزْنُهُ[3]. وَأَخَذَهُ ٱلْغَوْرُ وَبَطْنُهُ. فَوَٱللَّهِ لَقَدْ تَرَكَنِي فِرَاقُهُ. وَأَنَا أَشْتَاقُهُ. وَغَادَرَنِي بَعْدَهُ. أُقَاسِي بُعْدَهُ[4]. وَكُنْتُ فَارَقْتُهُ ذَا شَارَةٍ وَجَمَالٍ[5]. ....

(١) **قفلت من اليمن** رجعت من سفري فيه. وهمّ **بالوطن** عقد العزيمة على الرجعة إليه ووجّه القصد نحوه. **وضمّ الرفيق رحله إليه** ساد معه مرافقًا له يرحل بارتحاله وينزل بنزوله. ويروى رحاله بدل رحله.

(٢) **النجد** ما ارتفع من الأرض وللتكلف في صعوده احتاج إلى جذب. **والوهد** ما انخفض منها ولسهولة النزول فيه كان كأنه ملتقط للهابط إليه. أي لم نزل سائرين معًا حتى أتينا مكان الافتراق فأخذت طريق نجد وأخذ سبيل الغور. وزاد القصد إيضاحًا بقوله: **فصعدت** أي رقيت في النجود. **وصوب** أي انحدر إلى السهول.

(٣) **الحزن** الأرض الغليظة خلاف السهل وطرق الجبال حزون في الغالب. وملكه لأنه بعد أن يغلغل فيه لا يسهل عليه الرجوع منه لطلب لقيا الرفيق ولولا ذلك وأخذ الغور لرفيقه وصعوبة الوصول إليه لرجع طلبًا للأنس به واستعادة لنعيم صحبته. دائمًا منعه أن كلًّا منهما أبعد في طريقه وصار الطالب بحيث لا يدرك والمطلوب بحيث لا يدرك.

(٤) يقال **تركته يفعل كذا** أي خليت بينه وبين الفعل. وفراق الرفيق خلى بينه وبين الشوق إليه. وكان حق التعبير تركني فراقه أشتاقه إلّا أنه أقام الجملة الحالية مقام الفعل المخلي بينه وبينه. ولا يصح أن يكون تركني من الترك بمعنى ما يقابل الفعل وهو ظاهر ولا بمعنى المفارقة لأنه لو فارقه الفراق لواصله الوصال وهو غير صحيح هنا كما لا يخفى. وإنما تركني هنا مرادف غادرني. وقد يكون ترك مضمنًا معنى الصيرورة **فتركته يفعل** صيّرته يفعل. والأصل ما ذكرنا والكلام في الجملة الحالية على حاله. وقوله: **غادرني** بمعنى تركني على ما ذكرنا. ويروى: خلفني و«بعده» على لفظ الظرف أي من بعد فراقه. **وقاسى** مقاساة كابد مكابدة. **والبعد** بضم الباء الفراق وهو لا يقاسي نفس البعد ولكنه يكابد آلام الوحشة التي جلبها.

(٥) **الشارة** الزينة والجمال الحسن.

وَهَيْئَةٍ وَكَمَالٍ. وَضَرَبَ ٱلدَّهْرُ بِنَا ضُرُوبَهُ[١]. وَأَنَا أَتَمَثَّلُهُ فِي كُلِّ وَقْتٍ. وَأَتَذَكَّرُهُ فِي كُلِّ لَمْحَةٍ. وَلَا أَظُنُّ أَنَّ ٱلدَّهْرَ يُسْعِدُنِي بِهِ وَيُسْعِفُنِي فِيهِ. حَتَّى أَتَيْتُ شِيرَازَ[٢]. فَبَيْنَا أَنَا يَوْمًا فِي حُجْرَتِي إِذْ دَخَلَ كَهْلٌ قَدْ غَبَّرَ فِي وَجْهِهِ ٱلْفَقْرُ. وَٱنْتَزَفَ مَاءَهُ ٱلدَّهْرُ[٣]. وَأَمَالَ قَنَاتَهُ ٱلسَّقَمُ. وَقَلَّمَ أَظْفَارَهُ ٱلْعَدَمُ[٤]. بِوَجْهٍ أَكْسَفَ مِنْ بَالِهِ[٥]. وَزِيٍّ أَوْحَشَ مِنْ حَالِهِ[٦]. وَلِثَةٍ نَشِفَةٍ. وَشَفَةٍ قَشِفَةٍ[٧]. وَرِجْلٍ وَحِلَةٍ. وَيَدٍ مَجِلَةٍ[٨]. وَأَنْيَابٍ قَدْ جَرِعَهَا

---

(١) أحدث الدهر فينا أحداثه وتصرف بنا تصرفاته المعروفة في تشتيت الأحبة وتعذيب قلوبهم بما يجلب الفراق من الوحشة. **وأتمثله** أتخيله وأستحضر صورته في كل وقت لشدة ولوعي به. وقوله: أتذكره في كل لمحة كالتفسير أو التوكيد لجملة أتمثله في كل وقت. **واللّمحة** النظرة من العين كأنها انفتاح الجفن مرة لإصابة شيء بالنظر على خفة واختلاس. ثم صارت الحقيقة في مقدار ذلك من الزمان. وقوله: يسعدني به ويسعفني فيه يروى بدله: يسعدني منه ويشفعني به. أي يجعله ثانيًا لي فنكون بالاجتماع شفعًا به إن كنت وحدي وترًا.

(٢) **شيراز** من بلاد إيران وقصبة ولاية فارس من ولايات تلك المملكة.

(٣) **الكهل** من وَخَطَهُ الشيب. **وغبر** آثار الغبار. **والفقر** ما لا يستطاع معه نظافة ولا يمكن للمصاب به أن يلتفت إلى إصلاح هيئته ولهذا نسب إليه التغيير في وجه ذلك الكهل حتى تلطّخ بالغبار ويروى: في وجنته بدل وجهه. ثم يروى وانتزف ماءهما الدهر بدل ماءه. يريد أن الفقر قد ذهب بوضاءة وجهه ونضرة محياه. **وانتزف الدهر ماءه** اشتفه ولم يبق منه شيئًا. والماء هنا ماء الشباب والفتوّة كماء العود وهو أخضر ناضر فإذا جفَّ الماء يبس العود وذهبت نضرته وكذلك من انتزف الدهر ماءه يذبل وييبس ويقرب إلى الفناء وتلوح عليه آياته.

(٤) **القناة** الرمح أراد منها هنا قدّه. **وأمالها** حناها وقوسها أي إنه انحنى من الأسقام والأمراض. **والعدم** الفقر. **وقلّم أظفاره** تمثيل لضعفه فإن ذا المخلب إذا قلمت أظافره ضعف وكاد يكون فريسة لغيره لعجزه عن المدافعة بما فقد من آلتها. وكذلك المعدم الفقير في ضعف لا ينقص عن درجة ذاك.

(٥) **كسفت حاله** ساءت. وفلان كاسف البال سيئ الحال. **وكسف وجهه** عبس وتغير. وسوء الحال يظهر أثره في الوجه أشد ظهورًا فلا بدع أن يكون وجهه أشدّ تغيرًا من حاله.

(٦) **الزي** الهيئة من اللباس **وأوحش** أي أشد إيجادًا للوحشة بمعنى الهمّ والاغتمام. ولم أرَ فعلًا ثلاثيًا في هذا المعنى ولكن من الرباعي أوحش فلانًا جعله يستوحش وهو قريب مما نريد. وصوغ التفضيل من الرباعي مسموع.

(٧) **اللّثة** ما أحاط بالأسنان من اللّحم وفيه مغارزها. **ونشفة** قد امتصت جميع رطوبتها حتى جفت ويبست. **والشفة القشفة** التي علاها القشف وهو القذر أو تلك الخشونة التي تنشأ عن نحو العطش والجوع وتلويح الشمس ولفح البرد.

(٨) **وَحِلَة** بفتح فكسر ففتح من يوحل كفرح يفرح إذا وقع في الوحل وتلطخ به فكان الرجل حافيًا ورجله ملطّخة بالوحل. **واليد المجلة** بالجيم المعجمة من مجلت يده تمجل من باب =

ٱلضُّرُّ. وَٱلْعَيْشُ ٱلْمُرُّ[١]. وَسَلَّمَ فَٱزْدَرَتْهُ عَيْنِي[٢] لٰكِنِّي أَجَبْتُهُ. فَقَالَ: ٱللّٰهُمَّ ٱجْعَلْنَا خَيْرًا مِمَّا يُظَنُّ بِنَا. فَبَسَطْتُ لَهُ أَسِرَّةَ وَجْهِي. وَفَتَقْتُ لَهُ سَمْعِي. وَقُلْتُ لَهُ: إِيهِ[٣]. فَقَالَ: قَدْ أَرْضَعَتْكَ ثَدْيَ حُرْمَةٍ[٤]. وَشَارَكْتُكَ عِنَانَ عِصْمَةٍ. وَٱلْمَعْرِفَةُ عِنْدَ ٱلْكِرَامِ حُرْمَةٌ[٥]. ....

= نصر ومجلت تمجل من باب فرح نفطت من العمل فمرنت وجسّت جلدتها. فكأن الفقر اضطر الرجل إلى العمل في يده فيما لم تألفه من الأعمال البدنية مثل الحفر والحرث والنقل وما يشبهها فأثّر ذلك في يده الجساوة التي تعهد في أيدي العملة ولا أثر لها في أيدي أهل الرفه. ويروى: يد قحلة ولا معنى لها.

(١) **الأنياب** جمع ناب وهو السن الذي خلف الرباعية. **وجرعها** من باب فرح ومنع أي بلعها يريد أن أنيابها قد سقطت وصار أثرم وإنما ثرمه وأسقط أسنانه **الضر** وهو الشدّة والبؤس. **والعيش المر** الصعب الاحتمال. وقد مثل الضر في صورة حيوان يبتلع العظام بعد ذوبانها كما يبتلع الماء.

(٢) **ازدرته عيني** احتقرته.

(٣) **اسرة الوجه** جمع سر بضم السين وهو الخط يكون في الجبهة أو الكف. ومن عادة المزدري أو العابس أن ينقبض وجهه حتى تظهر هذه الخطوط فيه بخلاف المتهلّل المسرور فإن تلك الخطوط تكون خفية فيه لانبساطه وهشاشته. **وفتق السمع** مثل في الإصغاء أي إن ما سمعه من دعاء الرجل في قوله: اللّهم اجعلنا خيرًا مما يظن بنا قد أحدث في نفس عيسى بن هشام مقامًا له غير الذي كان لأول مرآه فتحول الازدراء إلى نوع من التوقير يبسط من الوجه ويستميل الأذن لحسن الاستماع. لهذا قال له: «إيه» أي زد من نحو قولك هذا.

(٤) **الحرمة** هنا الذمّة أي قد جمعتني معك ذمّة نحن بها مرتبطون لا يصح لأحدنا أن ينتهكها كما تجمع الأم ولديها في الرّضاع فيلتحم بها نسبهما ولا يباح لأحدهما هتك هذه الحرمة احترامًا لحق الأم عليها. وطريقة التمثيل ظاهرة. ويروى: **راضعتك** بدل أرضعتك وهي أجود.

(٥) والأصل في معنى **العصمة** المنع. والعصمة هنا المقومة وهي ما يثبت للإنسان قيمة بحيث إن من هتكها حق عليه القصاص أو لزمته الدية. **والعنان** بكسر العين لقب لنوع من الشركة غلب استعمالها مع لفظ شركة مضافًا إليه فيقال شركة عنان وهي الشركة في شيء خاص أو هي أن يكون ما فيه الاشتراك متساويًا من الشريكين، مأخوذة من عنان الدابة وهو طاقان متساويان. ومن هذا قول النابغة الجعدي:

وشاركنا قريشًا في تقاها ... وفي أحسابها شرك العنان
بما ولدت نساء بني هلال ... وما ولدت نساء بني أبان

فيقول الرجل: إني شاركتك في عصمة خاصة يجب لي عليك حق حفظها أو شاركتك في عصمة يتساوى طرفاها من قبلي ومن قبلك فكما تلزمني تقويتها وعدم إتيان ما يوهنها يلزمك مثل ذلك. ثم أراد أن يعين تلك الحرمة وهذه العصمة بتعيين منشأها فقال: والمعرفة عند الكرام حرمة. وأراد من هذه **الحرمة** ما يدافع عنه الرجل من حرمه وأهله أي أن =

وَٱلْمَوَدَّةُ لُحْمَةٌ(١). فَقُلْتُ: أَبَلَدِيٌّ أَنْتَ أَمْ عَشِيرِيٌّ(٢). فَقَالَ: مَا يَجْمَعُنَا إِلَّا بَلَدُ ٱلْغُرْبَةِ. وَلَا يَنْظِمُنَا إِلَّا رَحِمُ ٱلْقُرْبَةِ(٣). فَقُلْتُ: أَيُّ ٱلطَّرِيقِ شَدَّنَا فِي قَرَنٍ(٤). قَالَ: طَرِيقُ ٱلْيَمَنِ. قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ: فَقُلْتُ: أَنْتَ أَبُو ٱلْفَتْحِ ٱلْإِسْكَنْدَرِيُّ. فَقَالَ: أَنَا ذَاكَ. فَقُلْتُ: شَدَّ مَا هُزِلْتَ بَعْدِي(٥). وَحُلْتَ عَنْ عَهْدِي. فَٱنْفُضْ إِلَيَّ جُمْلَةَ حَالِكَ(٦). وَسَبَبَ ٱخْتِلَالِكَ فَقَالَ: نَكَحْتُ خَضْرَاءَ دِمْنَةٍ(٧). وَشَقِيتُ مِنْهَا بِٱبْنَةٍ. فَأَنَا مِنْهَا فِي مِحْنَةٍ. قَدْ أَكَلَتْ حَرِيبَتِي. وَأَرَاقَتْ مَاءَ شِبِيبَتِي. فَقُلْتُ: هَلَّا سَرَّحْتَ. وَٱسْتَرَحْتَ(٨) فأَوَمأَ إلى عُضوِهِ. وَرَجَّعَ في شَذْوِهِ. وأنشأ يقولُ:

لِيَ تَحْتَ الذَّيْلِ سَيْفٌ ... لَسْتُ أسخُو بِقِرَابِهْ
قد حَنى ظَهْري وَقَدْ ... أَمْطَرَني نوء عذابِهْ
إنْ يَقُمْ يَحْكِ لَنا ... خُرْطُومَ فيلٍ في ٱنْتِصابِهْ

= الطباع الكريمة تعد المعرفة نوعًا من النسب والقرابة فتعطي ذاك حكم هذا.

(١) **اللّحمة** بالضم القرابة. وهذه الفقرة في معنى ما قبلها.

(٢) **البلدي** نسبة إلى البلد. أي يجمعني معك بلد واحد. **والعشيري** نسبة إلى العشير وهو القبيلة أي تتصل بي في جامعة القبيلة فأنت من قوم أنا منهم. وقد يراد من العشير الصديق. والنسبة نسبة الفرد إلى الجنس أي أنا وأنت من العشراء. فقال: إذا جمعتنا نسبة إلى بلد الغربة أي كنا غريبين معًا وكل غريب للغريب نسيب.

(٣) **القربة** القرب في المكان والمنزلة هو ثابت لمن ضمتهما الغربة في طريق واحد. وقد ألحق النسبة بين المتقاربين بالنسبة بين القريبين فسماها رحمًا.

(٤) **القرن** حبل يجمع به البعيران استعاره لنسبة القربة ورشحه بالشد أي طريق قرن بيننا باجتماعنا فيه. والطريق يذكر كما يؤنث وإن كان الثاني فيه أشهر.

(٥) **شد ما هزلت** أي ما أشد هزالك بعدما فارقتك. **والهزال** الضمور والنحول بعد السمن. وما أشد تحولك عن العهد الذي كان لي فيك فقد كنت أعهدك عهدًا حسنًا أي إنك تغيرت في الحالة التي كانت تخيلها ذاكرتي.

(٦) **انفض اليّ** ألق إليّ أحوالك بجملتها ولا تخف عني شيئًا.

(٧) **الدّمنة** المزبلة وخضراؤها ما ينبت عليها من العشب وهو مثل في حسن الظاهر وقبح الباطن. وأصابه الشقاء بابنة ولدت له من هذه المرأة السيئة الأخلاق فهي تمنعه عن فراقها. **والمحنة** البلاء والشدّة.

(٨) **الحريبة** المال الذي يعاش به. وإراقتها لماء شبيبته قد يكون لسوء معاملتها. وقوله **هلا سرحت** أي طلقتها واسترحت من عشرتها السيئة.

المقَامَةُ الحُلوَانيَّة

حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ: لَمَّا قَفَلْتُ مِنَ الْحَجِّ فِيمَنْ قَفَلَ. وَنَزَلْتُ حُلْوَانَ(١) مَعَ مَنْ نَزَلَ. قُلْتُ لِغُلَامِي: أَجِدُ شَعْرِي طَوِيلًا. وَقَدْ اتَّسَخَ بَدَنِي قَلِيلًا. فَاخْتَرْ لَنَا حَمَّامًا نَدْخُلُهُ. وَحَجَّامًا نَسْتَعْمِلُهُ. وَلْيَكُنِ الْحَمَّامُ وَاسِعَ الرُّقْعَةِ(٢). نَظِيفَ الْبُقْعَةِ. طَيِّبَ الْهَوَاءِ. مُعْتَدِلَ الْمَاءِ. وَلْيَكُنِ الْحَجَّامُ خَفِيفَ الْيَدِ حَدِيدَ الْمُوسَى نَظِيفَ الثِّيَابِ قَلِيلَ الْفُضُولِ(٣). فَخَرَجَ مَلِيًّا(٤). وَعَادَ بَطِيًّا. وَقَالَ: قَدِ اخْتَرْتُهُ كَمَا رَسَمْتُ. فَأَخَذْنَا إِلَى الْحَمَّامِ السَّمْتَ(٥). وَأَتَيْنَاهُ فَلَمْ نَرَ قِوَامَهُ(٦). لَكِنِّي دَخَلْتُهُ وَدَخَلَ عَلَى أَثَرِي رَجُلٌ وَعَمَدَ إِلَى قِطْعَةِ طِينٍ فَلَطَّخَ بِهَا جَبِينِي وَوَضَعَهَا عَلَى رَأْسِي. ثُمَّ خَرَجَ وَدَخَلَ آخَرُ فَجَعَلَ يَدْلُكُنِي دَلْكًا يَكُدُّ الْعِظَامَ(٧). ....

(١) **قفل من الحج** رجع. **وحلوان** مدينة من مدن العراق في آخر حدود السواد مما يلي الجبال من بغداد.

(٢) أراد من **الرقعة** هنا الأرض التي يحيط بها بناء الحمام يريد واسع المساحة غير ضيق يضيق به الصدر. وأصل الرقعة القطعة من القرطاس ونحوه التي تكتب أو ما يرقع به الثوب ثم استعملت في القطعة من الشيء تمتاز عما اتصل بها منه. والبقعة إن كانت بضم الباء فهي تجري مجرى الرقعة في المعنى فإنها القطعة من الأرض على غير هيئة التي إلى جنبها. فكأنه قال: واسع البقعة أو الرقعة نظيفها. وإن كانت بالفتح فهي مكان الماء منه وأصلها المكان يستنقع فيه الماء أطلقها على مستودع الماء مطلقًا.

(٣) أراد فضول الكلام أي قليل الكلام فيما لا يفيد.

(٤) **خرج مليًا** أي ذهب وتغيب ساعة من نهار. **والملي** الساعة الطويلة. وقوله **عاد بطيًا** كالتفسير أو التأكيد له.

(٥) **السمت** الطريق والمحجة. أي سلكنا الطريق إلى الحمام. ويروى: فأخذنا السمت وتوجهنا إلى الحمام ودخلناه فلم أرَ قوامه إلخ.

(٦) أراد من **القوام** طول البنيان أي إنه لصغره لم يكد يراه مع أنه كان قد أوصى الخادم أن يتخير الحمام واسعًا. وقد يروى: قوامه بتشديد الواو أي القائم على أمر إصلاحه وتلقي الداخلين فيه وتؤيدها الرواية الثانية وهي: دخلناه فلم أر قوامه.

(٧) **يكد العظام** ينزعها من اللحم لشدّته أو أراد يتبعها ويؤلمها.

وَيَغْمِزُنِي غَمْزًا يَهُدُّ ٱلْأَوْصَالَ(١). وَيُصَفِّرُ صَفِيرًا يَرُشُّ ٱلْبُزَاقَ. ثُمَّ عَمَدَ إِلَى رَأْسِي يَغْسِلُهُ. وَإِلَى ٱلْمَاءِ يُرْسِلُهُ. وَمَا لَبِثَ أَنْ دَخَلَ ٱلْأَوَّلُ فَحَيَّا أَخْدَعَ ٱلثَّانِي بِمَضْمُومَةٍ قَعْقَعَتْ أَنْيَابَهُ(٢). وَقَالَ: يَا لُكَعُ مَا لَكَ وَلِهَذَا ٱلرَّأْسِ وَهُوَ لِي. ثُمَّ عَطَفَ ٱلثَّانِي عَلَى ٱلْأَوَّلِ بِمَجْمُوعَةٍ هَتَكَتْ حِجَابَهُ(٣) وَقَالَ: بَلْ هٰذَا ٱلرَّأْسُ حَقِّي وَمِلْكِي وَفِي يَدِي. ثُمَّ تَلَاكَمَا حَتَّى عَيِيَا. وَتَحَاكَمَا لِمَا بَقِيَا(٤). فَأَتَيَا صَاحِبَ ٱلْحَمَّامِ. فَقَالَ ٱلْأَوَّلُ: أَنَا صَاحِبُ هٰذَا ٱلرَّأْسِ. لِأَنِّي لَطَخْتُ جَبِينَهُ. وَوَضَعْتُ عَلَيْهِ طِينَهُ. وَقَالَ ٱلثَّانِي: بَلْ أَنَا مَالِكُهُ لِأَنِّي دَلَكْتُ حَامِلَهُ(٥). وَغَمَزْتُ مَفَاصِلَهُ. فَقَالَ ٱلْحَمَّامِيُّ: ٱئْتُونِي بِصَاحِبِ ٱلرَّأْسِ أَسْأَلُهُ. أَلَكَ هٰذَا ٱلرَّأْسُ أَمْ لَهُ. فَأَتَيَانِي وَقَالَا: لَنَا عِنْدَكَ شَهَادَةٌ فَتَجَشَّمْ(٦). فَقُمْتُ وَأَتَيْتُ. شِئْتُ أَمْ أَبَيْتُ. فَقَالَ ٱلْحَمَّامِيُّ: يَا رَجُلُ لَا تَقُلْ غَيْرَ ٱلصِّدْقِ. وَلَا تَشْهَدْ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ. وَقُلْ لِي هٰذَا ٱلرَّأْسُ لِأَيِّهِمَا. فَقُلْتُ: يَا عَافَاكَ ٱللَّهُ هٰذَا رَأْسِي قَدْ صَحِبَنِي فِي ٱلطَّرِيقِ. وَطَافَ مَعِي بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ(٧). وَمَا شَكَكْتُ أَنَّهُ لِي. فَقَالَ لِي: ٱسْكُتْ يَا فُضُولِيُّ. ثُمَّ مَالَ إِلَى أَحَدِ ٱلْخَصْمَيْنِ(٨) فَقَالَ: يَا هٰذَا إِلَى كَمْ هٰذِهِ ٱلْمُنَافَسَةُ

---

(١) **الأوصال** الأعضاء أو المفاصل. **ويهدّها** يكسرها ويضعضعها.

(٢) **الأخدع** عرق في العنق موضع الحجامة منه وهو شعبة من الوريد. **والمضمومة يده** مقبوضة الأصابع وحي الأخدع بالمضمومة ابتدأه بالضرب بها قبل الكلام كما يبتدئ المقبل عليك بالتحية قبل الكلام. والتعبير من باب التهكّم. أي ضربه بجمع كفّه في عنقه فصكّ بعض أنيابه ببعض فسمع لها صوت القعقعة.

(٣) **المجموعة** يده أيضًا على هيئة المضمومة. والقوة حجاب بين صاحبها وبين الناس فإذا ضعف فقد أنهتك ذلك الحجاب. فهتك المجموعة حجابه تصوير لإضعافها إياه وبلوغها منه.

(٤) **عييا** تعبا لشدة ما تلاكما وكثرته كان في الظن أن يموت كل منهما غير أنهما لما بقيا بحكم الأجل المحتوم ولم يموتا لذلك التلاكم تحاكما عندما يرونه أهلًا للحكم بينهما وهو صاحب الحمام. ويروى: لقيا بدل بقيا وهي أظهر لا تحتاج إلى التأويل الذي أشرنا إليه.

(٥) **حامل الرأس** وهو عيسى بن هشام. ويروى: لأني دالكه دلكت كاهله. **والكاهل** أعلى الظهر. والتي رويناها أجود.

(٦) **تجشم** الأمر تكلفه على مشقة.

(٧) **البيت العتيق** الكعبة المشرّفة.

(٨) يروى: القيمين بدل الخصمين وكل منهما قيم في الحمام يقوم على داخليه يدلّكهم وينظفهم ويؤديهم ما يحتاجون إليه في غرضهم من الحمام. ثم يروى بدل المنافسة المناقشة.

مَعَ ٱلنَّاسِ. بِهٰذَا ٱلرَّأْسِ. تَسَلَّ عَنْ قَلِيلِ خَطَرِهِ. إِلَى لَعْنَةِ ٱللّٰهِ وَحَرِّ سَقَرِهِ(١). وَهَبْ أَنَّ هٰذَا ٱلرَّأْسَ لَيْسَ(٢). وَأَنَّا لَمْ نَرَ هٰذَا ٱلتَّيْسَ. قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ: فَقُمْتُ مِنْ ذٰلِكَ ٱلْمَكَانِ خَجِلًا. وَلَبِسْتُ ٱلثِّيَابَ وَجِلًا(٣). وَٱنْسَلَلْتُ مِنَ ٱلْحَمَّامِ عَجِلًا. وَسَبَبْتُ ٱلْغُلَامَ بِٱلْعَضِّ وَٱلْمَصِّ(٤). وَدَقَقْتُهُ دَقَّ ٱلْجِصِّ. وَقُلْتُ لِآخَرَ: ٱذْهَبْ فَأْتِنِي بِحَجَّامٍ يَحُطُّ عَنِّي هٰذَا ٱلثِّقْلَ فَجَاءَنِي بِرَجُلٍ لَطِيفِ ٱلْبِنْيَةِ مَلِيحِ ٱلْحِلْيَةِ فِي صُورَةِ ٱلدُّمْيَةِ(٥). فَٱرْتَحْتُ إِلَيْهِ. وَدَخَلَ فَقَالَ: ٱلسَّلَامُ عَلَيْكَ وَمِنْ أَيِّ بَلَدٍ أَنْتَ. فَقُلْتُ: مِنْ قُمَّ(٦). فَقَالَ: حَيَّاكَ ٱللّٰهُ مِنْ أَرْضِ ٱلنِّعْمَةِ وَٱلرَّفَاهَةِ. وَبَلَدِ ٱلسُّنَّةِ وَٱلْجَمَاعَةِ(٧). وَلَقَدْ حَضَرْتُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ جَامِعَهَا وَقَدْ أُشْعِلَتْ فِيهِ ٱلْمَصَابِيحُ. وَأُقِيمَتْ ٱلتَّرَاوِيحُ. فَمَا شَعَرْنَا إِلَّا بِمَدِّ ٱلنِّيلِ(٨). وَقَدْ أَتَى عَلَى تِلْكَ ٱلْقَنَادِيلِ. لٰكِنْ صَنَعَ ٱللّٰهُ لِي بِخُفٍّ قَدْ كُنْتُ لَبِسْتُهُ رَطْبًا فَلَمْ يَحْصُلْ

---

(١) **الخطر** هنا القدر والمنزلة. أي تسل عن قدر هذا الرأس الحقير. أو أراد من الخطر جعل السابق في السباق على نوع من الإطلاق فأراد الجعل مطلقًا. وقوله إلى لعنة اللّه أما أن يتعلق بتسل أي إن لم يكن لك بعد التسلية عنه إلّا الذهاب إلى لعنة اللّه وحر نار **سقر** وهي جهنم فعليك أن تفعل أي تسل عنه ولو بالنار وعذابها وهو نهاية التشنيع والتبشيع للمنافسة فيه. وأما أن يتعلق **بمنوي** صفة للخطر أو حالًا منه أي قليل خطره الذاهب إلى لعنة اللّه أو ذاهبًا إلى لعنة اللّه.

(٢) **هبه** اجعله وافرضه ليس أي عدمًا لأن ليس لما كانت لا تستعمل إلّا للنفي جعلوها اسمًا له في اصطلاح بعض التعبير خصوصًا المتكلمين فإنهم يقولون اللّيس والأيس للعدم والوجود.

(٣) **وجلًا** خائفًا.

(٤) **سب الغلام** شتمه. **والعض** بأن يقول له: يا عاض كذا من أبيه. **والماص** بأن يقول له: يا ماص كذا من أمه. ومعنى العض والمص في حرفه معروف. **والجص** هو الحجر الأبيض الذي يطبخ فيبنى به أي إنه ضرب الغلام ضربًا شديدًا كما يدق الجص لتكسيره واستعماله.

(٥) **البنية** هنا الجسم وإنما كان جسم الإنسان والحيوان والنبات بنية لأنه أشبه ببناء لتركبه من مواد متخالفة وأعضاء متغايرة بضم بعضها إلى بعض على نسب خاصة أخذت طبيعة غير طبيعة المواد وصورة غير صورتها. **والحلية** الهيئة والصورة. **والدمية** الصورة (التمثال) من العاج أو الرخام يضرب بها المثل في الحسن لأن مصورها وناقشها يفرغ وسعه في إيداعها أحسن ما يتصوره من لوازم الحسن ومتمماته إظهارًا للبراعة في فنه.

(٦) **قم** بضم القاف بلدة من بلاد إيران.

(٧) **الجماعة** جماعة المؤمنين وجمهورهم وهو لفظ يعطف على السنّة في تعيين الطائفة التي تقابل المعتزلة والفلاسفة والشيعة من المسلمين فيقال أهل السنّة والجماعة.

(٨) **النيل** نيل مصر وأين مصر من قم وهذا شروع في الحجام في ضروب من الهذيان يأتي فيها بما لا يتشاكل ويؤلف بين ما لا يتقارب.

طِرَازُهُ عَلَى كُمِّهِ(١). وَعَادَ ٱلصَّبِيُّ إِلَى أُمِّهِ. بَعْدَ أَنْ صَلَّيْتُ ٱلْعَتَمَةَ(٢) وَٱعْتَدَلَ ٱلظِّلُّ وَلٰكِنْ كَيْفَ كَانَ حَجُّكَ هَلْ قَضَيْتَ مَنَاسِكَهُ(٣) كَمَا وَجَبَ. وَصَاحُوا: ٱلْعَجَبَ ٱلْعَجَبَ. فَنَظَرْتُ إِلَى ٱلْمَنَارَةِ. وَمَا أَهْوَنَ ٱلْحَرْبَ عَلَى ٱلنَّظَّارَةِ(٤). وَوَجَدْتُ ٱلْهَرِيسَةَ عَلَى حَالِهَا(٥). وَعَمِلْتُ أَنَّ ٱلْأَمْرَ بِقَضَاءٍ مِنَ ٱللَّهِ وَقَدَرٍ. وَإِلَى مَتَى هٰذَا ٱلضَّجَرُ. وَٱلْيَوْمُ وَغَدٌ. وَٱلسَّبْتُ وَٱلْأَحَدُ. وَلَا أُطِيلُ. وَمَا هٰذَا ٱلْقَالُ وَٱلْقِيلُ. وَلٰكِنْ أَحْبَبْتُ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ ٱلْمُبَرِّدَ(٦) فِي ٱلنَّحْوِ حَدِيدُ ٱلْمُوسَى. فَلَا تَشْتَغِلْ بِقَوْلِ ٱلْعَامَّةِ. فَلَوْ كَانَتِ ٱلْإِسْتِطَاعَةُ قَبْلَ ٱلْفِعْلِ(٧) لَكُنْتُ قَدْ حَلَقْتُ رَأْسَكَ. فَهَلْ تَرَى أَنْ تَبْتَدِئَ. قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ: فَبَقِيتُ مُتَحَيِّرًا مِنْ بَيَانِهِ. فِي هَذَيَانِهِ. وَخَشِيتُ أَنْ يَطُولَ مَجْلِسُهُ فَقُلْتُ: إِلَى غَدٍ إِنْ شَاءَ ٱللَّهُ. وَسَأَلْتُ عَنْهُ مَنْ حَضَرَ فَقَالُوا: هٰذَا رَجُلٌ مِنْ بِلَادِ ٱلْإِسْكَنْدَرِيَّةِ لَمْ يُوَافِقْهُ هٰذَا ٱلْمَاءُ. فَغَلَبَتْ عَلَيْهِ ٱلسَّوْدَاءُ. وَهُوَ طُولَ ٱلنَّهَارِ يَهْذِي كَمَا تَرى وَوَرَاءَهُ فَضْلٌ كَثِيرٌ(٨). فَقُلْتُ: قَدْ سَمِعْتُ بِهِ وَعَزَّ عَلَيَّ جُنُونُهُ. وَأَنْشَأْتُ أَقُولُ:

أَنَا أُعْطِي ٱللَّهَ عَهْدَا ... مُحْكَمًا فِي ٱلنَّذْرِ عَقْدَا
لَا حَلَقْتُ ٱلرَّأْسَ مَا عِشْتُ وَلَوْ لَاقَيْتُ جَهْدَا

---

(١) الطراز علم الثوب. والخف لا طراز له ولا كم.

(٢) العتمة صلاة العشاء. وأين العشاء من اعتدال الظل وهو وسط النهار؟ ويروى: واعتدال الظل على الرتمة والرتمة الواحدة من الرتم ضرب من النبات.

(٣) مناسك الحج ما طلب الشرع من فروضه وواجباته وسننه وآدابه.

(٤) النظارة القوم يركبون شرفًا من الأرض ينظرون منه القتال ولا يدخلون فيه فحظهم منه حظ المتفرج في روضة أو بستان. وما أهون الحرب على مثل هؤلاء النظار.

(٥) الهريسة طعام يطبخ من حب مدقوق ولحم.

(٦) المبرد أحد علماء العربية المشهورين صاحب الكامل. والموسى آلة الحجام والحلاق.

(٧) مسألة كلامية هل الاستطاعة بمعنى القدرة على الفعل أمر ثابت في المستطيع قبل الفعل تعلقت به إرادته أصدر باستطاعته أو أن الاستطاعة بمعنى القدرة أمر مقارن الفعل يخلقه اللّٰه معه ولا يسبقه خلاف بين الأشاعرة وغيرهم جاء هذا المعتوه بطرف منه.

(٨) جعل شخصه فيما يظهر من هذيانه بمنزلة حجاب بينه وبين فضله وغزارة علمه لهذا قال إن وراء هذا الذي تراه منه فضلًا كثيرًا وعلمًا غزيرًا.

المقَامَةُ ٱلنَّهِيديَّة

حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ: مِلْتُ مَعَ نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِي إِلَى فِنَاءِ خَيْمَةٍ(١) أَلْتَمِسُ ٱلْقِرَى مِنْ أَهْلِهَا فَخَرَجَ إِلَيْنَا رَجُلٌ حُزُقَّةٌ(٢) فَقَالَ: مَنْ أَنْتُمْ. فَقُلْنَا: أَضْيَافٌ لَمْ يَذُوقُوا مُنْذُ ثَلَاثٍ عَدُوفًا(٣) (قال) فَتَنَحْنَحَ ثُمَّ قَالَ: فَمَا رَأْيُكُمْ يَا فِتْيَانُ فِي نَهِيدَةٍ فِرْقٍ كَهَامَةِ ٱلْأَصْلَعِ(٤) فِي جَفْنَةٍ رَوْحَاءَ(٥) مُكَلَّلَةٍ بِعَجْوَةِ خَيْبَرَ مِنْ أَكْتَارِ جَبَّارٍ رَبُوضٍ(٦) ٱلْوَاحِدَةُ مِنْهَا تَمْلَأُ ٱلْفَمَ مِنْ جَمَاعَةٍ خُمْصٍ عُطْشٍ خِمْسٍ يَغِيبُ فِيهَا ٱلضِّرْسُ كَأَنَّ نَوَاهَا أَلْسُنُ ٱلطَّيْرِ(٧) يَجْحَفُونَ فِيهَا ٱلنَّهِيدَةَ مَعَ أَقْعُبٍ قَدِ ٱحْتُلِبْنَ مِنَ ٱلْجِلَادِ ٱلْهَرَمِيَّةِ

---

(١) **الفناء** الساحة قدام البيت أو ما امتد من جوانبه. **والقرى** ما يصنع للضيف من طعام.

(٢) **الحزقة** بضمتين أو بفتح فضم ثم قاف مشدّدة القصير أو العظيم البطن القصير إذا مشى أدار إليتيه.

(٣) **العدوف** بالدال المهملة والمعجمة الذواق يقال: ما ذقنا عدوفًا أو عدوفة أي شيئًا من طعام. وفي بعض النسخ بالقاف بدل الفاء وهو غلط ظاهر.

(٤) **النهيدة** الزبدة الضخمة. **والفرق** بالكسر القطيع من الغنم العظيم. يريد زبدة غنم وليست من شاة واحدة بل من شياه كثيرة فهي لذلك أضخم ما يكون من الزبد. وتشبيهًا بهامة الأصلع في النقاء لأن الأصلع ليس في مقدم رأسه شعر أو في الضخامة أو فيهما.

(٥) **الجفنة** القصعة. **والروحاء** القريبة القعر أو الواسعة. وفي العادة أن الجفان الواسعة قريبة القعر.

(٦) **خيبر** قرية مشهورة بجوار المدينة المنورة أخذها الإسلام من أيدي اليهود وهي مشهورة بالنخيل. **والعجوة** أجود تمر بالمدينة. **والجبار** بالتشديد النخلة الطويلة الفتية. **والأكتار** التاء الفوقية المثناة جمع كتر بالكسر أو بالتحريك وهو السنام المرتفع شبّه به **كباسة النخلة** أي عذقها وهو ما كان منها بمنزلة العنقود من العنب المعروف عند عامة مصر **بالسباطة** وللنخلة عدة أعذاق وكباسات وهي في ضخامتها والتئام عساليجها تشبه السنام في نظر الناظر وقوله: **ربوض** أي عظيمة واسعة الأقطار من صفة النخلة أي إن هذه العجوة مأخوذة من أعذاق نخلة طويلة فتية ضخمة ونخلتها إذا كانت كذلك كانت هي بالغة في الجودة لأن جودة الثمر تظهر في الثمرة. ويروى: أكبار جبار بالباء الموحدة ولا صحة لها. ويروى: أبكار وهو معروف المعنى. وتكليل الجفنة بالعجوة جعل العجوة محيطة بجوانبها.

(٧) **الواحدة منها** أي من العجوة لأن العجوة اسم للتمر كما ذكرنا كما تصدق على =

ٱلرَّبْلِيَّةِ(١) أَتَشْتَهُونَهَا يَا فِتْيَانُ. فَقُلْنَا: إِي وَٱللَّهِ نَشْتَهِيهَا. فَقَهْقَهَ ٱلشَّيْخُ وَقَالَ: وَعَمُّكُمْ أَيْضًا يَشْتَهِيهَا ثُمَّ قَالَ: فَمَا رَأْيُكُمْ يَا فِتْيَانُ فِي دَرْمَكٍ كَأَنَّهَا قِطَعُ ٱلسَّبَائِكِ تُجَرْثِمُ عَلَى سُفْرَةٍ حَرْتِيَّةٍ بِهَا رِيحُ ٱلْقَرَظِ(٢) فَيَثِبُ إِلَيْهَا مِنْكُمْ فَتًى رَفِيفٌ. لَبِقٌ خَفِيفٌ(٣) فَيَعْجُنُهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَرْجُفَهُ أَوْ يَخْشِفَهُ فَيُزِيلُهُ دُونَ مَلْكٍ نَاعِمٍ ثُمَّ يَلُتُّهُ بِٱلسَّمَارِ(٤) أَوِ ٱلْمَذْقِ لَتًّا غَزِيرًا

= القليل والكثير فالتمرة الواحدة من هذا التمر تملأ الفم. وقوله: «من جماعة» متصل بالفم أي تملأ فمًا لجماعة تذكر أوصافهم. **والخمص** الجياع: خمص البطن خلا من الطعام. غير أن هذا الجمع لا أعرفه لكن أثق بالمصنف في تعبيره. **والعطش** إن لفظناه صيغة جمع كان مما لا نعرفه وإن لفظناه بفتح فكسر أو فتح فضم فهو مفرد غير أنه يكون جاريًا على الجماعة بتأويلها جمعًا فلهذا ذكر وهو المصاب بالعطش. **والخمس** بالكسر من أظمأ الإبل أن ترعى ثلاثة أيام غير اليوم الذي شربت فيه وترد الرابع. ووصف القوم بالخمص وإن كان الخمس حالًا من أحوالهم على التجوز مبالغة في تثبيت هذه الحال لهم فهؤلاء الجماعة عهدهم بالطعام والشراب هذا العدد من الأيام. ويمكن أن يكون عطش مضافًا إلى خمس فلا يكون الخمس وصف القوم بل هو على معناه في المشهور. ويروى: «حمش» بدل خمس وهو جمع أحمش بمعنى الدقيق يكنّى به عن الهزال والضعف من شدّة الجوع والعطش. وقوله «يغيب فيه الضرس» وصف آخر للواحدة منها يبين به جودة التمر وامتلاءه. ثم زاد ذلك كشفًا ببيان صغر النواة في قوله كأن نواها ألسن الطير جمع لسان. **والسن** الطير صغيرة رقيقة.

(١) **يجحفون** فيها أي يغرفون النهيدة في تلك الجفنة ويروى «بها» بدل فيها. **والأقعب** جمع قعب بالفتح وهو القدح الضخم يحتلب فيه اللبن. **والجلاد** من الإبل الغزيرات اللبن. **والهرمية** نسبة الهرم بالفتح وهو نبات تأكله الإبل فتبيض منه عثانينها. **والربلية** نسبة إلى الربل بالفتح أيضًا وهو شجر ينفطر في آخر القيظ بعد الهيج ببرد الليل من غير مطر، قالوا ونسبة الإبلى إلى مرعاها لجودته. فينتقل السامع منه إلى طيب حليبها ولذته لما بين ذلك من التلازم عادة.

(٢) **الدرمك** الدقيق الأبيض وهو لباب الدقيق وأنث الضمير باعتبار أنها مادة لطعمة. ويروى: «كأنه» كما يروى «إليه» في قوله يثب إليها. **والسبائك** جمع سبيكة وهي هنا مذاب الفضة يفرغ في قالب صوغه والتشبيه في شدة البياض. **تجرثم** بالجيم مبني للفاعل أي تجتمع. **والسفرة** ما يوضع تحت الخوان من جلد ونحوه وأراد هنا التي من الجلد خاصة. **وحرتية** بحاء وراء وتاء نسبة إلى الحرت وهو الدلك وقطع الشيء مستديرًا أراد بها التي اعتنى بدبغها وصنعها. وفي المادة أن مثلها لا يكون إلّا عند أهل النعيم ممن يواظب على نظافته. ويروى: جرشية بدل حرتية نسبة إلى الجرش مصدر جرشه دلّكه ليتملس. **والقرظ** تمر السنط يدبغ به الجلد وريحه مألوفة الشم والمدبوغ به إذا ظهر ريح القرظ فيه فقد زالت رائحة الجلد منه بالمرة.

(٣) **اللبق** الحاذق الظريف. **والرفيف** الحسن الأخلاق.

(٤) **يرجفه** من رجفه إذا حرّكه تحريكًا شديدًا. **ويخشفه** بالفاء بعد الشين من خشف رأسه الحجر إذا فضخه. وإذا حرّك الدقيق بشدة وشج بصب الماء الغزير فيه دفعة واحدة تلبّد ولم =

ثُمَّ يَعْمُدُ إِلَيْهِ فَيَلْوِيهِ وَيَدَعُهُ فِي نَاحِيَةِ ٱلصَّيْدَاءِ حَتَّى إِذَا تَخَّ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَتْرُزَ عَمَدَ إِلَى قَصَدِ ٱلْغَضَا فَأَشْعَلَ فِيهِ ٱلنَّارَ[١] فَلَمَّا خَبَتْ نَارُهُ مَهَّدَ لِقَرْمُوصِهِ ثُمَّ عَمَدَ إِلَى عَجِينِهِ فَفَرْطَحَهُ بَعْدَمَا أَنْعَمَ تَلْوِيَتَهُ ثُمَّ دَحَا بِهِ عَلَيْهَا ثُمَّ خَمَّرَهُ[٢] فَلَمَّا قَفَّ وَقَبَّ أَحَالَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلرَّضْفِ مَا يَلْتَقِي بِهِ ٱلْأُوَارَانِ حَتَّى إِذَا غَطَّاهُمَا عَلَى ٱلْمَلَّةِ ٱلْمُشَاكِهَةِ بِطَبَقٍ وَتَفَلَّجَ شِقَاقًا[٣]. وَحَكَى قِشْرُهَا رِقَاقًا. وَٱحْمِرَارُهَا ٱحْمِرَارَ بُسْرِ ٱلْحِجَازِ ٱلْمَشْهُورِ بِأُمِّ ٱلْجِرْذَانِ أَوْ عِذْقِ بْنِ طَابٍ[٤] شُنَّ عَلَيْهَا ضَرَبٌ بَيْضَاءُ كَٱلثَّلْجِ[٥] إِلَى أَوَانِ رُسُوخِهَا فِي

= يحسن عجنه وبقيت كرات من الدقيق ملتفة بما أصابه من ظاهرها. ويروى: يخشنه بالنون بدل الفاء وليس بجيد هنا. فلو عجنه بالرجف والخشف لأزاله أي نحاه عنه بدون ملك ناعم. **والملك** مستعمل في ألسنة العامة بمصر في هذا المعنى وهو إنعام العجن بدلك العجين وتركه بين الأيدي ولهذا جعل يزيله دون ملك مرتبًا على الرجف والخشف. **ولتّه بشيء** خلطه به وضربه. **والسمار** اللبن المخلوط بالماء وهو حليب. **والمذق** اللّبن المخلوط بالماء وهو مخيض. ثم يروى: **يلوثه** بدل يلويه وهو من لاث اللّقمة مرغها في الإهالة. **والإهالة** الشحم أو الزيت أو كل ما ائتدم به. **والصيداء** الأرض الغليظة أو الحجارة التي تعمل منها القدور. والمراد أن تكون على أرض تظهر فيها الحرارة مع نظافة الهواء.

(١) **تخ** بالتاء المثناة الفوقية والخاء المعجمة ظهرت فيه الحموضة. **ويترز** بياء تحتية وراء وزاي أي ييبس ويغلظ ويشتد. ويروى: «نخ من غير أن يبرزه» ولا معنى لها. **وقصد الغضا** (بالتحريك) أغصانه الناعمة. **والغضا** شجر عظيم خشبه من أصلب الخشب وجمره بطيء الخمود ويضرب المثل بناره وجمره في شدّة التلهّب ودوامه.

(٢) **خبت** النار سكنت **والقرموص** بضم القاف موضع خبز الملة. **والملة** الرماد الحار. **ومهد له** وطأ في النار موضعًا يكون قرموصًا يخبز فيه ذلك العجين. **وفرطحه** عرضه فهو يلويه أولًا فيكون على هيئة القوس أو الدائرة ثم يعرضه كما يعمل في بعض أصناف الكعك. ويروى: تلويثه بالثاء المثلثة بدل المثناة مأخوذًا مما قدمنا فيتحول المعنى إلى ما يناسبه وهو ظاهر. **ودحوه** بسطه. والضمير في «عليها» للنار. وقوله ثم **خمره** أي غطاء.

(٣) **قف** جف ويبس **وقب** كذلك أو هو بمعنى ارتفع. **والرضف** الحجارة المحماة. **والأواران** تثنية أوار وهو اللّهب وهما هنا أوار الرمضاء الأولى وأوار الرضف الذي أتى فوق العجين بعد جفافه. **والملّة** الرماد الحار. **والمشاكسة** المشابهة بعضها بعضًا في الحرارة. وقوله «بطبق» متعلق بغطاهما. **والطبق** الغطاء من كل شيء. **وتفلج** الضمير فيه يعود إلى العجين الذي أحال عليه الرضف. **والتفلّج** التشقق. ويروى: تطبق وتفلح بصيغة الفعل فيها وبالحاء في تفلح.

(٤) **البسر** التمر قبل إرطابه. وأم **الجرذان** بكسر الجيم نوع من التمر مشهور. **وعذق بن طاب** نخل بالمدينة مشهور أيضًا.

(٥) **شنّ عليها** أي صبّ. **والضرب** بالتحريك العسل. **والبيضاء** صفة له على أنه مجاجة =

خِلَالِ ٱلدِّهَانِ(١) وَيَشْرَبُ لُبُّ ٱلدَّرْمَكِ مَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلضَّرْبِ قُدِّمَتْ إِلَيْكُمْ فَتلْقَمُونَهَا لَقْمَ جُوَيْنٍ أَوْ زَنْكَلٍ(٢) أَفَتَشْتَهُونَهَا يَا فِتْيَانُ. (قَالَ) فَٱشْرَأَبَّ كُلٌّ مِنَّا إِلَى وَصْفِهِ وَتَحَلَّبَ رِيقُهُ وَتَلَمَّظَ وَتَمَطَّقَ(٣) قُلْنَا: إِي وَٱللَّهِ نَشْتَهِيهَا. قَالَ: فَقَهْقَهَ ٱلشَّيْخُ وَقَالَ: وَعَمُّكُمْ وَٱللَّهِ لَا يُبْغِضُهَا ثُمَّ قَالَ: مَا رأيُكُمْ يَا فِتْيَانُ فِي عَنَاقٍ نَجْدِيَّةٍ. عُلْوِيَّةٍ بَرِّيَّةٍ قَدْ أَكَلَتِ ٱلْبَرَمَ وَٱلشِّيحَ ٱلنَّجْدِيَّ وَٱلْقَيْصُومَ وَٱلْهَشِيمَ. وَتَبَرَّضَتِ ٱلْحَمِيمَ. وَتَمَلَّأَتْ مِنَ ٱلْقَصِيصِ(٤) فَوَرَى مُخُّهَا وَزَهِمَتْ كُشْيَتُهَا(٥) تُشْحَطُ مُعْتَبَطَةً(٦) ثُمَّ تُنْكَسُ فِي وَطِيسٍ حَتَّى تَنْضَجَ مِنْ غَيْرِ ٱمْتِحَاشٍ أَوْ إِنْهَاءٍ(٧) ثُمَّ تُقَدَّمُ إِلَيْكُمْ وَقَدْ عُطَّ إِهَابُهَا عَنْ شَحْمَةٍ

= نحل وهو بهذا استحق أن يذكر تارة ويؤنث أخرى كما هو مذكور في كتب اللغة.

(١) أي وتمهّل إلى أن ترسخ وتثبت في خلال **الدهان** وهو الأديم الأحمر يريد به ما احمرّ من قشر تلك الشقاق وهو قشرة الدرمك. ثم بعد أن يرسخ الضرب في قشرة الدرمك ينفذ إلى لبّه فيتشرّبه اللّب ويروى: تشرب بصيغة المصدر معطوفًا على رسوخها.

(٢) **جوين وزنكل** رجلان أكولان.

(٣) **اشرأبّ** مدّ عنقه تطلّعًا. واشرأبّ إلى الوصف أي إلى تحصيل الموصوف. **وتحلب ريقه** سال. **وتلمّظ** أخرج لسانه فمسح به شفتيه لسيلان ريقه. **وتمطّق** أي ضرب بلسانه في أعلى حنكه وأسفله حتى سمع لذلك صوت كما يسمع لشديد الأكل وذلك يكون إذا اشتدّت الشهوة إلى الطعام وملكت إرادة أهلها.

(٤) **العناق** الأنثى من أولاد المعز قبل استكمالها الحول. **نجدية** نسبة إلى نجد القسم المشهور من بلاد العرب **وعلوية** بضم العين نسبة إلى العالية وهي أرض ما فوق نجد إلى أرض تهامة إلى ما وراء مكة خصص مرعاها من بلاد نجد. **وبرية** نسبة إلى البر. أي ليست مما يربى في البيوت. والبري من الضأن والمعز أزكى لحمًا. **والبرم** بالتحريك ثمر العضاه أو الأراك. **والشيح** معروف. ومن فصيلته ما يسمى القصعين في جبال لبنان. **والقيصوم** نبات طيب الرائحة له ورق كورق الذاب وثمر كحب الآس. **والهشيم** ما تكسر من يابس النبت. **وتبرضت وتبرشفت** الماء الحميم بالحاء المهملة أي البارد ويطلق الحميم على الحر أيضًا فهو من المستعمل في الضدين. ويروى: **الجميم** بالجيم وهو النبت إذا طال بعض الطول وهو فوق البارض ويلي الجميم البسرة ثم الصمعاء ثم الحشيش وكلها مراتب طول النبت أولها البارض وآخرها الحشيش. **وتبرّضت** على هذا المعنى تناولت منه الشيء بعد الشيء. **والقصيص** نبت ينبت في أصول الكماة وربما أخذوا له ماء يغسل به الرأس.

(٥) **وری مُخُّها** يري وريًا كثر. ويقال **ورت الإبل** سمنت **وورى اللّحم** يري وريًا اكتنز.

(٦) **زهمت** كفرحت أي دسمت. والكشية بالضم شحمة بطن الضب أطلقها على شحمة البطن مطلقاً. والزهم السمين الكثير الشحم.

(٧) **تشحط** أي تذبح. **ومعتبطة** مبني للمجهول، من اعتبط الذبيحة كعبطها أي نحرها من غير علة.

بَيْضَاءَ[(١)] عَلَى خُوَانٍ مُنَضَّدٍ بِصَلَائِقَ كَأَنَّهَا ٱلْقَبَاطِيُّ ٱلْمُنَشَّرُ. أَوِ ٱلْقُوهِيُّ ٱلْمُمَصَّرُ[(٢)]. قَدِ ٱحْتَفَّتْهَا نُقْرَاتٌ فِيهَا صِنَابٌ وَأَصْبَاغٌ شَتَّى[(٣)] فَتُوضَعُ بَيْنَكُمْ تَهَادَرُ عَرَقًا[(٤)]. وَتَسَايَلُ[(٥)] مَرَقًا. أَفَتَشْتَهُونَهَا يَا فِتْيَانُ. قُلْنَا: إِي وَٱللَّهِ نَشْتَهِيهَا. قَالَ وَعَمُّكُمْ وَٱللَّهِ يَرْقُصُ لَهَا. فَوَثَبَ بَعْضُنَا إِلَيْهِ بِٱلسَّيْفِ وَقَالَ: مَا يَكْفِي مَا بِنَا مِنَ ٱلدَّقْعِ حَتَّى تَسْخَرَ بِنَا[(٦)]. فَأَتَتْنَا ٱبْنَتُهُ بِطَبَقٍ عَلَيْهِ جِلْفَةٌ. وَحُثَالَةٌ وَلَوِيَّةٌ[(٧)]. وَأَكْرَمَتْ مَثْوَانَا. فَٱنْصَرَفْنَا لَهَا حَامِدِينَ. وَلَهُ ذَامِّينَ.

---

(١) **الوطيس** التنّور أو حفيرة يخبز فيها ويشتوى. **والامتحاش** بالحاء المهملة الاحتراق. **والإنهاء** الإبلاغ إلى الغاية من النضج حتى تذهب مادة التغذية من اللّحم وتفقد اللّذة منه.

(٢) **عط إهابها** شق جلدها. وأراد بالشحمة البيضاء جسدها المغشى بالشحم لسمنها.

(٣) **الخوان** تقدم تفسيره مرارًا وهو ما يوضع عليه الطعام. **ومنضد** مرصّع. **والصلائق** جمع صليقة وهي الخبز الرقاق. **والقباطي** جمع قبطية وهو ضرب من الثياب البيض الرقاق يصنع في مصر من الكتان. **والمنشر** المبسوط. والخبز بهذا الوصف يكون نظيفًا شهيًا. **والقوهي** ثوب ينسب إلى قوهستان لأنه أغلب ما يصنع فيها وهو رقيق أيضًا. **والممصر** المصبوغ بنوع من الطين أحمر يميل إلى صفرة. يصفه بالرّقة والنضج وإذا نضج الخبز ظهر لون الحمرة المائل إلى الصفرة في قشرته.

(٤) **النقرة** هنا يريد منها الإناء الذي يوضع فيه الصناب وسائر الأصباغ وصورها في نظافتها وبهائها في وصرة نقرات الفضة أي سبائكها. **والصناب** صباغ من خردل وزبيب أو زيت. والمراد من الصباغ في كلامهم ما يتخذ من الأطعمة لتحريك النهمة وتقوية الشهوة إلى الطعام مع توفير اللذة في المطعوم كالذي يتخذه الناس الآن من الخردل المعروف بالموتاردة وأنواع السلطات والطورشي.

(٥) لا معنى **للتهادر** ههنا إلّا التقاطر أي إنها من غزارة ودكها يتقاطر دهنها وهو عرقها. ولكن لا نجد في الكتب التي بأيدينا التهادر بهذا المعنى وليس في الحرف ما يصح فيه التفاعل إلّا هدر الدم والتصويت وليس شيء منهما بصحيح هنا إلّا على بعد وتكلّف في الثاني لا يليق بفصيح الكلام. وتسايل تفاعل من سال يسيل.

(٦) **الدقع** مصدر دقع يدقع دقعًا كفرح يفرح فرحًا أي بلغ الجوع منه حدًا يسوء احتماله وأصله اللصوق **بالدقاع** وهو التراب لشدة حاجته. ويروى «الجوع» بدل الدّقع.

(٧) **الجلفة** الكسرة من الخبز اليابس أو ما كان قد لزق بالتنّور من الخبز وهو أرداه. **والحثالة** ثفل الدهن أو الرديء من التمر. **واللوية** ما خبأته لغيرك من طعام. قال راجزهم:

قلت لذات النقبة النقيه   قومي فغدينا من اللويه

وأراد أنها أتت لهم بشيء آخر أجود مما ذكر كانت قد خبأته لعزيز يأكله أو ضيف يقرونه به.

المقَامَةُ ٱلإِبليسيَّة

حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ: أَضْلَلْتُ إِبِلًا لِي[١] فَخَرَجْتُ فِي طَلَبِهَا فَحَلَلْتُ بِوَادٍ خَضِرٍ[٢] فَإِذَا أَنْهَارٌ مُصَرَّدَةٌ وَأَشْجَارٌ بَاسِقَةٌ وَأَثْمَارٌ يَانِعَةٌ وَأَزْهَارٌ مُنَوَّرَةٌ وَأَنْمَاطٌ مَبْسُوطَةٌ[٣] وَإِذَا شَيْخٌ جَالِسٌ. فَرَاعَنِي مِنْهُ مَا يَرُوعُ ٱلْوَحِيدَ مِنْ مِثْلِهِ[٤]. فَقَالَ: لَا بَأْسَ عَلَيْكَ. فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ وَأَمَرَنِي بِٱلْجُلُوسِ فَٱمْتَثَلْتُ. وَسَأَلَنِي عَنْ حَالِي فَأَخْبَرْتُ. فَقَالَ لِي: أَصَبْتَ دَالَّتَكَ. وَوَجَدْتَ ضَالَّتَكَ[٥]. فَهَلْ تَرْوِي مِنْ أَشْعَارِ ٱلْعَرَبِ شَيْئًا. قُلْتُ: نَعَمْ فَأَنْشَدْتُ لِٱمْرِئِ ٱلْقَيْسِ وَعُبَيْدٍ وَلَبِيدٍ وَطَرَفَةَ[٦] فَلَمْ يَطْرَبْ لِشَيْءٍ مِنْ ذٰلِكَ وَقَالَ: أُنْشِدُكَ مِنْ شِعْرِي. فَقُلْتُ لَهُ: إِيهِ. فَأَنْشَدَ:

بَانَ ٱلْخَلِيطُ وَلَوْ طُوِّعْتُ مَا بَانَا ... وَقَطَّعُوا مِنْ حِبَالِ ٱلْوَصْلِ أَقْرَانَا[٧]

---

(١) **أضلّ إبله** ضاعت منه ولا يدري أين ذهبت فهو ينشدها ويطلب الاهتداء إليها.

(٢) **الخضر** الأخضر.

(٣) **الأنهار المصردة** التي يجري فيها الماء قليلًا قليلًا بقدر يكفي لسقاية البستان لا يزيد على ذلك ويروى: **مطردة** بمعنى جارية وهذه الرواية أجود وأقرب لموافقة ما بعدها. **والباسقة** العالية. **واليانعة** التي أدركت وطابت وحان قطافها. **والأنماط** البسط.

(٤) أفزعه من هذا الجالس هيئته وانفراده في ذلك المكان بدون أحد يلتجئ إليه الوحيد إذا همّ به مثل ذلك الشيخ المنفرد وهذه الحالة من شأنها أن تفزع الوحيد من وحيد آخر يلقاه على هذه الهيئة.

(٥) أي وجدت ما يدلّك على إبلك. **والضالّة** هي الإبل الضائعة منه.

(٦) **عبيد** بصيغة التصغير هو ابن الأبرص صاحب قصيدة «أقفر من أهله ملحوب» التي ألحقوها بالمعلقات السبع. **ولبيد** هو ابن ربيعة العامري صاحب قصيدة «عفت الديار محلها ومقامها» من المعلقات السبع. **وطرفة** هو ابن العبد بن سفيان بن سعد بن مالك البكري صاحب قصيدة «لخولة أطلال ببرقة ثهمد».

(٧) **الخليط** القوم الذين أمره وأمرهم واحد وفيهم معشوقه ومن إليه يشتد شوقه. **وبانوا** أي فارقوه وانفصلوا عنه. **ولو طوعت** أي لو تابعتهم وجاريتهم إلى ما يريدون لتبعتهم فكنت معهم ولم يبينوا مني. **والأقران** جمع قرن وهو الحبل يجمع به البعيران شبّه به الصلات التي كانت بينه وبين أهل ذلك الخليط أي قطعوا صلاتهم معه.

حَتَّى أَتَى عَلَى ٱلْقَصِيدَةِ كُلِّهَا. فَقُلْتُ: يَا شَيْخُ هٰذِهِ ٱلْقَصِيدَةُ لِجَرِيرٍ قَدْ حَفِظَتْهَا ٱلصِّبْيَانُ. وَعَرَفَهَا ٱلنِّسْوَانُ. وَوَلَجَتِ ٱلْأَخْبِيَةَ وَوَرَدَتِ ٱلْأَنْدِيَةَ[1]. فَقَالَ: دَعْنِي مِنْ هٰذَا وَإِنْ هٰذَا وَإِنْ كُنْتَ تَرْوِي لِأَبِي نُوَاسٍ شِعْرًا فَأَنْشِدْنِيهِ فَأَنْشَدْتُهُ:

لَا أَنْدُبُ ٱلدَّهْرَ رَبْعًا غَيْرَ مَأْنُوسِ ... وَلَسْتُ أَصْبُو إِلَى ٱلْحَادِينَ بِٱلْعِيسِ[2]
أَحَقُّ مَنْزِلَةٍ بِٱلْهَجْرِ مَنْزِلَةٌ ... وَصْلُ ٱلْحَبِيبِ عَلَيْهَا غَيْرُ مَلْبُوسِ[3]
يَا لَيْلَةً غَبَرَتْ مَا كَانَ أَطْيَبَهَا ... وَٱلْكُوسُ تَعْمَلُ فِي إِخْوَانِنَا ٱلشُّوسِ[4]
وَشَادِنٍ نَطَقَتْ بِٱلسِّحْرِ مُقْلَتُهُ ... مُزَنَّرٍ حِلْفِ تَسْبِيحٍ وَتَقْدِيسِ[5]

---

(١) **الأخبية** جمع خباء وهو الخيمة. **وولجتها** دخلتها. يريد أن هذه القصيدة على نسبتها لجرير لم تدع مكانًا إلّا وصلت إليه ولا بيتًا إلّا دخلته. **والأندية** المجالس.

(٢) **ندب الربع** بكاه وخاطبه خطاب المتفجع وعدد ما كان له من المحاسن وتأسّف على ما صار إليه من المناحس. فهو يقول: إن الربع إذا خلا من أهله وأوحش منهم لا أندبه الدهر ولست أصبو ولا أميل إلى الحادين بالعيس الذين يحركون الجمال بما ينشدون أمامها تنشيطًا لها على السير. ويروى «لا أندب الربع قفرًا» وهو يعرض بغيره من الشعراء الذين يخاطبون الديار وينادون الآثار ويتفجعون على وحشة المكان وخلوّه من السكان ويشكون آلام الفراق ويذكرون ساعات الوداع ثم يتوسلون بحادي العيس في تبليغ السلام وعرض ما يخيلون من الكلام. وصاحب القصيدة لا يعرف غير الموجود ولا تطمح نفسه لطلب المفقود يغتنم ما حضر ولا يتذكر ما غبر.

(٣) **غير ملبوس** من قولهم لبس القوم دهرًا إذا تملى بهم أي إن أحق المنازل بالهجر المنزلة التي يتملى فيها بوصل الحبيب ولا يتمتع به فلم يندب تلك المنازل التي أوحشت من أهلها ووصل الحبيب فيها ولا ينال.

(٤) ينادي ليلة **غبرت** أي مضت له في ربعه المقيم فيه كأنها شاعرة بندائه فتجيبه وتعجب من طيبها لبلوغه حدًا وقف الذهن عن معرفة سببه. **والكوس** جمع كأس الخمر وإناؤها والجمع كؤوس لكنه خفّفه للوزن. **والشوس** جمع أشوس وهو من لا ينظر إلى الناس إلّا بمؤخر عينيه تكبّرًا يريد بهم الشداد الذين لا يقهرون وقد قهرتهم الكأس وقادتهم إلى ما تريد بطبعها منهم.

(٥) **الشادن** ولد الظبية يريد به الساقي الذي كان يسقيهم الكؤوس تلك الليلة. **ومقلته** عينه. ونطقها بالسحر مثل في تأثيرها في القلوب وتسخيرها للأهواء حتى لا طاقة لمن رنت إليه بصيانة نفسه مما توقع به وما ذلك بقوة سلطان ولا شوكة سلاح فما هو إلّا سحر. **والمزنر** الذي وضع الزنار في وسطه **والزنار** ما يضعه رهبان النصارى والمجوس في أوساطهم. **وحلف التسبيح** الذي لا يفارقه.

نَازَعْتُهُ ٱلرِّيقَ وَٱلصَّهْبَاءَ صَافِيَةً ... فِي زَيِّ قَاضٍ وَنسْكِ ٱلشَّيْخِ إِبْلِيسِ(١)
لَمَّا ثَمِلْنَا وَكُلُّ ٱلنَّاسِ قَدْ ثَمِلُوا ... وَخِفْتُ صَرْعَتَهُ إِيَّايَ بِٱلْكُوسِ(٢)
غَطَطْتُ مُسْتَنْعِسًا نَوْمًا لِأُنْعِسَهُ ... فَٱسْتَشْعَرَتْ مُقْلَتَاهُ ٱلنَّوْمَ مِنْ كِيسِي(٣)
وَٱمْتَدَّ فَوْقَ سَرِيرٍ كَانَ أَرْفَقَ بِي ... عَلَى تَشَعُّثِهِ مِنْ عَرْشِ بَلْقِيسِ(٤)
وَزُرْتُ مَضْجَعَهُ قَبْلَ ٱلصَّبَاحِ وَقَدْ ... دَلَّتْ عَلَى ٱلصُّبْحِ أَصْوَاتُ ٱلنَّوَاقِيسِ
فَقَالَ مَنْ ذَا فَقُلْتُ ٱلْقَسُّ زَارَ وَلَا ... بُدٌّ لِدَيْرِكَ مِنْ تَشْمِيسِ قِسِّيسِ
فَصِرْتُ أَمْشُقُ فِي قُرْطَاسِهِ بِيَدٍ ... خُطَاطَة ما تعايا في ٱلْقَرَاطِيسِ
فَقَالَ بِئْسَ لَعَمْرِي أَنْتَ مِنْ رَجُلٍ ... فَقُلْتُ كَلَّا فَإِنِّي لَسْتُ بِٱلْبِيسِ(٥)

(قَالَ) فَطَرِبَ وَشَهَقَ وَزَعَقَ. فَقُلْتُ: قَبَّحَكَ ٱللَّهُ مِن شَيْخٍ لَا أَدْرِي أَبِٱنْتِحَالِكَ شِعْرَ جَرِيرٍ أَنْتَ أَسْخَفُ أَمْ بِطَرَبِكَ مِنْ شِعْرِ أَبِي نُوَاسٍ وَهُوَ فُوَيْسِقٌ عَيَّارٌ(٦). فَقَالَ دَعْنِي مِنْ هٰذَا وَٱمْضِ عَلَى وَجْهِكَ فَإِذَا لَقِيتَ فِي طَرِيقِكَ رَجُلًا مَعَهُ نِحْيٌ صَغِيرٌ(٧)

---

(١) **نازعته** جاذبته. **والصهباء** الخمر. **وصافية** حال منها. **والزي** الهيئة. **والشيخ** إبليس كان قبل تكبّره على آدم من النسّاك العباد لكنه كان ممن حتم عليه الشقاء فكان من أمره ما قصّ اللّه علينا. **والشاعر** هو صاحب ذاك الزي وهذا النسك. ويروى في الشطر الأول «نازعته الكأس في رفق أحدثه» وأظنها خطأ لأن الرفق هنا لا معنى له.

(٢) **ثملنا** أخذ منا الشراب وسكرنا. **وخفت صرعته** أي خاف أن يصرعه الشادن ويوهي قواه ويلقيه على الأرض طريحًا لا يستطيع حركة بما يوالي عليه من الكؤوس.

(٣) **غط في نومه** تردد نفسه وصعد إلى حلقه حتى سمعه من حوله. **ومستنعسًا** أي طالبًا نومًا لأنعسه. وفي العادة أن شخصًا إذا نام أو تناوم لم يلبث جليسه أن يأخذه النوم كذلك. ويروى بدل نومًا «طرفي» **وطرفه** عينه أو جفنها. وقوله من **كيسي** أي إن النوم الذي استشعرته مقلتاه كأنني الذي أعطيته وأنفقته من كيسي.

(٤) كان **أرفق به** أن أنعم لديه وآثر عنده وإنما كان كذلك لأنه سرير من يحب. وأعظم شيء وأجلّه وأفضله عند إنسان وأجمله ما كان واقعًا من هواه ومنتهى ميله.

(٥) هذه الأبيات وإن كانت تهش لها طباع أهل الخلاعة وتتجافى عن سماعها مسامع أهل الورع غير أنها ليست بحيث يمجها ذوق أهل الأدب وقد يقرأها القارئ ولا يستأذن عليه المعنى السيئ لهذا لم نأب الكلام في تفسيره مفرداتها.

(٦) **السخف** ضعف العقل ورداءة الطبع. فهو يقول لست أدري هل سخفك وضعف عقلك يكون ظهوره في انتحال شعر لغيرك وادعائه لنفسك مع شهرته أشد من ظهوره في طربك بشعر أبي نواس أم العكس. **والعيار** الرجل يدع نفسه وهواها لا يردعها ولا يزجرها.

(٧) **النِحْيُ** يعني الزّق لكنه يعني به هنا المذبة كما يأتي والغز فيها بالنحي لأن أصل المذبة يكون مغشى بالجلد فيتوارى فيه طرف مقبضها وأطراف الخوص وأصوله فهو في الهيئة أشبه بزق قد مُلئ شيئًا. ثم إن المذبة تتحرك في الدور حول القدور لتذب الذباب وتدفعه عن =

يَدُورُ فِي ٱلدُّورِ. حَوْلَ ٱلْقُدُورِ. يُزْهَى بِحِلْيَتِهِ. وَيُبَاهِي بِلِحْيَتِهِ. فَقُلْ لَهُ دُلَّنِي عَلَى حُوتٍ مَضْرُورٍ. فِي بَعْضِ ٱلْبُحُورِ(١). مُخْطَفِ ٱلْخُصُورِ(٢). يَلْدَغُ كَٱلزُّنْبُورِ. وَيَعْتَمُّ بِٱلنُّورِ(٣). أَبُوهُ حَجَرٌ. وَأُمُّهُ ذَكَرٌ(٤). وَرَأْسُهُ ذَهَبٌ. وَٱسْمُهُ لَهَبٌ. وَبَاقِيهِ ذَنَبٌ. لَهُ فِي ٱلْمَلْبُوسِ. عَمَلُ ٱلسُّوسِ(٥). وَهُوَ فِي ٱلْبَيْتِ. آفَةُ ٱلزَّيْتِ(٦). شِرِّيبٌ لَا يَنْقَعُ. أَكُولٌ لَا يَشْبَعُ. بَذُولٌ لَا يَمْنَعُ(٧). يَنْمِي إِلَى ٱلصُّعُودِ(٨). وَلَا يَنْقُصُ مَالُهُ مِنْ جُودٍ. يَسُوؤُكَ مَا يَسُرُّهُ(٩). وَيَنْفَعُكَ مَا يَضُرُّهُ. وَكُنْتُ أَكْتُمُكَ حَدِيثِي. وَأَعِيشُ مَعَكَ فِي رَخَاءٍ لٰكِنَّكَ أَبَيْتَ فَخُذِ ٱلْآنَ(١٠) فَمَا أَحَدٌ مِنَ ٱلشُّعَرَاءِ إِلَّا وَمَعَهُ مُعِينٌ مِنَّا وَأَنَا أَمْلَيْتُ عَلَى جَرِيرٍ هٰذِهِ ٱلْقَصِيدَةَ وَأَنَا ٱلشَّيْخُ أَبُو مُرَّةَ. قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ: ثُمَّ غَابَ وَلَمْ أَرَهُ وَمَضَيْتُ لِوَجْهِي فَلَقِيتُ رَجُلًا فِي يَدِهِ مِذَبَّةٌ(١١). فَقُلْتُ: هٰذَا وَٱللَّهِ صَاحِبِي. وَقُلْتُ لَهُ مَا

= الطعام. ويزهي **بحليته** يعجب بها. وأراد من **اللحية** الخوص الذي تؤلف منه المذبة وهو الذي يتحرك للذب.

(١) يريد أن يلغز في السراج بالحوت الذي يذكر أوصافه وكما أن الحوت لا يعيش في غير الماء كذلك السراج لا يعيش في غير السائل الذي لا يبعد في قوامه عن الماء. وأراد بعض البحور القنديل أو المسرجة.

(٢) **الخصور** جمع خصر **ومخطفه** منطويه. يقال: رجل مخطف الحشا أي ضامره. وهكذا السراج نحيل ما اتصل منه بالذبالة.

(٣) **اعتمّ** أي لبس العمامة وكذا السراج له عمامة من نور. والمراد من السراج الفتيلة بأسرها أو هي مع المسرجة أيضًا.

(٤) الذي أفرز المادة التي وجد منها هو حجر المعصرة لهذا قال أبوه حجر. وأمه التي تربى في أحشائها هي القنديل وهو ذكر.

(٥) إذا أصاب اللباس عمل فيه أشدّ مما يعمل السوس فإن الحريق أشدّ من أكل العث غير أن الكل توهين وإتلاف.

(٦) **آفة الزيت** التي تفنيه من البيت هو السراج لأنه كما قال شريب أي مكثار من الشرب **لا ينقع** أي لا يرتوي.

(٧) **بذول** لضيائه لا يمنعه أحدًا.

(٨) **ينمي إلى الصعود** يرتفع إلى ما فوق دائمًا ولا ينقص ماله وهو الضياء من جود منه وإنفاق وليس في انتشار الضياء نقص في السراج كما هو ظاهر.

(٩) **يسرّه** كثرة الزيت وغلظ الفتيلة وهذا يسوؤك لأنه يستدعي نفقة كثيرة. وينفعك الهواء الذي إذا نفخته عليه أضره أو المراد أن قلة الزيت التي تنفعك تضرّه.

(١٠) أي خذ حقيقة حالي.

(١١) **المذبة** ما يذب بها الذباب والبعوض كالمروحة لتمويج الهواء والإتيان بالريح.

سَمِعْتُ. فَنَاوَلَنِي مَسْرَجَةً وَأَوْمَأَ إِلَى غَارٍ فِي ٱلْجَبَلِ مُظْلِمٍ فَقَالَ: دُونَكَ ٱلْغَارَ. وَمَعَكَ ٱلنَّارَ. (قَالَ) فَدَخَلْتُهُ فَإِذَا أَنَا بِإِبْلِي قَدْ أَخَذَتْ سَمْتَهَا[١]. فَلَوَيْتُ وُجُوهَهَا وَرَدَدْتُهَا. وَبَيْنَا أَنَا فِي تِلْكَ ٱلْحَالَةِ فِي ٱلْغِيَاضِ أَدُبُّ ٱلْخَمَرَ[٢] إِذْ بِأَبِي ٱلْفَتْحِ ٱلْإِسْكَنْدَرِيِّ تَلَقَّانِي بِٱلسَّلَامِ. فَقُلْتُ: مَا حَدَاكَ وَيْحَكَ إِلَى هٰذَا ٱلْمَقَامِ[٣] قَالَ: جَوْرُ ٱلْأَيَّامِ. فِي ٱلْأَحْكَامِ. وَعَدَمُ ٱلْكِرَامِ مِنَ ٱلْأَنَامِ. قُلْتُ: فَٱحْكُمْ حُكْمَكَ يَا أَبَا ٱلْفَتْحِ. فَقَالَ: ٱحْمِلْنِي عَلَى قَعُودٍ. وَأَرِقْ لِي مَاءً فِي عُودٍ[٤]. فَقُلْتُ: لَكَ ذٰلِكَ. فَأَنْشَأَ يَقُولُ:

نَفْسِي فِدَاءُ مُحَكِّمٍ كَلَّفْتُهُ شَطَطًا فَأَسْجَحْ[٥]
مَا حَكَّ لِحْيَتَهُ وَلَا مَسَحَ ٱلْمُخَاطَ وَلَا تَنَحْنَحْ

ثُمَّ أَخْبَرْتُهُ بِخَبَرِ ٱلشَّيْخِ. فَأَوْمَأَ إِلَى عِمَامَتِهِ وَقَالَ: هٰذِهِ ثَمَرَةُ بِرِّهِ. فَقُلْتُ: يَا أَبَا ٱلْفَتْحِ شَحَذْتَ عَلَى إِبْلِيسَ إِنَّكَ لَشَحَّاذٌ.

---

(١) **سمتها** طريقها وإنما رأى إبله من الغار كانت في واد خلف الجبل وكان للغار باب آخر يطل على ذلك الوادي فلما أخذ السراج ودخل به حتى جاء إلى آخره من قبل الوادي رأى إبله.

(٢) **يدب الخمر** يمشي مشية الخادع يجتهد في إخفائها لئلا يحس به أحد. **والغياض** جمع غيضة مجتمع الأشجار.

(٣) **حداك إلى هذا المقام** ساقك إليه.

(٤) أراد من القعود قلوصًا تحمله. **والقعود** من الإبل ما يقتعده الراعي في كل حاجته والبكر إلى أن يثني. وأراد من إراقة الماء في العود أن يمنحه إلى القعود لبونة يشرب لبنها ويتغذى به فالماء ماء الغذاء والعود عود بدنه. وقد يكون إراقة الماء في العود من فوائد حمله على القعود فإن عوده قد جفّ بالتعب والإعياء فإذا حمله على القعود عاد له ما كان نضب منه فكأنما أراق في عوده ماء.

(٥) يجعل نفسه فداء لمن حكمه في ماله فكلّفه شططًا خارجًا عن المألوفات في التحكم فأسجح وسمح بما كلفه به. والأفاعيل التي في البيت الثاني تصدر عن البخلاء عند التلكؤ في إجابة من يسألهم شيئًا من مالهم.

المقَامَةُ ٱلأرمنيَّة

حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ: لَمَّا قَفَلْنَا مِنْ تِجَارَةِ إِرْمِينِيَةَ أَهْدَتْنَا ٱلْفَلَاةُ إِلَى أَطْفَالِهَا[١]. وَعَثَرْنَا بِهِمْ فِي أَذْيَالِهَا[٢]. وَأَنَاخُونَا بِأَرْضِ نَعَامَةٍ[٣] حَتَّى ٱسْتَنْظَفُوا حَقَائِبَنَا. وَأَرَاحُوا رَكَائِبَنَا[٤]. وَبَقِينَا بَيَاضَ ٱلْيَوْمِ. فِي أَيْدِي ٱلْقَوْمِ[٥]. قَدْ نَظَمَنَا ٱلْقِدُّ أَحْزَابًا[٦]. وَرُبِطَتْ خُيُولُنَا ٱغْتِصَابًا. حَتَّى أَرْدَفَ ٱللَّيْلُ أَذْنَابَهُ[٧]. وَمَدَّ ٱلنَّجْمُ أَطْنَابَهُ. ثُمَّ ٱنْتَحَوْا عَجُزَ ٱلْفَلَاةِ[٨] وَأَخَذْنَا صَدْرَهَا. وَهَلُمَّ جَرًّا. حَتَّى طَلَعَ حُسْنُ ٱلْفَجْرِ مِنْ

---

(١) **الفلاة** الصحراء الواسعة والمفازة التي لا ماء فيها. **وأطفالها** الذين لايعرفون لهم مأوى سواها ولا معيشة لهم إلّا بالتلصص واستلاب السابلة وإنما كانوا أطفالها لما تشبه حالهم حال الأطفال في حجور الأمهات فكأن الفلاة بوحشتها وخلوّها من النصير لمن يمر فيها قد مكّنت هؤلاء من أموال مجتازيها بل قدّمتها إليهم كما تقدم الأم الغذاء لأطفالها. وهذا معنى إهدائها إياه إلى أطفالها. ويروى: اهتدتني ولا معنى لها.

(٢) كأنهم بما يصل إلى المارة من أذاهم كحجر العثرة وكأن المارة في توسّطهم للفلاة كمن لبس لباسًا فشمله وفاض حتى سحبه فتعثّر في فضوله. وأراد أنهم صادفوا هؤلاء اللّصوص عند ما اشتملت عليهم الفلاة.

(٣) **اناخوهم** أي أناخوا إبلهم بأرض **نعامة** أي مفازة.

(٤) الحقائب جمع حقيبة وهي أوعية الثياب. **استنظفوها** بالظاء المشالة والفاء أخذوها كلها. وفي معظم النسخ استنطقوا بالطاء والقاف كأنهم استفرغوا ما فيها كما يستلفظ اللّفظ من فم اللافظ. وأراحوا ركائبهم من أحمالها أو أنهم ردّوها إلى مراح أعدّوه في الفلاة للإبل التي ينهبونها من المسافرين. ويروى: «أزاحوا» بالزاي بدل الراء.

(٥) **بياض اليوم** ما كان الضياء موجودًا. **والقوم** هم أولئك اللصوص أطفال الفلاة.

(٦) **القدّ** السير الجلد يقيَّد به الأسير، أي أن اللصوص ربطوهم في السير فرقًا وطوائف. وكما قرنوهم في القيود ربطوا خيولهم على أنها لرابطيها من السارقين لذلك قال اغتصابًا. ويروى في هاتين الفقرتين «قد نظم القد أجزاءنا. وربط الحبل أعضاءنا».

(٧) **اردف الليل اذنابه** استتبعها كأنه دابة تجر ذنبها خلفها تمثيل لامتداد الظلماء. **واطناب النجم** خيوط الأشعة المنبعثة منه إلى الأرض.

(٨) **انتحوا** قصدوا عجز الفلاة أي مؤخرها. **واخذنا صدرها** أي سلكنا فيه. **وصدرها** ما قرب من أولها وكأنهم كانوا قربوا منه وقت المصيبة.

نِقَابِ ٱلْحِشْمَةِ(١). وَٱنْتُضِيَ سَيْفُ ٱلصُّبْحِ مِنْ قِرَابِ ٱلظُّلْمَةِ. فَمَا طَلَعَتْ شَمْسُ ٱلنَّهَارِ إِلَّا عَلَى ٱلْأَشْعَارِ وَٱلْأَبْشَارِ(٢) وَمَا زِلْنَا بِٱلأَهْوَالِ نَدْرَأُ حُجُبَهَا. وَبِٱلْفَلَوَاتِ نَقْطَعُ نَجَبَهَا. حَتَّى حَلَلْنَا ٱلْمَرَاغَةَ(٣) وَكُلٌّ مِنَّا ٱنْتَظَمَ إِلَى رَفِيقٍ. وَأَخَذَ فِي طَرِيقٍ(٤). وَٱنْضَمَّ إِلَيَّ شَابٌّ يَعْلُوهُ صَغَارٌ(٥). وَتَعْلُوهُ أَطْمَارٌ. يُكَنَّى أَبَا ٱلْفَتْحِ ٱلْإِسْكَنْدَرِيَّ وَسِرْنَا فِي طَلَبِ أَبِي جَابِرٍ فَوَجَدْنَاهُ يَطْلُعُ مِنْ ذَاتِ لَظًى تُسْجَرُ بِٱلْغَضَا(٦). فَعَمَدَ ٱلْإِسْكَنْدَرِيُّ إِلَى رَجُلٍ فَٱسْتَمَاحَهُ كَفَّ مِلْحٍ(٧) وَقَالَ لِلْخَبَّازِ: أَعِرْنِي رَأْسَ ٱلتَّنُّورِ. فَإِنِّي مَقْرُورٌ(٨). وَلَمَّا فَرَغَ سَنَامَهُ(٩) جَعَلَ يُحَدِّثُ ٱلْقَوْمَ بِحَالِهِ. وَيُخْبِرُهُمْ بِٱخْتِلَالِهِ. وَيَنْثُرُ ٱلْمِلْحَ فِي ٱلتَّنُّورِ

---

(١) كأن الظلام نقاب أسدلته الحشمة على وجه الضياء وكان ضوء الفجر بهاء يطلع ويظهر من تحت ذلك النقاب. ثم عدل عن ذلك إلى مثال آخر فمثّل الفجر بسيف يستلّ من غمد وهو القراب وذلك الغمد هو الظلمة وهو ضرب من التخيّل يشم ولا يعرك.

(٢) **الأشعار** جمع شعر. **والأبشار** جمع بشر جمع بشرة وهو جلد الإنسان أي ليس عليهم إلّا شعورهم وجلودهم فقد جرّدهم اللصوص من كل ما يستر أبدانهم.

(٣) لم يزالوا مع الأهوال في قراع يدرأون حجبها أي يدفعونها ويميطونها عن أعين بصائرهم. ولم يزالوا كذلك مع الفلاة يقطعون نجبها بالتحريك. **والنجب** لحاء الشجر أو عروقها وهؤلاء كأنهم بسيرهم يقطعون قشر الفلاة كلما تركوا مسافة فإنهم قطعوها. ويروى في الفقرتين: وما زلنا بالأهوال والأوهال نذر أحجتها وبالفلوات نقطع لجتها. والأهوال المخاوف **والأحجة** جمع حجاج بمعنى الجانب أي ما زالوا يتركون جوانب الأهوال والمخاوف ويقطعون من الفلوات ما يشبه لجج البحار. **ومراغة** بلد بأذربيجان شرقي بحيرة أرمية وكان فيها المرصد المشهور لهلاكوخان وصاحب العمل فيه كان العلامة نصير الدين الطوسي. ويقال إن الذي اختطها مروان بن محمد الأموي آخر خلفاء بني أمية.

(٤) من مراغة تفرقوا فكل واحد انضم إلى رفيق وذهب كلاهما في طريق غير الذي يسلكه رفيقان آخران أي لم يلتزم كل منهم المشي إلّا مع رفيق واحد.

(٥) **الصغار** الذل والضيم. **والأطمار** الثياب البالية.

(٦) **أبو جابر** هو الخبز. **واللّظى** اللّهب. **وذات اللّظى** النار. **والغضا** شجر خشبه من أصلب الخشب وإذا أوقدت به النار اشتد لهبها وثبت زمنًا طويلًا في جمرها. **وسجر التنور** ملأه بالحطب للوقود وتوسع فيه فقيل سجر النار إذا أوقدها وهذا منهم أي إنهم وجدوا الخبز في التنور ولا يمكنهم أن يخطفوه.

(٧) **استماحه** كف الملح طلبه أن يعطيه إياه.

(٨) **اعرني** من العارية فإن كان يريد حقيقتها فهو تباله وتحامق. وإن كان يريد بالإعارة أن يأذن له في القرب من رأس التنور فهو استعمال صحيح لا يستضعفه الفصحاء. والمقرور من أصابه الله **بالقر** وهو البرد. ورأس التنور في تلك الأنحاء تكون فتحة يصعد منها اللّهب.

(٩) **فرغ سنامه** صعد إلى أعلى التنور وجلس بقرب فتحته من فوق.

مِنْ تَحتِ أَذْيَالِهِ. يُوهِمُهُمْ أَنَّ أَذَى بِثِيَابِهِ[١]. فَقَالَ ٱلْخَبَّازُ: مَا لَكَ لَا أَبَا لَكَ. إِجْمَعْ أَذْيَالَكَ فَقَدْ أَفْسَدْتَ ٱلْخُبْزَ عَلَيْنَا. وَقَامَ إِلَى ٱلرُّغْفَانِ فَرَمَاهَا[٢] وَجَعَلَ ٱلْإِسْكَنْدَرِيُّ يَلْقُطُهَا. وَيَتَأَبَّطُهَا[٣]. فَأَعْجَبَتْنِي حِيلَتُهُ فِيمَا فَعَلْ. وَقَالَ: ٱصْبِرْ عَلَيَّ حَتَّى أَحْتَالَ عَلَى ٱلْأُدْمِ. فَلَا حِيلَةَ مَعَ ٱلْعُدْمِ[٤] وَصَارَ إِلَى رَجُلٍ قَدْ صَفَّفَ أَوَانِيَ نَظِيفَةً فِيهَا أَلْوَانُ ٱلْأَلْبَانِ. فَسَأَلَهُ عَنْ ٱلْأَثْمَانِ. وَٱسْتَأْذَنَ فِي ٱلذَّوْقِ. فَقَالَ ٱفْعَلْ فَأَدَارَ فِي ٱلْآنِيَةِ إِصْبَعَهُ. كَأَنَّهُ يَطْلُبُ شَيْئًا ضَيَّعَهُ. ثُمَّ قَالَ: مَعِي ثَمَنُهُ. وَهَلْ لَكَ رَغْبَةٌ فِي ٱلْحِجَامَةِ. فَقَالَ: قَبَّحَكَ ٱللَّهُ أَنْتَ حَجَّامٌ. قَالَ: نَعَمْ. فَعَمَدَ لِأَعْرَاضِهِ يَسُبُّهَا[٥]. وَإِلَى ٱلْآنِيَةِ يَصُبُّهَا. فَقَالَ ٱلْإِسْكَنْدَرِيُّ: آثِرْنِي عَلَى ٱلشَّيْطَانِ[٦]. فَقَالَ: خُذْهَا لَا بُورِكَ لَكَ فِيهَا. فَأَخَذْهَا وَأَوَيْنَا إِلَى خَلْوَةٍ وَأَكَلْنَاهَا بِدَفْعَةٍ[٧] وَسِرْنَا حَتَّى أَتَيْنَا قَرْيَةً ٱسْتَطْعَمْنَا أَهْلَهَا[٨]. فَبَادَرَ مِنْ بَيْنِ ٱلْجَمَاعَةِ فَتًى إِلَى مَنْزِلِهِ فَجَاءَنَا بِصَحْفَةٍ قَدْ سَدَّ ٱللَّبَنُ أَنْفَاسَهَا[٩]. حَتَّى بَلَغَ رَأْسَهَا. فَجَعَلْنَا نَتَحَسَّاهَا[١٠]. حَتَّى ٱسْتَوْفَيْنَاهَا. وَسَأَلْنَاهُمُ ٱلْخُبْزَ فَأَبَوْا إِلَّا بِٱلثَّمَنِ. فَقَالَ

---

(١) يأخذ من الملح الذي استماحه ويرمي في نافذة التنور من تحت ثيابه فيكون للملح فرقعة في النار يتوهم منها السامع والرائي أن بثيابه أذى من القمل ونحوه وأنه يرميه في التنور وهذا الصوت احتراقه وفي نسخة: يخبز الملح بدل ينشر ولا معنى لها.

(٢) لتوهّمه أن قد أصابها من ذلك الأذى الذي كان يلقيه الإسكندري في وهمه ما غير طعمها وريحانها وقذرها.

(٣) **يتابطها** يحملها تحت إبطه.

(٤) الأدم ما يؤتدم به أي يؤكل مع الخبز ليسهل استساغته. ويروى «احتال في الأدم» وهي صحيحة أيضًا. **والعدم** بالضم الفقر.

(٥) لأعراض أبي الفتح يسبها ويطعن فيها تشفّيًا من غيظه لأنه بعدما أدار إصبعه في الآنية وذكر أنه حجام ظهر تقذر الآنية وخبثها بحيث تنفر النفس من تناول ما فيها وإنما جمع الأعراض لأن كل خلة من خلال الشرف مما يحامي عنها ويتألم لثلبها فكأن كل خلة عرض يحمى ويعمل على حفظه وصونه.

(٦) يقال لما ذهب ضياعًا بدون استفادة أحد منه أنه ذهب للشيطان فهو يقول لصاحب اللبن: قدمني على الشيطان فإن كان لا بدّ من إتلاف اللّبن وإفساده فهو أولى به من الشيطان.

(٧) أوينا إلى خلوة ملنا إليها. والضمير في أكلناها لآنية اللبن مع الرغفان التي تأبطها من الخباز. وقوله: دفعة بالفتح أي مرة واحدة لم نستبق منها شيئًا.

(٨) **استطعمنا اهلها** طلبنا منهم طعامًا.

(٩) الأنفاس جمع نفس بالتحريك وهو هنا السعة أي لم يدع فيها موضعًا يسع شيئًا حتى سدّه وملأه حتى بلغ رأسها.

(١٠) **تَحَسّى** المرق ونحوه تحسيًا حساه أي شربه شيئًا بعد شيء كما يحسو الطائر.

ٱلْإِسْكَنْدَرِيُّ: مَا لَكُمْ تَجُودُونَ بِٱللَّبَنِ. وَتَمْنَعُونَ ٱلْخُبْزَ إِلَّا بِٱلثَّمَنِ. فَقَالَ ٱلْغُلَامُ: كَانَ هٰذَا ٱللَّبَنُ فِي غَضَارَةٍ(١). قَدْ وَقَعَتْ فِيهِ فَارَةٌ. فَنَحْنُ نَتَصَدَّقُ بِهِ عَلَى ٱلسَّيَّارَةِ(٢). فَقَالَ ٱلْإِسْكَنْدَرِيُّ: إِنَّا لِلّٰهِ. وَأَخَذَ ٱلصَّحْفَةَ فَكَسَرَهَا. فَصَاحَ ٱلْغُلَامُ وَاحَرَبَاهُ. وَامَحْرُوبَاهُ(٣). فَٱقْشَعَرَّتْ مِنَّا ٱلْجِلْدَةُ. وَٱنْقَلَبَتْ عَلَيْنَا ٱلْمَعِدَةُ(٤). وَنَفَضْنَا مَا كُنَّا أَكَلْنَاهُ. وَقُلْتُ: هٰذَا جَزَاءُ مَا بِٱلْأَمْسِ فَعَلْنَاهُ. وَأَنْشَأَ أَبُو ٱلْفَتْحِ ٱلْإِسْكَنْدَرِيُّ يَقُولُ:

يَا نَفْسُ لَا تَتَغَثَّيْ ... فَٱلشَّهْمُ لَا يَتَغَثَّى(٥)
مَنْ يَصْحَبِ ٱلدَّهْرَ يَأْكُلْ ... فِيهِ ثَمِينًا وَغَثَّا
فَٱلْبَسْ لِدَهْرٍ جَدِيدًا ... وَٱلْبَسْ لِآخَرَ رَثًّا(٦).

---

(١) الغضارة القصعة الواسعة.

(٢) السيارة أبناء السبيل الذين يسيرون في الطريق من مكان إلى مكان.

(٣) واحرباه كلمة تأسف أشبه بواأسفاه أو هو الحرب بمعنى سلب المال ينادون به إذا وقع كأنه صار موجودًا يصح نداؤه وهذا هو الأوفق بقوله وامحروباه فإن المحروب المسلوب وهو تلك الصحفة التي انكسرت.

(٤) الفاء في قوله فاقشعرت منا الجلدة إلخ ترتيب وتعقيب لإخبار الفتى بأن اللّبن كان في قصعته فسقطت فيه الفأرة. واقشعرار الجلد تقبض فيه قد يكون من البرد وقد يكون من الخوف وقد يكون من التنطف كما هنا. وانقلاب المعدة قذفها لما فيها. وقوله نفضنا ما أكلناه أي أفرغنا بالقيء. فقال إن هذا جزاء ما فعلوه أمس مع الخباز واللّبان.

(٥) تتغثى من غثت النفس خبثت واضطربت واندفعت إلى القيء أو كادت. ويقول إن الشهم القوي الفؤاد لا يليق به أن يتغثى من شيء يتنطف منه لأن الشهم يكون قد ظلف نفسه وجشمها كل شاق حتى مرنت على الرضى بالكرائه كما قال في البيت الثاني فإن من يعيش في هذا الدهر وهو معنى من يصحبه لا بدّ من تقلّب الأحوال عليه بحكم طبيعة هذا الوجود الأدنى فتارة يأكل سمينًا ويلاقي طيبًا وتارة يأكل غثًا مهزولًا ولا يجد إلّا خبيثًا وعلى هذا يجب أن يوطن الشهم نفسه.

(٦) عبر بالدهر عن الجزء من الزمن يقول: إذا كنت في دهر اليسر والسعة والمكنة من لبس الجديد فالبس له جديدًا وإن كنت في زمن العسر والشدة ولا تجد إلّا رثًا باليًا فالبس له ما تيسر فيه.

المقَامَةُ ٱلنّاجِميّة

حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ: بِتُّ ذَاتَ لَيْلَةٍ فِي كَتِيبَةِ فَضْلٍ مِنْ رُفَقَائِي[١] فَتَذَاكَرْنَا ٱلْفَصَاحَةَ. وَمَا وَدَعْنَا ٱلْحَدِيثَ[٢] حَتَّى قُرِعَ عَلَيْنَا ٱلْبَابُ. فَقُلْتُ: مَنِ ٱلْمُنْتَابُ. فَقَالَ: وَفْدُ ٱللَّيْلِ وَبَرِيدُهُ[٣]. وَفَلُّ ٱلْجُوعِ وَطَرِيدُهُ. وَغَرِيبٌ نِضْوُهُ طَلِيحٌ[٤]. وَعَيْشُهُ تَبْرِيحٌ[٥]. وَمِنْ دُونِ فَرْخَيْهِ مَهَامِهُ فِيحٌ[٦]. وَضَيْفٌ ظِلُّهُ خَفِيفٌ. وَضَالَّتُهُ رَغِيفٌ[٧]. فَهَلْ مِنْكُمْ مُضِيفٌ فَتَبَادَرْنَا إِلَى فَتْحِ ٱلْبَابِ وَأَنَخْنَا رَاحِلَتَهُ. وَجَمَعْنَا رُحْلَتَهُ[٨]. وَقُلْنَا دَارَكَ أَتَيْتَ. وَأَهْلَكَ وَافَيْتَ. وَهَلُمَّ ٱلْبَيْتَ[٩]. ....

(١) أصل **الكتيبة** القطعة من الجيش المجتمعة أراد منها هنا مطلق الجماعة. و**الفضل** العلم والأدب.

(٢) **ودعنا الحديث** انتقلنا عنه من قولهم ودع المسافر الناس يدعهم إذا تركهم في رغد وعيش. و**المنتاب** الآتي إلى القوم مرة بعد مرة أراد منه الطارق مطلقًا.

(٣) لضيق الليل عن السعي في سد الحاجة يدفع المحتاج إلى السؤال فكان الليل أوفده على المسؤول و**البرد به** أي أرسله إليه. و**الفل** المنهزم.

(٤) **النضو** بالكسر البعير المهزول. و**الطليح** المعيي من التعب. يقول: إن الغربة رمت به مراميها حتى أعوزه المستقر فهو لطول سفره مهزول المطية طليحها.

(٥) **التبريح** الشدّة وما يجهد النفس من المشقة في تحصيل العيش وإنما جعل العيش نفس التبريح مبالغة كما تقول. حياة فلان عناء وشقاء وإنما هي محفوفة بذلك.

(٦) يريد من **فرخيه** ولديه الصغيرين. و**المهامه** المفاوز البعيدة الأطراف جمع مهمه. و**الفيح** جمع فيحاء بمعنى الواسعة أي يحول بينه وبين الوصول إلى أولاده المفاوز الواسعة وليس ما عنده ما يستعين بها على قطعها.

(٧) **ضالتك** ما انفلت منك وأنت تعلم أنه موجود فتطلبه ولا تدري أين تجده. وهذه الجملة كالتفسير لما قبلها أو الاستدلال عليها كأنه قال: إنما خفّ ظلّه لخفة ما يطلبه وهو رغيف، ويروى: وطؤه خفيف بدل ظله.

(٨) **الرحلة** بالضم الوجه الذي تقصده بسفرك كأنه مشتت المقاصد يطلب مضيفًا لا يدري في أي وجه يقصده فجمعنا له وجوه ارتحاله في وجه واحد وهو ما وصل إليه وأناخ راحلته وقد يقصد من الرحلة معنى الانتقال وتأويل الجمع على نحو ما قدمنا.

(٩) **وافى القوم** أتاهم وكأنهم من مجيئه على انتظار. و**هلم البيت** تعال إليه.

وَضَحِكْنَا إِلَيْهِ وَرَحَّبْنَا بِهِ وَأَرَيْنَاهُ ضَالَّتَهُ[(١)] وَسَاعَدْنَاهُ حَتَّى شَبِعَ. وَحَادَثْنَاهُ حَتَّى أَنِسَ. وَقُلْنَا: مَنِ ٱلطَّالِعُ بِمَشْرِقِهِ[(٢)]. ٱلْفَاتِنُ بِمَنْطِقِهِ. فَقَالَ لَا يَعْرِفُ ٱلْعُودَ كَٱلْعَاجِمِ[(٣)]. وَأَنَا ٱلْمَعْرُوفُ بِٱلنَّاجِمِ[(٤)]. عَاشَرْتُ ٱلدَّهْرَ لِأَخْبُرَهُ. فَعَصَرْتُ أَعْصُرَهُ. وَحَلَبْتُ أَشْطُرَهُ[(٥)]. وَجَرَّبْتُ ٱلنَّاسَ لِأَعْرِفَهُمْ. فَعَرَفْتُ مِنْهُمْ غَثَّهُمْ وَسَمِينَهُمْ[(٦)]. وَٱلْغُرْبَةَ لِأَذُوقَهَا[(٧)]. فَمَا لَمَحَتْنِي أَرْضٌ إِلَّا فَقَأْتُ عَيْنَهَا[(٨)]. وَلَا ٱنْتَظَمَتْ رُفْقَةٌ إِلَّا وَلَجْتُ بَيْنَهَا. فَأَنَا فِي ٱلشَّرْقِ أُذْكَرُ. وَفِي ٱلْغَرْبِ لَا أُنْكَرُ. فَمَا مَلِكٌ إِلَّا وَطِئْتُ بِسَاطَهُ. وَلَا خَطْبٌ إِلَّا خَرَقْتُ

---

(١) **ضالته** الرغيف أروه إياه ليطمئن قلبه بما وجد من الضالة. ثم ساعدوه على المقصود منها وأمدّوه بالطعام حتى شبع.

(٢) شبّهه بالكوكب يطلع من مشرق. ولكل كوكب على حسب موقعه من الفلك مشرق. لهذا أضاف المشرق إلى ضمير الطالع. **وفاتنك** من يأخذ بقلبك إلى خلاف ما ينبغي من رشدك أراد منه الآخذ بالقلوب محبة بحلاوة المنطق وفصاحته.

(٣) **عجم العود** عضه ليتبين صلابته من لينه. وهذا مثل ضربه يريد لا يعرف الشيء أحد كمن يختبره ويمتحنه فإذا خبرتموني عرفتموني معرفة أعلى مما يحصل بالتعريف فربما عرض الظن فيما يحكي الواصف عن نفسه.

(٤) **الناجم** الطالع والظاهر يشير بلقبه إلى شهرته.

(٥) كثر في كلامهم تمثيل الدهر في مثال العاقل فيخاطبونه ويعاتبونه وينسبون إليه ما لا ينسب إلّا لصانع الكون جلّ شأنه. وقد جرت هذه العبارة مجرى كلامهم فكأنما الدهر وهو الزمان ممن يعاشر ويصاحب وقد عاشره الشيخ الناجم عشرة المختبرين ولم يصحبه كما يصحبه الغافلون **فعصر أعصره** أي استخلص ما في أدواره مما قد يخفي على غيره من الأحوال كما يعصر العنب لاستخلاص مائه. **والأعصر** جمع عصر وهو الجزء من الزمان وفي مقداره اختلاف مشهور والصواب عدم تحديده بمدة معينة وإنما هو ما يستطال العهد بحوادثه عادة ويحدث عنه بكان في زمن كذا وعهد كذا مثلًا. **والأشطر** جمع شطر ويقال لأخلاف الناقة أشطر وكل خلفين منها شطر أيضًا ومن حلب القادمين منها فقد شطرها ومن حلب جميعها فقد حلب الأشطر كلها. ثم صار مثلًا عندهم «حلب الدهر أشطره» أي استفاد من ضروب أحواله وذاق حلوه ومرّه وخيره وشرّه.

(٦) **امتحن الناس** ليقف على دخائل أمورهم فميز صحيحهم من مريضهم وجيدهم من رديئهم. وأصل **الغث** المهزول ضد السمين.

(٧) **الغربة** عطف على الناس أي جرّب الغربة ليذوق طعم شدائدها وكربها حتى يكون على بصيرة من كل ما يطرأ على المرء في حياته.

(٨) خيّل الأرض في صورة مبصرة إذا دنا منها لمحته ولا تكاد تلمحه حتى يطأها ويخترقها وكأنه بذلك فقأ عينيها.

سِمَاطَهُ[١]. وَمَا سَكَنَتْ حَرْبٌ إِلَّا وَكُنْتُ فِيهَا سفِيرًا[٢]. قَدْ جَرَّبَنِي ٱلدَّهْرُ فِي زَمَنِي رَخَائِهِ وَبُوسِهِ. وَلَقِيَنِي بِوَجْهَيْ بِشْرِهِ وَعُبُوسِهِ. فَمَا بُحْتُ لِبُوسِهِ إِلَّا بِلَبُوسِهِ[٣]:

وَإِنْ كَانَ صَرْفُ ٱلدَّهْرِ قِدْمًا أَضَرَّ بِي ... وَحَمَّلَنِي مِنْ رَيْبِهِ مَا يُحَمِّلُ[٤]
فَقَدْ جَاءَ بِٱلْإِحْسَانِ حَيْثُ أَحَلَّنِي ... مَحَلَّةَ صِدْقٍ لَيْسَ عَنْهَا مُحَوَّلُ

قُلْنَا: لَا فُضَّ فُوكَ. وَلِلّٰهِ أَنْتَ وَأَبُوكَ[٥]. مَا يَحْرُمُ ٱلسُّكُوتُ إِلَّا عَلَيْكَ وَلَا يَحِلُّ ٱلنُّطْقُ إِلَّا لَكَ. فَمِنْ أَيْنَ طَلَعْتَ وَأَيْنَ تَغْرُبُ. وَمَا ٱلَّذِي يَحْدُو أَمَلَكَ أَمَامَكَ. وَيَسُوقُ غَرَضَكَ قُدَّامَكَ[٦]. قَالَ: أَمَّا ٱلْوَطَنُ فَٱلْيَمَنُ وَأَمَّا ٱلْوَطَرُ فَٱلْمَطَرُ. وَأَمَّا ٱلسَّائِقُ فَٱلضُّرُّ[٧]. وَٱلْعَيْشُ ٱلْمُرُّ. قُلْنَا: فَلَوْ أَقَمْتَ بِهٰذَا ٱلْمَكَانِ لَقَاسَمْنَاكَ ٱلْعُمْرَ فَمَا

---

(١) **السماط** صف الجنود التي تتقدم الملك في سيره. **والخطب** الأمر العظيم أي ما من أمر عظيم تحتفه من المخاطر جيوش إلّا اخترقت صفوفها ونلت الأرب منه.

(٢) **السفير** المتكلم بين المتحاربين على الصلح ووضع السلاح.

(٣) **باح يبوح** أي ظهر ما ظهرت لسخط الزمان وشدته إلّا باللباس الذي يلائم حاله. يشير إلى قوله:

البس لكل حالة لبوسها ... إمّا نعيمها وإمّا بوسها

(٤) **ريب الدهر** ما يجلب من الشدائد على بنيه أي أن تقلب الزمان في غيره وإن كان قد أضرّ بي في قديم أيامي وحملني من أثقال الشدة ما جرت عادته أن يحمل فقد انتهت إساءته بالإحسان حيث أحلني بما قلب علي من أحواله محلة صدق في اليقين وثبات في البصر بالأمور لا أتحول عنها لأن من خالط اليقين ووصل من العلم إلى عينه لم يبق للشكوك مطمع في تحويله عما وصل إليه.

(٥) **فضّ اللّه فاه** نثر أسنانه كأن الأسنان إذا انطبقت ختمت على الفم وكانت كحجاب لما دونها من داخله. فإذا نثرت الأسنان انفضّ الفم وانهتك حجابه وتكسّر بابه. **ولا فض** فوه دعاء مشهور لمن يستحسن نطقه بأن لا تنثر أسنانه فيقبح لفظه. **وللّه انت وابوك** كلمة استحسان تقال لمن تحيّرت في سبب ما أعجبك من فعله فلجأت لنسبته إلى اللّه أو نسبة أبيه إليه. فقلت للّه أنت ما كان أمرك لينسب إلّا إلى اللّه خاصة لأنه باهر القدرة لا يعجز عن إظهار مثل عملك منك. ومثل ذلك لله أبوك.

(٦) إنما يسوق العامل إلى العمل أمله في غاية ينتهي به إليها. والذي **يحدو العمل** أي يستحثّه في السوق إلى العمل هو تلك الغاية فهو يسأل عن الغاية التي تستحث أمله في قيادته إلى عماله. **والغرض** مصدر غرض إليه أي اشتاق. أي ما الذي يسوق شوقك قدامك. وكأنه يخيل الأمل والشوق في صورة متبوعين وهو يتبعهما ولكل منهما حادٍ وسائقٌ يسأل عنه.

(٧) **اما الوطن** جواب عن قوله من أين طلعت وقوله: **واما الوطر** جواب عن قوله ما الذي يحدو أملك. وقوله: **واما السائق** جواب على قوله ما الذي يسوق غرضك. **والوطر** =

دُونَه[١] وَلَصَادَفْتَ مِنَ ٱلْأَمْطَارِ مَا يُزْرَعُ. وَمِنَ ٱلْأَنْوَاءِ مَا يُكْرَعُ[٢]. قَالَ: مَا أَخْتَارُ عَلَيْكُمْ صَحْبًا. وَلَقَدْ وَجَدْتُ فِنَاءَكُمْ رَحْبًا[٣]. وَلٰكِنْ أَمْطَارُكُمْ مَاءٌ وَٱلْمَاءُ لَا يُرْوِي ٱلْعِطَاشَ. قُلْنَا: فَأَيُّ ٱلْأَمْطَارِ يُرْوِيكَ. قَالَ: مَطَرٌ خَلَفِيٌّ[٤] وَأَنْشَأَ يَقُول:

سِجِسْتَانَ أَيَّتُهَا ٱلرَّاحِلَهْ ... وَبَحْرًا يَؤُمُّ ٱلْمُنَى سَاحِلَهْ[٥]
سَتَقْصِدُ أَرْجَانَ إِنْ زُرْتَهَا ... بِوَاحِدَةٍ مِائَةٍ كَامِلَهْ[٦]
وَفَضْلُ ٱلْأَمِيرِ عَلَى ٱبْنِ ٱلْعَمِيدِ ... كَفَضْلِ قُرَيْشٍ عَلَى بَاهِلَهْ[٧]

= الأرب والمطلب. **والضر** البؤس وشدة الحاجة. ورجل في مثل فضله وتجربته على ما حكى عن نفسه حاجة الناس إليه في مهمات شؤونهم أشد من حاجته إليهم في ترفيه عيشه. ولعل أهل زمانه كانوا على مثال أهل هذه الأيام في بعض الأقطار لا يساوم فيها على العقل وإذا ساوموا عليه لا ينتهي السوم إلى شراء أبدًا.

(١) مبالغة في مواساته أي لو كان العمر في يد صاحبه يتمكن من هبة بعضه لمن يحب لقاسمناك فيه وما دون العمر المال والجاه مثلًا.

(٢) **الأنواء** جمع نوء وهو هنا بمعنى المطر الغزير. ويكون من كرع في الماء إذا تناوله من موضعه بفيه لا بكفه ولا يرفع إناء إليه وإيقاع الكرع على النوء على حذف في الكلام كما في إيقاع الزرع على ضمير المطر أي يكرع في مائه ويزرع به وإنما يزرع على المطر الكافي لري الأرض ويكرع في الماء الغزير الطافح من مجاريه بحيث يتمكن الشارب من تناوله بفيه. يكنون بذلك عن خصب بلادهم ووفرة خيرها وفيها مطلبه وهو المطر.

(٣) **الفناء** الساحة أمام البيوت. **والرحب** الواسع. ويكنى بسعة الفناء عن الكرم وسعة الصدر لتلقي الأضياف.

(٤) **خلفي** بتحريك اللام نسبة إلى خلف وهو الأمير الذي يقصده وسيسوق الكلام لمدحه.

(٥) أي اقصدي أيتها الراحلة سجستان بلد الأمير خلف وأمي بها بحرًا تؤم المنى ساحله لترد ماءه. **والمنى** جمع منية وهي ما تتمناه لتناله.

(٦) يخاطب نفسه كأنها شخص آخر يقول إذا قصدت أرجان لزيارتها فإنك لتقصدها من هبات الأمير خلف بهبات تلاقي كل مائة منها واحدة من أمانيك أي تتمنى شيئًا فتعطى مائة. فليس تنكير واحدة لافرادها ولكن لبيان عدد وما يقابله. **وأرجان** بلدة من بلاد فارس وهي مشددة الراء خففها للوزن.

(٧) ابن العميد هو أبو الفضل محمد بن العميد وزير ركن الدولة بن بويه الديلمي من رجال القرن الرابع للهجرة كان فيلسوفًا منجمًا بلغ من فنون الأدب والترسل ما لم يقاربه فيه أحد. ومن تلامذته في الكتابة الصاحب بن عباد وما لقب بالصاحب إلّا لصحبته. وكان مع سعة علمه وافر الهبات واسع العطايا يقصده الشعراء من أقطار المسكونة. يقول هذا الشيخ الناجم إن ممدوحه الذي قلّما يعرف إلّا في شعره أو مقامته هذه أفضل من ابن العميد وفضله عليه كفضل **قريش** وهي أشرف قبيلة في العرب على **باهلة** وهي أدنى قبيلة فيهم.

قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ: فَخَرَجَ وَوَدَّعْنَاهُ. وَأَقَمْنَا بَعْدَهُ بُرْهَةً نَشْتَاقُهُ. وَيُؤْلِمُنَا فِرَاقُهُ. فَبَيْنَا نَحْنُ بِيَوْمِ غَيْمٍ فِي سِمْطِ ٱلثُّرَيَّا جُلُوسٌ[1] إِذِ ٱلْمَرَاكِبُ تُسَاقُ وَٱلْجَنَائِبُ تُقَادُ[2] وَإِذَا رَجُلٌ قَدْ هَجَمَ عَلَيْنَا. فَقُلْنَا مَنِ ٱلْهَاجِمُ. فَإِذَا شَيْخُنَا ٱلنَّاجِمُ. يَرْفُلُ فِي نَيْلِ ٱلْمُنَى[3]. وَذَيْلِ ٱلْغِنَى. فَقُمْنَا إِلَيْهِ مُعَانِقِينَ وَقُلْنَا: مَا وَرَاءَكَ يَا عِصَامُ[4]. فَقَالَ: جِمَالٌ مُوقَرَةٌ[5] وَبِغَالٌ مُثْقَلَةٌ. وَحَقَائِبُ مُقْفَلَةٌ. وَأَنْشَأَ يَقُولُ:

مَــوْلَايَ أَيُّ رَذِيــلَــةٍ لَــمْ يَــأْبَــهَــا ... خَــلَــفٌ وَأَيُّ فَــضِــيــلَــةٍ لَــمْ يَــأْتِــهَــا
مَــا يُــسْــمِــعُ ٱلْــعَــافِــيــنَ إِلَّا هَــاكَــهَــا ... لَــفْــظًــا وَلَــيْــسَ يُــجَــابُ إِلَّا هَــاتِــهَــا[6]
إِنَّ ٱلْــمَــكَــارِمَ أَسْــفَــرَتْ عَــنْ أَوْجُــهٍ ... بِــيــضٍ وَكَــانَ ٱلْــخَــالَ فِــي وَجَــنَــاتِــهَــا[7]

---

(١) **السمط** الخيط المنظوم فيه الدرّ ونحوه ما دام الجوهر منظومًا فيه. فإن لم يكن فيه منظوم فهو سلك فقط. **والثريا** جملة النجوم الملتئمة على شكلها المعروف في السماء يشبّهونها بالعقد المنظوم ويشبّهون بها في الانتظام وحسن الالتئام يقول: إنهم كانوا جلوسًا كأنهم نجوم الثريا نظمت في سمطها.

(٢) **المراكب** ما يركب من حيوان وغيره وأراد منها هنا ما يحمل العطايا القادم بها الشيخ الناجم من لدن الأمير الخلف. **والجنائب** جمع جنيبة وهي الدابة التي تقاد مع الراكب ليراوح بينها وبين ما يركبه. **وهجم علينا** انتهى إلينا على بغتة أو ما يقرب منها.

(٣) **رفل في ثيابه** إذا جرّ ذيولها وتبختر وخطر بيده. فجعل نيل المنى كأنه ثوب سابغ يرفل فيه. وخيّل الغنى في صورة ثوب وأضاف إليه ذيلًا.

(٤) **ما وراءك يا عصام** مثل في الاستخبار عن القادم عما خلف. يروى بفتح الكاف. **وعصام** هو ابن شهبر حاجب النعمان منع النابغة من الدخول على النعمان وهو مريض وقد جاء إلى عيادته فقال في قصيدة:

فــإنــي لا ألــومــك فــي دخــول ... ولــكــن مــا وراءك يــا عــصــام

يسأله عما احتجب دونه وهو النعمان في مرضه. ويروى بكسر الكاف. **وعصام** هي امرأة من كندا أرسلها الحرث بن عمرو ملك كندة إلى زوجة محلم لتكلمها في تزويج ابنتها عوف بنت محلم للحرث فلما رجعت وهي مقبلة عليه قال: ما وراءك يا عصام.

(٥) **الموقرة** المحملة. **والمثقلة** التي أثقل عليها في أحمالها. **والحقائب** جمع حقيبة وأصلها الخريطة يعقلها المسافر في رحله لزاد ونحوه أراد منها مطلق الأوعية.

(٦) **العافي** طالب الفضل. فالممدوح لا يوجه إلى آذان السامعين لفظًا إلّا لفظ «هاكها» أي خذها يشير بالضمير إلى العطية. والعافون لعلمهم بسماحة نفسه وابتهاجه بما يؤخذ منه لا يجيبونه إلّا بلفظ «هاتها».

(٧) **المكارم** جمع مكرمة وهي أحسن الفعل وأجمله عائدة على الغير. خيل المكارم في صور جوار حسان **اسفرت** أي كشفت عن وجوهها البيض وكان الممدوح خالًا في =

بِأَبِي شَمَائِلَهُ ٱلَّتِي تَجْلُو ٱلْعُلَا وَيَدًا تَرَى ٱلْبَرَكَاتِ فِي حَرَكَاتِهَا(١)
مَنْ عَدَّهَا حَسَنَاتِ دَهْرٍ إِنَّنِي مِمَّنْ يَعُدُّ ٱلدَّهْرَ مِنْ حَسَنَاتِهَا(٢)

قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَام: فَسَأَلْنَا ٱللَّهَ بَقَاءَهُ. وَأَنْ يَرْزُقَنَا لِقَاءَهُ. وَأَقَامَ ٱلنَّاجِمُ أَيَّامًا مُقْتَصِرًا مِنْ لِسَانِهِ. عَلَى شُكْرِ إِحْسَانِهِ. وَلَا يَتَصَرَّفُ مِنْ كَلَامِهِ. إِلَّا فِي مَدْحِ أَيَّامِهِ. وَٱلتَّحَدُّثِ بِإِنْعَامِهِ.

= وجناتها. **والخال** زينة الوجه الأبيض فهو زينة المكارم والمكارم زينة الرجال وحلية فضلها وهو من لطيف المبالغة.

(١) **الشمائل** جمع شمال بمعنى السجية والطبع أي يفدي سجاياه بأبيه. ووصفها بمزيتها التي حملته على فدائها بأبيه. فقال: التي تجلو العلاء. **والعلى** الشرف والرفعة وتجلوها كأنها سيف أو مرآة فتصقلها أو عين فتروقها. **ويدًا** عطف على شمائله أي ويفدي يدًا وهي يده التي ترى البركات والخيرات في حركاتها كان في كل حركة عطية لطالب أو تحفة لصاحب.

(٢) **من** هي الشرطية وجوابها يدل عليه السياق أي من عدّ شمائل الممدوح وأياديه من حسنات الدهر فقد قصر عن قدره. ثم استأنف قوله لبيان علّة التقصير وذلك أن الحق عنده هو أن الدهر المساعد يعد من حسنات شمائله وأياديه كأنه واهب الدهر وما يهبه الدهر. وقد تكون **من** استفهامية للإنكار أي لا يعدها أحد من حسنات الدهر. والاستئناف في «أنني» على حاله.

المقَامَةُ ٱلخَلَفيَّة

حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ: لَمَّا وُلِّيتُ أَحْكَامَ ٱلْبَصْرَةِ. وَانْحَدَرْتُ إِلَيْهَا عَنِ ٱلْحَضْرَةِ[١]. صَحِبَنِي فِي ٱلْمَرْكَبِ شَابٌّ. كَأَنَّهُ ٱلْعَافِيَةُ فِي ٱلْبَدَنِ[٢]. فَقَالَ: إِنِّي فِي أَعْطَافِ ٱلْأَرضِ وَأَطْرَافِهَا ضَائِعٌ[٣] لٰكِنِّي أُعَدُّ مُعَدَّ أَلْفٍ[٤]. وَأَقُومُ مَقَامَ صَفٍّ. وَهَلْ لَكَ أَنْ تَتَّخِذَنِي صَنِيعَةً. وَلَا تَطْلُبَ مِنِّي ذَرِيعَةً[٥]. فَقُلْتُ: وَأَيُّ ذَرِيعَةٍ آكَدُ مِنْ فَضْلِكَ. وَأَيُّ وَسِيلَةٍ أَعْظَمُ مِنْ عَقْلِكَ. لَا بَلْ أَخْدِمُكَ خِدْمَةَ ٱلرَّفِيقِ[٦]. وَأُشَارِكُكَ فِي ٱلسَّعَةِ وَٱلضِّيقِ. وَسِرْنَا فَلَمَّا وَصَلْنَا ٱلْبَصْرَةَ غَابَ عَنِّي أَيَّامًا فَضِقْتُ لِغَيْبَتِهِ ذَرْعًا[٧] وَلَمْ أَمْلِكْ صَبْرًا. فَأَخَذْتُ أُفَتِّشُ جُيُوبَ ٱلْبَلَدِ[٨] حَتَّى وَجَدْتُهُ. فَقُلْتُ: مَا ٱلَّذِي أَنْكَرْتَ[٩].

---

(١) **الحضرة** حضرة الخليفة أي سار من لدن الخليفة إلى البصرة. وقد يكون عبّر بالحضرة عن مدينة بغداد.

(٢) أي إنه في ظرفه وأدبه وغزارة فضله بحيث ينزل من عشيره منزلة الصحة من بدنه في الحرص عليها واشتداد الرغبة إليها لو غابت.

(٣) **الأعطاف** جمع عطف بالكسر بمعنى الجانب أي جوانب الأرض. **وضياعه** في الجوانب والأطراف أنه ينتقل من جانب إلى جانب لا يعرف قدره ولا يقوم بقيمته. وفي بعض النسخ تحريف إلى غير ما كتبنا عليه ولا اعتداد به.

(٤) هو وإن كان ضائعًا مجهول القدر عند الناس لكن إذا عدّ ألف لأمر أو أمور مهمة عدّ وحده حيث يعدّ جميعهم.

(٥) بعدما بيّن مقام نفسه في الفضل والكفاية طلب من الصاحب أن يتخذه صنيعة أي يحسن إليه فيكون له بمنزلة مصنوع له يتبعه ولا يقطعه ويطيعه فيما يسعه من دون أن يطلب منه في نظير اصطناعه والإحسان إليه ذريعة ولا وسيلة أخرى سوى استصناعه واستئلاف شخصه.

(٦) قد يطلقون الرفيق على الخادم لمرافقته سيده غالبًا. ويروى: الرقيق بقافين وهي أجود.

(٧) **ذرعًا** محول عن الفاعل والأصل ضاق ذرعي. **والذرع** الخلق والطاقة أي ضاقت طاقتي وضعفت عن احتمال غيبته.

(٨) **جيوب البلد** مداخلها.

(٩) أي ما الذي رأيته في صحبتنا على خلاف مألوفك فأنكرته واستقبحته فحملك على هجرنا.

وَلِمَ هَجَرْتَ. فَقَالَ: إِنَّ ٱلْوَحْشَةَ تَقْدَحُ فِي ٱلصَّدْرِ ٱقْتِدَاحَ ٱلنَّارِ فِي ٱلزَّنْدِ فَإِنْ أُطْفِئَتْ نَارَتْ وَتَلَاشَتْ. وَإِن عَاشَتْ طَارَتْ وَطَاشَتْ(١). وَٱلْقَطْرُ إِذَا تَتَابَعَ عَلَى ٱلْإِنَاءِ ٱمْتَلَأَ وَفَاضَ(٢). وَٱلْعَتَبُ إِذَا تُرِكَ فَرَّخَ وَبَاضَ(٣). وَٱلْحُرُّ لَا يَعْلَقُهُ شَرَكٌ كَٱلْعَطَاءِ(٤). وَلَا يَطْرُدُهُ سَوْطٌ كَٱلْجَفَاءِ(٥). وَعَلَى كُلِّ حَالٍ. نَنْظُرُ مِنْ عَالٍ عَلَى ٱلْكَرِيمِ نَظَرَ إِدْلَالٍ. وَعَلَى ٱللَّئِيمِ نَظَرَ إِذْلَالٍ(٦). فَمَنْ لَقِيَنَا بِأَنْفٍ طَوِيلٍ. لَقِينَاهُ بِخُرْطُومِ فِيلٍ. وَمَنْ لَحَظَنَا

---

(١) **الوحشة** ما يصيب النفس من الغضاضة عند تمثل أحد من الناس في خيالها لما يصحب مثاله من أثر سوء وصل إليها منه فإذا وجدت من عشيرك ما يسوؤك انقدحت تلك الوحشة في قلبك كما تنقدح النار من الزند بسرعة لا تكاد توصف فإن اتبعت السيئة بالحسنة فكأنما صببت ماء على نار فأطفئت ومحي ذلك الأثر من النفس. وقوله: **نارت** من نار القوم انهزموا يشبهها في سرعة مفارقتها النفس بانهزام المنهزم من بين يدي عدوه الغالب. وقد يروى: **بادت** بالباء أي اضمحلت وهلكت. وإن عاشت تلك الوحشة وثبتت في النفس ولم يتبع سببها بما يمحوه طارت كما يطير لهب النار فلا تدع في النفس شيئًا من علاقات المحبة حتى تحرقه وتفسده.

(٢) نوع من الاستدلال التمثيلي فكما أن القطر إذا تتابع على إناء ملأه حتى فاض كذلك الوحشة إذا توالت أسبابها على النفس ضاقت عن احتمالها وفاضت بما يشفي الغيظ ويفرج عن سخيمة الضغن.

(٣) **العتب** بالتحريك الأمر الكريه فإذا ترك يفعل في القلب أثره فكلما ردّده الخيال بدا منه وجه جديد يأتي بأثر جديد. هكذا تراك إذا بلغك عن أحد ما يسوؤك فكلما طال الزمن وتذكرت الذي بلغك يعظم الأمر عندك وتقوى النفرة في قلبك فهذا معنى بيضه وتفريخه فإن الكريه الواحد لا يلبث أن تكون له وجوه من الكرائه وربما انتهى بعداوات لا تندمل لها جروح لكن إذا تلوفي الأمر في بدايته سهل اقتلاعه.

(٤) الناس ينصبون الأشراك لصيد الطير ونحوه. والأحرار الكرام الطباع لا يعلقهم شرك فيقيدهم على طلّاب صيدهم مثل العطاء والإحسان فإذا أحسنت إلى حر فكأنما قيّدته لطاعتك وقصرته على خدمتك كما يقيد الصائد صيده على منفعته.

(٥) **السوط** ما يضرب به من جلد مضفور ونحوه. ومنه ما يسمى في بلاد مصر الكرباج والزخمة. وفي العادة أن يطرد الحيوان أو السافل من الإنسان بالسوط والضرب به. أما الحر فلا صوت ينجح استعماله في طرده مثل الجفاء وخشونة الجانب.

(٦) إن الحر الكريم يجد نفسه في رفعة وعلو مكانة بما لها من مزايا الفضل فهو ينظر إلى الناس من مكان عال دائمًا لكنه يختلف نظره في الوقوع على الناس فهو يكون على الكرام نظر إدلال لأن الكريم يقدر الكريم قدره فله أن يدل عليه ويلحن له بأنه من المنزلة الرفيعة بحيث ينبغي توقيره وتعظيمه. والكريم لا يرى في ذلك كبرًا ولا يجد من نفسه غضاضة بل يفهم ما ألحن به إليه ويؤدي الحق الذي يرى وجوبه عليه. وينظر إلى اللّئيم نظر الإذلال =

بِنَظَرٍ شَزْرٍ. بِغِنَاهُ بِثَمَنٍ نَزْرٍ(١). وَأَنْتَ لَمْ تَغْرِسْنِي لِيَقْلَعَنِي غُلَامُكَ(٢). وَلَا ٱشْتَرَيْتَنِي لِتَبِيعَنِي خُدَّامُكَ. وَٱلْمَرْءُ مِنْ غِلْمَانِهِ. كَٱلْكِتَابِ مِنْ عُنْوَانِهِ(٣). فَإِنْ كَانَ جَفَاؤُهُمْ شَيْئًا أَمَرْتَ بِهِ فَمَا ٱلَّذِي أَوْجَبَ. وَإِنْ لَمْ تَكُنْ عَلِمْتَ بِهِ كَانَ أَعْجَبَ. ثُمَّ قَالَ:

ظَفِرَتْ يَدَا خَلَفِ بْنِ أَحْمَدَ إِنَّهُ سَهْلُ ٱلْفِنَاءِ مُؤَدَّبُ ٱلْخُدَّامِ(٤)
أَوَ مَا رَأَيْتُ ٱلْجُودَ يَجْتَازُ ٱلْوَرَى وَيَحِلُّ مِنْ يَدِهِ بِدَارِ مُقَامِ

قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ: ثُمَّ أَعْرَضَ وَتَبِعْتُهُ أَسْتَعْطِفُهُ وَمَا زِلْتُ أُلَاطِفُهُ حَتَّى ٱنْصَرَفَ. بَعْدَ أَنْ حَلَفَ لَا أَوْرَدْتُ مَنْ أَسَاءَ عِشْرَتَهُ. فَوَهَبْتُ لَهُ حُرْمَتَهُ(٥).

= بالذال المعجمة من الذل أي نظر الاحتقار والإهانة له.

(١) **النظر الشزر** ما يكون من مؤخر العين على هيئة المعرض المحتقر. **والثمن النزر** القليل.

(٢) إن إحسانك إلى كريم بمنزلة غرس شجرة طيبة تثمر ثمرة طيبة لهذا قال: **لم تغرسني ليقلعني غلامك** أي أنت غرستني بإحسانك وغلامك يقلعني بإساءته وما كنت تفعل ذاك ليكون هذا.

(٣) كما قالوا: يعرف الكتاب من عنوانه يقال: يعرف المرء من غلمانه.

(٤) **الفناء** بالكسر ما امتد من جوانب البيوت أو هو الساحة أمامها ويكنون بسعته عن الكرم وبسهولته عن لين الجانب وحسن الجوار.

(٥) **أورده** حضر به إلى الموردة. يريد أن الخادم الذي أساء عشرته لا يمنحه البقاء في خدمته. وبقاء الخادم في خدمة العظماء والكرماء إيراد له مورد الراحة والكرامة. ووهب له حرمته ولى له ببر يمينه قضاء لحق الحرمة بينهما. وكأن حرمته كانت مفقودة لو لم يفعل ذلك فوهبها له.

المقَامَةُ ٱلنَّيسَابُورِيَّة

حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ: كُنْتُ بِنَيْسَابُورَ(١). يَوْمَ جُمْعَةٍ فَحَضَرْتُ ٱلْمَفْرُوضَةَ وَلَمَّا قَضَيْتُهَا ٱجْتَازَ بِي رَجُلٌ قَدْ لَبِسَ دَنِّيَّةً. وَتَحَنَّكَ سُنِّيَّةً(٢). فَقُلْتُ لِمُصَلٍّ بِجَنْبِي: مَنْ هٰذَا. قَالَ: هٰذَا سُوسٌ لَا يَقَعُ إِلَّا فِي صُوفِ ٱلْأَيْتَامِ(٣). وَجَرَادٌ لَا يَسْقُطُ إِلَّا عَلَى ٱلزَّرْعِ ٱلْحَرَامِ(٤). وَلِصٌّ لَا يَنْقُبُ إِلَّا خِزَانَةَ ٱلْأَوْقَافِ(٥). وَكُرْدِيٌّ لَا يُغِيرُ إِلَّا عَلَى ٱلضِّعَافِ(٦). وَذِئْبٌ لَا يَفْتَرِسُ عِبَادَ ٱللَّهِ إِلَّا بَيْنَ ٱلرُّكُوعِ وَٱلسُّجُودِ(٧). وَمُحَارِبٌ لَا

---

(١) مدينة من مدن إيران. **والمفروضة** يوم الجمعة هي صلاة الجمعة وغلب عليها اللقب في ذلك اليوم مع ما فيه من مفروضات أخر لأنها صاحبة اليوم عرفت به أو عرف بها ولامتيازها عن بقية المفروضات بالخطبة ووجوب الجماعة وغير ذلك.

(٢) **الدنية** قلنسوة القاضي شبّهت بالدن. **وتحنك** أدار العمامة من تحت حنكه ومن ذلك تحنيك الميت وهو إدارة الخرقة التي تربط بها رأسه من تحت حنكه. **وسنية** نسبة إلى السنّة أي اعتمّ بعمامة أهل السنّة.

(٣) شبّه هذا القاضي الخبيث بسوس يقع في الصوف فيفسده. وأراد **بصوف الأيتام** أموالهم التي يرثونها عن مورثيهم. والنظر في التركات يكون للقضاء في معظم الأحوال. وليس لليتيم من أهل العناية به من يحول بين القاضي وبين آكل ماله فلهذا كان غالب أثر القضاة من السوء في مال الأيتام.

(٤) من الزرع ما يكون تناوله حرامًا وهو ما كان ملكًا لزارع ولم يأذن مالكه في تناوله. ومن الزرع المباح في الأرض غير المملوكة. **فهذا القاضي** أشبه بالجراد في اجتياح الزرع وإتلافه لكنه لا يسقط إلّا على ما يحرم تناوله من أموال الناس التي يأكلها بالباطل.

(٥) **هو** أشبه باللّص في استلاب الأموال لكنه لا ينقب إلّا ما اشتد الخطر في تناوله كمال الأوقاف لأن غالب شؤونه تتعلّق بالقضاة كمال اليتيم.

(٦) في طبع الأكراد ميل إلى السلب والنهب لكنهم لا يغيرون إلّا على الضعاف لجبنهم ودناءة طباعهم وليس ذلك عامًا فيهم فقد كان منهم معروفون بالشجاعة مشهورون بالبسالة غير أنه يغلب عليهم. **وهذا القاضي** أشبه بهم لأنه إنما يأكل مال الوقف واليتيم ويضيع حق الضعيف والفقير. أما الأقوياء فإنه يتقرّب إليهم بإعطائهم ما يزيد على حقوقهم ليساعدوه بستر هفواته.

(٧) يفترسهم وهم راكعون ساجدون أو وهو راكع ساجد يظهر بلباس الصالحين ويعمل عمل الجبارين. وهذا الثاني أمس بقوله: **ومحارب لا ينهب مال اللّه إلخ**. فإنه ينهب المال =

يَنْهَبُ مَالَ ٱللَّهِ إِلَّا بَيْنَ ٱلْعُهُودِ وَٱلشُّهُودِ. وَقَدْ لَبِسَ دَنِّيَّتَهُ. وَخَلَعَ دِينِيَّتَهُ[١]. وَسَوَّى طَيْلَسَانَهُ[٢]. وَحَرَّفَ يَدَهُ وَلِسَانَهُ. وَقَصَّرَ سِبَالَهُ. وَأَطَالَ حِبَالَهُ[٣]. وَأَبْدَى شَقَاشِقَهُ. وَغَطَّى مَخَارِقَهُ[٤]. وَبَيَّضَ لِحْيَتَهُ. وَسَوَّدَ صَحِيفَتَهُ. وَأَظْهَرَ وَرَعَهُ. وَسَتَرَ طَمَعَهُ. قُلْتُ. لَعَنَ ٱللَّهُ هٰذَا فَمَنْ أَنْتَ. قَالَ: أَنَا رَجُلٌ أُعْرَفُ بِٱلْإِسْكَنْدَرِيِّ. فَقُلْتُ: سَقَى ٱللَّهُ أَرْضًا أَنْبَتَتْ هٰذَا ٱلْفَضْلَ. وَأَبَا خَلَّفَ هٰذَا ٱلنَّسْلَ. فَأَيْنَ تُرِيدُ قَالَ: ٱلْكَعْبَةَ. فَقُلْتُ: بَخٍّ بَخٍّ بِأُكْلِهَا وَلَمَّا تُطْبَخْ[٥]. وَنَحْنُ إِذًا رِفَاقٌ. فَقَالَ: كَيْفَ ذٰلِكَ وَأَنَا مُصْعِدٌ وَأَنْتَ مُصَوِّبٌ[٦]. قُلْتُ: فَكَيْفَ تَصْعَدُ إِلَى ٱلْكَعْبَةِ. قَالَ: أَمَّا أَنِّي أُرِيدُ كَعْبَةَ ٱلْمُحْتَاجِ. لَا

= بحيل شرعية من صور عهود وعقود وشهادة شهود. ونسبتنا الحيل إلى الشرع لأن صورها توافق بعض أحكامه وإن كانت حقيقتها أبعد شيء منه.

(١) **دينية** نسبة إلى الدين أي صفته الدينية التي تأتلف مع نهب الأموال بالحيل فهو وإن لبس لباس أهل الدين لكنه قد عُرِّي من صفاتهم وعطّل من حالاتهم.

(٢) **الطيلسان** نوع من الكساء يلبسه الخواص من المشايخ والعلماء يوضع على الرأس ويسبل على القفاء إلى ما بين الكتفين. **وتسويته** وضعه كما ينبغي أن يوضع.

(٣) **السبل** جمع سبلة وهو ما على الشوارب من الشعر وتقصيره من عادات المتورعين. **وإطالة الحبال** ليوقع فيها من يريد صيده لاستلاب ماله من الناس.

(٤) **الشقاشق** جمع شقشقة بالكسر وأصل معناها ما يخرجه البعير من فيه إذا هاج شبه الرئة. ثم قيل في اللسان الذرب شقشقة. قيل للكلام المتدفق عن غزارة معنى في المتكلم هدرت شقشقته. فهذا القاضي من المتفيهقين في الكلام يظهر الصلاح في منطقه ويطوي الخبث في سريرته. **والمخارق** جمع مخرقة بمعنى التمويه والكذب.

(٥) بخٍّ بخٍّ وبخٍ بخٍ على اختلاف الهيئات في نطقها كلمة تقال عند استعظام أمر فيما يحمد ويستحسن. **والأكل** الحظ والنصيب. والضمير المضاف إليه يعود للفعلة الصالحة المفهومة من الكلام وتلك الفعلة هي زيارة الكعبة والحج إليها. **وأكل العمل الصالح** هو الثواب والجزاء الحسن عند الله تعالى. وقوله: **ولما تطبخ**. يريد منه قبل أن تتم أي إن ثوابها عظيم وهي الآن لم تكمل فإن تمت كان ثوابها أعظم وجزاؤها أجزل. واختار هذه الألفاظ لهذا المعنى للإيماء إلى أن الأمر مطلوب للنفس مشتهى لها كما يشتهي الطعام.للجائع.

(٦) **مُصعِدٌ** إلى الشمال الشرقي وعيسى بن هشام **مَصَوِّبٌ** يهبط إلى الجنوب الغربي وإنما كان ذلك مع أن الحق في العكس لأن الطريق من نيسابور إلى خراسان يرتفع في جبال ومنها إلى نواحي العراق يهبط إلى سهول. فتعجب عيسى من جوابه وقال: كيف تصعد إلى الكعبة مع أنك تكون مدبرًا عنها. فقال إنه لما ذكر الكعبة لم يرد كعبة الحجاج في مكة بل أراد **كعبة المحتاج** أي التي يقصدها المحتاج فينال من سدّ حاجته ما ينال الحاج من جزيل مثوبته.

كَعْبَةَ ٱلْحَجَّاجِ. وَمَشْعَرَ ٱلْكَرَمِ لَا مَشْعَرَ ٱلْحَرَمِ(١). وَبَيْتَ ٱلسَّبْيِ. لَا ٱلْهَدْيِ(٢). وَقِبْلَةَ ٱلصِّلَاتِ. لَا قِبْلَةَ ٱلصَّلَاةِ(٣). وَمِنَى ٱلضَّيْفِ. لَا مِنَى ٱلْخَيْفِ(٤). قُلْتُ: وَأَيْنَ هٰذِهِ ٱلْمَكَارِمُ. وَأَنْشَأَ يَقُولُ:

بِحَيْثُ ٱلدِّينُ وَٱلْمَلِكُ ٱلْمُؤَيَّدْ وَخَدُّ ٱلْمَكْرُمَاتِ بِهِ مُوَرَّدْ(٥)
بِأَرْضٍ تَنْبُتُ ٱلْآمَالُ فِيهَا لِأَنَّ سَحَابَهَا خَلَفُ بْنُ أَحْمَدْ

---

(١) **مشعر الحرم** يريد به المشعر الحرام وهو موضع المزدلفة. قال صاحب القاموس: وعليه بناء اليوم ووهم من ظنه جبيلًا. وقال صاحب الكشاف (وهو أوثق) هو قزح وهو الجبل الذي يقف عليه الإمام وعليه **الميقدة** (موضع توقد فيه النار للاستضاءة ثم كان يوقد عليه مصباح كبير أشبه بالفنارات في هذه الأيام زمن الرشيد العباسي) وقيل: **المشعر الحرام** ما بين جبلي المزدلفة من مازمي عرفة إلى وادي محسر. ثم قال: والصحيح أنه الجبل واستدلّ عليه.

(٢) **الهدي** ما يساق إلى الكعبة من الإبل والبقر والشاء لينحر في المواطن المعروفة قربة إلى الله تعالى. وأما بيت خلف الذي هو كعبة الإسكندري فهو **بيت سبي** أي تساق إليه السبايا التي يغنمها جيشه في حروبه.

(٣) **الكعبة** قبلة بالكسر يستقبلها المصلي في صلاته فهذه لا يعنيها الإسكندري أما التي يعنيها فهي التي يستقبلها طالب الصلة بالكسر أي العطية فالصلات بكسر الصاد جمع صلة.

(٤) **منى الخيف** بلدة قرب مكة ينزل إليها الحاج صباح يوم عيد الأضحى وأضافها للخيف لأن الخيف ناحية منها وهو غرة بيضاء في الجبل الأسود الذي خلف أبي قبيس وهناك مسجد يسمى مسجد الخيف لقربه من ذلك الموضع. يشبّه فناء خلف أو بلدته بمنى يأوي إليه الضيفان كما يأوي الحاج إلى منى لأداء نسكه. وفي التشبيه إشعار بكثرة الضيفان حتى كأنهم الحجاج.

(٥) يكون الخد موردًا شبيهًا بالورد إذا كان الدم مترقرقًا تحت جلدة الوجه في غزارة وانبساط وذلك إنما يكون عند الفرح وصحة البنية، فممدوحه قد حفظ للمكرمات صحتها ووفر لها بهجتها لقيامه بتأدية ما تقتضيه طبيعتها. وبقية المعنى ظاهرة. ويروى: الملك بضم فسكون والمؤبد بالباء الموحدة.

المَقَامَةُ ٱلعِلْمِيَّة

حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ: كُنْتُ فِي بَعْضِ مَطَارِحِ ٱلْغُرْبَةِ مُجْتَازًا[١] فَإِذَا أَنَا بِرَجُلٍ يَقُولُ لِآخَرَ: بِمَ أَدْرَكْتَ ٱلعِلْمَ وَهُوَ يُجِيبُهُ قَالَ: طَلَبْتُهُ فَوَجَدْتُهُ بَعِيدَ ٱلْمَرَامِ[٢]. لَا يُصْطَادُ بِٱلسِّهَامِ. وَلَا يُقْسَمُ بِٱلْأَزْلَامِ[٣] وَلَا يُرَى فِي ٱلْمَنَامِ. وَلَا يُضْبَطُ بِٱللِّجَامِ. وَلَا يُورَثُ عَنِ ٱلأَعْمَامِ. وَلَا يُسْتَعَارُ مِنَ ٱلْكِرَامِ. فَتَوَسَّلْتُ إِلَيْهِ بِٱفْتِرَاشِ ٱلْمَدَرِ[٤]. وَٱسْتِنَادِ ٱلْحَجَرِ. وَرَدِ ٱلضَّجَرِ. وَرُكُوبِ ٱلْخَطَرِ. وَإِدْمَانِ ٱلسَّهَرِ. وَٱصْطِحَابِ ٱلسَّفَرِ.

---

(١) **بعض مطارح الغربة** بعض المواضع التي طرحتني ورمتني فيها الغربة أي البعد عن أوطاني. **مجتازًا** أي مارًا في الطريق.

(٢) **المرام** المطلب وما كان بعيد المطلب فهو أولى أن يكون بعيد الحصول إذ لو قرب حصوله لسهل طلبه.

(٣) **الأزلام** أقداح كانت تستقسم بها العرب في الجاهلية وهي ضربان أحدهما وهو المشهور ما كانوا يذهبون به عند أصنامهم إذا عزموا على شيء فيجيلونه ليتبينوا هل يصيبون خيرًا فيما عزموا عليه ويقال إنها ثلاثة أقداح أحدها مكتوب عليه أمرني ربي والآخر نهاني ربي والثالث غفل لا رقم عليه فإذا أجالها المستقسم ثم أخذ أحدها فكان الأول مضى إلى أمره أو الثاني رجع عنه أو الثالث أعاد ضربها حتى يكون أحد الأولين. **والاستقسام** معناه طلب علم المقسوم له في غيب القضاء. والضرب الآخر وقد لا يُطلق عليه اسم الأزلام إلا قليلًا وهو قداح الميسر التي يقتسمون بها ما كانوا يجزرون من الإبل وذلك أنهم إذا أرادوا أن يلعبوا أخذوا جزورًا فنحروها ثم قسموها أقسامًا ثم جاؤوا بالقداح وعلى بعضها علامة النصيب وبعضها غفل وزيادة النصيب تختلف في مقداره ثم يجيلونها وبعد ذلك يتناولونها فمن أصاب سهمًا فائزًا فله ما قسم له ومن أصاب الخاسر كان بلا نصيب. **والعلم** ليس بالشيء ينال بالاستقسام عند الأصنام ولا بالاقتسام على الأنصباء بل هو في حاجة إلى جد وتعب. ومعنى **يقسم** أي ينال القسم والحظ منه أو يجعل من قسمك وحظك.

(٤) كنى بافتراش **المدر** وهو الطين اليابس وما بعده عن خشونة العيش في طلب العلم لأن المفجع إذا كان لينًا والعيش ناعمًا كان معظم الزمن مصرفًا ما بين نوم طويل ولذة مستغرقة وقلّما ينال العلم مع هذا. والمراد من رد **الضجر** دفعه عن النفس بالمصابرة على العمل **وإدمان السهر** مداومته.

وَكَثْرَةِ ٱلنَّظَرِ. وَإِعْمَالِ ٱلْفِكَرِ. فَوَجَدْتُهُ شَيْئًا لَا يَصْلُحُ إِلَّا لِلْغَرْسِ(١). وَلَا يُغْرَسُ إِلَّا فِي ٱلنَّفْسِ. وَصَيْدًا لَا يَقَعُ إِلَّا فِي ٱلنَّدْرِ. وَلَا يَنْشَبُ إِلَّا فِي ٱلصَّدْرِ. وَطَائِرًا لَا يَخْدَعُهُ إِلَّا قَنَصُ ٱللَّفْظِ. وَلَا يَعْلَقُهُ إِلَّا شَرَكُ ٱلْحِفْظِ(٢). فَحَمَلْتُهُ عَلَى ٱلرُّوحِ وَحَبَسْتُهُ عَلَى ٱلْعَيْنِ(٣). وَأَنْفَقْتُ مِنَ ٱلْعَيْشِ وَخَزَنْتُ فِي ٱلْقَلْبِ(٤). وَحَرَّرْتُ بِٱلدَّرْسِ(٥) وَٱسْتَرَحْتُ مِنَ ٱلنَّظَرِ إِلَى ٱلتَّحْقِيقِ(٦) وَمِنَ ٱلتَّحْقِيقِ إِلَى ٱلتَّعْلِيقِ(٧) وَٱسْتَعَنْتُ فِي ذٰلِكَ

---

(١) لو بذل فيه كل الوسع لم يمكن أن ينال جملة مجتمعة بل لا بدّ فيه من التدريج فتغرس أصوله في النفس. ثم ينمو حتى تتهدّل أغصانه وتجنى ثماره.

(٢) يقال شيء ندر بمعنى نادر. ونوادر الكلام غرائبه أي ما دق عن المعتاد أو فاقه في لفظه ومعناه. والعلم ناد عن الإنهام كالصيد المتوحش لا يقع إليها إلّا في الرفيع من الكلام وأرفع الكلام ما أحاط بحقيقة المعنى وأتى على أطرافه وشف حتى كان نظر الذهن إلى ما حوى من معناه يسابق نظره إلى ما يبدو من اللفظ وفي مثل هذا يصاد العلم وهو لا ينشب أي يعلق إلّا في الصدور والمراد منها العقول وفي عادة العرب أن يعبروا عن العقل بالقلب بنوع من التجوز فانتهى بهم ذلك إلى أن عبّروا عنه بالصدر لأنه يحوي القلب. والقنص الصيد بمعنى المصدر أراد به هنا ما يقتنص به وهو الحب الذي يلقى للطائر في الشرك حتى إذا نزل لالتقاطه علق به فشبّه الألفاظ بذلك الحب الذي يستنزل الطائر من جوّه لأن اللفظ على الوصف الذي قدمنا يستنزل المعاني من سمائها ويستمطرها من أنوائها ويتألف مستوحشها ويستأنس إليه شاردها.

(٣) قد يحمل الشيء على اليد وقد يحمل على الرأس أو على الظهر وما شابه هذه الأعضاء ولا يكون ملازمًا لما هو الإنسان فإن الجسم يكل فيسقط ما حمل ثم يغنى فيفارقه محموله أما الروح فلا يدركها الكلال فتلقي ما حملت ولا هي تفنى فيفارقها ما التزمت فهو كناية عن الملازمة كما في حبسته على العين أي منعته مفارقتها. وقد يكون معنى حملته على الروح اني لم أحصر المطلوب منه في الحسي والنقلي ولكن اسميت همتي إلى تناول العقلي منه والروحاني ومثل هذا العلم لا يستوي إلّا على عرش الروح وحبسه على العين أن لا يخالط بالوهي بل يقصر على الحقيقي العيني أي الموجود في الأعيان الحقيقية الثابتة وهذا العلم الأعلى هو البالغ من الدقة ما يحتاج معه إلى الوسائل التي سبق ذكرها.

(٤) أضاع من ماله وهو العيش ما حفظ به عقله وهو القلب فهو إن أصبح فارغ الخزانة من المال فهو مليء المعارف العوال. وإن أمسى فقيرًا من النقدين فقد بات غنيًا من الفضيلتين: العلم والعمل.

(٥) حرّر المسائل وخلصها من لبس الشبهات بكثرة المدارسة.

(٦) النظر الفكر للوصول إلى المطلوب فبعد تحرير المسائل لم يبقَ حاجة إلى الفكر فقد استراح منه بالوصول إلى التحقيق وهو إدراك الشيء على ما هي حقيقته في نفس الأمر.

(٧) التعليق أي أن يضع صاحب الرأي ما رآه في مسألة ما لبيان مذهبه فيها فبعد أن حقق علّق على كل بحث ما انكشفت له من حقيقته.

بِٱلتَّوْفِيقِ. فَسَمِعْتُ مِنَ ٱلْكَلَامِ مَا فَتَقَ ٱلسَّمْعَ وَوَصَلَ إِلَى ٱلْقَلْبِ وَتَغَلْغَلَ فِي ٱلصَّدْرِ. فَقُلْتُ: يَا فَتَى وَمِنْ أَيْنَ مَطْلَعُ هٰذِهِ الشَّمْسِ. فَجَعَلَ يَقُولُ:

إِسْكَنْدَرِيَّةُ دَارِي لَوْ قَرَّ فِيهَا قَرَارِي
لٰكِنَّ بِٱلشَّامِ لَيْلِي وَبِٱلْعِرَاقِ نَهَارِي

المَقَامَةُ ٱلوَصِيَّة

حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ: لَمَّا جَهَّزَ أَبُو ٱلْفَتْحِ ٱلْإِسْكَنْدَرِيُّ وَلَدَهُ لِلتِّجَارَةِ أَقْعَدَهُ يُوَصِّيهِ فَقَالَ بَعْدَ مَا حَمِدَ ٱللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَصَلَّى عَلَى رَسُولِهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا بُنَيَّ إِنِّي وَإِنْ وَثِقْتُ بِمَتَانَةِ عَقْلِكَ. وَطَهَارَةِ أَصْلِكَ. فَإِنِّي شَفِيقٌ وَٱلشَّفِيقُ سَيِّئُ ٱلظَّنِّ(١) وَلَسْتُ آمَنُ عَلَيْكَ ٱلنَّفْسَ وَسُلْطَانَهَا. وَٱلشَّهْوَةَ وَشَيْطَانَهَا. فَٱسْتَعِنْ عَلَيْهِمَا نَهَارَكَ بِٱلصَّوْمِ وَلَيْلَكَ بِٱلنَّوْمِ. إِنَّهُ لَبُوسٌ ظِهَارَتُهُ ٱلْجُوعُ. وَبِطَانَتُهُ ٱلْهُجُوعُ(٢). وَمَا لَبِسَهُمَا أَسَدٌ إِلَّا لَانَتْ سَوْرَتُهُ(٣). أَفَهِمْتَهُمَا يَا ٱبْنَ ٱلْخَبِيثَةِ. وَكَما أَخْشَى عَلَيْكَ ذٰاكَ فَلَا آمَنُ عَلَيْكَ لِصَّيْنِ أَحَدُهُمَا ٱلْكَرَمُ. وَٱسْمُ ٱلْآخَرِ ٱلْقَرَمُ(٤). فَإِيَّاكَ وَإِيَّاهُمَا إِنَّ ٱلْكَرَمَ أَسْرَعُ فِي ٱلْمَالِ مِنَ ٱلسُّوسِ. وَإِنَّ ٱلْقَرَمَ أَشْأَمُ مِنَ ٱلْبَسُوسِ(٥). وَدَعْنِي مِنْ قَوْلِهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَرِيمٌ إِنَّهَا خُدْعَةُ ٱلصَّبِيِّ عَنِ ٱللَّبَنِ(٦). بَلَى إِنَّ ٱللَّهَ لَكَرِيمٌ وَلٰكِنْ كَرَمُ ٱللَّهِ يَزِيدُنَا وَلَا يَنْقُصُهُ

---

(١) لأن **الشفقة** تخيل له وقوع ما يحذر منه بمن يشفق عليه وإن لم يكن لذلك التخيل منشأ ينتزع منه. ويروى: والشفيق بسوء الظن مولع.

(٢) **الضمير في «أنه»** لشأن المرء الذي ينبغي أن يكون له أي إن الحال التي يجب أن تكون لشاب مثلك لبوس أي ثوب معنوي تلبسه روحك ظهارته التي تظهر للناس الجوع لأنه بالنهار ويمكن أن يعرفه الناس وبطانته. **الهجوع** أي النوم لأنه بالليل في خفاء عن الأعين كبطانة الثوب.

(٣) **السورة** الشدة. والجوع يكسر من شره القوة والنوم يذهل عن حديث الشهوة، ويروى: أشر بدل أسد. والسورة سورة شرهه ونهمته.

(٤) **القرم** بالتحريك اشتداد الشهوة إلى اللحم. وجعل القرم والكرم لصّين سارقين لأن كلًا منهما يذهب بالمال من حيث لا يشعر صاحبه كما أن السارق كذلك.

(٥) **البسوس** هي بنت منقذ التميمية خالة جساس بن مرة البكري كانت جارة لجساس فرعت ناقتها في حمى كليب بن وائل التغلبي فرماها بسهم فاستصرخت البسوس جساسًا فهم بكليب فقتله فقام المهلهل أخو كليب كأنه رئيس تغلب وطلب بكر بن وائل بثأر كليب فاتقدت الحرب بينهما أربعين سنة فضرب المثل بالبسوس في الشؤم.

(٦) أي لا تذكر لي ذلك الدليل الذي يستدلون به على أن البذل لا يضيع المال وهو قولهم **أن الله كريم** فهو يفيض من كرمه على عباده إذا أنفقوا من مالهم فإن هذا الدليل منزلته من =

وَيَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّهُ وَمَنْ كَانَتْ هٰذِهِ حَالُهُ. فَلْتَكْرُمْ خِصَالُهُ[١]. فَأَمَّا كَرَمٌ لَا يَزِيدُكَ حَتَّى يَنْقُصَنِي وَلَا يَرِيشُكَ حَتَّى يَبْرِيَنِي[٢]. فَخِذْلَانٌ لَا أَقُولُ عَبْقَرِيٌّ. وَلٰكِنْ بُقَرِيٌّ[٣]. أَفَهِمْتَهُمَا يَا ٱبْنَ ٱلْمَشْؤُومَةِ. إِنَّمَا ٱلتِّجَارَةُ تُنْبِطُ ٱلْمَاءَ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ[٤]. وَبَيْنَ ٱلْأَكْلَةِ وَٱلْأَكْلَةِ رِيحُ ٱلْبَحْرِ. بَيْدَ أَنْ لَا خَطَرَ وَٱلصِّينُ غَيْرَ أَنْ لَا سَفَرَ[٥]. أَفَتَتْرُكُهُ وَهُوَ مُعْرِضٌ ثُمَّ تَطْلُبُهُ وَهُوَ مُعْوِزٌ[٦] أَفَهِمْتَهُمَا لَا أُمَّ لَكَ. إِنَّهُ ٱلْمَالُ عَافَاكَ ٱللَّهُ فَلَا تُنْفِقَنَّ إِلَّا مِنَ

= عقل العاقل منزلة خدعة الصبي التي يلهونه بها عن طلب اللّبن. فكما أن تلك الخدعة لا أثر لها عند المدرك الراشد وإنما أثرها عند الصبي الغرير كذلك هذا الدليل ربما يقنع به المغفلون لا المحنكون، فإن كرم اللّه لا ينقص شيئًا مما لديه وكرمنا يأتي على ما في أيدينا. والوصية وصية تجار.

(١) أي إن كانت حالتنا تحاكي صفة اللّه (جلّ شأنه وتعالى علوّا كبيرًا) في أن كرمنا يزيد غيرنا ولا ينقصنا وجب أن تكرم خصالنا وتبذل أموالنا لكن أنى لنا أن يكون هذا حالنا.

(٢) **راش السهم** يريشه ألزق عليه الريش، **وبراه** يبريه نحته. فالكرم لا يزيد الآخذ حتى ينقص من المعطي.

(٣) **الخذلان** الخيبة والخسار. **والعبقري** في لسانهم وصف لما يعجب حاله في جودة صنعته أو قوته أو حذقه أو ما يشبه ذلك من وجوه كماله. فهذا الخذلان لا يوصف بهذا الوصف الجيد ولكنه يوصف **بالبقري** بضم الباء وفتح القاف منسوب إلى البقر بهذا الشكل أي الداهية المهلكة أو بالفتحتين نسبة إلى جوع البقر وهو أن يأكل ولا يشبع.

(٤) **تنبط الماء** تستخرجه وإنباط الماء من الحجارة مثل في الإتيان بالشيء من حيث لا يرجى، ويروى: إنما تخرج التجارة وتنبط إلخ.

(٥) إن ريح البحر إذا هبّت على راكبي السفن أشغلتهم عن كل شيء حتى قد تذهلهم عن أنفسهم خوفًا من خطر الغرق. ولا بدّ لهذا التاجر أن يتخيل بين الأكلة والأكلة أن قد هبت عليه ريح البحر فشغلته عن تناول الزاد. حث له على صرف القوى إلى العمل حتى يكون إحساسه بالجوع كإحساس من هبّت عليه ريح البحر وذلك الإحساس يغيب في تلك الحالة غير أنه يفرّق بين حالته فيما بين الأكلتين وبين من هبّت عليهم ريح البحر بأن تلك لا خطر فيها. وقد يكون الكلام تصويرًا للمصاعب التي يلقاها التاجر في تحصيل قوته فيقول إن أكلته ربما كان بينها وبين أختها ريح البحر هبّت على المراكب الحاملة لبضائع التاجر فأغرقتها فهو في تحصيل قوته معرّض لهذه الأخطار بماله وعروضه وإن كان لا خطر عليه في نفسه وكذلك قوله والصين إلخ ربما خمل على أنه يلزم أن يكون بين الأكلتين مسافة ما بينك وبين الصين فهو إثارة لتخيله ذلك وإن لم يكن سفر. وقد يحمل على معنى أنه قد يعترض التاجر بعد الأكلة الأولى أمر في ماله بزيادة أو نقصان يكون موقعه في الصين فكأنه صار إلى الصين بين الأكلتين غير أنه لا سفر.

(٦) إن كان يصيب التاجر في تحصيل المال هذه الأوصاف فإذا حصل المال وصار في =

ٱلرِّبْحِ. وَعَلَيْكَ بِٱلْخُبْزِ وَٱلْمِلْحِ. وَلَكَ فِي ٱلْخَلِّ وَٱلْبَصَلِ رُخْصَةٌ مَا لَمْ تُذِمَّهُمَا[١]. وَلَمْ تَجْمَعْ بَيْنَهُمَا. وَٱللَّحْمُ لَحْمُكَ وَمَا أَرَاكَ تَأْكُلُهُ[٢]. وَٱلْحُلْوُ طَعَامُ مَنْ لَا يُبَالِي عَلَى أَيِّ جَنْبَيْهِ يَقَعُ[٣]. وَٱلْوَجَبَاتُ عَيْشُ ٱلصَّالِحِينَ[٤]. وَٱلْأَكْلُ عَلَى ٱلْجُوعِ وَاقِيَةُ ٱلْفَوْتِ[٥]. وَعَلَى ٱلشِّبَعِ دَاعِيَةُ ٱلْمَوْتِ. ثُمَّ كُنْ مَعَ ٱلنَّاسِ كَلَاعِبِ ٱلشِّطْرَنْجِ خُذْ كُلَّ مَا مَعَهُمْ وَٱحْفَظْ كُلَّ مَا مَعَكَ. يَا بُنَيَّ قَدْ أَسْمَعْتُ وَأَبْلَغْتُ. فَإِنْ قَبِلْتَ فَٱللَّهُ حَسْبُكَ. وَإِنْ أَبَيْتَ فَٱللَّهُ حَسِيبُكَ[٦]. وَصَلَّى ٱللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

= يده أفتتركه في هذه الحالة بالبذل والإنفاق وهو معرض أي ظاهر بادٍ يريد وهو موجود ثم بعد أن تضيعه بتركك له يذهب في النفقة تطلبه وهو معوز يعجزك تحصيله. يقول: إن كان المال مطلوب التاجر بأعماله الشاقة فأولى له أن يمسكه متى ظفر به ومن الحمق أن يفرّط فيه إذا وجد ثم يطلبه إذا فقد.

(١) **تذمّهما** من أذمّه إذمامًا إذا وجده مذمومًا أي لك أن تأكلهما ما لم تنكرهما نفسك لما في أكلهما من الإسراف فعند ذلك لا رخصة لك فيهما لأن نفسك قد حرّمتهما عليك. وما لم تجمع بينهما فإنهما يحرّمان عليك عند ذلك فكل منهما مرخّص فيه على حدة ومحرّم عليك مجتمعًا مع صاحبه. ويروى: تدمنهما بدل تذمهما أي تداوم عليهما فكأنه يبيحهما له في الأحايين بعد الأحايين لا دائمًا.

(٢) عليك أن تعلم أنه لا لحم في الوجود إلّا لحمك فقط وما أظنك تأكله أي ليس في الأشياء ما يسمى باللّحم إلّا لحمك مبالغة في تزهيده فيه.

(٣) لا يأكل الحلو إلّا شخص مخاطر بنفسه يعلم أنه مصروع ساقط لا محالة ولا يبالي على أي الجوانب سقط.

(٤) **الوجبات** جمع وجبة بالفتح وهي الأكلة في اليوم والليلة تأكلها الساعة ثم لا تأكل مثلها إلّا في مثل هذه الساعة من غد. والصالحون يقلّلون من الأكل شظفًا لأنفسهم وترويضًا لقواهم.

(٥) **الفوت** هنا الإعواز أي إذا لم تأكل إلا على الجوع فقد وقيت الإسراف الذي يفضي إلى الإعواز والأكل على الشبع قد يحدث البطنة التي تفضي إلى الموت.

(٦) **حسبك** كافيك. **وحسيبك** محاسبك.

المقَامَةُ ٱلصَّيمَرِيَّة

حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ: قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَقَ ٱلْمَعْرُوفُ بِأَبِي ٱلْعَنْبَسِ ٱلصَّيْمَرِيُّ إِنَّ مِمَّا نَزَلَ بِي مِنْ إِخْوَانِيَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفِيْتُهُمْ وَٱنْتَخَبْتُهُمْ وَٱدَّخَرْتُهُمْ لِلشَّدَائِدِ مَا فِيهِ عِظَةٌ وَعِبْرَةٌ وَأَدَبٌ لِمَنْ ٱعْتَبَرَ وَٱتَّعَظَ وَتَأَدَّبَ. وَذٰلِكَ أَنّي قَدِمْتُ مِنَ ٱلصَّيْمَرَةِ[1]. إِلَى مَدِينَةِ ٱلسَّلَامِ وَمَعِي جِرَابُ دَنَانِيرَ وَمِنَ ٱلْخُرْثِيِّ وَٱلْآلَةِ وَغَيْرِ ذٰلِكَ مَا لَا أَحْتَاجُ مَعَهُ إِلَى أَحَدٍ[2]. فَصَحِبْتُ مِنْ أَهْلِ ٱلْبُيُوتَاتِ وَٱلْكُتَّابِ وَٱلتُّجَّارِ. وَوُجُوهِ ٱلثَّنَاءِ[3] مِنْ أَهْلِ ٱلثَّرْوَةِ وَٱلْيَسَارِ. وَٱلْجِدَةِ وَٱلْعَقَارِ. جَمَاعَةً ٱخْتَرْتُهُمْ لِلصُّحْبَةِ. وَٱدَّخَرْتُهُمْ لِلنَّكْبَةِ. فَلَمْ نَزَلْ فِي صَبُوحٍ وَغَبُوقٍ[4] نَتَغَذَّى بِٱلْجِدَايَا الرُّضَّعِ[5] وَٱلطَّبَاهِجَاتِ ٱلْفَارِسِيَّةِ[6]

---

(١) ويروى **الضيمرية** والمعروف من المواضع **ضمين** موضع كان بقرب دمشق ولعل قرية أو بلدًا أو موضعًا آخر بهذا الاسم ينسب إليه أبو العنبس. والذي في المشترك **الصيمرة** بالصاد المهملة مفتوحة وياء ساكنة وميم مفتوحة وراء مهملة وهاء موضعان أحدهما ناحية بالبصرة على فم نهر معقل فيها عدة قرى يشملها هذا الاسم وهم جهّال يعبدون رجلًا يقال له **عاصم بن الشباش** وولده من بعده قال: وإليها ينسب أبو العنبس محمد بن إسحاق بن إبراهيم الصيمري صاحب الكتب في الهزل مات سنة خمس وسبعين ومائتين. والثاني **الصيمرة** بلدة من نواحي خوزستان وهي المسماة **مهرجان قنق** وإليها ينسب أبو تمام إبراهيم بن أحمد بن الحسين بن أحمد بن حمدان الهمذاني الصيمري من أهل بر وجرد وأصله من الصيمرة. اهـ. فعل ما في هذه الرواية تحريف والصواب **الصيمرة** بالصاد المهملة لا بالضاد المعجمة. ومدينة **السلام** بغداد.

(٢) **الخرثي** الأثاث. **والآلة** ما يحتاج إليه الارتفاق به في الأعمال المنزلية.

(٣) **ووجوه الثناء** أي وجوه الذكر والشهرة والصيت. **والجدة** الغنى والسعة.

(٤) **الصبوح** ما حلب من اللبن صباحًا وما أصبح عندك من شراب. **والغبوق** مثله في المساء يريدون منهما الشرب صباحًا والشرب مساء.

(٥) **الجدايا** جمع جدي وهو الذكر من أولاد المعز في السنة الأولى وهذا الجمع غير معروف والمعروف جداء وأجدٍ وجديان. ووصفها **بالرضع** ليدل على طراوة اللّحم وطيبه.

(٦) **الطباهجة** ضرب من اللّحم المشرّح قالوا يصنع مع البيض والبصل.

وَٱلْمُدَقَّقَاتِ ٱلْإِبْرَاهِيمِيَّةِ[(١)] وَٱلْقَلَايَا ٱلْمُحْرِقَةِ وَٱلْكَبَابِ ٱلرَّشِيدِيِّ وَٱلْحُمْلَانِ[(٢)] وَشَرَابُنَا نَبِيذُ ٱلْعَسَلِ وَسَمَاعُنَا مِنَ ٱلْمُحْسِنَاتِ ٱلْحُذَّاقِ[(٣)]. ٱلْمَوْصُوفَاتِ فِي ٱلْآفَاقِ. وَنَقْلُنَا ٱللَّوْزُ ٱلْمُقَشَّرُ وَٱلسُّكَّرُ وَٱلطَّبَرْزَدُ[(٤)]. وَرَيْحَانُنَا ٱلْوَرْدُ. وَبَخُورُنَا ٱلنَّدُّ[(٥)]. وَكُنْتُ عِنْدَهُمْ أَعْقَلَ مِنْ عَبْدِ ٱللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ[(٦)]. وَأَظْرَفَ مِنْ أَبِي نُوَاس. وَأَسْخَى مِنْ حَاتِمٍ. وَأَشْجَعَ مِنْ عَمْرٍو[(٧)]. وَأَبْلَغَ مِنْ سَحْبَانِ وَائِلٍ. وَأَدْهَى مِنْ قَصِيرٍ[(٨)]. وَأَشْعَرَ مِنْ جَرِيرٍ. وَأَعْذَبَ مِنْ مَاءِ ٱلْفُرَاتِ. وَأَطْيَبَ مِنَ ٱلْعَافِيَةِ لِبَذْلِي وَمُرُوءَتِي. وَإِتْلَافِ ذَخِيرَتِي. فَلَمَّا خَفَّ ٱلْمَتَاعُ. وَٱنْحَطَّ ٱلشِّرَاعُ[(٩)] وَفَرَغَ ٱلْجِرَابُ. تَبَادَرَ ٱلْقَوْمُ ٱلْبَابَ. لِمَا أَحَسُّوا

---

(١) **والمدققة** اللّحم يقطع قطعًا صغارًا ويشوى بعد تكتيله كتلًا وهي أشبه بما يسمونه اليوم كفتة. **والإبراهيمية** نسبة إلى إبراهيم بن المهدي لأنه كان يتأنق فيها.

(٢) **القلايا** جمع قلية وهي ما يقل من لحم وغيره ويضاف إليها في الغالب ما يطيبها. ووصفها بالمحرقة أي المعيطشة لأن الجيد من القلايا ما ظهرت حرافته في اللسان وهيج حرارة المعدة بعد الازدراء. **والكباب** اللحم المشوي. **والرشيدي** نسبة إلى الرشيد الخليفة كأنه كان يستجيد به. **والحملان** جمع حمل وهو الخروف ويروى: الحملان الراعبية. ولم يعرف الحملان إلى أرض راعب ولكن المعروف نسبة الحمام إليها فيقال حمام راعبية.

(٣) **الحذاق** اللاتي حذقن أي مهرن في صناعة الغناء والتلحين.

(٤) **الطبرزد** نوع من السكر أبيض صلب وهو المعروف اليوم بالسكر النبات.

(٥) **النَّد** عود يتبخر به أو هو العنبر.

(٦) هو ابن العباس بن عبدالمطلب بن هاشم كان عبداللّه من أفقه أصحاب رسول اللّه ﷺ وأعلمهم ومن أبصرهم بالعواقب وأبعدهم نظرًا في الأمور.

(٧) هو عمرو بن معدي كرب الزبيدي صاحب الصمصامة.

(٨) قصير هو عبد كان لجذيمة الأبرش من ملوك الحيرة الأزديين من بني فهم بن غنم بن دوس. فلما جرى بين جذيمة وبين ملك الجزيرة عمرو بن الضرب العمليقي من الحروب ما انتهى بقتل عمرو ثم احتالت بنته الزباء في قتل جذيمة بثأر أبيها وفعلت وملك الحيرة عمرو بن عدي بن نصر ابن أخت جذيمة اتفق عمرو هذا مع قصير على نسج الحيلة لأخذ الزباء بثأر جذيمة فجدع قصير أنفه وذهب إلى الزباء كأنه مغاضب لعمرو بن عدي ولم يزل بها حتى وثقت به ووجهت به في تجارتها فكان يتردد إليها بالربح الجم فلما تمكنت الثقة لم يبق للريب مهب حمل إليها الرجال في العدول والصناديق فاغتالوها في مدينتها. والقصة طويلة شهيرة.

(٩) **الشراع** كل ما يشرع أي ينصب ويرفع كناية عن انحطاط حاله في الثروة بعد أن كان في الدرجة الرفيعة منها. أو أراد منه شراع السفينة ويكنى بانحطاطه عن ركود الريح ووقف السفينة عن الحركة وذلك كناية عن ضعفه وعجزه عن المسير إلى رغائب الشهوات ومطالب اللذات كما كان سائرًا من قبل.

بِٱلْقِصَّةِ(١). وَصَارَتْ فِي قُلُوبِهِمْ غُصَّةً(٢). وَدَعُونِي بُرْصَةً(٣). وَٱنْبَعَثُوا لِلْفِرَارِ. كَرَمْيَةِ ٱلشَّرَارِ. وَأَخَذَتْهُمُ ٱلضُّجْرَةُ(٤). فَٱنْسَلُّوا قَطْرَةً قَطْرَةً(٥). وَتَفَرَّقُوا يَمْنَةً وَيَسْرَةً. وَبَقِيتُ عَلَى ٱلْآجُرَّةِ(٦). وَقَدْ أَوْرَثُونِي ٱلْحَسْرَةَ. وَٱشْتَمَلَتْ مِنْهُمْ عَلَيَّ ٱلْعَبْرَةُ(٧). لَا أُسَاوِي بَعْرَةً. وَحِيدًا فَرِيدًا كَٱلْبُومِ. الْمَوْسُومِ بِٱلشُّومِ. أَقَعُ وَأَقُومُ كَأَنَّ ٱلَّذِي كُنْتُ فِيهِ لَمْ يَكُنْ. وَنَدِمْتُ حِينَ لَمْ تَنْفَعْنِي ٱلنَّدَامَةُ فَبُدِّلْتُ بِٱلْجَمَالِ وَحْشَةً(٨). وَصَارَتْ بِي طُرْشَةٌ. أَقْبَحُ مِنْ رَهْطَةِ ٱلْمُنَادِي. كَأَنِّي رَاهِبٌ عُبَّادِيٌّ(٩). ....

---

(١) **احسّوا بالقصة** شعروا بها وعلموها، والقصة هي قصة خفة متاعه وانحطاط شراعه. **وتبادروا الباب** تسابقوا إليه.

(٢) **الغصة** هنا الحزن والهم وإنما غمّهم ما عرفوا من قصته ليأسهم من تلك اللذات التي جاوروها وتمتعوا بها زمنًا طويلًا. ويروى: وصرت في قلوبهم.

(٣) **دعوني برصة** لقبوني بهذا اللقب وجعلوه عنوانًا لي. **والبرصة** إما بالفتح مؤنث البرص لدويبة صغيرة توجد في الآبار أو بالضم وهي واحد البراص بقاع في الرمل لا تنبت ومنازل الجن. فعلى الأول يكون الغرض من لمزه بهذا الاسم مجرد التحقير. وعلى الثاني يكون فيه مع ذلك الإشارة إلى إقفاره وخلوّه من رغائب الخير واستكنان الوحشة فيه واستحقاقه للنفرة منه بذلك كله. **والشرار** ما ينفصل ويتطاير من النار.

(٤) **الضجرة** أما المرة من الضجر بالتحريك وهو القلق من الغم وضيق النفس مع كلام يدلّ على التململ فهي محركة. أو هي بالضم بمعنى الضجر أيضًا أي أنهم ضجروا من حالته واشتدوا إلى فرقته. ويروى: الفترة بدل الضجرة وهي ضعيفة وما عندنا أصح وأليق بمقام الكلام.

(٥) **انسلوا** خرجوا من بيته أو من روابط وداده كما يخرج قطر الماء من مستقره في الفضاء. والماء إذا وصل إلى حد من الجو معين لم يكن من بيته أو من روابط وداده كما يخرج قطر الماء من مستقره في الفضاء. والماء إذا وصل إلى حد من الجو معين لم يكن بد من تساقطه وتقاطره وهو إذا تقاطر لا يكون أسرع منه مفارقة لمكانه فكذلك هؤلاء. **ويمنة ويسرة** بالفتح فيهما يمينًا ويسارًا.

(٦) كما يقال في العامي بقي على البلاط **والآجرة** بالمد وتشديد الراء واحدة الآجر وهو الطين المحروق يبنى به. أي فارقوه ولم يبق معه إلّا الآجر أي بقي هو وحوائط البيت.

(٧) **العبرة** البكاء. **ومنهم** أي بسببهم. **واشتمل** عليه البكاء استغرق أوقاته.

(٨) **الوحشة** لا تقابل الجمال ولكنه أراد ملزومها وهو تغير الهيئة وقبحها فبعد أن كان في جمال يؤنس إليه أصبح في حالة شوهاء يستوحش منها.

(٩) **الطرشة** الخفيف من الصمم لكنه بين ثقلها وقبيحها بقوله: أقبح من رهطة. **ورهطة المنادي** رجل كان مشهورًا بالطرش القبيح. وقوله: كأني راهب عبادي تشبيه لمجمل حالة في الوحشة والانفراد. **والعبادي** نسبة إلى العباد من نسبة الشيء إلى ما هو من أفراده كما تقول الهندي صنف إنساني وكذلك الراهب من العباد فينسب إليهم.

وَقَدْ ذَهَبَ ٱلْمَالُ وَبَقِيَ ٱلطَّنْزُ(١). وَحَصَلَ بِيَدِي ذَنَبُ ٱلْعَنْزِ(٢). وَحَصَلْتُ فِي بَيْتِي وَخِدِي. مُتَفَتِّتَةً كَبِدِي. لِتَعْسِ جَدِّي(٣). قَدْ قَرَّحَتْ دُمُوعِي خَدِّي. أَعْمُرُ مَنْزِلًا دَرَسَتْ طُلُولُهُ(٤). وَعَفَتْ مَعَالِمَهُ سُيُولُهُ(٥). فَأَضْحَى وَأَمْسَى بِرَبْعِهِ ٱلْوُحُوشُ. تَجُولُ وَتَنُوشُ(٦). وَقَدْ ذَهَبَ جَاهِي وَنَفِدَتْ صِحَاحِي(٧). وَقَلَّ مَرَاحِي. وَسَلَحْتُ فِي رَاحِي(٨). وَرَفَضَنِي ٱلنُّدَمَاءُ. وَٱلْإِخْوَانُ ٱلْقُدَمَاءُ. لَا يُرْفَعُ لِي رَأْسٌ. وَلَا أُعَدُّ مِنَ ٱلنَّاسِ. أَوْتَحُ مِنْ بَزِيعِ ٱلْهَرَّاسِ(٩). وَرَزِينِ ٱلْمَرَّاسِ. أَتَرَدَّدُ عَلَى ٱلشَّطِ. كَأَنِّي رَاعِي ٱلْبَطِّ(١٠). أَمْشِي وَأَنَا حَافِي. وَأَتْبَعُ ٱلْفَيَافِي(١١). عَيْنِي سَخِينَةٌ. وَنَفْسِي رَهِينَةٌ(١٢).

---

(١) **الطنز** السخرية يقال طنز به يطنز طنزًا سخر به.

(٢) **وذنب العنز** قصير يابس لا ينتفع به ولا تمسك العنز منه فهو أردأ شيء يأتي إلى اليد كأنه لم يأت فيها شيء.

(٣) **الجد** الحظ والبخت.

(٤) كأن المنزل الذي كان به لم يكن بيتًا أو دارًا بل كان محلة فيها الدور والمساكن الكثيرة وكان يعمرها هو وأولئك الندماء الذين كانوا يأوون إليه ولهذا خربت تلك المساكن بعد خلوّها من الساكن. **ودرست** طلولها أي عفت وذهبت. **والطلول** الشخوص من كل شيء.

(٥) وفي رواية: «أعفت» ولا أعرف أعفى بمعنى محا والأصوب **عفت**. **ومعالم الشيء** ما يعلم به من آثاره. **والسيول** جمع سيل الماء أي إن السيول من كثرة ما مرت على معالم ذلك المنزل وليس ما يمنعها عنه محت معالمه ورسومه.

(٦) **تنوش** كتحول في معناه أي تمشي فيه الوحوش ذاهبة آيبة.

(٧) **الصحاح** جمع صحيح وهو ما يعتمد عليه وقد كان يعتمد على ما بيده من مال فذهب **ونفدت** أي فنيت.

(٨) إذا **سلح** في شيء فقد أفسده. **والراح** الارتياح والراحة أيضًا وهو بما فعل من الإسراف والتبذير كأنه سلح في راحته فقذرها وأفسدها وانقلبت عليه تعبًا.

(٩) **الوتح** الخسيس وهو أوتح منه أي أخس. **وبزيع** اسم رجل **والهراس** صنعته لأنه كان يصنع الهريسة. **ورزين** أيضًا اسم رجل. **المراس** صانع الأمراس أي الحبال وضربهما مثلًا في الخسّة لأنهما كانا أخس من يعرف في زمانه.

(١٠) **الشط** شاطئ النهر. **والبط** من فصيلة الإوز يألف الماء فراعيه ملازم للشط.

(١١) **الفيافي** جمع فيفاء وهو المكان المستوي أو المفازة لا ماء فيها. يريد أنه يمشي حيث لا عمران خجلًا من الناس.

(١٢) يقال: **عينه سخينة** إذا كان حزينًا، ويقال: أسخن الله عينه، كما يقال: أقرّ الله عينه. **والرهينة** المحبوسة.

كَأَنِّي مَجْنُونٌ قَدْ أَفْلَتَ مِنْ دَيْرٍ أَوْ عَيْرٌ يَدُورُ فِي ٱلْحَيْرِ[١]. أَشَدُّ حُزْنًا مِنَ ٱلْخَنْسَاءِ عَلَى صَخْرٍ[٢]. وَمِنْ هِنْدٍ عَلَى عَمْرٍو[٣]. وَقَدْ تَاهَ عَقْلِي وَتَلَاشَتْ صِحَّتِي. وَفَرَغَتْ صُرَّتِي[٤]. وَفَرَّ غُلَامِي. وَكَثُرَتْ أَحْلَامِي. وَجُزْتُ فِي ٱلْوَسَاوِسِ ٱلْمِقْدَارَ. وَصِرْتُ بِمَنْزِلَةِ ٱلْعُمَّارِ. وَشَيْطَانِ ٱلدَّارِ[٥]. أَظْهَرُ بِٱللَّيْلِ وَأَخْفَى بِٱلنَّهَارِ. أَشْأَمُ مِنْ حَفَّارٍ. وَأَثْقَلُ مِنْ كِرَاءِ ٱلدَّارِ[٦]. وَأَرْعَنُ مِنْ طِيطِئٍ ٱلْقَصَّارِ[٧]. وَأَحْمَقُ مِنْ دَاوُدَ ٱلْعَصَّارِ. قَدْ حَالَفَتْنِي ٱلْقِلَّةُ. وَشَمَلَتْنِي ٱلذِّلَّةُ وَخَرَجْتُ مِنَ ٱلْمِلَّةِ. وَأُبْغِضْتُ فِي ٱللَّهِ[٨] وَكُنْتُ أَبَا ٱلْعَنْبَسِ فَصِرْتُ أَبَا عَفَلَّسٍ وَأَبَا فَقْعَسٍ[٩]. قَدْ ضَلِلْتُ ٱلْمَحَجَّةَ. وَصَارَتْ عَلَيَّ ٱلْحُجَّةُ[١٠]. لَا أَجِدُ لِي نَاصِرًا. وَٱلْإِفْلَاسُ عِنْدِي أَرَاهُ حَاضِرًا. فَلَمَّا رَأَيْتُ ٱلْأَمْرَ قَدْ صَعُبَ. وَٱلزَّمَانُ قَدْ كَلِبَ[١١] ٱلْتَمَسْتُ ٱلدِّرْهَمَ فَإِذَا هُوَ مَعَ ٱلنَّسْرَيْنِ[١٢]. وَعِنْدَ مُنْقَطَعِ ٱلْبَحْرَيْنِ[١٣]. ....

---

(١) **العير** الحمار **والحير** شبه الحظيرة وهي ما يعمل للماشية ليقيها من الحر والبرد.

(٢) **صخر** هو ابن عمرو السليمي أغار على بني أسد فأصابه سهم واعتلّ منه ومات فلزمت أخته الخنساء قبره تبكيه وترثيه حتى ماتت.

(٣) عمرو هو ابن المنذر بن ماء السماء **وهند** أمه.

(٤) **الصرة** ظرف الدراهم الذي تصر فيه.

(٥) **العمار** سكان البيوت من الجن **وشيطان الدار** كالتبيين لسابقه.

(٦) **الحفار** حفار القبور. والساكن في الدار بالكراء يثقل عليه تأديته جدًا فمن كان أثقل منه لا يحتمل.

(٧) **أرعن** من الرعونة وهي الحمق. **وطيطئ** اسم رجل. **والقصار** الذي يقصر الثياب.

(٨) حيث خرج من الملة صار ممن يستحق البغض في الله أي لأجل الله تعالى.

(٩) يلمح إلى أصل معنى **العنبس** وهو الأسد. **ابو عفلس وابو** نقعس أشخاص لا منزلة لهم. **والعفلس** مما لا أصل له. **والفقعس** له مادة من الفقعسة وهي البلادة. **وفقعس** أبو حي من بني أسد.

(١٠) **المحجة** نهج الطريق. **والحجة** البرهان. أي قامت الحجة عليه في أن ما وصل إليه لم يكن إلّا من عمل يديه.

(١١) قد يكون من كلب الكلب إذا أصيب بداء الكلب فلا يعض أحدًا حتى يشرب جسمه من السم ما يفضي إلى فقد حياته غالبًا ويكون ذلك تمثيلًا لشدة الزمان وثقل وطأته.

(١٢) **النسران** هما الكوكبان أحدهما النسر الطائر وثانيهما الواقع فإن كان الدرهم معهما فهو مما لا ينال أبدًا.

(١٣) **المحيط** الغربي والمحيط الشرقي ومنقطعهما كان مما لا تبلغه الجواري في عصر المتكلم وهو مبالغة في وصف بعد الدرهم أيضًا.

وَأَبْعَدُ مِنَ ٱلْفَرْقَدَيْنِ(١). فَخَرَجْتُ أَسِيحُ كَأَنِّي ٱلْمَسِيحُ(٢). فَجُلْتُ خُرَاسَانَ. ٱلْخَرَابَ مِنْهَا وَٱلْعُمْرَانَ. إِلَى كَرْمَانَ وَسِجِسْتَانَ وَجِيلَانَ إِلَى طَبَرَسْتَانَ وَإِلَى عُمَانَ(٣). إِلَى ٱلسِّنْدِ وَٱلْهِنْدِ وَٱلنُّوبَةِ وَٱلْقِبْطِ وَٱلْيَمَنِ وَٱلْحِجَازِ وَمَكَّةَ وَٱلطَّائِفِ أَجُولُ ٱلْبَرَارِيَّ وَٱلْقِفَارِ. وَأَصْطَلِي بِٱلنَّارِ. وَآوِي مَعَ ٱلْحِمَارِ(٤). حَتَّى ٱسْوَدَّتْ وَجْنَتَايَ. وَتَقَلَّصَتْ خُصْيَتَايَ. فَجَمَعْتُ مِنَ ٱلنَّوَادِرِ وَٱلْأَخْبَارِ وَٱلْأَسْمَارِ(٥). وَٱلْفَوَائِدِ وَٱلْآثَارِ. وَأَشْعَارِ ٱلْمُتَطَرِّفِينَ وَسُخْفِ ٱلْمُلْهِينَ. وَأَسْمَارِ ٱلْمُتَيَّمِينَ. وَأَحْكَامِ ٱلْمُتَفَلْسِفِينَ. وَحِيَلِ ٱلْمُشَعْوِذِينَ. وَنَوَامِيسِ ٱلْمُتَمَخْرِقِينَ. وَنَوَادِرِ ٱلْمُنَادِمِينَ. وَرِزْقِ ٱلْمُنَجِّمِينَ(٦). وَلُطْفِ ٱلْمُتَطَبِّبِينَ. وَكِيَادِ ٱلْمُخَنَّثِينَ. وَدَخْمَسَةِ ٱلْجَرَابِزَةِ(٧) وَشَيْطَنَةِ ٱلْأَبَالِسَةِ مَا قَصَّرَ عَنْهُ فُتْيَا ٱلشَّعْبِيِّ. وَحِفْظُ ٱلضَّبِّيِّ. وَعِلْمُ ٱلْكَلْبِيِّ(٨). فَٱسْتَرْدَفْتُ وَٱجْتَدَيْتُ. وَتَوَسَّلْتُ وَتَكَدَّيْتُ(٩). وَمَدَحْتُ وَهَاجَيْتُ. حَتَّى كَسَبْتُ ثَرْوَةً مِنَ ٱلْمَالِ وَٱتَّخَذْتُ مِنَ ٱلصَّفَائِحِ ٱلْهِنْدِيَّةِ(١٠). وَٱلْقُضُبِ ٱلْيَمَانِيَّةِ(١١). وَٱلدُّرُوعِ ٱلسَّابِرِيَّةِ(١٢). وَٱلدَّرَقِ ٱلتُّبَّتِيَّةِ(١٣). وَٱلرِّمَاحِ

---

(١) **الفرقد** نجم قريب من القطب الشمالي يهتدى به. وبجانبه آخر أخفى منه وهما الفرقدان.

(٢) **المسيح** عيسى بن مريم عليه السلام.

(٣) كلها من أقاليم فارس. **وعمان** من بلاد العرب. وما يذكر بعدها من الأقطار مشهور ويروى بعد الطائف «والطراز» وهو بلد من ثغور الترك قريب من أسبيجاب.

(٤) بلغ من الحاجة في أسفاره إلى أن كان يبيت في حظائر الحمر.

(٥) **الأسمار** جمع سمر وهو حديث الليل وأراد منها القصص التي يتحدث بها فيه.

(٦) **المتمخرقون** والممخرقون المموهون المحتالون. **ونواميسكم** أشراكهم وحبالاتهم التي يوقعون فيها من ينخدع لهم. **والمنجمون** الذين يزعمون معرفة أحكام النجوم وتأثيرها في العالم العنصري والمراد من رزقهم ما به يرتزقون من التكهن والاخبار بالغيب. ويروى: زرق بتقديم الزاي ولا تجد له معنى إلّا بالتكلف البعيد من الفصاحة.

(٧) **الدخمسة** من دخمسه إذا خدعه. **والجرابزة** جمع جربز وهو الخداع الخبيث.

(٨) **الثلاثة** من علماء الصدر الأول يضرب بكل المثل فيما ينسب إليه من المزية.

(٩) **استرفد** استعطى. **واجتدى** مثله. **وتكدى** لا يبعد منهما. ويروى: تحريت بدل تكديت وتحرى طلب ما هو الأحرى والأولى به.

(١٠) **الصفائح الهندية** السيوف الواحد صفيحة بمعنى السيف.

(١١) **القضب** جمع قضيب وهو هنا السيف القاطع.

(١٢) **السابرية** درع دقيقة النسج في إحكام.

(١٣) **الدرق** جمع درقة وهي ترس من جلد ليس فيه خشب ولا عقب. **والتبتية** نسبة إلى بلاد تبت وهي البلاد التي في شرقي كشمير وشمالي الهند الإنكليزية ونيبال وفي جنوب تركستان وأهلها مجيدون في صنعة الدرق.

ٱلْخَطِّيَّةِ[١]. وَٱلْحِرابِ ٱلْبَرْبَرِيَّةِ. وَٱلْخَيْلِ ٱلْعِتَاقِ ٱلْجِرْدِيَّةِ[٢] وَٱلْبِغَالِ ٱلْأَرْمَنِيَّة. وَٱلْحُمُرِ ٱلْمَرِيسِيَّةِ[٣]. وَٱلدَّيَابِيجِ ٱلرُّومِيَّة[٤]. وَٱلْخُزُوزِ ٱلسُّوسِيَّةِ[٥]. وَأَنْوَاعِ ٱلطُّرَفِ[٦]. وَٱللُّطَفِ. وَٱلْهَدَايَا وَٱلتُّحَفِ. مَعْ حُسْنِ ٱلْحَالِ. وَكَثْرَةِ ٱلْمَالِ. فَلَمَّا قَدِمْتُ بَغْدَادَ وَوَجَدَ ٱلْقَوْمُ خَبَرِي. وَمَا رُزِقْتُهُ فِي سَفَرِي. سُرُّوا بِمَقْدَمِي. وَصَارُوا بِأَجمَعِهِمْ إِلَيَّ يَشْكُونَ مَا عِنْدَهُمْ مِنَ ٱلْوَحْشَةِ لِفَقْدِي. وَمَا نَالَهُمْ لِبُعْدِي. وَشَكَوْا شِدَّةَ ٱلشَّوْقِ. وَرُزْءَ ٱلتَّوْقِ[٧]. وَجَعَلَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يَعْتَذِرُ مِمَّا فَعَلَ وَيُظْهِرُ ٱلنَّدَمَ عَلَى مَا صَنَعَ. فَأَوْهَمْتُهُمْ أَنِّي قَدْ صَفَحْتُ عَنْهُمْ وَلَمْ أُظْهِرْ لَهُمْ أَثَرَ ٱلْمَوْجِدَةِ عَلَيْهِمْ[٨] بِمَا تَقَدَّمَ فَطَابَتْ نُفُوسُهُمْ وَسَكَنَتْ جَوَارِحُهُمْ وَٱنْصَرَفُوا عَلَى ذٰلِكَ. وَعَادُوا إِلَيَّ فِي ٱلْيَوْمِ ٱلثَّانِي فَحَبَسْتُهُمْ عِنْدِي[٩] وَوَجَّهْتُ وَكِيلِي إِلَى ٱلسُّوقِ فَلَمْ يَدعْ شَيْئًا تَقَدَّمْتُ إِلَيْهِ بِشِرَائِهِ إِلَّا أَتَى بِهِ وَكَانَتْ لَنَا طَبَّاخَةٌ حَاذِقَةٌ فَٱتَّخَذْتُ عِشْرِينَ لَوْنًا مِنْ قَلَايَا مُحْرِقَاتٍ. وَأَلْوَانًا مِنْ طَبَاهِجَاتٍ[١٠] وَنَوَادِرَ مُعَدَّاتٍ. وَأَكَلْنَا وَٱنْتَقَلْنَا إِلَى مَجْلِسِ ٱلشَّرَابِ فَأَحْضَرتُ لَهُمْ زَهْرَاءُ خَنْدَرِيسِيَّةٌ[١١] وَمُغَنِّيَاتٌ حِسَانٌ مُحْسِنَاتٌ. فَأَخَذُوا فِي شَأْنِهِمْ وَشَرِبْنَا. فَمَضَى

---

(١) **الخطية** نسبة إلى خط وهو مرفأ سفن بالبحرين لأنها تباع فيه.

(٢) **العتاق** من الخيل النجائب. **والجردية** نسبة إلى الأرض الجردة أي المستوية المنجردة وخيلها أصلب وأجود.

(٣) **مريسة** على وزن سكينة بلدة.

(٤) **ديابيج** جمع ديباج وهو الثوب الذي سداه ولحمته حرير.

(٥) **الخز** الثياب المنسوجة من الصوف والحرير. **والسوسية** نسبة إلى السوس وهي كورة من كور الأهواز.

(٦) **الطرف** جمع طرفة وهي الغريب المستحسن. **واللطف** من قبيلها.

(٧) **رزء التوق** بليته. **والتوق** إما شدة الحب وهو رزء لما يجده المحب من ألم الفراق لحبيبه. وإما خروج الدموع من الشجون وإما الجود بالنفس. كأنهم لشدة شوقهم إليه ماتوا ثم بعثوا.

(٨) **الموجدة** الحقد.

(٩) منعهم من الانصراف واستبقاهم ليكرمهم بالطعام والشراب وما يتبعهما كما يذكره من بعد.

(١٠) تقدم ذكر القلايا والطباهجات في أول المقامة. وقوله: ونوادر إلى آخره أي أصناف نادرة أعدّت لهم، ويروى: مستبعدات بدل معدات أي يستبعد وجودها أي أصناف عزيزة الوجود.

(١١) **الزهراء** المتلألئة المشرقة **والخندريس** الخمر القديمة وإنما أتى بها على النسبة ليدل على أنها من طائفة قديمة من الخمر تنسب إليها وتعرف بها وهو أبلغ في بيان شهرتها.

لَنَا أَحْسَنُ يَوْمٍ يَكُونُ. وَقَدْ كُنْتُ ٱسْتَعْدَدْتُ لَهُمْ بَعَدَدِهِمْ خَمْسَةَ عَشَرَ صَنًّا مِنْ صِنَانِ ٱلْبَاذِنْجَانِ(١). كُلُّ صَنٍّ بِأَرْبَعَةِ آذَانٍ. وَٱسْتَأْجَرَ غُلَامِي لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ حَمَّالًا كُلَّ حَمَّالٍ بِدِرْهَمَيْنِ وَعَرَّفَ ٱلْحَمَّالِينَ مَنَازِلَ ٱلْقَوْمِ. وَتَقَدَّمَ إِلَيْهِمْ بِٱلْمُوَافَاةِ بِعَشَاءِ ٱلْآخِرَةِ. وَتَقَدَّمْتُ إِلَى غُلَامِي وَكَانَ دَاهِيَةً(٢) أَنْ يَدْفَعَ إِلَى قَوْمِي بِٱلْمَنِّ وَٱلرَّطْلِ(٣) وَيَصْرِفَ لَهُمْ وَأَنَا أُبَخِّرُ بَيْنَ أَيْدِيهِمِ ٱلنَّدَّ وَٱلْعُودَ وَٱلْعَنْبَرَ فَمَا مَضَتْ سَاعَةٌ إِلَّا وَهُمْ مِنَ ٱلسُّكْرِ أَمْوَاتٌ لَا يَعْقِلُونَ. وَوَافَانَا غِلْمَانُهُمْ عِنْدَ غُرُوبِ ٱلشَّمْسِ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ بِدَابَّةٍ أَوْ حِمَارٍ أَوْ بَغْلَةٍ. فَعَرَّفْتُهُمْ أَنَّهُمْ عِنْدِي ٱللَّيْلَةَ بَائِتُونَ فَٱنْصَرَفُوا وَوَجَّهْتُ إِلَى بِلَالٍ ٱلْمُزَيِّنِ فَأَحْضَرْتُهُ وَقَدَّمْتُ إِلَيْهِ طَعَامًا فَأَكَلَ وَسَقَيْتُهُ مِنَ ٱلشَّرَابِ ٱلْقُطْرُبُلِّيِّ فَشَرِبَ حَتَّى ثَمِلَ(٤). وَجَعَلْتُ فِي فِيهِ دِينَارَيْنِ أَحْمَرَيْنِ(٥) وَقُلْتُ شَأْنَكَ وَٱلْقَوْمَ. فَحَلَقَ فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ خَمْسَ عَشْرَةَ لِحْيَةً فَصَارَ ٱلْقَوْمُ جُرْدًا مُرْدًا كَأَهْلِ ٱلْجَنَّةِ. وَجَعَلْتُ لِحْيَةَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مَصْرُورَةً فِي ثَوْبِهِ وَمَعَهَا رُقْعَةٌ مَكْتُوبٌ فِيهَا: مَنْ أَضْمَرَ بِصَدِيقِهِ ٱلْغَدْرَ وَتَرَكَ ٱلْوَفَاءَ كَانَ هٰذَا مُكَافَأَتَهُ وَٱلْجَزَاءَ. وَجَعَلْتُهَا فِي جَيْبِهِ وَشَدَدْنَاهُمْ فِي ٱلصِّنَانِ وَوَافَى ٱلْحَمَّالُونَ عِشَاءَ ٱلْآخِرَةِ. فَحَمَلُوهُمْ بِكَرَّةٍ خَاسِرَةٍ(٦) فَحَصَلُوا فِي مَنَازِلِهِمْ. فَلَمَّا أَصْبَحُوا رَأَوْا فِي نُفُوسِهِمْ هَمًّا عَظِيمًا. لَا يَخْرُجُ مِنْهُمْ تَاجِرٌ إِلَى دُكَّانِهِ. وَلَا كَاتِبٌ إِلَى دِيوَانِهِ. وَلَا يَظْهَرُ لِإِخْوَانِهِ. فَكَانَ كُلَّ يَوْمٍ يَأْتِي خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنْ خَوَلِهِمْ(٧). وَمِنْ نِسَاءٍ وَغِلْمَانٍ وَرِجَالٍ يَشْتِمُونَنِي وَيُزَنُّونَنِي(٨). وَيَسْتَحْكِمُونَ ٱللَّهَ عَلَيَّ وَأَنَا سَاكِتٌ لَا أَرُدُّ عَلَيْهِمْ جَوَابًا وَلَا أَعْبَأُ

---

(١) **الصن** شبه السلة وإنما خصّه بما يكون من صنان الباذنجان لكبره ولذلك قال بأربعة آذان وآذانه ما يحمل منه شبه العرى في حوافيه.

(٢) **الداهية** النكر الفطن.

(٣) **المن** مكيال يسع رطلين تقريبًا.

(٤) **القطربلي** نسبة إلى قطربل موضع بالعراق لخمره شهرة في الجود والطيب. **وثمل** سكر.

(٥) جعل الدينارين في فمه إظهار للسرور به إن طاعه فيما يأمر. ووصف الدينارين بالأحمرين تنويه بشأنهما وأنهما من الذهب الخالص وما هما بقليل في عيني بلال المزين.

(٦) **الكرة** الرجعة. ورجعتم هذه كانت خاسرة لأنها كانت بخزي وعار عظيمين. ونسبة الخسران إليها لأنه كان مصاحبًا لها.

(٧) **من خولهم** من عبيدهم وحاشيتهم. ويروى: ممن حولهم.

(٨) **زناه** تزنية نسبة إلى الزنا أو قال له يا زاني سبًا له وشتمًا. وقوله: **يستحكمون الله عليه** أي يطلبون منه أن يحكم عليه بإثم ما جناه وهو كناية عن إحلال عقابه به.

بِمَقَالِهِمْ. وَشَاعَ ٱلْخَبَرُ بِمَدِينَةِ ٱلسَّلَامِ بِفِعْلِي مَعَهُمْ وَلَمْ يَزَلِ ٱلْأَمْرُ يَزْدَادُ حَتَّى بَلَغَ ٱلْوَزِيرَ ٱلْقَاسِمَ بْنَ عُبَيْدِ ٱللَّهِ(١) وَذٰلِكَ أَنَّهُ طَلَبَ كَاتِبًا لَهُ فَٱفْتَقَدَهُ فَقِيلَ إِنَّهُ فِي مَنْزِلِهِ لَا يَقْدِرُ عَلَى ٱلْخُرُوجِ. قَالَ: وَلِمَ. قِيلَ: مِنْ أَجْلِ مَا صَنَعَ أَبُو ٱلْعَنْبَسِ لِأَنَّهُ كَانَ ٱمْتَحَنَ بِعِشْرَتِهِ وَمُنَادَمَتِهِ. فَضَحِكَ حَتَّى كَادَ يَبُولُ فِي سَرَاوِيلِهِ أَوْ بَالَ. وَٱللَّهُ أَعْلَمُ. ثُمَّ قَالَ: وَٱللَّهِ لَقَدْ أَصَابَ وَمَا أَخْطَأَ فِيمَا فَعَلَ. ذَرُوهُ فَإِنَّهُ مِنْ أَعْلَمِ ٱلنَّاسِ بِهِمْ. ثُمَّ وَجَّهَ إِلَيَّ خِلْعَةً سَنِيَّةً وَقَادَ فَرَسًا بِمَرْكَبٍ وَحَمَلَ إِلَيَّ خَمْسِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ لِٱسْتِحْسَانِهِ فِعْلِي. وَمَكَثْتُ فِي مَنْزِلِي شَهْرَيْنِ أُنْفِقُ وَآكُلُ وَأَشْرَبُ. ثُمَّ ظَهَرْتُ بَعْدَ ٱلْإِسْتِتَارِ فَصَالَحَنِي بَعْضُهُمْ لِعِلْمِهِ بِمَا صَنَعَ ٱلْوَزِيرُ. وَحَلَفَ بَعْضُهُمْ بِٱلطَّلَاقِ ٱلثَّلَاثِ وَبِعَتْقِ غِلْمَانِهِ وَجَوَارِيهِ أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُنِي مِنْ رَأْسِهِ أَبَدًا(٢). فَلَا وَٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ شَانُهُ ٱلْعَلِيِّ بُرْهَانُهُ. مَا ٱكْتَرَثْتُ بِذٰلِكَ وَلَا بَالَيْتُ وَلَا حُكَّ أَصْلُ أُذُنِي(٣). وَلَا أَوْجَعَ بَطْنِي. وَلَا ضَرَّنِي بَلْ سَرَّنِي. وَإِنَّمَا كَانَتْ حَاجَةٌ فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا. وَإِنَّمَا ذَكَرْتُ هٰذَا وَنَبَّهْتُ عَلَيْهِ لِيُؤْخَذَ ٱلْحَذَرُ مِنْ أَبْنَاءِ ٱلزَّمَنِ وَيُتْرَكَ ٱلثِّقَةُ بِٱلْإِخْوَانِ ٱلْأَنْذَالِ ٱلسَّفَلِ «وَبِفُلَانٍ ٱلْوَرَّاقِ ٱلنَّمَّامِ ٱلزَّرَّافِ ٱلَّذِي يُنْكِرُ حَقَّ ٱلْأُدَبَاءِ وَيَسْتَخِفُّ بِهِمْ. وَيَسْتَعِيرُ كُتُبَهُمْ لَا يَرُدُّهَا عَلَيْهِمْ. وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ. وَعَلَيْهِ ٱلتُّكْلَانُ»(٤).

---

(١) **القاسم بن عبيدالله** هو والد أبي جعفر محمد بن القاسم الذي استوزره الخليفة القاهر العباسي بعد عزل أبي علي بن مقلة. واستوزره أبوه عبيدالله للخليفة المعتضد كما استوزره هو له أيضًا سنة ٢٧٨هـ. ولعله كان استوزر للموفق قبل هذا التاريخ حتى يمكن لأبي العنبس أن يحكي عنه في وزارته قبل موته، فقد مات أبو العنبس سنة ٢٧٥هـ. كما تقدم ويمكن أن يكون صاحب المشترك وهم في تاريخ موت أبي العنبس وأن الحق أنه أدرك القاسم في وزارته أو أن المصنف وهم في رواية القصة عن أبي العنبس. كل ذلك محتمل. والله أعلم.

(٢) أي لا يكلمه بنفسه مباشرة. ويروى: فصالحني بعضهم وخاصمني بعضهم واستعدى علي بعضهم صاحب الجيش فما أعداه لعلمه بما صنع الوزير إلخ. **واستعدى** صاحب الجيش استنصر به فما نصره.

(٣) إذا سئلت عما لا تحب أن تجيب عنه أو لا تعرف الجواب عنه أو طلب منك شيء لم ترد أن تبذله وضعت يدك في أصل أذنك كمن يحكه جلده فيحكه. فيقول: إن حلفة هذا الحالف لم تحدث في نفسي ولا كالذي يحدث عن السؤال عما لا أريد عنه جوابًا.

(٤) إعلم أن ما بين المزدوجين مروي في بعض النسخ لا في كلها. **والزراف** بالفاء الكذاب.

المقَامَةُ ٱلدّينَاريّة

حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ: ٱتَّفَقَ لِي نَذْرٌ نَذَرْتُهُ فِي دِينَارٍ أَتَصَدَّقُ بِهِ عَلَى أَشْحَذِ رَجُلٍ بِبَغْدَادَ. وَسَأَلْتُ عَنْهُ فَدُلِلْتُ عَلَى أَبِي ٱلْفَتْحِ ٱلْإِسْكَنْدَرِيّ. فَمَضَيْتُ إِلَيْهِ. لِأَتَصَدَّقَ عَلَيْهِ. فَوَجَدْتُهُ فِي رُفْقَةٍ. قَدْ ٱجْتَمَعَتْ عَلَيْهِ فِي حَلْقَةٍ فَقُلْتُ: يَا بَنِي سَاسَانَ أَيُّكُم أَعْرَفُ بِسِلْعَتِهِ[١]. وَأَشْحَذُ فِي صَنْعَتِهِ. فَأُعْطِيَهُ هٰذَا ٱلدّينَارَ. فَقَالَ ٱلْإِسْكَنْدَرِيُّ: أَنَا. قَالَ آخَرُ مِنَ ٱلجَمَاعَةِ: لَا بَلْ أَنَا ثُمَّ تَنَاقَشَا وَتَهَارَشَا[٢] حَتَّى قُلْتُ: لِيَشْتُمْ كُلٌّ مِنْكُمَا صَاحِبَهُ. فَمَنْ غَلَبَ سَلَبَ. وَمَنْ عَزَّ بَزَّ[٣]. فَقَالَ ٱلْإِسْكَنْدَرِيُّ: يَا بَرْدَ ٱلْعَجُوزِ[٤]. يَا كُرْبَةَ تَمُّوزَ[٥]. يَا وَسَخَ ٱلْكُوزِ[٦]. يَا دِرْهَمًا لَا يَجُوزُ[٧]. يَا فَسْوَةَ التِّنِّين. يَا خَجْلَة

---

(١) **السلعة** ما يتجر به من المتاع. ولا متاع للشحاذين يعاوضون عليه ويرتزقون من ربحه إلّا تزوير الكلام في الاستجداء وما يتبعه. فهذه سلعة كل منهم التي يسأل عن أعرفهم بها.

(٢) تواثبا وتخاصما. ويروى بعد تهارشا وتوارشا وليس بموجود تفاعل من مادة ورش ولكن يقال ورش بين القوم بمعنى حرش بينهم فيصح أن يكون منه التفاعل قياسًا.

(٣) من غلب خصمه وقهره سلبه ما من حقه أن يكون له. وهاتان الكلمتان من الكلمات السائرة وما انطبق قول على حقيقة في تصرف البشر مثل ما انطبق هاتان الكلمتان على معناهما من غلب سلب ومن عزّ بزّ. وعز قوي وامتنع بعزته أن تلاقيه قوة خصمه. وبز أي سلب من ذل له ماله كله. والمراد هنا من كان أبرع في الشتم من صاحبه استحق الدينار فسلبه من الآخر أي لم يدع له سبيلًا للوصول إليه.

(٤) **برد العجوز** يشتد غالبًا ويزداد ثقلًا بمجيئه في آخر الشتاء عند استعداد الناس للقاء الربيع. **وأيام العجوز** سبعة: أربعة من آخر شباط الرومي وثلاثة من أول آذار ولكل منها اسم وأسماؤها على الترتيب: صن وصنبر ووبر والآمر والمؤتمر والمعلل ومطفئ الجمر أو مكفئ الظعن.

(٥) **تموز** اسم من أسماء الأشهر الرومية وهو يأتي في أشد ما يكون من القيظ ويعرض فيه أن يحتبس الهواء ليلًا حتى لا يجد الحيوان متنفسًا من شدة الحر وركود الهواء خصوصًا في الليل، فهذه هي الكربة التي يشير إليها وهي أثقل شيء على النفس.

(٦) **وسخ الكوز** مما تتقزز منه النفس.

(٧) **الدرهم الذي لا يجوز** المغشوش الذي لا يروّج فإذا دفعه مالكه ثمنًا لشيء فردّ عليه لأنه غير رائج انعكس أمله ووجد خسارة غير منتظرة.

العِنّين. يَا حَدِيثَ ٱلْمُغَنِّينَ(١). يَا سَنَةَ ٱلْبُوسِ(٢). يَا ضَرْطَةَ العَرُوسِ يَا كَوْكَبَ ٱلنُّحُوسِ. يَا وَطْءَ ٱلْكَابُوسِ(٣). يَا تُخَمَةَ ٱلرُّؤُوسِ(٤). يَا أُمَّ حُبَيْنَ(٥). يَا رَمَدَ ٱلْعَيْنِ. يَا غَدَاةَ ٱلْبَيْنِ(٦). يَا فِرَاقَ ٱلْمُحِبَّيْنِ. يَا سَاعَةَ ٱلْحَيْنِ(٧) يَا مَقْتَلَ ٱلْحُسَيْنِ(٨). يَا ثِقَلَ ٱلدَّيْنِ. يَا سِمَةَ ٱلشَّيْنِ(٩). يَا بَرِيدَ ٱلشُّومِ. يَا طَرِيدَ ٱللُّومِ. يَا ثَرِيدَ ٱلثُّومِ(١٠). يَا بَادِيَةَ ٱلزَّقُّومِ(١١). يَا مَنْعَ ٱلْمَاعُونِ(١٢). يَا سَنَةَ ٱلطَّاعُونِ. يَا بَغْيَ ٱلْعَبِيدِ. يَا آيَةَ ٱلْوَعِيدِ. يَا كَلَامَ ٱلْمُعِيدِ(١٣).

---

(١) يودّ سامع المغني أن لا ينقطع الغناء لاتصال لذة الطرب فإذا اشتغل المغني بالكلام عن الغناء انتظر السامع أن يفرغ من كلامه ليعود إلى غنائه وثقلت عليه إطالته وأضجره ذلك وأمله.

(٢) **سنة البؤس** هي سنة الجدب والشدة.

(٣) **الكابوس** ما يقع على الإنسان بالليل لا يستطيع معه أن يتحرك وهو أثقل شيء يجده النائم وهو تخيل ربما يدخل في باب الأحلام غير أنه يمتاز عنها بحقيقة الأثر في البدن. ويروى: وطأة الكابوس بتاء التأنيث بدل «وطء».

(٤) ما يصيب الرأس عنه فساد الطعام في المعدة لكثرته أو لأنه دخل على الطعام قبل هضمه. ويروى: يا تخمة على الروؤس وهو ظاهر.

(٥) **أم حبين** هي العظاية وهي دويبة أكبر مر الوزغة وقال بعضهم إنما دويبة ملساء تشبه سام أبرص وتسمى شحمة الأرض وشحمة الرمل وهي في جميع أصنافها كريهة المنظرة.

(٦) **الغداة** التي يبين فيها الأحبة ويبعدون.

(٧) **الحين** بالفتح الموت وساعته من أشد الساعات ألمًا للميت ولأهله.

(٨) **مقتل الحسين** موضع قتله وهو أشأم موضع لأنه أريق فيه دم بسيف ظالم أي ظالم وهو دم مظلوم أي مظلوم.

(٩) **السمة** العلامة **والشين** العيب وما يستحى من نسبته إلى شخص إذا نسب إليه. فإذا كان للمخاطب مثل هذه السمة كلما نظر إليها صاحبها خجل فهو من أخزى الناس.

(١٠) **بريد الشؤم** رسوله إلى الناس فإذا أتيح للشؤم أن ينزل بأحد تقدم المخاطب بريدًا له أو أنه بريده بمعنى أنه يحمله إلى الناس فإذا أراد اللّٰه إحلال الشؤم بقوم أبرد به مع المخاطب. **وطريد اللوم** المطرود للؤمه. **وثريد الثوم** كريه الرائحة جدًا.

(١١) **الزقوم** هو أخبث شجر مرّ يخرج بأراضي تهامة. **والبادية** خلاف الحاضرة والصحراء. يقول إن مخاطبه في خبثه كأنه بادية كل ما فيها أشجار الزقوم.

(١٢) **الماعون** كل ما يستعار من فأس وقدوم وقدر ونحوها من منافع البيت ويفسر بالزكاة وقد أوعد اللّٰه على منعه الوعيد الشديد وجعله من صفات الذين يكذبون بيوم الدين.

(١٣) العبد إذا نال قوة فبغى على أحد كان أقبح شيء عند الناس وعند من حلّ به البغي وأي شدة فوق الذلة لذليل. **وآية الوعيد** مما يحزن سامعه **وكلام المعيد** الذي يصدر منه بعد أن تكلم به المتكلم الأول فيثقل على الطبع لأنك إذا كنت سمعت شيئًا وعرفته فأثقل شيء عليك أن يعاد على سمعك.

يَا أَقْبَحَ مِنْ حَتَّى فِي مَوَاضِعَ شَتَّى(١). يَا دُودَةَ ٱلْكَنِيفِ. يَا فَرْوَةً فِي ٱلْمَصِيفِ(٢). يَا تَنَحْنُحَ ٱلْمُضِيفِ إِذَا كُسِرَ ٱلرَّغِيفُ. يَا جُشَاءَ ٱلْمَخْمُورِ(٣). يَا نَكْهَةَ ٱلصُّقُورِ(٤). يَا وَتِدَ ٱلدُّورِ(٥). يَا خُذْرُوفَةَ ٱلْقُدُورِ(٦). يَا أَرْبِعَاءَ لَا تَدُورُ(٧). يَا طَمَعَ ٱلْمَقْمُورِ(٨) يَا ضَجَرَ ٱللِّسَانِ(٩). يَا بَوْلَ ٱلْخِصْيَانِ. يَا مُؤَاكَلَةَ ٱلْعِمْيَانِ. يَا شَفَاعَةَ ٱلْعُرْيَانِ(١٠) يَا سَبْتَ ٱلصِّبْيَانِ(١١). يَا كِتَابَ ٱلتَّعَازِي(١٢). ....

---

(١) المراد من **حتى** هذا الحرف. ومسائله من مشكلات النحو حتى قال الفراء: أموت وفي نفسي شيء من حتى.

(٢) **المصيف** المكان الذي تقضي فيه زمن الصيف أو تجلس فيه في الصيف وإنما تطلبه فرارًا من الحر فما أثقل الفروة فيه.

(٣) **المخمور** شارب الخمر المكثر منها وجشاؤه منتن خبيث.

(٤) **النكهة** ريح الفم. **والصقور** ما يصطاد من البزاة والشواهين ولأنها لا تأكل إلّا اللحوم فهي أخبث حيوان نكهة.

(٥) **الوتد** ما رز في الأرض أو الحائط من خشب يضرب به المثل في احتمال الضيم لأنه لا يزال يدق حتى يتحطم.

(٦) لعله يريد من **خذروفة القدور** ما يصنع من الطين ليوضع عليه القدر كأنه أثفية من الأثافي ولا يعرف هذا المعنى في الكتب التي بأيدينا.

(٧) هو آخر أربعاء من كل شهر أو من شهر صفر خاصة عرف بين العامة بأنه نحس لا ينجح فيه عمل عامل.

(٨) **المقمور** المغلوب في القمار وطمعه قبيح من وجهين الأول أنه وهم لا يرجع إلى سند والثاني لا يزال بصاحبه حتى يورده موارد العدم والعوز.

(٩) إذا ضجر اللّسان عن الكلام لم يأمن صاحبه أن يرد به مورد الهوان. **وبول الخصيان** ينتشر فيلوث من البدن ما شاء القذر أن يلوّث. **والعميان** في أكلهم لا يبالون أي موقع وقعت أيديهم من الطعام فلا يخلو مؤاكلهم من التقزز. ويروى بعد لفظ العميان «يا دفع العيان». **والعيان** المشاهدة ودفعها إنكارها وإنكار المشاهد من أنكر المناكر.

(١٠) لا يشير بهذا إلى قول الشاعر:

ليس الشفيع الذي يأتيك مؤتزرًا ... مثل الشفيع الذي يأتيك عريانا

فإن **الشفيع العريان** في قول الشاعر هو الخفيف المقبول. أما الذي في كلام المصنف فهو العريان من الفقر يأتيك شافعًا في حاجة غيره وهو أحوج الناس في التوسل لنفسه.

(١١) **ويوم السبت** أثقل يوم على الصبيان لأنهم يغدون فيه إلى المكاتب للتعلم لأنه بعد يوم عطلة وهو يوم الجمعة.

(١٢) أثقل شيء عليك أن تكتب كتاب تعزية في فقد من لم يكن لك عليه حزن فإنك تضطر لأن تحدث الحزن في نفسك ليصدر عنك من البيان ما يصدر عن أسف وحزن ولا أثقل من =

يَا قَرَارَةَ ٱلْمَخَازِي(١). يَا بُخْلَ ٱلْأَهْوَازِيِّ(٢). يَا فُضُولَ ٱلرَّازِيِّ(٣). وَٱللَّهِ لَوْ وَضَعْتَ إِحْدَى رِجْلَيْكَ عَلَى أَرْوَنْدَ(٤). وَٱلْأُخْرَى عَلَى دُمَاوَنْدَ. وَأَخَذْتَ بِيَدِكَ قَوْسَ قُزَحَ وَنَدَفْتَ ٱلْغَيْمَ فِي جِبَابِ ٱلْمَلَائِكَةِ مَا كُنْتَ إِلَّا حَلَّاجًا. وَقَالَ ٱلْآخَرُ: يَا قَرَّادَ ٱلْقُرُودِ. يَا لَبُودَ ٱلْيَهُودِ(٥). ....

= جلب الحزن على النفس بالصنعة. أو أراد أن كتاب التعازي مما يثقل على النفس قراءته لما فيه من الكلام المحزن.

(١) **القرارة** القاع المستدير يجتمع فيه ماء المطر. **والمخازي** جمع مخزاة وهي ما يوقع في الخزي والهوان من أنواع النقائص النفسية والعملية وهذا يشبه مخاطبه بقرارة تنصب إليها المخازي وتجتمع فيها.

(٢) **الأهوازي** من كان من أهل الأهواز. **والأهواز** تسع كور بين فارس والبصرة ولكل كورة منها اسم وهي: رامهرمز وعسكر مكرم وتستر وجنديسابور وسوس وسرق ونهرتيرى وايذج مناذر. وبخل أهاليها مشهور قبيح.

(٣) **الرازي** منسوب إلى مدينة الري من مدن الديلم كان منها علماء عظام مثل فخر الدين الرازي وأبو بكر الرازي وغيرهما. وزادوا في النسبة إليها زايًا كما زادوها في مروزي نسبة إلى مرو الشاهجان. **والفضول** الزيادات التي لا خير فيها ومنها فضول الكلام. وأهل الري ثرثارون يهرفون في الكلام بما يثقل على النفس.

(٤) **أروند** جبل نزه أخضر ناضر يطل على همدان يعد من محاسن بلاد همدان وله ذكر كثير في أشعارهم وأسجاعهم وينسب للقاضي عبدالله بن محمد الميانخي أبيات فيه منها:

ألا ليت شعري هل ترى العين مرة ... ذرى قلتي أروند من همدان
بلاد بها نيطت علي تمائمي ... وأرضعت من عقانها بلبان

دماوند هو جبل دنباوند. ولفظ المصنف فيه عامي. ويروى لفظه في هذا الكتاب ديناوند وهو تصحيف ويقال لهذا الجبل أيضًا **دباوند** وهو الجبل العظيم المشهور بناحية الري. قال القزويني في وصفه: يناطح النجوم ارتفاعًا ويحكيها امتناعًا لا يعلوه الغيم في ارتفاعه ولا الطير في تحليقه وكان فيه بركان يقذف النار ومنابع كثيرة للمياه الكبريتية وبين الجبلين المسافات المتباعدة. فهو يقول لمخاطبه: لو بلغت من العظم والجسامة أن تستطيع وضع إحدى رجليك على أحد الجبلين والأخرى على الآخر وأن تتناول قوس قزح وهو ذو الألوان الذي يظهر في السحاب وجعلته مندفًا وندفت الغيم كما يندف القطن وكان ما تبسطه تحت مندوفك هو **جباب الملائكة** جمع جبة ما زاد قدرك على ما هو لك بوصف أنك حلّاج وأي مقدار بين الناس لحلّاج وإن عظم مندفه واتسع ما بين رجليه وبسط لمندفه ما بسط.

(٥) **اللَّبود** بفتح اللام القراد. ولليهود عند ماقتيهم شهرة بالوساخة ويتولّد منها القراد وهو إن كان في بدن يهودي كان أخبث أنواعه. وقد يكون بضم اللام جمع لبد بمعنى الأمر والشأن. وشؤون اليهود وأمورهم في نظر معامليهم من الأمم من أقبح الشؤون وأشنعها فهم يُعرفون عند معظم الملل بالخيانة والغش والدناءة وما يتلوها وكفى بها قبحًا وشناعة.

يَا نَكْهَةَ ٱلْأُسُودِ[١] يَا قَسْوَةَ السُّود. يَا ضَرْطَةً في السُّجُودِ. يَا عَدَمًا فِي وُجُودِ. يَا كَلْبًا فِي ٱلْهَرَاشِ. يَا قِرْدًا فِي ٱلْفِرَاشِ[٢]. يَا قَرْعِيَّةً بِمَاشٍ. يَا أَقَلَّ مِنْ لَاشٍ[٣]. يَا دُخَانَ ٱلنِّفْطِ[٤]. يَا صَنَانَ ٱلْإِبِطِ[٥]. يَا زَوَالَ ٱلْمُلْكِ. يَا هِلَالَ ٱلْهُلْكِ[٦] يَا أَخْبَثَ مِمَّنْ بَاءَ بِذُلِّ ٱلطَّلَاقِ. وَمَنْعِ ٱلصِّدَاقِ[٧]. يَا وَحْلَ ٱلطَّرِيقِ. يَا مَاءً عَلَى ٱلرِّيقِ. يَا مُحَرِّكَ ٱلْعَظْمِ. يَا مُعَجِّلَ ٱلْهَضْمِ[٨]. يَا قَلَحَ ٱلْأَسْنَانِ[٩]. يَا وَسَخَ ٱلْآذَانِ. يَا أَجَرَّ مِنْ قَلْسٍ[١٠]. يَا أَقَلَّ مِنْ فَلْسٍ. يَا أَفْضَحَ مِنْ عَبْرَةٍ[١١]. يَا أَبْغَى مِنْ إِبْرَةٍ[١٢]. يَا مَهَبَّ

---

(١) **النكهة** ريح الفم. والأسود لأنها لا تأكل إلّا اللّحم من أخبث الحيوان نكهة.

(٢) **الهراش** مواثبة الكلاب وتحرش بعضها ببعض. **والقرد في الفراش** من أشد المقلقات لأنه لا يسكن من حركة ولا يألو فسادًا وتمزيقًا لما يصل إليه.

(٣) **القرعية** طعام يصنع من القرع **والماش** حب يقرب من حب الباقلاء وطعمه يقرب من طعم العدس فإذا خلط هذا الحب مع القرع كان كريه الطعم تضطرب له المعدة وتغثي له النفس. ويروى يا فرعة بماش **والماش** على هذا قماش البيت الذي لا قيمة له ومنه المثل «الماش خير من لاش» أي ما كان من قماش لا قيمة له خير من خلوّه. **واللاش** هو اللاشيء. **والفرعة** واحد الفرع بمعنى القمل.

(٤) **النفط** بالكسر ويفتح دهن معدني منه أبيض وأسود سريع الاحتراق ودخانه خبيث الرائحة وقد تجد شيئًا من شبهه في زيت البترول الذي يسرج به في هذه الأيام.

(٥) **صنان الإبط** بالضم ذفره ورائحة عرقه.

(٦) يريد أن مطلعه مطلع الهلاك. **والهلك** بالضم الهلاك.

(٧) **باء بذل الطلاق** حق عليه ذلك الذل وصار إليه والطلاق ذل للمرأة وهو أن من أشد ما يلحق بها من مجالب العار خصوصًا إن كان لأسباب توجبه من رداءة السيرة وضعف العقل ورثاثة العفة. فإذا أضيف إلى الطلاق منع الصداق الذي يبقى لها في ذمّة الزوج كان ذلك أشد هوانًا.

(٨) يريد من **محرك العظم** الحمى الشديدة المصحوبة بوجدان البرد والقشعريرة يحدث منها رجة للبدن أجمعه وتضطرب لها العظام وتصطك المفاصل. **ومعجل الهضم** المسهل. ويروى بعد لفظ الهضم: يا مخجل المسح يا مخجل الملح. **والمسح** بالكسر الثوب من الشعر يعد من أخشن الثياب. وأراد بتخليل الملح إفساده وهو ملح الطعام فما أفسد الذي يفسده.

(٩) **قلح الأسنان** بالتحريك ما يعلوها من صفرة أو خضرة.

(١٠) **القلس** حبل ضخم من ليف أو خوص أو نحوها من قلوس سفن البحر. **وأجر منه** من جرّ بمعنى جذب وهو مبالغة في الوصف بالهوان كما لا يخفى. ويروى: يا أخس من قلس.

(١١) **العبرة** البكاء يريد الدموع التي تندفع من العين عند البكاء وهي تفضح العاشق إن كان بكاؤه من شوقه وتفضح ما في نفس الحزين من الحزن إن كان بكاؤه له.

(١٢) **الإبرة** إنما وجدت للوخز والشك فمن كان شأنه شأنها في ذلك فهو باغ على الناس مستطيل. وقد يكون من بغت الجارية إذا عهرت لأن سم الإبرة لا يزال فيه خيط.

ٱلْخُفّ[١]. يَا مَدْرَجَةَ ٱلْأُكُفّ[٢]. يَا كَلِمَةَ لَيْتَ[٣] يَا وَكَفَ ٱلْبَيْتِ[٤]. يَا كَيْتَ وَكَيْتَ. وَٱللَّهِ لَوْ وَضَعْتَ ٱسْتَكَ عَلَى ٱلنُّجُومِ. وَدَلَّيْتَ رِجْلَكَ فِي ٱلتُّخُومِ. وَٱتَّخَذْتَ ٱلشِّعْرَى خُفًّا. وَٱلثُّرَيَّا رَفًّا. وَجَعَلْتَ ٱلسَّمَاءَ مِنْوَالًا. وَحِكْتَ ٱلْهَوَاءَ سِرْبَالًا. فَسَدَّيْتَهُ بِٱلنَّسْرِ ٱلطَّائِرِ[٥]. وَأَلْحَمْتَهُ بِٱلْفَلَكِ ٱلدَّائِرِ. مَا كُنْتَ إِلَّا حَائِكًا. قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ: فَوَٱللَّهِ مَا عَلِمْتُ أَيُّ ٱلرَّجُلَيْنِ أُوْثِرُ وَمَا مِنْهُمَا إِلَّا بَدِيعُ ٱلْكَلَامِ. عَجِيبُ ٱلْمَقَامِ. أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ. فَتَرَكْتُهُمَا. وَٱلدِّينَارُ مُشَاعٌ بَيْنَهُمَا. وَٱنْصَرَفْتُ وَمَا أَدْرِي مَا صَنَعَ ٱلدَّهْرُ بِهِمَا.

---

(١) أما ان يريد من **مهب الخف** الموضع الذي يجيء منه من قولهم من أين هببت أي من أين جئت أي إنه لملازمة الخف لقفاه صفعًا فهو إذا هبّ يهبُّ منه. وقد يكون من هب إذا نشط أي ينشط الخف إلى صفعه. وقد يكون مهب ريح الخف وله رائحة كريهة جدًا وكما يضرب المثل بريح الجورب يضرب بريح الخف أيضًا.

(٢) **الأكف** جمع كف. **ومدرجة الأكف** مكان دروجها وحركتها في صفعه. يروى بعد الأكف «يا درج ادرج يا دخل اخرج» **والدرج** بالتحريك الطريق. **وادرج** أي امش أي إنه طريق لهذه الكلمة وهي كلمة الطرد والإبعاد. **والدخل** بالتحريك الشجر الملتف أي يا مجتمع هذه الكلمة وهي اخرج أي إن كل من رآه في مكان أخرجه فكأن الأوامر بالخروج ملتفة عليه.

(٣) كلمة **ليت** لا تقال إلّا عند الندامة على فائت أو التلهّف على مفقود.

(٤) **وكف البيت** أن يقطر الماء من سقفه عند المطر ولا أشق منه على النفس. **وكيت وكيت** تقال لكل ما يستحى من ذكره من أنواع السباب.

(٥) يروى: واتخذت الشعرى حفًا بالحاء المهملة مفتوحة. **والحف** المنسج. **والرف** بالراء المفتوحة الثوب الناعم أراد منه الخيوط الرقيقة. ويروى بدل رفًا «دفًا» بالدال ولا معنى له هنا. **والمنوال** آلة الحياكة. **والسربال** الثوب. **والنسر الطائر** صورة من الكواكب. **وسدى الثوب** أقام سداه وسدى الثوب ما مدّ من خيوطه. **واللّحمة** ما به من السدى يتم الثوب.

المقَامَةُ ٱلشِعْرِيَّة

حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ: كُنْتُ بِبِلَادِ ٱلشَّامِ وَٱنْضَمَّ إِلَيَّ رِفْقَةٌ. فَٱجْتَمَعْنَا ذَاتَ يَوْمٍ فِي حَلْقَةٍ. فَجَعَلْنَا نَتَذَكَّرُ ٱلشِعْرَ فَنُورِدُ أَبْيَاتَ مَعَانِيهِ. وَنَتَحَاجَى بِمَعامِيهِ(١). وَقَدْ وَقَفَ عَلَيْنَا فَتًى يَسْمَعُ وَكَأَنَّهُ يَفْهَمُ. وَيَسْكُتُ وَكَأَنَّهُ يَنْدَمُ. فَقُلْتُ: يَا فَتَى قَدْ آذَانَا وُقُوفُكَ فَإِمَّا أَنْ تَقْعُدَ. وَإِمَّا أَنْ تَبْعُدَ. فَقَالَ: لَا يُمْكِنِّي ٱلْقُعُودُ. وَلٰكِنْ أَذْهَبُ فَأَعُودُ. فَٱلْزَمُوا مَكَانَكُمْ هٰذَا. قُلْنَا نَفْعَلُ وَكَرَامَةً. ثُمَّ غَابَ بِشَخْصِهِ وَمَا لَبِثَ أَنْ عَادَ لِوَقْتِهِ وَقَالَ: أَيْنَ أَنْتُمْ مِنْ تِلْكَ ٱلْأَبْيَاتِ. وَمَا فَعَلْتُمْ بِٱلْمُعَمَّيَاتِ. سَلُونِي عَنْهَا. فَمَا سَأَلْنَاهُ عَنْ بَيْتٍ إِلَّا أَجَابَ وَلَا عَنْ مَعْنًى إِلَّا أَصَابَ. وَلَمَّا نَفَضْنَا ٱلْكَنَائِنَ. وَأَفْنَيْنَا ٱلْخَزَائِنَ(٢). عَطَفَ عَلَيْنَا سَائِلًا. وَكَرَّ مُبَاحِثًا فَقَالَ: عَرِّفُونِي أَيُّ بَيْتٍ شَطْرُهُ يَرْفَعُ. وَشَطْرُهُ يَدْفَعُ(٣). وَأَيُّ بَيْتٍ كُلُّهُ يَصْفَعُ. وَأَيُّ بَيْتٍ نِصْفُهُ يَغْضَبُ. وَنِصْفُهُ يَلْعَبُ. وَأَيُّ

---

(١) **نتذكّر** يروى: نتذاكر. **ونتحاجى** يمتحن كل منا حجى صاحبه أي عقله بعرض بيت من أبيات الشعر عليه مما قد خفي معناه من لا روية له في روايته ولا نفوذ لقريحته في فهم دقائقه فإذا أصاب المعنى المراد دلّ على أنه من فرسانه والمجلين في ميدانه.

(٢) **الكنائن** جمع كنانة وهي وعاء السهام. **ونفضوها** أفرغوها. يمثل بذلك نفاد ما عندهم من الأحاجي والمعميات وانتهاؤهم في المذاكرة إلى حد أن لم يبق عندهم شيء يتذاكرونه ومثل ذلك قوله: أفنينا الخزائن.

(٣) هذه الأوصاف التي يذكرها للأبيات ويحاجي بها إنما هي اعتبارات يصورها الذهن من جوامع البيت والألفاظ التي يؤلف منها والمعاني التي يشير إليها وترد إلى المخيلة عند سماعه وذلك يختلف باختلاف أهل الذوق في القريض ويمكن لقارئ ديوان واحد من شعر أي شاعر أن يجد جميع ما جاء به ولهذا لا نصرف الوقت في الإتيان بجميع ما عمى به ولكنا نذكر لك طرفًا تقيس عليه أمثاله كما جاء المصنّف بمثل ذلك مثلًا البيت الذي نصفه يرفع ونصفه يدفع بصيغة الفاعل في الفعلين يدفع ويرفع كقول بعضهم:

ولله عندي جانب لا أضيعه ... وللهو عندي وللخلاعة جانب

فالنصف الأول يرفع صاحبه إلى منزلة الكرامة التي يختص بها أهل التقوى والنصف الثاني يدفع صاحبه عن تلك المقامات الرفيعة ويحرمه الرقي إليها. والبيت الذي نصفه =

بَيْتٍ كُلُّهُ أَجْرَبُ. وَأَيُّ بَيْتٍ عَرُوضُهُ يُحَارِبُ. وَضَرْبُهُ يُقَارِبُ. وَأَيُّ بَيْتٍ كُلُّهُ عَقَارِبُ. وَأَيُّ بَيْتٍ سَمُجَ وَضْعُهُ. وَحَسُنَ قَطْعُهُ. وَأَيُّ بَيْتٍ لَا يَرْقَأُ دَمْعُهُ. وَأَيُّ بَيْتٍ يَأْبَقُ كُلُّهُ. إِلَّا رِجْلُهُ. وَأَيُّ بَيْتٍ لَا يُعْرَفُ أَهْلُهُ. وَأَيُّ بَيْتٍ هُوَ أَطْوَلُ مِنْ مِثْلِهِ. كَأَنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِهِ. وَأَيُّ بَيْتٍ لَا يُمْكِنُ نَقْضُهُ وَلَا تُحْتَقَرُ أَرْضُهُ. وَأَيُّ بَيْتٍ نِصْفُهُ كَامِلٌ. وَنِصْفُهُ سَرَابِلُ. وَأَيُّ بَيْتٍ لَا تُحْصَى عِدَّتُهُ. وَأَيُّ بَيْتٍ يُرِيكَ مَا يُسَرُّ بِهِ. وَأَيُّ بَيْتٍ لَا يَسَعُهُ

= يغضب ونصفه يلعب كقول طرفة المتقدم:

كأن سيوفنا منا ومنهم مخاريق بأيدي لاعبينا

والبيت الذي أوله يهب وآخره ينهب كقول بعضهم:

قريناكم فعجلنا قراكم قبيل الصبح مرداة طحونا

فإن الشطر الأول قرى وإحسان والشطر الثاني ردى وطحن أجساد تنهب منها الأرواح وتسلب معها الأموال. والبيت الذي لا يمكنه نقضه كقوله:

إن الذي سمك السماء بنى لنا بيتاً دعائمه أعز وأرفع

والبيت الذي إذا أفلتناه أضللناه كقوله:

ألا إنني بال على جمل بال يقود بنا بال ويتبعنا بال

والبيت الذي قام ثم سقط ونام كقوله:

ألا أيها النوام من نومكم هبوا أسائلكم هل يقتل الرجل الحب

والبيت الذي إذا حرك غصنه ذهب حسنه كقوله:

لك قد لولا جوارح عينيـ ـك لغنت عليها ورق الحمام

فلو حركت القد لطارت الجوارح بمعناها المشهور وهي جوارح الطير. والجوارح في البيت عيناه فإذا طارت عينه ذهب حسنه البتة. والبيت الذي أوله يطلب وآخره يهرب كقوله:

بجهل كجهل السيف والسيف منتضى وحلم كحلم السيف والسيف مغمد

والبيت الذي كاد يذهب فعاد كقوله:

وما أنا منهم بالعيش فيهم ولكن معدن الذهب الرغام

والبيت الذي مدحه ذم كقوله:

فإن قومي وإن كانوا ذوي عدد ليسوا من الشر في شيء وإن هانا

والبيت الذي ضاق ووسع الآفاق كقوله:

ليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد

والبيت الذي أصلح حتى صلح كقوله:

لا تقل بشرى ولكن بشريان غرة الداعي ويوم المهرجان

فإن أصلح وحوّل عن مطلعه الشؤم إلى قوله غرة الداعي ويوم المهرجان لا تقل بشرى ولكن بشريان وعلى هذا النمط يمكنك أن تحقق جميع الاعتبارات بذوقك. ولكل من هذه الاعتبارات ما لا يعد من الأبيات فلا حاجة بنا إلى الإطالة والله أعلم.

ٱلْعَالَمُ. وَأَيُّ بَيْتٍ نِصْفُهُ يَضْحَكُ وَنِصْفُهُ يَأْلَمْ. وَأَيُّ بَيْتٍ إِنْ حُرِّكَ غُصْنُهُ. ذَهَبَ حُسْنُهُ. وَأَيُّ بَيْتٍ إِنْ جَمَعْنَاهُ. ذَهَبَ مَعْنَاهُ. وَأَيُّ بَيْتٍ إِنْ أَفْلَتْنَاه أَضْلَلْنَاهُ. وَأَيُّ بَيْتٍ شَهْدُهُ سَمٌّ. وَأَيُّ بَيْتٍ مَدْحُهُ ذَمٌّ. وَأَيُّ بَيْتٍ لَفْظُهُ حُلْوٌ وَتَحْتَهُ غَمٌّ. وَأَيُّ بَيْتٍ حَلُّهُ عَقْدٌ. وَكُلُّهُ نَقْدٌ. وَأَيُّ بَيْتٍ نِصْفُهُ مَدٌّ. وَنِصْفُهُ رَدٌّ. وَأَيُّ بَيْتٍ نِصْفُهُ رَفْعٌ. وَرَفْعُهُ صَفْعٌ. وَأَيُّ بَيْتٍ طَرْدُهُ مَدْحٌ. وَعَكْسُهُ قَدْحٌ. وَأَيُّ بَيْتٍ هُوَ فِي طَوْفٍ. صَلَاةُ ٱلْخَوفِ. وَأَيُّ بَيْتٍ يَأْكُلُهُ ٱلشَّاءُ. مَتَى شَاءَ. وَأَيُّ بَيْتٍ إِذَا أَصَابَ ٱلرَّأْسَ. هَشَّمَ ٱلْأَضْرَاسَ. وَأَيُّ بَيْتٍ طَالَ. حَتَّى بَلَغَ سِتَّةَ أَرْطَالٍ. وَأَيُّ بَيْتٍ قَامَ. ثُمَّ سَقَطَ وَنَامَ. وَأَيُّ بَيْتٍ أَرَادَ أَنْ يَنْقُصَ فَزَادَ. وَأَيُّ بَيْتٍ كَادَ يَذْهَبُ فَعَادَ. وَأَيُّ بَيْتٍ حَرَبُ ٱلْعِرَاقِ. وَأَيُّ بَيْتٍ فَتَحَ ٱلْبَصْرَةَ. وَأَيُّ بَيْتٍ ذَابَ. تَحْتَ ٱلْعَذَابِ. وَأَيُّ بَيْتٍ شَابَ. قَبْلَ ٱلشَّبَابِ. وَأَيُّ بَيْتٍ عَادَ. قَبْلَ ٱلْمِيعَادِ. وَأَيُّ بَيْتٍ حَلَّ. ثُمَّ ٱضْمَحَلَّ. وَأَيُّ بَيْتٍ أُمِرَّ. ثُمَّ ٱسْتَمَرَّ. وَأَيُّ بَيْتٍ أُصْلِحَ. حَتَّى صَلَحَ. وَأَيُّ بَيْتٍ أَسْبَقُ مِنْ سَهْمِ ٱلطِّرِمَّاحِ. وَأَيُّ بَيْتٍ خَرَجَ مِنْ عَيْنِهِمْ. وَأَيُّ بَيْتٍ ضَاقَ. وَوَسِعَ ٱلْآفَاقَ. وَأَيُّ بَيْتٍ رَجَعَ. فَهَاجَ ٱلْوَجَعَ. وَأَيُّ بَيْتٍ نِصْفُهُ ذَهَبٌ. وَبَاقِيهِ ذَنَبٌ. وَأَيُّ بَيْتٍ بَعْضُهُ ظَلَامٌ. وَبَعْضُهُ مُدَامٌ. وَأَيُّ بَيْتٍ جُعِلَ فَاعِلُهُ مَفْعُولًا. وَعَاقِلُهُ مَعْقُولًا. وَأَيُّ بَيْتٍ كُلُّهُ حُرْمَةٌ. وَأَيُّ بَيْتَيْنِ هُمَا كَقِطَارِ ٱلْإِبِلِ. وَأَيُّ بَيْتٍ يَنْزِلُ مِنْ عَالٍ. وَأَيُّ بَيْتٍ طِيَرَتُهُ فِي ٱلْفَالِ. وَأَيُّ بَيْتٍ آخِرُهُ يَهْرُبُ. وَأَوَّلُهُ يَطْلُبُ. وَأَيُّ بَيْتٍ أَوَّلُهُ يَهَبُ. وَآخِرُهُ يَنْهَبُ. قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ: فَسَمِعْنَا شَيْئًا لَمْ نَكُنْ سَمِعْنَاهُ وَسَأَلْنَاهُ ٱلتَّفْسِيرَ فَمَنَعْنَاهُ. وَحَسِبْنَاهَا أَلْفَاظًا قَدْ جَوَّدَ نَحْتَهَا. وَلَا مَعَانِي تَحْتَهَا. فَقَالَ: ٱخْتَارُوا مِنْ هٰذِهِ ٱلْمَسَائِلِ خَمْسًا لِأُفَسِّرَهَا وَٱجْتَهِدُوا فِي ٱلْبَاقِي أَيَّامًا فَلَعَلَّ إِنَاءَكُمْ يَرْشَحُ. وَلَعَلَّ خَاطِرَكُمْ يَسْمَحُ. ثُمَّ إِنْ عَجَزْتُمْ فَٱسْتَأْنِفُوا ٱلتَّلَاقِي. لِأُفَسِّرَ ٱلْبَاقِي. وَكَانَ مِمَّا ٱخْتَرْنَا ٱلْبَيْتُ ٱلَّذِي سَمُجَ وَضْعُهُ. وَحَسُنَ قَطْعُهُ. فَسَأَلْنَاهُ عَنْهُ فَقَالَ: هُوَ قَوْلُ أَبِي نُوَاسٍ:

فَبِتْنَا يَرَانَا ٱللَّهُ شَرَّ عِصَابَةٍ ... تُجَرِّرُ أَذْيَالَ ٱلْفُسُوقِ وَلَا فَخْرُ

قُلْنَا: فَٱلْبَيْتُ ٱلَّذِي حَلُّهُ عَقْدٌ. وَكُلُّهُ نَقْدٌ(١). فَقَالَ: قَوْلُ ٱلْأَعْشَى:

---

(١) كله نقد يريد كله دراهم وما يتعلق بنقدها. والنقد الذهب والفضة المسكوكات سميا به لما يغلب فيهما من نقد الجيد من الرديء.

دَرَاهِمُنَا كُلُّهَا جَيِّدٌ فَلَا تَحْبِسَنَّا بِتَنْقَادِهَا

وَحَلُّهُ أَنْ يُقَالَ: دَرَاهِمُنَا جَيِّدٌ كُلُّهَا. وَلَا يَخْرُجُ بِهٰذَا ٱلْحَلِّ عَنْ وَزْنِهِ. قُلْنَا: فَٱلْبَيْتُ ٱلَّذِي نِصْفُهُ مَدٌّ. وَنِصْفُهُ رَدٌّ. قَالَ قَوْلُ ٱلْبَكْرِيِّ:

أَتَاكَ دِينَارُ صِدْقٍ يَنْقُصُ سِتِّينَ فَلْسَا[1]
مِنْ أَكْرَمِ ٱلنَّاسِ إِلَّا أَصْلًا وَفَرْعًا وَنَفْسَا

قُلْنَا: فَٱلْبَيْتُ ٱلَّذِي يَأْكُلُهُ ٱلشَّاءُ. مَتَى شَاءَ. قَالَ: بَيْتُ ٱلْقَائِلِ:

فَمَا لِلنَّوَى جُذَّ ٱلنَّوَى قُطِعَ ٱلنَّوَى رَأَيْتُ ٱلنَّوَى قَطَّاعَةً لِلْقَرَائِنِ[2]

قُلْنَا: فَٱلْبَيْتُ ٱلَّذِي طَالَ. حَتَّى بَلَغَ سِتَّةَ أَرْطَالٍ. قَالع بَيْتُ ٱبْنِ ٱلرُّومِيِّ[3]:

إِذَا مَنَّ لَمْ يَمْنُنْ بِمَنٍّ يَمُنُّهُ وَقَالَ لِنَفْسِي أَيُّهَا ٱلنَّفْسُ أَمْهِلِي

قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ: فَعَلِمْنَا أَنَّ ٱلْمَسَائِلَ لَيْسَتْ عَوَاطِلَ. وَٱجْتَهَدْنَا. فَبَعْضَهَا وَجَدْنَا. وَبَعْضَهَا ٱسْتَفَدْنَا. فَقُلْتُ عَلَى أَثَرِهِ وَهُوَ عَادٍ:

تَفَاوَتَ ٱلنَّاسُ فَضْلًا وَأَشْبَهَ ٱلْبَعْضُ بَعْضَا
لَوْلَاهُ كُنْتُ كَرَضْوَى طُولًا وَعُمْقًا وَعَرْضَا[4]

---

(١) فإنه لما قال «دينار صدق» حصل في الذهن جميع ما احتوى عليه من الفلوس وامتد إلى نهايتها وهي ستون. فلما قال «ألا ستون فلسًا» ردّ الذي مدّه أولًا. وفي قوله «من أكرم الناس» مدّ فضله حتى تجاوز في الكرم ما وراء كل كرم ولما نفى الكرم من أصله وفرعه ونفسه استرد جميع أفراد النوع حتى لم يبق له شيئًا من الكرم.

(٢) **النوى** البعد ينكر الشاعر إلحاح البعد عليه بمفارقة أحبته فيقول: ما للنوى وأي غرض لها في ملازمتي. ثم يدعو عليها فيقول: **جذ النوى** أي قطع ومحق. وقوله «قطاعة للقرائن» أما أن يريد من القرائن الأرواح وقطاعتها المهلكة لها. وأما أن يريد منها الصلات بين الأحبة التي تقرن بينهم بالميل والوداد. وهذا البيت بما فيه من تكرار ذكر النوى أحضر في المخيلة نوى التمر والبلح وهو مما تأكله الشاه.

(٣) تقدم هذا البيت في المقامة العراقية فليراجع هناك.

(٤) لولا هذا الفتى وما أظهره من البراعة وسعة الاطلاع وحسن الانتقاد لكان عيسى بن هشام يعد نفسه في العظم المعنوي كجبل **رضوى** في عظمه الحسي وهو جبل في بلاد العرب مشهور يتمثل به في أشعارهم. قال المعري: ويثقل رضوى دون ما أنا حامل.

المقَامَةُ المُلُوكيَّة

حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ: كُنْتُ فِي مُنْصَرَفِي مِنَ الْيَمَنِ. وَتَوَجُّهِي إِلَى نَحْوِ الْوَطَنِ. أَسْرِي ذَاتَ لَيْلَةٍ لَا سَانِحَ بِهَا إِلَّا الضَّبُعُ. وَلَا بَارِحَ إِلَّا السَّبُعُ(١). فَلَمَّا انْتُضِيَ نَصْلُ الصَّبَاحِ. وَبَرَزَ جَبِينُ الْمِصْبَاحِ(٢). عَنَّ لِي فِي الْبَرَاحِ. رَاكِبٌ شَاكِي السِّلَاحِ(٣). فَأَخَذَنِي مِنْهُ مَا يَأْخُذُ الْأَعْزَلَ. مِنْ مِثْلِهِ إِذَا أَقْبَلَ(٤). لكِنِّي تَجَلَّدْتُ فَوَقَفْتُ وَقُلْتُ: أَرْضَكَ لَا أُمَّ لَكَ(٥) فَدُونِي شَرْطُ الْحِدَادِ. وَخَرْطُ الْقَتَادِ(٦). وَحَمِيَّةٌ أَزْدِيَّةٌ(٧). وَأَنَا سِلْمٌ إِنْ كُنْتَ(٨). فَمَنْ أَنْتَ. فَقَالَ: سِلْماً أَصَبْتَ. وَرَفِيقاً كَمَا أَحْبَبْتَ. فَقُلْتُ:

---

(١) **السانح** من الوحش والطير ما يأتي من جهة اليسار. **والبارح** ما يجيء من قبل اليمين. أي إنه يمشي فيه فردًا بين الوحوش ما بين ضبع وسبع.

(٢) يشبّه الصباح بنصل **ينتضى** أي يستل من شبه غمده وهو الليل. وأراد **بالمصباح** هنا الشمس **وجبينها** حاجبها الأعلى.

(٣) **عن** أي ظهر. **البراح** المتسع من الأرض لا شجر به ولا زرع ولا بناء. **وشاكي السلاح** حديده تامه.

(٤) **الأعزل** من لا سلاح له. والضمير في «مثله» إلى شاكي السلاح. والأعزل يأخذه الرعب من المتسلح.

(٥) **التجلّد** المصابرة على إخفاء ما في النفس من خوف وجزع. وقوله «**أرضك**» أي الزم الأرض التي أنت عليها لا تتحرك بالإقبال علي. «**ولا أم لك**» دعاء معروف عند العرب أي فقدت أمك.

(٦) **الحداد** جمع حديد يريد السيوف والخناجر وما شاكلها. **وشرطها** أي شقها وجرحها من قولهم شرط الحجام موضع الحجامة أي بزغه. **والقتاد** شجر له شوك صلب وخرطه أي مخرطه وما يخرط منه على الأرض يمنع السائر أن يمر عليه لأنه ينشب برجليه يقول: إن بينك وبين الوصول إلي ضرب الشفار ووخز الشياك. ودونه خرط القتاد مثل مشهور.

(٧) من موانع الوصول إلي حمية أي أنفة تثير النفس لدفع من يطلب اهتضامها قد اشتهر بها الأزد الذين أنا منهم. **وأزد** قبائل من العرب مشهورة.

(٨) **إن كنت سلمًا** أي غير محارب فأنا لك سلم مع ما سمعت من صعوبة الوصول إلي. وإني إن كنت حربًا لم يُعْوِزْني شيء من أسباب الظفر فيها.

خَيْراً أَجَبْتَ. وَسِرْنَا فَلَمَّا تَخالَيْنَا. وَحِينَ تَجالَيْنَا. أَجْلَتِ الْقِصَّةُ[١] عَنْ أَبِي الْفَتْحِ الإِسْكَنْدَرِيِّ. وَسَأَلَنِي عَنْ أَكْرَمِ مَنْ لَقِيتُهُ مِنَ الْمُلُوكِ فَذَكَرْتُ مُلُوكَ الشَّامِ. وَمَنْ بِهَا مِنَ الْكِرَامِ. ومُلُوكَ الْعِرَاقِ وَمَنْ بِهَا مِنَ الأَشْرَافِ. وَأُمَرَاءِ الأَطْرَافِ. وَسُقْتُ الذِكْرَ. إِلَى مُلُوكِ مِصْرَ. فَرَوَيْتُ مَا رَأَيْتُ وَحَدَّثْتُهُ بِعَوارِفِ مُلُوكِ الْيَمَنِ[٢]. وَلَطَائِفِ مُلُوكِ الطَّائِفِ. وَخَتَمْتُ مَدْحَ الْجُمْلَةِ. بِذِكْرِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ. فَأَنْشَأَ يَقُولُ:

يَا سَارِيًا بِنُجُومِ اللَّيْلِ يَمْدَحُهَا ... وَلَوْ رَأَى الشَّمْسَ لَمْ يَعْرِفْ لَهَا خَطَرَا[٣]
وَوَاصِفًا لِلسَّوَاقِي هَبْكَ لَمْ تَزُرِ م ... الْبَحْرَ الْمُحِيطَ أَلَمْ تَعْرِفْ لَهُ خَبَرا[٤]
مَنْ أَبْصَرَ الدُّرَّ لَمْ يَعْدِلْ بِهِ حَجَرًا ... وَمَنْ رَأَى خَلَفًا لَمْ يَذْكُرِ الْبَشَرَا[٥]
زُرْهُ تَزُرْ مَلِكًا يُعْطِي بِأَرْبَعَةٍ ... لَمْ يَحْوِهَا أَحَدٌ وانْظُرْ إِلَيْهِ تَرَى[٦]
أَيَّامَهُ غُرَرًا وَوَجْهَهُ قَمَرًا ... وَعَزْمَهُ قَدَرًا وَسَيْبَهُ مَطَرا
مَا زِلْتُ أَمْدَحُ أَقْوامًا أَظُنُّهُمُ ... صَفْوَ الزَّمَانِ فَكَانُوا عِنْدَهُ كَدَرَا[٧]

(قال عِيسَى بْنُ هِشَامٍ) فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا الْمَلِكُ الرَّحِيمُ الْكَرِيمُ. فَقَالَ: كَيْفَ

---

(١) **تخالينا** خلا بعضنا إلى بعض. **وتجالينا** أي جلا كل منا حاله لصاحبه فعرّفه بنفسه. **وأجلت القصة** انكشفت.

(٢) **العوارف** جمع عارفة وهي المعروف والإحسان.

(٣) من سرى على هداية النجوم يمدحها لذلك لكن لو رأى الشمس لم يعرف لتلك النجوم خطرًا أي قدرًا إذ يجد هداية النجوم لا تذكر مع هداية الشمس.

(٤) **السواقي** جمع ساقية وهي القناة الصغيرة فوق الجدول ودون النهر. **وهبك** أي افرض أنك لم تكن منك زيارة للبحر فهل لم يصلك خبر عنه حتى شغلتك السواقي بوصفها عن وصفه.

(٥) **خلف** اسم الملك الذي يمدحه ويزعم أن من رآه شغله ذكره عن ذكر كل البشر وكان واليًا في سجستان.

(٦) أشار إلى الأربعة في البيت الآتي. **فأيامه غرر** في وجه الزمان لامتيازها بين أجزائه براحة الرعية واطمئنانها في كنف عدله فهو أحد الأربعة. **ووجهه** كأنه قمر يمنح الأبصار نورًا تهتدي به في سواد الليل وكأنما يهديك إلى فضله ببشره وابتسامه وهو ثانيها. **وعزمه وهمته** تشبه القدر في نفوذها ومضائها وهي ثالث الأربعة. **وسيبه** عطاؤه أشبه بالمطر في عمومه وغزارته وهو رابع الأربعة. وقوله: **أيامه إلخ** مفاعيل لترى في آخر البيت.

(٧) لم يزل يمدح أقوامًا غير الممدوح وكان يظنهم صفوًا للزمان بكرائم أخلاقهم فظهر له أنهم كدره بسوء طباعهم إذا قيسوا إليه.

يَكُونُ. مَا لَمْ تَبْلُغْهُ الظُّنُونُ[١]. وَكَيْفَ أَقُولُ. مَا لَمْ تَقْبَلْهُ الْعُقُولُ. وَمَتَى كَانَ مَلِكٌ يَأْنَفُ الْأَكَارِمَ[٢]. إِنْ بَعَثْتَ بِالدَّرَاهِمِ. والذَّهَبُ. أَيْسَرُ ما يَهَبُ. وَالْأَلْفُ. لَا يَعُمُّهُ إِلَّا الْخَلْفُ[٣]. وَهَذَا جَبَلُ الْكُحْلِ قَدْ أَضَرَّ بِهِ الْمِيلُ[٤]. فَكَيْفَ لَا يُؤَثِّرُ ذَلِكَ الْعَطَاءُ الْجَزِيلُ. وَهَلْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَلِكٌ يَرْجِعُ مِنَ البَذْلِ إِلَى سَرَفِهِ. وَمِنَ الخَلْقِ إِلَى شَرَفِهِ. وَمِنَ الدِّينِ إِلَى كَلَفِهِ. وَمِنَ الْمُلْكِ إِلَى كَنَفِهِ. وَمِنَ الأَصْلِ إِلَى سَلَفِهِ. وَمِنَ النَّسْلِ إِلَى خَلَفِهِ[٥].

---

(١) كأنه يقول إذا أنبأتك عنه لم تصدق إنبائي لأني أعرف له من الأوصاف ما لم يبلغه طائل الظن و«ما» في قوله «ما لم تبلغه» مفسّرة بالوصف المسؤول عنه أي كيف يجيء في بياني ذلك الوصف الذي لا تبلغه الظنون وهو وصف الملك. وقوله «وكيف أقول» بمنزلة البيان هذا.

(٢) شروع في بيان ما لم يبلغه الظن من سخائه وسعة عطائه فهو يستفهم عن وجوده فيغيره من الملوك استفهامًا إنكاريًا يفيد السلب. **والأكارم** جمع أكرم وأنفه يأنفه ضرب أنفه أي أن ممدوحه يضرب أنوف الفائقين في الكرم إذا بعثوا إلى مستميحيهم بالدراهم. وضرب الأنف شبيه بقرع الأنف في كلامهم يراد منه الردع والزجر والإذلال. وهذا الملك يلوم من يعطي الدراهم ويرميه بالشح فكأنه يقرع أنفه لأن جنس الدراهم خسيس فلا يليق بمدعي التبريز في الكرم أن يتنازل لإعطائه. أما هو فأيسر ما يهبه ويعطيه الذهب وكثيرًا ما يعطي من الجواهر ما هو أغلى من الذهب.

(٣) **الخلف** حد الفأس أو الفأس العظيمة. يريد أن هذا الملك لا يعطي إلّا ذهبًا. **والألف** من الذهب حظه منه الإتلاف ليس غير وجعل الألف كحائط رضت أعراقه فإذا عمه الفاس أو حدها فقد انهدم.

(٤) **الميل** ما يكتحل به وهو لا يحمل من الكحل إلّا قليلًا ومع ذلك فقد أفنى الميل بما يأخذ من المقدار القليل جبل الكحل فكيف لم يؤثر مثل ذلك العطاء الوافر في مال الملك.

(٥) يقول هل يمكن لملك من الملوك أن تجتمع له الصفات الآتية على تباين آثارها. استفهام إنكاري أي لا يمكن ذلك. فحال هذا الملك غير معقول. وقوله: يرجع من **البذل** إلخ أي حاله في البذل رجوع إلى جانب الإسراف منه فالضمير المضاف إليه السرف للبذل. وفي الأخلاق والصفات رجوعه إلى **شرفها** أي أعلاها. وفي الدين رجوعه إلى **كلفه** أي حبه حبًا شديدًا أو احتمال تكاليفه وإن شقت عليه. **والكلف** مصدر. وفي الملك رجوعه إلى كنفه. **والكنف** من الإنسان حضنه الصدر والعضدان ومن كان الملك حاضنًا له كان مكفولًا بأعظم قوة منه. أو أراد من الكنف الخرز. وحاله إذا انتسب الناس إلى الأصول رجوع إلى سلفه وسابقيه من آبه العرقاء في أحسابهم. وإذا اعتد الناس بالبنين والذرية فرجوعه منها إلى خلفه وهم أولاده الذين خلفوه في مثل أوصافه ولم يخالفوه في شيء منها.

فَلَيْتَ شِعْرِي مَنْ هذِي مَآثِرُهُ مَاذَا الَّذِي بِبُلُوغِ النَّجْمِ يَنْتَظِرُ(١)

(١) ليته يعلم ما الذي ينتظره صاحب هذه الأوصاف من ميله إلى بلوغ النجوم مع أنه بجمع هذه المآثر قد بلغ ما يصل إليه بالغ النجوم. وقد يكون المعنى ليته يعلم لم يبلغ صاحب هذه الأوصاف مراكز النجوم سموًا وأي شيء ينتظر حتى يبلغها أي قد اجتمعت جميع الأسباب التي تبلغه النجوم فماذا ينتظر حتى يبلغ.

المَقَامَةُ الصُّفْرِيَّة

حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ: لَمَّا أَرَدْتُ الْقُفُولَ مِنَ الْحَجِّ(١). دَخَلَ إِلَيَّ فَتًى فَقَالَ: عِنْدِي رَجُلٌ مِنْ نِجَارِ الصُّفْرِ(٢). يَدْعُو إِلَى الْكُفْرِ. وَيَرْقُصُ عَلَى الظُّفْرِ(٣). وَقَدْ أَدَّبَتْهُ الْغُرْبَةُ(٤). وَأَدَّتْنِي الْحِسْبَةُ إِلَيْكَ(٥). لِأُمَثِّلَ حَالَهُ لَدَيْكَ. وَقَدْ خَطَبَ مِنْكَ جَارِيَةً صَفْرَاءَ تُعْجِبُ الْحَاضِرِينَ. وَتَسُرُّ النَّاظِرِينَ فَإِنْ أَجَبْتَ يَنْجُبْ مِنْهُمَا وَلَدٌ يَعُمُّ الْبِقَاعَ وَالْأَسْمَاعَ(٦). فَإِذَا طَوَيْتَ هذَا الرَّيْطَ. وَثَنَيْتَ هذَا الْخَيْطَ(٧). يَكُونُ قَدْ سَبَقَكَ إِلَى

---

(١) **القفول** من الحج الرجوع منه.

(٢) **النجار** الأصل. **والصفر** جمع أصفر صار لقبًا للدنانير. يريد عنده دينار لكنه يلغز فيه للتمليح.

(٣) **الكفر** الستر لأن الدينار يحمل صاحبه على ستره محافظة عليه وربما أريد منه المعنى الشائع لأن الطمع في الدنانير قد يحمل على كفران النعمة وجحد الحق وإن كان ظاهرًا. **ورقصه على الظفر** يكون عند نقده.

(٤) يريد أن هذا الدينار في غير أهله فهو غريب عند ذلك الفتى بمنزلة البعيد عن أوطانه الذي أدّبته الغربة وعلمته الحاجات فيها كيف يحسن المعاملة مع الناس.

(٥) **الحسبة** هنا احتساب الأجر عند اللّه تعالى واعتداده في العمل أي إن الذي حمله على تمثيل حال هذا الرجل لديه إنما هو رعاية وجه اللّه تعالى واعتداد الأجر عنده. وفي المادة إلماع إلى المعنى المطلوب كما لا يخفى.

(٦) أراد من **الجارية** حقيقة الوصف أي قطعة صفراء تمر بيدك إلي مرًا سريعًا. ووصفها بالصفراء لتعيين نوعها وهو الذهب. لكن فيه مع ذلك أبعاد المراد بإيهام معنى الجارية المعهود عند الناس أن يخطب. **والخطبة** ترشيح لما صرف الذهن إليه وجعل الأول رجلًا باعتباره دينارًا والمطلوب جارية وأنثها باعتبار كونها قطعة ليتم له الإلغاز فإن كان على الدينار صورة رجل وعلى المطلوب صورة امرأة كانت المحاجاة في غاية الجودة. **ونجب الولد** ينجب نجابة كرم وحمد في أخلاقه وأعماله. وأراد من الولد الذي يولد بين الرجل والجارية المدح والثناء وبنجابته أن يكون من رفيع الكلام الذي يستميل النفوس ويجتذب القلوب وحاصل المراد أن معه دينارًا ويريد أن يضم إليه دينارًا آخر فإن أناله عيسى بن هشام ما يريد مدحه مدحًا يسبقه إلى أوطانه.

(٧) **الريط** جمع ريطة. وتقدم في المقامة البلخية نحو هذه العبارة أي فإذا طويت ليالي الغربة =

بَلَدِكَ. فَرَأْيَكَ فِي نَشْرِ مَا فِي يَدِكَ[١]. قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ: فَعَجِبْتُ مِنْ إِيرَادِهِ[٢]. وَلُطْفِهِ فِي سُؤَالِهِ وَأَجَبْتُهُ فِي مُرَادِهِ. فَأَنْشَأَ يَقُولُ:

الْمَجْدُ يُخْدَعُ بِالْيَدِ السُّفْلَى وَيَدُ الْكَرِيمِ وَرَأْيُهُ أَعْلَى[٣]

= هذه ورجعت إلى بلدك تجد ذلك الولد وهو المدح والثناء قد سبقك إليه. والكلام في البلخية لحل المعنى أوفى.

(١) بعد سماع هذا الكلام عليك أن ترى رأيك في نشر ما في يدك أي تفريقه فإن رأيت أن لا تنشره فما أنا بملزم لك لكنك تحرم حمدي وشكري. وإن رأيت أن تنشره فثمرة ما تعطيه هذا الذي بينته لك ونصب «رأيك» بعامل محذوف تقديره الزم رأيك أو أطع رأيك وما أشبه.

(٢) **إيراده** قصه الخبر وحكايته له.

(٣) **اليد السفلى** المستعطية تخدع المجد فتسترفده وتنال من الاحتيال عليه غير أن ذلك لا يعد نقصًا في المجد بما يقال إنه ضعف في العقل بل لا يزال الرأي الأعلى للكريم مع انخداعه ويده هي العليا في اغتراره.

المقَامَة السَّاريّة

حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشامٍ قَالَ: بَيْنَا نَحْنُ بِسَارِيَةَ[١] عِنْدَ وَالِيهَا إِذْ دَخَلَ عَلَيْه فَتًى بِهِ رَدْعُ صُفَارٍ[٢] فانْتَفَضَ الْمَجْلِسُ لَهُ قِيَاماً. وَأُجْلِسَ فِي صَدْرِهِ إِعْظَاماً. وَمَنَعَتْنِي الْحِشْمَةُ لَهُ مِنْ مَسْئَلَتِي إِيَّاهُ عَنِ اسْمِهِ[٣]. وابْتَدَأَ فَقَالَ لِلْوَالِي: مَا فَعَلْتَ فِي الْحَدِيثِ الْأَمْسِيِّ[٤]. لَعَلَّكَ جَعَلْتَهُ فِي الْمَنْسِيِّ. فَقَالَ: مَعَاذَ اللَّهِ ولكِنْ عَاقَنِي عَنْ بُلُوغِهِ عُذْرٌ لَا يُمْكِنُ شَرْحُهُ. وَلَا يُؤْسَى جُرْحُهُ[٥] فَقَالَ الدَّاخِلُ: يَا هَذَا قَدْ طَالَ مِطَالُ هَذَا الْوَعْدِ[٦] فَمَا أَجِدُ غَدَكَ فِيهِ إِلَّا كَيَوْمِكَ. وَلَا يَوْمَكَ فِيهِ إِلَّا كَأَمْسِكَ. فَمَا أُشَبِّهُكَ فِي الْإِخْلَافِ. إِلَّا بِشَجَرِ الْخِلَافِ[٧]. زَهْرُهُ يَمْلَأُ الْعَيْنَ. وَلَا ثَمَرَ فِي الْبَيْنِ[٨]. قَالَ

---

(١) **سارية** بلد في طبرستان.

(٢) **الردع** أثر الطيب في الجسد ومن معانيه الزعفران وهو يريد هنا بأثر الطيب طيب الزعفران ولذلك قال: ردع صفار. **والصفار** بالضم وبالفاء له معان كثيرة في كلها معنى الصفرة فأطلقه هنا وأراد الوصف مجردًا عن تقييده بالنوع الذي خصّ به في الوضع كما تطلق الجحفلة أو المشفر مثلًا على شفة الإنسان فتقول: ما أقبح جحفلة زيد أو مشفره وتريد شفته مع أن الجحفلة شفة الفرس والمشفر شفة البعير فتجرّده عن التقييد ثم تستعمله. فكأنه قال ههنا عليه أثر من طيب أصفر أو أثر من زعفران.

(٣) أراد من **الحشمة** هنا التوقير والبعد عما عساه يغضب له.

(٤) **الأمسي** الذي جرى بالأمس ولهذا نسب إليه.

(٥) **لا يؤسى** أي لا يعالج ولا يداوى جرحه. وأراد من **جرحه** الأثر الذي كان له في إخلافه الوعد وعدم قيامه على العهد الذي كان بينهما وما هذا الأثر في الإيلام بأضعف من الجرح.

(٦) **المطال** مصدر ماطل بالدين إذا سوف في الوفاء به. فوعد أن يفي به في يوم حتى إذا حلّ وعد إلى يوم آخر وهكذا. ومن وعدك وعدًا فقد جعل لك عليه اعتمادًا بما وعدك فسار من الحق عليه أن يفي لك به كما كان الحق على المدين أن يفي الدائن فلهذا يستعمل المطال في الوعد كما يستعمل في الدين.

(٧) **شجر الخلاف** هو شجر الصفصاف أو نوع منه. وقد بيّن وجه الشبه بقوله: زهره يملأ العين إلخ.

(٨) كلمة **البين** صارت مستعملة عند بعض القوم في معنى هناك لمطلق مكان كأنه قال: ولا =

عِيسَى بْنُ هِشَام: فَلَمَّا بَلَغَ هذَا الْمَكَانَ قَطَعْتُ عَلَيْهِ فَقُلْتُ: حَرَسَكَ اللَّهُ أَلَسْتَ الْإِسْكَنْدَرِيَّ. فَقَالَ: وَأَدَامَ حِرَاسَتَكَ. مَا أَحْسَنَ فِرَاسَتَكَ. فَقُلْتُ: مَرْحَبًا بِأَمِيرِ الْكَلَامِ. وَأَهْلًا بِضَالَّةِ الْكِرَامِ[1]. لَقَدْ نَشَدْتُهَا. حَتَّى وَجَدْتُهَا. وَطَلَبْتُهَا. حَتَّى أَصَبْتُهَا. ثُمَّ تَرَافَقْنَا حَتَّى اجْتَذَبَنِي نَجْدٌ. وَلَقِمَهُ وَهْدٌ[2]. وَصَعِدْتُ وَصَوَّبَ. وَشَرَّقْتُ وَغَرَّبَ. فَقُلْتُ عَلَى أَثَرِهِ:

يَا لَيْتَ شِعْرِي عَنْ أَخٍ ... ضَاقَتْ يَدَاهُ وَطَالَ صِيتُهْ[3]
قَدْ بَاتَ بَارِحَةً لَدَيَّ ... فَأَيْنَ لَيْلَتَنَا مَبِيتُهْ[4]
لَا دَرَّ دَرُّ الْفَقْرِ فَهْوَ ... طَرِيدُهُ وَبِهِ رُزِيتُهْ[5]

= تمر هناك أي في الصفصاف حيث وجد. ويقولون لا كلام في البين أي ليس هناك كلام ولا فائدة في البين أي لا فائدة هناك وهكذا.

(١) **ضالتك** ما غاب عنك من مالك أو ما يكرم عليك مطلقًا فأنت تطلبه حتى تجده. والإسكندري لأدبه ضالة الكرام يطلبونه ليستفيدوا من أدبه ويغنموا منه الحمد والثناء بالبذل له والاحتفاء. **ونشد الضالة** طلبها وفتش عنها.

(٢) ترافق ابن هشام والإسكندري إلى حيث افترق بهما الطريق فابن هشام يصعد والإسكندري يصوب فذاك **اجتنبه النجد** وهو ما ارتفع من الأرض فرفعه إليه وهذا **لقمه الوهد** وهو ما انخفض من الأرض أي ابتلعه. ولقم مكسور القاف. والوهد يغيب السائر فيه كما تغيب اللّقمة في الفم. أما النجد فإن السائر عليه ظاهر باد فأحرى به أن يكون مجتذبًا وأحرى بذلك أن يكون ملتقمًا. وابن هشام كان يطلب خلف بن أحمد فهو يذهب إلى الشرق في جبال سجستان والإسكندري كان يأتي إلى الغرب نواحي العراق.

(٣) **ليت شعري عنه** أي ليت خبري عنه حاصل عندي فأطلق الشعر وهو في أصل وضعه بمعنى العلم. وأراد منه الخبر لأنه سبب له في الغالب أي ليته يعلم شيئًا عن ذلك الأخ الذي ضاقت يده عن الإنفاق لعدم ما تنفقه وإن كان صيته وشهرته في طول وامتداد.

(٤) أراد من **بارحة** المنكر البارحة المعرف وهي الليلة التي قبل ليلتك هذه أو يومك هذا. أي كان مبيته عندي في الليلة البارحة فيا أسفًا أين مبيته هذه الليلة. وهو استفهام يؤتى به للترحم المقرون بالأسف على ما يحتف المستفهم عنه من الأحوال السيئة التي لا حيلة للمترحم في دفعها فمبيته لا يدري أين يكون أفي بيت كريم يعرف للضيف قدره ويوفيه من الكرامة حقّه أو في مضنكة لئيم فهو يبيت بليلة ضجرة ونفس كدرة فحال المستفهم عنه من الاضطراب وعدم الوثوق بسلامته من الأوصاب بحيث يترحم له.

(٥) **لا در دره** دعاء على الفقر بأن لا يدر دره. **والدر** اللبن. ودر كثر أو سال. فأما أن يراد باللبن لبن الأم أو المرضع فكأنه دعاء عليه بأن يفقد لبن مرضعه فيموت جوعًا. أو المراد من اللبن الخير وما ينتفع به مطلقًا ولأن اللبن من أصول النعم عندهم أطلقوه على كل =

لَأُسَلِّطَنَّ عَلَيْهِ مِنْ خَلَفِ بْنِ أَحْمَدَ مَنْ يُمِيتُهُ[1].

= خير فلا در دره أي لا كثر خيره أو لا أناله اللّٰه خيرًا فيكون دعاء بفقد النعمة وسبوغ النقمة. وهو على الأول بمعنى لا كان در دره وعلى الثاني كبقية صيغ الدعاء التي تماثله. لكن الفقر على كل حال لا يقصد بالدعاء ولكنها عادة عندهم ينزلون الشيء وهو مما لا يقصد بالمعنى منزلة ما يقصد به والغرض إظهار النفرة منه والتغيظ عليه. وضمير «هو» للإسكندري. **وطريده** أي مطروده. والإسكندري مطرود الفقر يدفعه من مكان إلى آخر. وبسبب الفقر رزئ ابن هشام بفراقه لأنه لو كان غنيًا لسهل عليه أن يصحبه ولا يفارقه في طلب العيش. ورزئت كذا أي أصبت بعدمه.

(١) يحلف ليسلطن على الفقر من خلف بن أحمد شخصًا يميته بمواهبه وعطاياه. والكلام على التجريد وإنما **خلف بن أحمد** هو الذي سيسلط على الفقر فيميته.

المَقَامَةُ ٱلتَّمِيمِيَّة

حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ: وَلِيتُ بَعْضَ ٱلْوِلَايَاتِ مِنْ بِلَادِ ٱلشَّامِ. وَوَرَدَهَا سَعْدُ ٱبْنُ بَذْرٍ أَخُو فَزَارَةَ(١). وَقَدْ وُلِّيَ ٱلْوِزَارَةَ. وَأَحْمَدُ بْنُ ٱلْوَلِيدِ. عَلَى عَمَلِ ٱلْبَرِيدِ(٢). وَخَلَفُ بْنُ سَالِمٍ. عَلَى عَمَلِ ٱلْمَظَالِمِ(٣). وَبَعْضُ بَنِي ثَوَابَةَ(٤). وَقَدْ وُلِّيَ ٱلْكِتَابَةَ(٥).

---

(١) **أخو فزارة** أحد رجال فزارة وهي قبيلة من قبائل العرب المشهورة. **والوزارة** كانت لعهد صاحب المقامات جامعة لخطتي السيف والقلم وسائر معاني الموازاة والمعاونة في السلطان غير أن صاحبها كان في شؤون فتارة يستبد على الخليفة والسلطان وليس للسلطان إلّا أن تصدر الأمور باسمه فوزارته كانت تسمى وزارة تفويض. وتارة يكون السلطان قائمًا على نفسه والوزير عامل على تنفيذ أوامره مؤتمن على إمضاء أحكامه فوزارته تسمى وزارة تنفيذ.

(٢) **عمل البريد** من كبار الأعمال في الدول الإسلامية كان صاحبه يتولى تفقد أحوال الثغور والقاصية من البلاد وينبئ السلطان عن كل ما يحدث فيها ويشير عليه فيما يجب لتدبيرها. والرسل الذين يحملون الرسائل إلى الخليفة أو السلطان هم البريد. ولصاحب البريد عمّال كثيرون ويستخدمهم في الأطراف والنواحي في فروع عمله. وكانت تلك الوظيفة أشبه بنظارة البوسطة في الدول لعهدنا هذا غير أن نظارة البوسطة ليس لها من الخصائص مثل ما كان لعمل البريد من افتقاد الأحوال واستكشاف خفايات الأمور والالتزام بإخبار الخليفة بما يحيط به علم صاحبه من ذلك فقد كان ما يرد من الولاة وعمال الأطراف يقع إلى صاحب البريد أولًا ثم هو طريق وصوله إلى الخليفة. ويروى عن عبدالملك بن مروان أنه قال لحاجبه: قد جعلت لك حجابة بأبي إلّا عن ثلاثة صاحب الطعام فإنه يفسد بالتأخير والأذان بالصلاة فإنه داع إلى الله والبريد فإن في تأخيره فساد القاصية. ويروى: وصاحب البريد فأمر ما جاء به.

(٣) **عمال المظالم** هو كما قال ابن خلدون ولاية ممتزجة من سطوة السلطنة ونصفة القضاء كأنه يمضي ما عجز القضاء وغيرهم عن إمضائه ويكون نظر صاحبه في البينات والتقرير واعتماد الأمارات والقرائن وتأخير الحكم إلى استجلاء الحق وحمل الخصمين على الصلح واستحلاف الشهود أوسع من نظر القاضي. وكان الخلفاء الراشدون يتولون هذا العمل بأنفسهم في صدر الإسلام وربما خلوه للقضاة ثم صارت ولاية خاصة.

(٤) اسم قبيلة عربية.

(٥) أراد من **الكتابة** هنا رئاسة ديوان الرسائل وهي أشبه بوظيفة المكتوبجي عند العثمانيين أو الباشكاتب أو السكرتير عند المصريين والأوروبيين.

وَجُعِلَ عَمَلُ ٱلزِّمَامِ[١]. إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ ٱلشَّامِ. فَصَارَتْ تُحْفَةَ ٱلْفُضَلَاءِ[٢] وَمَحَطَّ رِحَالِهِمْ. وَلَمْ يَزَلْ يَرِدُ ٱلْوَاحِدُ بَعْدَ ٱلْوَاحِدِ حَتَّى ٱمْتَلَأَتِ ٱلْعُيُونُ مِنَ ٱلْحَاضِرِينَ وَثَقُلُوا عَلَى ٱلْقُلُوبِ[٣]. وَوَرَدَ فِيمَنْ وَرَدَ أَبُو ٱلنَّدَى ٱلتَّمِيمِيُّ فَلَمْ تَقِفْ عَلَيْهِ ٱلْعُيُونُ[٤] وَلَا صَفَتْ لَهُ ٱلْقُلُوبُ. وَدَخَلَ يَوْمًا إِلَيَّ فَقَدَرْتُهُ حَقَّ قَدْرِهِ. وَأَقْعَدْتُهُ مِنَ ٱلْمَجْلِسِ فِي صَدْرِهِ. وَقُلْتُ. كَيْفَ يُرَجِّي ٱلْأُسْتَاذُ عُمْرَهُ[٥]. وَكَيْفَ يَرَى أَمْرَهُ. فَنَظَرَ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلْيَسَارِ[٦]. فَقَالَ: بَيْنَ ٱلْخُسْرَانِ وَٱلْخَسَارِ. وَٱلذُّلِّ وَٱلصَّغَارِ. وَقَوْمٌ كَرَوْثِ ٱلْحِمَارِ[٧].

---

(١) لم نجد فيما وقع إلينا من كتب الأحكام ولاية تعرف بولاية الزمام ولا نتذكر أننا رأيناه فيما تلونا. والذي يظهر أنه أراد في هذه الفقرات أن يستوفي الوظائف الملكية بأسرها ولم يبق من الأعمال العامة بعد الذي ذكره إلّا ولاية ديوان الأعمال والجبايات وهي أشبه بنظارة المالية لعهدنا هذا وأراد **بالزمام** ما هو معروف عند أهل مصر ومصطلح عليه في عرفهم وهو الديوان الذي تحصى فيه مقادير الأراضي التي يدفع عليها الخراج مع ذكر حدودها وطرق مساحتها في كل بلد ولكل شخص من أهل الخراج ولا تزال هذه الكلمة مستعملة عندهم إلى اليوم فيقال زمام بلد كذا ألف فدان مثلًا وما تعمد إليه الحكومة أحيانًا من إعادة المساحة للأرض وتعيين مقاديرها بدون التزام للمساحة السابقة يسمونه فك الزمام ولما أن معظم أموال الجباية إنما هي من الخراج عبر عن ديوان الجبايات بعمل الزمام لأن الخراج يؤخذ على حسبه.

(٢) الضمير في «صارت» لتلك الولاية التي وردها سعد بن بدر ومن ذكر معه. **وتحفة الفضلاء** النفيس الذي يتحف به بعضهم بعضًا. والبلد إذا ورده مثل أولئك الرؤساء صار له من البهاء بهم والسناء ما يسوق إليه رغبات الفضلاء.

(٣) **ثقلوا** على القلوب لكثرتهم. واستدعاء مكاناتهم من الرئاسة والفضل أن يعظموا ويوقروا بما يليق بهم. فللرؤساء وأهل المقامات رسوم لا تجد الأنفس بدًا من افتقارها وهي أثقل شيء عليها.

(٤) إذا عظم لديك شخص أثبت نظرك فيه تعرفًا أو عجبًا أو إعظامًا فيقال وقفت عيناك عليه فإن لم يكن للشخص في نفسك أثر لم يثبت لك في نظر وربما مر وكأنه لم يمر.

(٥) **كيف يرجي عمره** أي كيف يؤمل فيه. يسأله عن حاله في حياته حال المرء بآماله وانبساطها وانقباضها فلهذا جعل السؤال عن الرجاء.

(٦) نظره يمينًا وشمالًا ليرى هل يوجد أحد يسمع ما يقول وليس أمينًا على كتمه فيبلغه لمن يعرض بهم في كلامه فيصلهم إيذاؤهم. فلما أمن من ذلك قال ما قال.

(٧) **الخسران** الخيبة والحرمان. **والخسار** اللؤم. أي إنه مصاب بالحرمان ومعاشرة اللئام. **والذل والصغار** يجريان مجرى واحدًا في المعنى. ومن كان بين لؤم وحرمان كان في ذل وصغار بالضرورة. وشبّه القوم بروث الحمار في الكراهة والغلظ.

يَشُمُّهُمُ ٱلْإِقْبَالُ وَهُمْ مُنْتِنُونَ[١]. وَيُحْسِنُ إِلَيْهِمْ فَلَا يُحْسِنُونَ. أَمَا وَٱللَّهِ لَقَدْ وَرَدْتُ مِنْهُمْ عَلَى قَوْمٍ مَا يُشْبِهُهُمْ مِنَ ٱلنَّاسِ. غَيْرُ ٱلرَّأْسِ وَٱللِّبَاسِ[٢]. وَجَعَلَ يَقُولُ:

فِدًى لَكِ يَا سِجِسْتَانُ ٱلْبِلَادُ ... وَلِلْمَلِكِ ٱلْكَرِيمِ بِكِ ٱلْعِبَادُ[٣]
هَبِ ٱلْأَيَّامَ تُسْعِدُنِي وَهَبْنِي ... تُبَلِّغُنِيهِ رَاحِلَةٌ وَزَادُ[٤]
فَمَنْ لِي بِٱلَّذِي قَدْ مَاتَ مِنْهُ ... وَبِٱلْعُمْرِ ٱلَّذِي لَا يُسْتَعَادُ

(١) **الإقبال** إقبال الزمان والسعادة. مثله في حال شخص عاقل أو حيوان يشتم الرائحة تلذذًا بها فكأنه قال إن الإقبال يتناولهم كما يتناول المرء الرياحين ومن تناول الرياحين ليشمها فقد رفعها عن الضياع وأحرزها في مظان الانتفاع. أو أنه عبّر عن توجه الإقبال إليهم ووفود السعادة عليهم بالشم لأن الشم يستلزم ذلك. كل هذا يكون من الإقبال معهم وهم ليسوا أهلًا له لأنهم في خبث صفاتهم على مثل حال المنتن تنبو عنه النفس وينفر منه الطبع. وبين بعض الخبث بقوله: ويحسن إليهم ولا يحسنون. فلو كانوا ممن تشم رائحة سجاياه الطيبة لأحسنوا مما أحسن الدهر به عليهم فإن الكريم حريص على الإحسان عند الإمكان.

(٢) **وردت منهم** أي وردت بسبب ورودي عليهم وأتيت إلى أناس لا يوجد في الإنسان شيء يشبه شيئًا فيهم إلّا الرأس واللباس فرأسهم رأس إنسان وثيابهم ثياب الناس أو خلائقهم وخصائصهم فلا تشبه من خلائق الإنسان شيئًا.

(٣) **سجستان** مدينة من مدن فارس الشرقية وهي قصبة قسم من تلك البلاد يسمى باسمها يحده من شرقيه أفغانستان الأصلية ومن غربيه صحارى كرمان ومن شماليه هراة ومن جنوبيه بلوخستان. وهذه المدينة هي التي كان صاحبها خلف بن أحمد الذي أفرغ الكلام في مدحه إفراغًا. **والبلاد** مبتدأ خبره فدى أي كل البلاد هي فداء لك يا سجستان فإذا قصدك قاصد الزمان بسوء فليجعل الله كل بلد فدى لك منه فيحفظك منه ولو بخرابها جميعًا. **والعباد** فدى للملك الكريم المقيم بك يكون العباد جميعهم وقاية له من الازدراء يتلقونها في صونه منها كما هي البلاد لك.

(٤) بعدما أثنى على سجستان وعلى ملكها بأنها أفضل البلاد وهو أشرف العباد وأنهما يستحقان أن تكون البلاد والعباد فداء لهما وأن جميع الذين يراهم من الأمراء والملوك إذا قيسوا إلى ذلك الملك صعاليك وخول يفدونه بأرواحهم وأموالهم أخذ يظهر التأسف على حرمانه من لقائه لموت ذلك الملك فهو يقول: فاحسب أن الأيام تسعدني بالوصول إلى مملكته وإني وجدت راحلة وزادًا تبلغني أرضه فأي قادر في الأرض يكفل لي وجود الذي قد مات منه وهو نفسه ويكفل لي عود عمره لأتمتع به وهو مما لا يستعاد فلئن أسعدتني الأيام بالوصول إلى فنائه فهي تشقيني لا محالة بالحرمان من لقائه.

المَقَامَةُ ٱلخَمريَّة

حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ: ٱتَّفَقَ لِي فِي عُنْفُوَانِ ٱلشَّبِيبَةِ خُلُقٌ سَجِيحٌ[١] وَرَأْيٌ صَحِيحٌ. فَعَدَّلْتُ مِيزَانَ عَقْلِي[٢]. وَعَدَلْتُ بَيْنَ جِدِّي وَهَزْلِي. وَٱتَّخَذْتُ إِخْوَانًا لِلْمِقَةِ. وَآخَرِينَ لِلنَّفَقَةِ[٣]. وَجَعَلْتُ ٱلنَّهَارَ لِلنَّاسِ. وَٱللَّيْلَ لِلْكَأْسِ[٤]. (قَالَ) وَٱجْتَمَعَ إِلَيَّ فِي بَعْضِ لَيَالِيَّ إِخْوَانُ ٱلْخَلْوَةِ. ذَوُو ٱلْمَعَانِي ٱلْحُلْوَةِ[٥]. فَمَا زِلْنَا نَتَعَاطَى نُجُومَ ٱلْأَقْدَاحِ[٦]. حَتَّى نَفِدَ مَا مَعَنَا مِنَ ٱلرَّاحِ[٧]. (قَالَ) وَٱجْتَمَعَ رَأْيُ ٱلنُّدْمَانِ. عَلَى فَصْدِ ٱلدِّنَانِ[٨]. فَأَسَلْنَا نَفْسَهَا وَبَقِيتْ كَٱلصَّدَفِ بِلَا دُرّ. أَو ٱلْمِصْرِ بِلَا حُرٍّ[٩]. (قَالَ) وَلَمَّا

---

(١) **عنفوان الشبيبة** أول الشباب. **والخلق السجيح** اللين السهل. واتفق له ذلك لأن عادة عنفوان الشباب الخرق والجري على غير رفق فتحليه بالخلق السجيح وهو في ريعان الشباب يشبه أن يكون من الاتفاق والصدفة.

(٢) **عدل ميزان عقله** جعل كفتيه متعادلتين متوازيتين في سمت واحد ولم يجعل كفة الشهوة على غلبتها أيام الشباب راجحة على كفة المروءة. وهذا معنى قوله وعدلت بين جدي وقتًا وللهزل وقتًا لا يجور أحدهما على الآخر في وقته.

(٣) **المقة** المحبة. **وإخوان المقة** هم أهل الصدق والثقة يستغاث بهم في الشدائد ويستعان بهم على النوازل. وإخوان النفقة أهل الظرف والرقة يشاركون في المأكل والمشرب وحكمهم حكم آلات اللهو والطرب.

(٤) هذا العدل بين الجد والهزل ففي النهار حشمة ووقار وأعمال تجل في نظر الكبار وفي الليل انبساط إلى الندماء وارتياح إلى الظرفاء ومعاطاة كؤوس واختباط رؤوس.

(٥) أولئك الظرفاء إخوان النفقة.

(٦) يشبّهون كؤوس الخمر وأقداحها بالنجوم لوبيصها وبهجتها في أعينهم.

(٧) **الراح** الخمر. **ونفدت** فنيت ولم يبق منها شيء. والراح التي نفدت هي التي كانت بين أيديهم في الأباريق والنواجيد والبواطي.

(٨) **الدنان** الخوابي العظيمة **والرواقيد** الضخمة **والفصد** شق العرق لإسالة الدم منه شبه به فض ختام الدن لأن الخمر أشبه بالدم في اللون وفي توفير مادة الحياة في زعمهم. ورشح هذا التشبيه بقوله «فأسلنا نفسها». والنفس كما تطلق على الروح تطلق على الدم أيضًا.

(٩) **الصدف** وعاء الدر. وما دام الدر فيه فالصدف مطلوب له فإذا نزع الدر منه لم يكن =

مَسَّتْنَا حَالُنَا تِلْكَ دَعَتْنَا دَوَاعِي ٱلشَّطَارَةِ. إِلَى حَانِ ٱلْخَمَّارَةِ[١]. وَٱللَّيْلُ أَخْضَرُ ٱلدِّيبَاجِ[٢]. مُغْتَلِمُ ٱلْأَمْوَاجِ. فَلَمَّا أَخَذْنَا فِي ٱلسَّبْحِ[٣]. ثَوَّبَ مُنَادِي ٱلصُّبْحِ[٤]. فَخَنَسَ شَيْطَانُ ٱلصَّبْوَةِ. وَتَبَادَرْنَا إِلَى ٱلدَّعْوَةِ. وَقُمْنَا وَرَاءَ ٱلْإِمَامِ. قِيَامَ ٱلْبَرَرَةِ ٱلْكِرَامِ. بِوَقَارٍ وَسَكِينَةٍ. وَحَرَكَاتٍ مَوْزُونَةٍ. فَلِكُلٍّ بِضَاعَةٍ وَقْتٌ وَلِكُلِّ صِنَاعَةٍ سَمْتٌ[٥]. وَإِمَامُنَا يَجِدُّ فِي خَفْضِهِ وَرَفْعِهِ[٦]. وَيَدْعُونَا بِإِطَالَتِهِ إِلَى صَفْعِهِ. حَتَّى إِذَا رَاجَعَ بَصِيرَتَهُ[٧]. وَرَفَعَ بِٱلسَّلَامِ عَقِيرَتَهُ. تَرَبَّعَ فِي رُكْنِ مِحْرَابِهِ[٨]. وَأَقْبَلَ بِوَجْهِهِ عَلَى أَصْحَابِهِ. وَجَعَلَ يُطِيلُ

= في الصدف نفاسة يطلب لها. وهكذا المدينة والمصر إذا خلتا من الأحرار أشبهتا البلاقع والقفار فالدنان قد فقد ما فيها أيضًا وصارت فارغة لا تستحق أن يعكفوا على ما بقي من فخارها.

(١) **مستنا حالنا تلك** من قولهم مست الحاجة إلى كذا ألجأت أي ألجأتنا حالنا التي عرضت من فراغ الدنان إلى طلب ما نتمم به سكرتنا. أو من قولهم مسّه الشيطان فاختلط عقله. وفي نسخة: **أوحشتنا** بالشين المعجمة بدل الحاء من أوحش الأرض إذا وجدها وحشة لا أنيس بها. وإنما أوحشتهم حالهم لأن الدنان فرغت ولم تفرغ رغبتهم في الشرب فهم طالبون لشيء غير واجديه وأن أشد وحشة النفس عند فقد مرغوب والرغبة مشتدة إليه. **والشطارة** شدة الخبث والدعارة.

(٢) **الديباج** في أصل معناه الثوب سداه ولحمته حرير أطلق هنا وأريد منه الثوب مطلقًا **واخضرار ثوب الليل** تمثيل لظلمته. **واغتلام الأمواج** هيجانها. وهيجان أمواجه يصور لك تراكم الظلمات فيه وتضافر أطوارها فكأنه البحر في لونه وهوله.

(٣) أراد **بالسبح** السير إلى الخمارة. وسمى سيرهم سبحًا لأنه في الليل المخيل في مثال البحر.

(٤) **منادي الصبح** المؤذن له. **وثوب** قال الصلاة خير من النوم مرتين بعد قوله حي على الفلاح. أي إنهم عندما أخذوا في المشي إلى الخمارة سمعوا الأذان للصبح. **وخنس** انخذل وانقبض **والصبوة** شرة الفتوة وهي أشبه بالشيطان في الإغراء بالشهوات وإن تجاوزت بصاحبها حدود القصد فكأن الأذان رجع بهم إلى عقولهم فتبادروا وتسابقوا لإجابة دعوة المؤذن فساروا إلى المسجد ليؤدوا صلاة الصبح.

(٥) هيئة وحالة تناسبها.

(٦) **يجد** يجتهد. **والرفع والخفض** الركوع والسجود والقيام منهما. ويريد بالجد فيهما التشديد في أدائهما كما قال: «ويدعونا بإطالته إلى صفعه» ضجرًا منه.

(٧) **البصيرة** الفطنة والعقل كأنه في ذلك التطويل قد خرج عن حد ما يأتي به العقلاء.. وربما كان يتمادى فيه ولا يصل إلى السلام أبدًا فعدّ وصوله إلى السلام من مراجعة البصيرة. **وعقيرته** صوته أي رفع صوته بقوله السلام عليكم وهو نهاية الصلاة.

(٨) **المحراب** مقام الإمام من المسجد.

إِطْرَاقَهُ(١). وَيُدِيمُ ٱسْتِنْشَاقَهُ. ثُمَّ قَالَ: أَيُّهَا ٱلنَّاسُ مَنْ خَلَطَ فِي سِيرَتِهِ وَٱبْتُلِيَ بِقَاذُورَتِهِ(٢). فَلْيَسَعْهُ دِيمَاسُهُ. دُونَ أَنْ تُنَجِّسَنَا أَنْفَاسُهُ إِنِّي لَأَجِدُ مُنْذُ ٱلْيَوْمِ رِيحَ أُمِّ ٱلْكَبَائِرِ(٣) مِنْ بَعْضِ ٱلْقَوْمِ. فَمَا جَزَاءُ مَنْ بَاتَ صَرِيعَ ٱلطَّاغُوتِ(٤). ثُمَّ ٱبْتَكَرَ إِلَى هٰذِهِ ٱلْبُيُوتِ(٥). ٱلَّتِي أَذِنَ ٱللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ. وَبِدَابِرِ هٰؤُلَاءِ أَنْ يُقْطَعَ. وَأَشَارَ إِلَيْنَا. فَتَأَلَّبَتِ ٱلْجَمَاعَةُ عَلَيْنَا(٦). حَتَّى مُزِّقَتِ ٱلْأَرْدِيَةُ. وَدَمِيَتِ ٱلْأَقْفِيَةُ(٧). وَحَتَّى أَقْسَمْنَا لَهُمْ لَا عُذْنَا. وَأَفْلَتْنَا مِنْ بَيْنِهِمْ وَمَا كِدْنَا(٨). وَكُلُّنَا مُغْتَفِرٌ لِلسَّلَامَةِ. مِثْلَ هٰذِهِ ٱلْآفَةِ(٩). وَسَأَلْنَا مَنْ مَرَّ بِنَا مِنَ ٱلصِّبْيَةِ(١٠). عَنْ إِمَامِ تِلْكَ ٱلْقَرْيَةِ. فَقَالُوا: الرَّجُلُ ٱلتَّقِيُّ. أَبُو ٱلْفَتْحِ

---

(١) **إطراقه** سكوته مع إرخاء عينيه ونظره إلى الأرض كالمفتكر في أمر أو المراقب لخلجات سر وهو مع ذلك كان يستنشق ويشم النشوق ويديم ذلك.

(٢) **خلط في سيرته** جاء فيها بالسيئات واقترف المنكرات مع قيامه بأداء بعض الواجبات أولئك الذين خلطوا عملًا صالحًا وآخر سيئًا. **والقاذورة** هي السيئة دعيت قاذورة لأن النفوس السليمة تتقزز منها كما تتقزز من القذر وتنفر منها كما تنفر منه والمقترف لها كالمتلطخ بالأقذار في دنسه وهوانه. وفي الحديث من ابتلي بشيء من هذه القاذورات (المعاصي) فليستتر بستر اللّٰه فإتيان المعصية إثم والمجاهرة بها إثم آخر بل قد تكون المجاهرة أكبر جرمًا من إتيان أصل الفعل لما تقدح في نفوس الغافلين من زناد الشهوة فيستطير شرر الخطيئة وتعظم في تفاقم شرهًا المصيبة. **والديماس** الكن والسرب أراد منه هنا البيت أي فليلزم بيته وإنما يصح لزوم البيت إذا وسع صاحبه. لهذا يعبّرون عن الإقامة في البيت بسعته.

(٣) **أم الكبائر** الخمر لأنها علة السكر والسكر ينبه النفس إلى الشهوات ويثور بها إلى اللذات ويدفعها على ما يعن من ذلك مع استخفاف بالزواجر واستهانة بالأوامر فلا جرم كانت أم الكبائر.

(٤) **الطاغوت** الشيطان. **وصريعه** طريحه. وشاربو الخمر قد خبطهم الشيطان فأوقعهم في مهالكهم وأوردهم مصارعهم من حيث زيّن لهم سوء أعمالهم.

(٥) **تلك البيوت** هي المساجد.

(٦) **تألبت الجماعة عليهم** اجتمعوا على ضربهم.

(٧) **الأردية** جمع رداء نائب فاعل مزقت المبني للمجهول. **والأقفية** جمع قفاء وهو مؤخر العنق. **ودميت** خرج منها الدم من شدة الضرب.

(٨) **أفلتوا من بينهم** خلصوا وما كان الخلاص قريبًا منهم.

(٩) **الآفة** هنا العارض الذي أفسد راحتهم ومزق أرديتهم وأدمى أقفيتهم فهي سيئة عظيمة إليهم لكنهم اغتفروها للسلامة فكانت السلامة منها كفارة لها. ويروى: للسلافة وهي الخمر.

(١٠) **الصبية** الصبيان.

ٱلْإِسْكَنْدَرِيُّ. فَقُلْنَا: سُبْحَانَ ٱللَّهِ رُبَّمَا أَبْصَرَ عِمِّيتٌ. وَآمَنَ عِفْرِيتٌ[١]. وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ لَقَدْ أَسْرَعَ فِي أَوْبَتِهِ[٢]. وَلَا حَرَمَنَا ٱللَّهُ مِثْلَ تَوْبَتِهِ. وَجَعَلْنَا بَقِيَّةَ يَوْمِنَا نَعْجَبُ مِنْ نُسْكِهِ[٣]. مَعَ مَا كُنَّا نَعْلَمُ مِنْ فِسْقِهِ. (قَالَ) وَلَمَّا حَشْرَجَ ٱلنَّهَارُ أَوْ كَادَ[٤] نَظَرْنَا فَإِذَا بِرَايَاتِ ٱلْحَانَاتِ أَمْثَالُ ٱلنُّجُومِ فِي ٱللَّيْلِ ٱلْبَهِيمِ. فَتَهَادَيْنَا بِهَا ٱلسَّرَّاءَ. وَتَبَاشَرْنَا بِلَيْلَةٍ غَرَّاءَ[٥]. وَوَصَلْنَا إِلَى أَفْخَمِهَا بَابًا[٦]. وَأَضْخَمِهَا كِلَابًا. وَقَدْ جَعَلْنَا ٱلدِّينَارَ إِمَامًا. وَٱلِاسْتِهْتَارَ لِزَامًا[٧]. فَدُفِعْنَا إِلَى ذَاتِ شَكْلٍ وَدَلٍّ. وَوِشَاحٍ مُنْحَلٍ[٨]. إِذَا قَتَلَتْ أَلْحَاظُهَا. أَحْيَتْ

---

(١) **العميت** السكران ومن لا يهتدي في سيره إلى جهة. **وابصر** عقل واهتدى. والعهد بأبي الفتح أنه عميت ضال يتبع هواه ولا تعرف تقواه. **والعفريت** الشيطان. وليس بمحال أن يؤمن الشيطان وإن كان ذلك بعيد الوقوع وكذلك أبو الفتح على المعروف في حاله.

(٢) **في اوبته** أي في رجوعه إلى اللّه تعالى. ثم سألوا اللّه تعالى أن لا يحرمهم توبة مثل توبة الإسكندري تقلع بهم عما هم فيه.

(٣) **النسك** العبادة.

(٤) **حشرج النهار** من حشرج الرجل إذا غرغر عند الموت وتردد نفسه وهو يجود بنفسه فكأن النهار في آخره حي حضره الموت أو كاد أي إن لم يكن يجود بنفسه فهو قريب من ذلك ومحصل المعنى أنه لما كان آخر النهار نظروا فرأوا رايات الحانات وهي أماكن بيع الخمور نشرت فكانت كالنجوم في الليل البهيم أي الشديد الظلمة فكما أن النجوم يهتدى بها في ظلمات البر والبحر إلى الطرق الأمينة من المضيعة كذلك الرايات تهديهم السبيل إلى تلك الحانات فلا يضلون في طلبها. وفي العبارة ما يشير إلى أن بيع الخمور في زمنه كان معروفًا في البلاد الإسلامية لا يستتر به بل كانوا يقيمون عليه علامات من الرايات لتمييز حاناتها عن سائر مواضع البيع.

(٥) **السراء** المسرة. وتهادوها أهداها بعضهم لبعض وكأنهم في تبشير كل واحد منهم صاحبه بما رأى من رايات الحانات يتهادون المسرة كما يتهادى القوم أنواع التحف والهدايا **وتباشرنا** بشر بعضهم بعضًا. وكنى **بالغراء** عن الجميلة البهجة وجمالها بما ينالون فيها من لذة السكر والعربدة.

(٦) لا يكون الباب أفخم الأبواب حتى تكون الحانة نفسها أكبر الحانات وأوفرها أسباب مسرات.

(٧) **الإمام** هنا القيم المدبر للأمر. **والدينار** أي النقد هو الذي يوفيهم ما يريدون من الخمر فينالون من بغيتهم على حسب ما يبذلون منه. **والاستهتار** إتباع الهوى مع عدم المبالاة بالفعل والقول. **واللزام** الملازم جدًا الذي لا يفارق.

(٨) دخلوا الباب فدفعهم السير إلى ربة الحان وهي من الحسان **ذات شكل** أي غزل وظرف. **ودلّ** دلال وهو مزج الهجر بإرادة الوصل وخلط البخل بالبذل. **والوشاح** شبه قلادة ينسج من أديم عريض ثم يرصع بالجوهر فتشده المرأة بين عاتقها وكشحها كأنه حمالة سيف. ويكنى **بانحلال الوشاح** عن رقة الخصر.

أَلْفَاظُهَا[١]. فَأَحْسَنَتْ تَلَقِّينا. وَأَسْرَعَتْ تُقَبِّلُ رُؤُوسَنَا وَأَيْدِينا. وَأَسْرَعَ مَنْ مَعَهَا مِنَ ٱلْعُلُوجِ[٢]. إِلَى حَطِّ الرِّحَالِ وَٱلسُّرُوجِ. وَسَأَلْنَاهَا عَنْ خَمْرِهَا فَقَالَتْ:

خَمْرٌ كَرِيقِي فِي ٱلْعُذُوبَةِ م وَٱللَّذَاذَةِ وَٱلْحَلَاوَهْ
تَذَرُ ٱلْحَلِيمَ وَمَا عَلَيْهِ م لِحِلْمِهِ أَدْنَى طُلَاوَهْ[٣]

كَأَنَّمَا ٱعْتَصَرَهَا مِنْ خَدِّي. أَجْدَادُ جَدِّي. وَسَرْبَلُوهَا مِنَ ٱلْقَارِ[٤]. بِمِثْلِ هَجْرِي وَصَدِّي. وَدِيعَةُ ٱلدُّهُورِ[٥]. وَخَبِيئَةُ جَيْبِ ٱلسُّرُورِ[٦]. وَمَا زَالَتْ تَتَوَارَثُها ٱلأَخْيَارُ. وَيَأْخُذُ مِنْهَا ٱللَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ. حَتَّى لَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرَجٌ وَشُعَاعٌ. وَوَهَجٌ لَذَّاعٌ[٧]. رَيْحَانَةُ ٱلنَّفْسِ. وَضَرَّةُ ٱلشَّمْسِ[٨]. فَتَاةُ ٱلْبَرَقِ[٩]. عَجُوزُ ٱلْمَلَقِ. كَٱللَّهَبِ فِي ٱلْعُرُوقِ. وَكَبَرْدِ

---

(١) تجد في كلامهم ما لا يمكن حصره من وصف العيون بأنها قتالة فتاكة وذلك إذا كانت في سعتها وحورها وصفائها على الوجه الأكمل لأن نظر المحبوب وهو في صفته هذه يؤثر في النفس أثرًا يجدونه فيعبّرون عنه بتلك العبارات. وهذه الجميلة التي يصفها لها من اللحظ ما يقتل لكن لها من الكلام العذب ما يحيي. وإنما ينسب الإحياء إلى الألفاظ لما فيها من روح الأمل.

(٢) **العلوج** جمع علج وهو الضخم من كفار العجم أو الكافر من غير العرب مطلقًا.

(٣) قوله: **وما عليه** الخ جملة حالية يصف بها الحليم عند مفارقة هذه الخمر له بعد مفارقتها أي لا ينزع الحليم عنها بعد شربها إلّا وقد خف حلمه وليس للحلم عليه أدنى طلاوة ولا بهجة. **والطلاوة** مثلثة الطاء الحسن والبهجة.

(٤) أي أنها كانت وردية اللون كأنما اعتصرت من خدها وعتيقة كأن معتصرها أجداد جدها. ثم أن طول الزمان أكسبها لونًا فوق الوردي يميل إلى السواد فكأن أجداد جدها **سربلوها** أي كسوا تلك الخمر ثوبًا من القار وهو طلاء أسود تطلى به السفن والإبل، قيل هو القطران أو الزفت.

(٥) وديعة الدهور كلما مضى دهر أودعها الذي بعده حتى وصلت إلينا.

(٦) كأن السرور شخص يعقل ويضن بما عنده إلّا على من يتحقق أنهم أهله فكان يخبئ هذه الخمرة فيما وراء جيبه ضنًا بها على غير أهلها أعصارًا طوالًا.

(٧) صفاها الزمان ولطفها حتى لم يبق منها إلّا الرائحة والشعاع كأنما شعاع له رائحة. **والوهج** الحرارة **واللذاع** المحرق ولم يرد أنها تلذع اللسان والحلق لأنه فيما يأتي يقول إنها كبرد النسيم في الحلوق وإنما يريد أن لها خاصة اللذاع في حرارتها لكنها لا يظهر أثرها إلّا في تحريك الدم وإثارة الروح.

(٨) **ضرة المراة** زوجة زوجها فهما ضرتان ومن شأنهما أن تحسد كل منهما الأخرى. وإنما تحسد من ترى فيه مزية عليك. ففي هذه الخمر مزية على الشمس في بهائها أو فيما تنال الأجساد والأرواح من أثرها.

(٩) **البرق** بالفتح التزين. برقت المرأة برقًا تزينت وتحسنت. فهي في بهائها كالفتاة في زينتها. =

ٱلنَّسِيمِ فِي ٱلْحُلُوقِ. مِصْبَاحُ ٱلْفِكْرِ. وَتِرْيَاقُ سَمِّ ٱلدَّهْرِ[١]. بِمِثْلِهَا عُزِّزَ ٱلْمَيْتُ فَٱنْتَشَرَ. وَدُووِيَ ٱلْأَكْمَهُ فَأَبْصَرَ[٢]. قُلْنَا: هٰذِهِ ٱلضَّالَّةُ وَأَبِيكِ. فَمَنِ ٱلْمَطْرِبُ فِي نَادِيكِ. وَلَعَلَّهَا تُشَعْشَعُ لِلشَّرْبِ[٣]. بِرِيقِكِ ٱلْعَذْبِ. قَالَتْ: إِنَّ لِي شَيْخًا ظَرِيفَ ٱلطَّبْعِ. طَرِيفَ ٱلْمُجُونِ[٤] مَرَّ بِي يَوْمَ ٱلْأَحَدِ. فِي دَيْرِ ٱلْمِرْبَدِ[٥]. فَسَارَّنِي حَتَّى سَرَّنِي. فَوَقَعَتِ ٱلْخُلْطَةُ. وَتَكَرَّرَتِ ٱلْغِبْطَةُ. وَذَكَرَ لِي مِنْ وُفُورِ عِرْضِهِ[٦]. وَشَرَفِ قَوْمِهِ فِي أَرْضِهِ. مَا عَطَفَ بِهِ وُدِّي. وَحَظِيَ بِهِ عِنْدِي[٧] وَسَيَكُونُ لَكُمْ بِهِ أُنْسٌ وَعَلَيْهِ حِرْصٌ. (قَالَ) وَدَعَتْ بِشَيْخِهَا فَإِذَا هُوَ إِسْكَنْدَرِيُّنَا أَبُو ٱلْفَتْحِ. فَقُلْتُ: يَا أَبَا ٱلْفَتْحِ وَٱللَّهِ كَأَنَّمَا نَظَرَ إِلَيْكَ وَنَطَقَ عَنْ لِسَانِكَ ٱلَّذِي يَقُولُ:

كَانَ لِي فِيمَا مَضَى عَقْـ م وَدِينٌ وَٱسْتِقَامَهْ
ثُمَّ قَدْ بِعْنَا بِحَمْدِ م ٱللَّهِ فِقْهًا بِحِجَامَهْ
وَلَئِنْ عِشْنَا قَلِيلًا م نَسْأَلُ ٱللَّهَ ٱلسَّلَامَهْ

(قَالَ) فَنَخَرَ نِخْرَةَ ٱلْمُعْجَبِ. وَصَاحَ وَزَمْهَرَ[٨]. وَضَحِكَ حَتَّى قَهْقَهَ. ثُمَّ قَالَ: أَلِمِثْلِي يُقَالُ. أَوْ بِمِثْلِي تُضْرَبُ ٱلْأَمْثَالُ:

= ثم هي في تحببها إلى شاربيها وعرضها ذاتها عليهم أشبه بالعجوز في **الملَق** وهو التملّق والمبالغة في إظهار المودة.

(١) **سم الدهر** في غمومه وأحزان تصاريفه. والخمر تذهلك عما يحزنك وتذهب بك إلى ما يسرك فكانت ترياقًا لسموم الغموم.

(٢) **عزز الميت** أي أمد وأعين فانتشر أي بعث من موته. ويروى: «غرغر» وهو ظاهر **والأكمه** الذي ولد أعمى. مبالغة في وصفها بالإنعاش.

(٣) **شعشع الشراب** مزجه بالماء. **والشرب** بالفتح جمع شارب.

(٤) **ظريف الطبع** كيسه مألوفه. **والمجون** المزاح. **وطريفه** بالطاء المهملة غريبه ملاحة.

(٥) **المربَد** مربد البصرة متنزه مشهور.

(٦) **أفضى إليها** بسرّها فأعجبها فنزل منها ونزلت منه فوقعت الخلطة والإلفة بينهما. **والغبطة** هنا المسرة وتكررت المسرة بتكرار اجتماعها معه مع العفاف والصيانة بدليل ما تذكره بعد. **ووفور العرض** احتماؤه مما يشينه وينقصه.

(٧) أي إنه لم يعطف ودها عليه ولم يحظ عندها إلّا بوفور العرض وشرف القبيل.

(٨) **نخر** الرجل والفرس ينخر نخرًا ونخيرًا مدّ صوته في خياشيمه. **وزمهر** شدّد النظر بعينه حتى كاد يخرجها ويروى «زهزه» وهي بالعامية أشبه ولا يعرف في المادة إلّا الزهزاه وهو المختال.

دَعْ مِــنَ ٱلــلَّــوْمِ وَلٰــكِــنْ أَيَّ دَكَّــاكٍ تَــرَانِــي[١]
أَنَــا مَــنْ يَــعْــرِفُــهُ كُــلُّ م تَــهَــامٍ وَيَــمَــانِــي[٢]
أَنَــا مِــنْ كُــلِّ غُــبَــارٍ أَنَــا مِــنْ كُــلِّ مَــكَــانِ[٣]
سَــاعَــةً أَلْــزَمُ مِــحْــرَابًــا م وَأُخْــرَى بَــيْــتَ حَــانِ
وَكَــذَا يَــفْــعَــلُ مَــنْ يَــعْــقِــلُ م فِــي هٰــذَا ٱلــزَّمَــانِ

قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ: فَٱسْتَعَذْتُ بِٱللَّهِ مِنْ مِثْلِ حَالِهِ. وَعَجِبْتُ لِقُعُودِ ٱلرِّزْقِ عَنْ أَمْثَالِهِ. وَطِبْنَا مَعَهُ أُسْبُوعَنَا ذٰلِكَ وَرَحَلْنَا عَنْهُ.

---

(١) **دع من اللّوم** اتركني من لومك وخلني منه ولكن ليس ذلك لتنزهي عما يلوم عليه اللائمون فإني دكاك أي دكاك. **والدكاك** المحتال لأنه بحيلته يهدم كل ما تبني الأمانة والثقة..

(٢) **التهامي** المنسوب إلى تهامة وهي ما تمتد من سفح جبال الحجاز إلى البحر. وقد يطلق اسم تهامة على الساحل جميعه لأنه يقابل نجدًا. ويقول أهل هذا الاستعمال أن تهامة الحجاز غير تهامة عسير وتهامة اليمن ومبدأهما من خولان إلى عدن. **واليماني** نسبة مشهورة إلى اليمن. ومعرفة اليمانيين والتهاميين له لشهرته بينهم بالدك والحيلة.

(٣) **من كل غبار** إيماء إلى أن مزاجه يتفق مع كل أرض كأنه خلق منها وكذلك الأمكنة كالأراضي كلها لديه سواء يسهل عليه المعيشة فيها وإنفاذ حيله بين سكانها وإن اختلفت طباعهم وتباينت أحوالهم فنفسه تحت سلطان إرادته يشكّلها بالشكل الذي يألفه من يريد معاملتهم والفوز بينهم. ثم بين بعض أفاعيله في البيت الآتي واحتج على أخذه بهذا المذهب في البيت الذي يليه.

المقَامَةُ ٱلمَطلَبِيَّة

حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ: ٱجْتَمَعْتُ يَوْمًا بِجَمَاعَةٍ كَأَنَّهُمْ زَهْرُ ٱلرَّبِيعِ. أَوْ نُجُومُ ٱللَّيْلِ بَعْدَ هَزِيعٍ(١). بِوُجُوهٍ مُضِيَّةٍ. وَأَخْلَاقٍ رَضِيَّةٍ. قَدْ تَنَاسَبُوا فِي ٱلزِّيِّ وَٱلْحَالِ. وَتَشَابَهُوا فِي حُسْنِ ٱلْأَحْوَالِ(٢). فَأَخَذْنَا نَتَجَاذَبُ أَذْيَالَ ٱلْمُذَاكَرَةِ. وَنَفْتَحُ أَبْوَابَ ٱلْمُحَاضَرَةِ. وَفِي وَسَطِنَا شَابٌّ قَصِيرٌ مِنْ بَيْنَ ٱلرِّجَالِ. مَحْفُوفُ ٱلسِّبَالِ(٣). لَا يَنْبِسُ بِحَرْفٍ. وَلَا يَخُوضُ مَعَنَا فِي وَصْفٍ(٤). حَتَّى ٱنْتَهَى بِنَا ٱلْكَلَامُ إِلَى مَدْحِ ٱلْغِنَى وَأَهْلِهِ. وَذِكْرِ ٱلْمَالِ وَفَضْلِهِ. وَأَنَّهُ زِينَةُ ٱلرِّجَالِ. وَغَايَةُ ٱلْكَمَالِ. فَكَأَنَّمَا هَبَّ مِنْ رَقْدَةٍ(٥). أَوْ حَضَرَ بَعْدَ غَيْبَةٍ. وَفَتَحَ دِيوانَهُ(٦). وَأَطْلَقَ لِسَانَهُ. فَقَالَ: صَهْ لَقَدْ عَجَزْتُمْ عَنْ شَيْءٍ عَدِمْتُمُوهُ. وَقَصَّرْتُمْ عَنْ طَلَبِهِ فَهَجَّنْتُمُوهُ(٧). وَخُدِعْتُمْ عَنِ ٱلبَاقِي بِٱلفَانِي.

---

(١) **الهزيع** الطائفة من الليل ربعه أو ثلثه أو نصفه حيث النجوم في أزهار وتلألؤ أنوار.

(٢) **قد تشاكلوا** في أزيائهم الصورية وأحوالهم المعنوية أي أنهم على زي واحد وأخلاق واحدة.

(٣) **السبال** جمع سبلة وهي ما على الشارب من الشعر. **ومحفوفها** مقصوصها. **وحف الشوارب** كثيرًا ما كان يعد من سمات الزهّاد ولم يزل كذلك حتى اليوم عند بعض القوم.

(٤) **لا ينبس بحرف** لا ينطق به. ثم المعاني التي خاضوا فيها إنما هي في أوصاف جسمانية أو روحانية ولم يكن هذا الجالس يخوض مع الذين يخوضون في تلك الأوصاف.

(٥) **هب من نومه** استيقظ.

(٦) **الديوان** هنا مجتمع كلامه من نثره وشعره وذلك المجتمع هو قريحته شبّهها بديوان الجند الجامع لأسمائهم وأنسابهم وأرزاقهم وعددهم.

(٧) **صه** كلمة فيها معنى طلب السكوت. **والذي عدموه وفقدوه** هو الغنى بحرث الآخرة عن حرث الدنيا وبكمال الأرواح عن رغائب الأجساد ولو قدروا على كسب هذا الغنى لما أثنوا على ذلك ولكنهم لعجزهم فقدوه وأضاعوه لهذا يثنون على ما أمكن لهم أن يكسبوه. **وهجنتموه** قبّحتموه ولما قصروا عن عمل الآخرة هجّنوه فلم يحمدوه. ويروى: «لقد عجزتم عن شيء قدمتموه» بدل عدمتموه. وعليها يكون العجز متعلقًا بالوصف كأنه قال لقد عجزتم عن تقديم شيء وهو عدة الآخرة فلهذا لم تذكروه. وقصرتم عن طلبه إلخ.

وَشُغِلْتُمْ عَنِ ٱلنَّائِي بِٱلدَّانِي(١). هَلِ ٱلدُّنْيَا إِلَّا مُنَاخُ رَاكِبٍ. وَتَعِلَّةُ ذَاهِبٍ(٢). وَهَلِ ٱلْمَالُ إِلَّا عَارِيَّةٌ مُرْتَجَعَةٌ. وَوَدِيعَةٌ مُنْتَزَعَةٌ. يُنْقَلُ مِنْ قَوْمٍ إِلَى آخَرِينَ. وَتَخْزُنُهُ ٱلْأَوَائِلُ لِلْآخَرِينَ(٣). هَلْ تَرَوْنَ ٱلْمَالَ إِلَّا عِنْدَ ٱلْبُخَلَاءِ. دُونَ ٱلْكُرَمَاءِ. وَٱلْجُهَّالِ دُونَ ٱلْعُلَمَاءِ(٤). إِيَّاكُمْ وَٱلِٱنْخِدَاعَ فَلَيْسَ ٱلْفَخْرُ إِلَّا فِي إِحْدَى ٱلْجِهَتَيْنِ. وَلَا ٱلتَّقَدُّمُ إِلَّا بِإِحْدَى ٱلْقِسْمَتَيْنِ. إِمَّا نَسَبٌ شَرِيفٌ. أَوْ عِلْمٌ مُنِيفٌ. وَأَكْرِمْ بِشَيْءٍ يُحْمَلُ عَلَى ٱلرُّؤُوسِ حَامِلُهُ(٥). وَلَا يَيْأَسُ مِنْهُ آمِلُهُ. وَٱللَّهِ لَوْلَا صِيَانَةُ ٱلنَّفْسِ وَٱلْعِرْضِ. لَكُنْتُ أَغْنَى أَهْلِ ٱلْأَرْضِ. لِأَنَّنِي أَعْرِفُ مَطْلَبَيْنِ أَحَدُهُمَا بِأَرْضِ طَرْسُوسَ. تَشْرَهُ فِيهِ ٱلنُّفُوسُ. مِنْ ذَخَائِرِ ٱلْعَمَالِقَةِ(٦). وَخَبَايَا ٱلْبَطَارِقَةِ. فِيهِ مِائَةُ أَلْفِ مِثْقَالٍ. وَأَمَّا ٱلْآخَرُ فَهُوَ مَا بَيْنَ سُورَى وَٱلْجَامِعَيْنِ(٧). فِيهِ مَا يَعُمُّ أَهْلَ ٱلثَّقَلَيْنِ. مِنْ كُنُوزِ ٱلْأَكَاسِرَةِ. وَعُدَدِ

---

(١) **الداني** القريب. **والنائي** البعيد. أي شغلكم القريب وهو الحياة الدنيا عن البعيد وهو الحياة الآخرة.

(٢) الحي فيها على سفر إلى حياة أخرى وكأنما استقراره فيها كما يستقر المسافر في المنزلة ينزلها بعض ساعات ينيخ راحلته ويستجم راحته ليتمم رحلته. **والتعلة** ما يتعلل به من طعام ونحوه.

(٣) يريد أن حقيقة الغنى إنما يكون بما ملكته ولن تملك شيئًا حتى تكون صاحب صونه وحفظه ولا سلطان لغيرك عليه ولا يكون الملك كذلك حتى يكون في ذاتك فهي التي لك فغناك الحقيقي بأوصافك التي يجب أن تكون لك. أما ما خرج عن ذاتك فالعوادي عليه شتى وليس السلطان في دفعها إليك وحدك وبالجملة فما خرج عنك عرضة للسلب منك لذلك ترون المال كالعواري تكون اليوم في يد ثم تسترد منها في غد إلخ الأوصاف.

(٤) بيان لبعض خصائص المال التي تعد من أخص نقائصه وهي ملازمته لأهل الخسّة فهو لا يتوفر إلّا عند الأنذال ولا يهنأ به إلّا الجهّال وكفى به خسّة أنه لا يوجد إلّا مع أهل الخسّة.

(٥) **الشيء** الذي يحمل حامله على الرؤوس هو العلم. **واكرم به** أي ما أكرمه. والذي يصل بالعلم أمله لا يجد اليأس فإن في العلم مفاتيح الرجاء.

(٦) **المطلبان** الكنزان وسُمّي الكنز مطلبًا لأنه من أعظم ما يتعلق به الطلب. **وطرسوس هي** المدينة القديمة التي كانت قصبة كيليكيا وبينها وبين أذنه نحو ثمانية عشر ميلًا وهي في ولاية أذنه من الممالك العثمانية. **وتشره فيه النفوس** أي تندفع إليه مع شدة حرص عليه. **والشره** إفراط في الرغبة الممزوجة بالحرص. وقوله «من ذخائر» بيان للمطلبين. **والعمالقة** الذين ملكوا في الشام وأجنادها ومشارفها وما يليها من بلاد آسيا الصغرى قالوا هم من أولاد عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام قالوا ومنهم الكنعانيون.

(٧) **سورى** من بلاد السوريانيين القديمة في أرض بابل. **والجامعين** اسم لمدينة تسمى الخلة المزيدية بأرض بابل بين بغداد والكوفة. قال ياقوت في المشترك كان أول من نزلها =

ٱلْجَبَابِرَةِ. أَكْثَرُهُ يَاقُوتٌ أَحْمَرُ. وَدُرٌّ وَجَوْهَرٌ. وَتِيجَانٌ مُرَصَّعَةٌ. وَبِدَرٌ مُجَمَّعَةٌ[١]. فَلَمَّا أَنْ سَمِعْنَا ذٰلِكَ أَقْبَلْنَا عَلَيْهِ. وَمِلْنَا إِلَيْهِ. وَأَخَذْنَا نَسْتَعْجِزُ رَأْيَهُ[٢]. فِي ٱلْقُنُوعِ بِيَسِيرِ ٱلْمَكَاسِبِ. مَعَ أَنَّهُ عَارِفٌ بِهٰذِهِ ٱلْمَطَالِبِ. فَأَشَارَ إِلَى أَنَّهُ يَفْزَعُ مِنَ ٱلسُّلْطَانِ. وَلَا يَثِقُ إِلَى أَحَدٍ مِنَ ٱلْإِخْوَانِ[٣]. فَقُلْنَا لَهُ: قَدْ سَمِعْنَا حُجَّتَكَ. وَقَبِلْنَا مَعْذِرَتَكَ. فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُحْسِنَ إِلَيْنَا. وَتَمُنَّ عَلَيْنَا. وَتُعَرِّفَنَا أَحَدَ هٰذَيْنِ ٱلْمَطْلَبَيْنِ. عَلَى أَنَّ لَكَ ٱلثُّلُثَيْنِ. فَعَلْتَ. فَأَمَالَ إِلَيْنَا يَدَهُ[٤]. وَقَالَ: مَنْ قَدَّمَ شَيْئًا وَجَدَهُ. وَمَنْ عَرَفَ مَا يُنَالُ. هَانَ عَلَيْهِ بَذْلُ ٱلْمَالِ. فَكُلٌّ مِنَّا حَبَاهُ بِمَا حَضَرَ. وَتَشَوَّقَ إِلَى مَا ذَكَرَ. فَلَمَّا مَلَأْنَا كَفَّهُ. رَفَعَ إِلَيْنَا طَرْفَهُ. وَقَالَ: لَا بُدَّ أَنْ نَقْضِيَ عَلَقًا. وَنَنَالَ مَا يُمْسِكُ رَمَقًا[٥]. وَقَدْ ضَاقَ وَقْتُنَا. وَٱلْمَوْعِدُ غَدًا هٰهُنَا. إِنْ شَاءَ ٱللَّهُ تَعَالَى. قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ: فَلَمَّا تَفَرَّقَتْ تِلْكَ ٱلْجَمَاعَةُ. قَعَدْتُ بَعْدَهُمْ سَاعَةً. ثُمَّ تَقَدَّمْتُ إِلَيْهِ. وَجَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ. وَقُلْتُ وَقَدْ رَغِبْتُ فِي مَعْرِفَتِهِ. وَتَاقَتْ نَفْسِي إِلَى مُحَادَثَتِهِ[٦]: كَأَنَّنِي عَارِفٌ بِنَسَبِكَ. وَقَدِ ٱجْتَمَعْتُ بِكَ. فَقَالَ: نَعَمْ ضَمَّنَا طَرِيقٌ. وَأَنْتَ لِي رَفِيقٌ. فَقُلْتُ: قَدْ غَيَّرَكَ عَلَيَّ ٱلزَّمَانُ. وَمَا أَنْسَانِيكَ إِلَّا ٱلشَّيْطَانُ. فَأَنْشَأَ يَقُولُ:

أَنَـا جَـبَّـارُ ٱلـزَّمَـانِ لِـي مِـنَ ٱلـسَّـخْـفِ مَـعَـانِـي[٧]

= واختط بها المنازل وعظمها سيف الدولة صدقة بن منصور بن دبيس بن علي بن مزيد الأسدي في سنة ٤٩٥ هجرية وكان موضعها قبل ذلك يسمى الجامعين.

(١) **البدر** جمع بدرة وهي كيس فيه عشرة آلاف درهم أو ألف درهم أو سبعة آلاف دينار.

(٢) نعد رأيه عاجزًا عن بلوغ حقيقة الصواب.

(٣) كان الأجود أن يقول «ولا يثق بأحد» لكنه ضمن يثق معنى يطمئن.

(٤) أمال يده على هيئة الطالب يشير بها إلى طلب جعل على إرشاده ولهذا قال من قدم شيئًا وجده فإذا بذلتم ما أستحقه على هدايتكم وجدتم ما أنفقتم.

(٥) **العلق** ما تتبلغ فيه الماشية من الشجر أراد به هنا البلغة مطلقًا أي لا بدّ لنا أن نقضي طعامًا وأن قليلًا نتبلغ به. **والرمق** بقية الحياة. والذي يمسكه الطعام.

(٦) **تاقت** اشتاقت.

(٧) هو الجبار الذي أفرده الزمان بهذا الوصف ولم يجعل له فيه ثانيًا ولذلك خصّ بالإضافة إليه. **والسخف** الحمق ورقة العقل أراد منه أطوار السخف وما لا يكون إلّا عنه من الأفاعيل والأقاويل مع أنه ليس بسخيف وإنما هو متساخف.

وَأَنَــا ٱلْــمُــنْــفِــقُ بَــعْــدَ م ... ٱلْــمَــالَ مِــنْ كِــيــسِ ٱلْأَمَــانِــي[(١)]
مَــنَ أَرَادَ ٱلْــقَــصْــفَ وَٱلْــغَــرْ ... فَ عَــلَــى عَــزْفِ ٱلْــمَــثَــانِــي[(٢)]
وَٱصْــطِــفَــى ٱلْــمُــرْدَانَ جَــهْــلًا ... مِــنْ فُــلَانٍ وَفُــلَانِ[(٣)]
صَــارَ مِــنْ مَــالٍ وَإِقْــبَــا ... لٍ تَــرَاهُ فِــي أَمَــانِ[(٤)]

---

(١) لا يبالي بالإنفاق لأنه إذا فرغ كيسه من المال فعنده كيس الأماني ينفق منه وكيس الأماني لا يفرغ لأنه كل لحظة في ألف أمنية يريد أن عنده من الأماني ما يسليه عن المال عند فقده أو أنه كما يعطي النقد ثمنًا لما ينتفع به كذلك يعطي من الأماني ما يقوم مقامه فإنه بخداعه يمنح القلب أمنية تقوم عنده مقام ما كان يأخذ من الثمن أو تزيد أليس قد أخذ منهم النقود ومناهم بالكنوز.

(٢) **القصف** العكوف على ملاذ الطعام والشراب **والغرف** هنا بالغين المعجمة بعدها راء مهملة غرف الشراب يكنى به عن الإكثار من الخمر فهو يغترف ولا يرتشف. **وعزف المثاني** رنينها. **والمثاني** من ذوات الأوتار المطربة ما له وتران. وقد يروى: بدل الغرف العزف بعين مهملة بعدها زاي معجمة.

(٣) **المردان** جمع أمرد.

(٤) أما أن يكون قد أراد أن يزين القصف والعزف واصطفاء المردان ويرغب فيها فهو يقول من أراده ونزع إليه أقبلت عليه الدنيا وانثالت عليه الأحوال وغزرت لديه فهو في أمان بسببها لا يخاف شيئًا. وأما أن يكون قد أراد من نزع إلى ذلك فقد أمن من المال والإقبال كأنهما شيء يخيفه وهو منه في أمان لا يصيبه فيكون الفقر ملازمًا له والغنى أبعد شيء منه. وكلا المعنيين له وجه وإن تخالفا وأشبها أن يكونا متضادين.

المَقَامَةُ اَلبِشْرِيَّة

حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ: كَانَ بِشْرُ بْنُ عَوَانَةَ اَلْعَبْدِيُّ صُعْلُوكًا(١) فَأغارَ عَلَى رَكْبٍ فِيهِمِ اَمْرَأَةٌ جَمِيلَةٌ فَتَزَوَّجَ بِهَا وَقَالَ: مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ. فَقَالَتْ:

أَعْجَبَ بِشْرًا حَوَرٌ فِي عَيْنِي ... وَسَاعِدٌ أَبْيَضُ كَاللُّجَيْنِ(٢)
وَدُونَهُ مَسْرَحَ طَرْفِ اَلْعَيْنِ ... خَمْصَانَةٌ تَرْفُلُ فِي حِجْلَيْنِ(٣)
أَحْسَنُ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ ... لَوْ ضَمَّ بِشْرٌ بَيْنَهَا وَبَيْنِي
أَدَامَ هَجْرِي وَأَطَالَ بَيْنِي ... وَلَوْ يَقِيسُ زَيْنَهَا بِزَيْنِي(٤)
لَأَسْفَرَ اَلصُّبْحُ لِذِي عَيْنَيْنِ

قَالَ بِشْرٌ: وَيْحَكِ مَنْ عَنَيْتِ(٥). فَقَالَتْ: بِنْتَ عَمِّكَ فَاطِمَةَ. فَقَالَ: أَهِيَ مِنَ

---

(١) **صعلوكًا** أي لصًا. **والصعلوك** الفقير. والفقير كثيرًا ما يحمل على السرقة لهذا سُمي السارق صعلوكًا. **وصعالكة العرب** ذؤبانها أي لصوصها وفتّاكها. وقوله لها: ما رأيت كاليوم ويروى بدله: هل رأيت أحسن منك.

(٢) **الحور** من صفات العين أن يشتد بياض بياضها وسواد سوادها وتستدير حدقتها وترق جفونها ويبيض ما حولها. وقيل: الحور أن تسود العين كلها كما في الظباء والبقر ولا يكون ذلك في الناس ولكن قد يقال للنساء حور العيون تشبيهًا لهن بالظباء والمها. **واللّجين** الفضة.

(٣) **الخمصانة** الضامرة الكشح. قال أبو الطيب:

كل خمصانة أرق من الخمر ... وقلب أقسى من الجلمود

والحجلان تثنية حجل بالكسر وهو الخلخال. وترفل فيه تخرق في مشيتها عجبًا بها. وقوله: دونه مسرح طرف العين أي بالقرب منه في منطلق بصره جميلة كالتي وصفت.

(٤) بعد ما قالت إنها أحسن النساء جميعًا بل الناس كلهم فإن من يمشي على رجلين أعم من جميع بني آدم قالت لو جمع بشر بيني وبينها ونظر إليّ وإليها لهجرني هجرًا طويلًا لأنه يقبح منظري لدى منظرها ولو أنه قدر ما بين **زينها** أي محاسنها ومحاسني من الفرق لظهر له الفرق كما يظهر الصبح لذي عينين سليمتين فكما لا يرتاب صاحب البصر الصحيح في ضوء الصباح كذلك لا يرتاب بشر في الفرق بيني وبينها. **واسفر** الصبح لذي عينين مثل جاءت به في موضع جواب «لو» مبالغة في الدلالة على تحقيقه.

(٥) **عنيت** قصدت أي امرأة تريدين بكلامك هذا. وقولها «وأزيد وأكثر» خبر لمحذوف =

ٱلْحُسْنِ بِحَيْثُ وَصَفْتِ. قَالَتْ: وَأَزْيَدُ وَأَكْثَرُ. فَأَنْشَأَ يَقُولُ:

وَيْحَكِ يَا ذَاتَ ٱلثَّنَايَا ٱلْبِيضِ ... مَا خِلْتُنِي مِنْكِ بِمُسْتَعِيضِ[١]

فَٱلْآنَ إِذْ لَوَّحْتِ بِٱلتَّعْرِيضِ ... خَلَوْتِ جَوًّا فَٱصْفِرِي وَبِيضِي[٢]

لَا ضُمَّ جَفْنَايَ عَلَى تَغْمِيضِ ... مَا لَمْ أَشُلْ عِرْضِي مِنَ ٱلْحَضِيضِ[٣]

فَقَالَتْ:

كَمْ خَاطِبٍ فِي أَمْرِهَا أَلَحَّا ... وَهِيَ إِلَيْكَ ٱبْنَةُ عَمٍّ لَحَّا[٤]

ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى عَمِّهِ يَخْطُبُ ٱبْنَتَهُ. وَمَنَعَهُ ٱلْعَمُّ أُمْنِيَّتَهُ. فَآلَى أَلَّا يُرْعِيَ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ إِنْ لَمْ يُزَوِّجْهُ ٱبْنَتَهُ[٥]. ثُمَّ كَثُرَتْ مَضَرَّاتُهُ فِيهِمْ. وَٱتَّصَلَتْ مَعَرَّتُهُ إِلَيْهِمْ[٦].

= تقديره وهو أي حسنها أزيد وأكثر أو هي أزيد وأكثر حسنًا مني.

(١) **الثنايا** من الأسنان الأربع في مقدم الفم ثنتان من فوق وثنتان من أسفل وبياض الثنايا من متمات الجمال. وقوله: ما **خلتني** إلخ أي ما ظننت أن أستبدلك لأنني ما كنت أظن في النساء أجمل منك.

(٢) **لوحت وعرضت** بأنه يطلب نساء الأباعد وبنت عمه في مسرح نظره يتطلبها الأبعدون وربما تزوج بها من هو دونه في البأس والشدة وهذا من أقبح العار بمثله فهذا التعريض قد فعل في نفسه فصمم على ترك هذه التي ظنّ أنها أجمل النساء وقال لها **خلوت جوّا** أي خلا جوك من القرين فاعملي ما بدا لك وأصله قول كليب وائل لما رأى قنبرة اتخذت عشًا في حماه وكان يحمي ما يحل بحماه من طير ونحوه فلا يمكن ليد أن تطول إلى صيده. فقال يخاطب القنبرة ويفتخر بوقايتها:

يا لك من قنبرة بمحجر ... خلا لك الجو فبيضي واصفري

ونقري ما شئت أن تنقري

(٣) **شال عرضه** من الحضيض رفعه من الضعة. **والحضيض** أسفل الجبل. أي إنه لا ينام ولا يغمض عينيه فلا ينضم جفن له على جفن حتى يطلب بنت عمه ويتزوجها فيدفع عن نفسه ذلك العار الذي لحق به.

(٤) كثير من الخطاب ألحّوا في طلب زواجها ولا بدّ أن يفضي الإلحاح بأحدهم إلى نيل طلبه وهي في نسبتها إليك ابنة عم لاحقة النسب بك يقال هو ابن عم لحًا أي لاحق.

(٥) **لا يُرعي على احد** أي لا يبقي عليه بل يقتلهم حيث يجدهم ويروى بعد قوله إن لم يزوجه ابنته: ثم دبت الأيام ودرجت الليالي وتصرمت الشهور وتجرمت السنون وبشر يفتك في من لقيه منهم وكثرت مضراته إلخ. **وتجرمت السنون** بمعنى انقضت.

(٦) **معراته** جمع معرة وهي الأذى والمساءة والشر.

فَٱجْتَمَعَ رِجَالُ ٱلْحَيّ إِلَى عَمّهِ وَقَالُوا: كُفَّ عَنَّا مَجْنُونَكَ[١]. فَقَالَ: لَا تُلْبِسُونِي عَارًا وَأَمْهِلُونِي حَتَّى أُهْلِكَهُ بِبَعْضِ ٱلْحِيَلِ[٢]. فَقَالُوا: أَنْتَ وَذَاكَ. ثُمَّ قَالَ لَهُ عَمُّهُ: إِنّي آلَيْتُ أَنْ لَا أُزَوّجَ ٱبْنَتِي هٰذِهِ إِلَّا مِمَّن يَسُوقُ إِلَيْهَا أَلْفَ نَاقَةٍ مَهْرًا[٣] وَلَا أَرْضَاهَا إِلَّا مِنْ نُوقِ خُزَاعَةَ. وَغَرَضُ ٱلْعَمّ كَانَ أَن يَسْلُكَ بِشْرٌ ٱلطَّرِيقَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ خُزَاعَةَ فَيَفْتَرِسَهُ ٱلْأَسَدُ لِأَنَّ ٱلْعَرَبَ قَدْ كَانَتْ تَحَامَتْ عَنْ ذٰلِكَ ٱلطَّرِيقِ[٤] وَكَانَ فِيهِ أَسَدٌ يُسَمَّى دَاذًا وَحَيَّةٌ يُدْعَى شُجَاعًا يَقُولُ فِيهِمَا قَائِلُهُمْ:

أَفْتَكُ مِنْ دَاذٍ وَمِنْ شُجَاعِ[٥] إِنْ يَكُ دَاذٌ سَيِّدَ ٱلسِّبَاعِ
فَإِنَّهَا سَيِّدَةُ ٱلْأَفَاعِي

ثُمَّ إِنَّ بِشْرًا سَلَكَ ذٰلِكَ ٱلطَّرِيقَ فَمَا نَصَفَهُ حَتَّى لَقِيَ ٱلْأَسَدَ وَقَمَصَ مُهْرُهُ[٦] فَنَزَلَ وَعَقَرَهُ ثُمَّ ٱخْتَرَطَ سَيْفَهُ إِلَى ٱلْأَسَدِ وَٱعْتَرَضَهُ وَقَطَّهُ[٧] ثُمَّ كَتَبَ بِدَمِ ٱلْأَسَدِ عَلَى قَمِيصِهِ إِلَى ٱبْنَةِ عَمّهِ:

---

(١) **كف عنّا مجنونك** زوجه ابنتك أو احمنا من شره. ويروى: إما أن تكفينا أمره أو تنيله مراده.

(٢) لو تكفل لهم بدفع شرّه لما استطاع ولو زوجه ابنته كان مقسورًا على ذلك وعد منه رضى بالضيم وفي كلا الأمرين عار شديد لهذا طلب منهم المهلة.

(٣) **آليت** حلفت. وقوله: ألا ممن يسوق إليها ألف ناقة أي لا يزوجها إلّا للذي يعطي مهرها ألف ناقة فعبر بسوقها عن إعطائها. والمهر ما يجب على الزوج أن يدفعه لمن يريد زواجها كأنه عوض عما تبذله من نفسها في خدمته والقيام على بيته.

(٤) **تحامت العرب عنه** تباعدت عنه في سيرها إلى مظان منافعها حذرًا من الأسد والحية.

(٥) **افتك من داذ** تفضيل من فتك فلان بفلان بطش به أو انتهز منه فرصة فقتله أو أخذه على غفلة فأزهق روحه. وفي الفتك معنى التمزيق والقطع.

(٦) **ما نصفه** ما بلغ نصفه. **وقمص الفرس** وغيره يقمص كينصر ويضرب قمصًا وقماصًا ككتاب وقماصًا كركام رفع يديه معًا وطرحها معًا وعجن برجليه ولا يكون ذلك من الفرس المروّض إلّا إذا عرض له ما يفزعه أشد الفزع.

(٧) **عقره** قطع قوائمه حصدًا بالسيف. **واخترط** سيفه إلى الأسد سلّه ودلف به إليه. ويظهر من العبارة أنه لم يسل السيف إلّا ليتقدم إلى الأسد مع أنه لم يعقر المهر إلّا به لكنه أراد أنه بعد أن عقر المهر تقدم إلى الأسد مخترطًا سيفه لا إنه جدد الاخترط بعد العقر. وقد يريدون من **العقر** التقييد والحبس لأنه أشبه بحصد القوائم في أن كلًا يمنع من المشي وقطّه أي قطعه عرضًا.

أَفَاطِمَ لَوْ شَهِدْتِ بِبَطْنِ خَبْتٍ وَقَدْ لَاقَى ٱلْهِزَبْرُ أَخَاكِ بِشْرَا(١)
إِذًا لَرَأَيْتِ لَيْثًا زَارَ لَيْثًا هِزَبْرًا أَغْلَبًا لَاقَى هِزَبْرَا(٢)
تَبَهْنَسَ ثُمَّ أَحْجَمَ عَنْهُ مُهْرِي مُحَاذَرَةً فَقُلْتُ عُقِرْتَ مُهْرَا(٣)
أَنِلْ قَدَمَيَّ ظَهْرَ ٱلْأَرْضِ إِنِّي رَأَيْتُ ٱلْأَرْضَ أَثْبَتَ مِنْكَ ظَهْرَا(٤)
وَقُلْتُ لَهُ وَقَدْ أَبْدَى نِصَالًا مُحَدَّدَةً وَوَجْهًا مُكْفَهِرًّا(٥)

---

(١) **الخبت** المطمئن من الأرض فيه رمل. **وبطن كل شيء** جوفه وربما كان بطن خبت علمًا على موضع لكن لا نراه في كتب البلدان والأماكن. أما **خبت** بدون بطن ففي المشترك أنه علم لأربعة مواضع: خبت الجميش صحراء بين مكة والمدينة. وخبت البزواء قرب الجحفة بين مكة والمدينة أيضًا. وخبت قرية من قرى زبيد. وخبت ماء معروف لكلب اهـ. وهو هنا أحد الأولين. **والهزبر** الأسد. وقد نسب بعض الرواة هذه الأبيات لعمرو بن معدي كرب كتب بها إلى أخته كبشة وكان اسم ابنة عمه لميس ويقول فيها:

تظن لميس أن الليث مثلي وأقوى همة وأشد صبرا
لقد خابت ظنون لميس فيه وأضحى البر خالي منه صفرا

ومطلع القصيدة على زعم هؤلاء الرواة:

أكبشة لو شهدت ببطن جب وقد لاقى الهزبر أخاك عمرا

والصحيح أن الواقعتين مختلفتان فوقع بينهما الاشتباه وخلطتا إحداهما بالأخرى وقد حصل توارد الخاطر بين الشاعرين في بعض الأبيات فقط.

(٢) **الليث** الأسد. والمبالغة في تلقيب نفسه بالليث وليست في تلقيب الهزبر بالليث كما ظنه بعض من لا يعرف خواص الأساليب فظن أن الهزبر في البيت حيوان غير الأسد واستدل بهذين البيتين توهمًا منه أن البيت الثاني يشبه الهزبر بالليث كما يشبه بشرًا به. **وهزبرًا** وصف لا اسم وهو الغليظ الضخم والشديد الصلب والغالب من ألقاب الأسد ذكره وصفًا كأنه قال من شأنه أن يغلب أقرانه. وقوله: **لاقى هزبرًا** تابع للصفات المتقدمة وكلها صفات لليث الثاني فالليث الأول بشر زار الليث الذي اسمه داذ وداذ هزبر أغلب لاقى هزبرًا مثله. فالهزبر الأخير هو بشر أيضًا. ويروى: أم ليثًا بدل زار. ويروى: رام ليثًا أيضًا.

(٣) **تبهنس** تبختر صفة للأسد الذي لاقاه. **وإحجام المهر** تأخره عن لقائه خوفًا منه لهذا قال محاذرة. وقوله: فقلت **عقرت مهرًا** أي قطعت. قوائمك التي أخّرتك وأخّرتني عن ملاقاة الأسد وكان قوله هذا مقرونًا بالفعل فإنه عقره كما تقدم. ويروى: بدل ثم أحجم: إذ تقاعس.

(٤) بعد أن قال له عقرت مهرًا قال له اسكن حتى أنزل فتصل قدماي إلى ظهر الأرض فقد رأيت الأرض أثبت ظهرًا منك. **وأنال** قدمه ظهر الأرض مكنها منه وأوصلها إليه. والشطر الثاني حقيقة بينة.

(٥) **النصال** جمع نصل وهو حديدة السيف والسهم والرمح والسكين يريد بها هنا أنيابه. **وأبداها** أظهرها بما كشر عنها. **والوجه المكفهر** القليل اللحم الغليظ الجلدة العابس.

يُكَفْكِفُ غِيلَةً إِحْدَى يَدَيْهِ وَيَبْسُطُ لِلْوُثُوبِ عَلَيَّ أُخْرَى[١]
يُدِلُّ بِمِخْلَبٍ وَبِحَدِّ نَابٍ وَبِاللَّحَظَاتِ تَحْسَبُهُنَّ جَمْرَا[٢]
وَفِي يُمْنَايَ مَاضِي الْحَدِّ أَبْقَى بِمَضْرِبِهِ قِرَاعُ الْمَوْتِ أُثْرَا[٣]
أَلَمْ يَبْلُغْكَ مَا فَعَلَتْ ظُبَاهُ بِكَاظِمَةٍ غَدَاةَ لَقِيتُ عَمْرَا[٤]
وَقَلْبِي مِثْلُ قَلْبِكَ لَيْسَ يَخْشَى مُصَاوَلَةً فَكَيْفَ يَخَافُ ذُعْرَا[٥]
وَأَنْتَ تَرُومُ لِلْأَشْبَالِ قُوتًا وَأَطْلُبُ لِابْنَةِ الْأَعْمَامِ مَهْرَا[٦]
فَفِيمَ تَسُومُ مِثْلِي أَنْ يُوَلِّي وَيَجْعَلَ فِي يَدَيْكَ النَّفْسَ قَسْرَا[٧]

---

(١) **يكفكف** هو في أصله بمعنى يمنع يكف لكنه هنا بمعنى يقبض **وغيلة** أما بمعنى خدعة أو بمعنى اغتيالًا فإن كان الأول فقد أراد أن الأسد قد استعظم شأنه فهو لا يجرؤ أن ينازعه مجاهرة لهذا يقبض إحدى يديه ليخدعه بإيهامه أنه لا يريد الوثبة عليه ثم يبسط يده الأخرى للوثوب. وعلى الثاني يصف هيئة الأسد في توثبه للاغتيال والافتراس فإنه يقبض إحدى يديه ويبسط الأخرى شأن كل ما هو واثب من الحيوان كما لا يخفى.

(٢) **يدل بمخلب** أي يريد لنفسه من القوة ما تتضاءل عندها قوتي وتضعف عن ملاقاتها ويجترئ بذلك علي وما منشأ هذا الإدلال والإعجاب بالنفس إلّا مخلبه وحدّ نابه ولحظات عينيه المتوقدة كأنها تلظي الجمر.

(٣) بعد أن بين آلة الأسد التي يدل بها عليه بين آلة نفسه وهي السيف الذي وصفه بأنه ماضي الحد وقد تعود الضرب والكسر والحطم كما يظهر من الندوب والثلوم التي أبقاها فيه مقارعة الأبطال في الحرب. **والأثر** بالضم أثر الجرح بعد البرء سمى به تلك الندوب في السيف استعارة رفيعة. ويروى: بدل أبقى أبغى وأنفى وكلاهما غير صحيح والصواب ما ذكرنا.

(٤) **ألم يبلغك** مفعول لقلت له أي قال للأسد وهو على تلك الهيئة التي وصفها ومعه سيفه كيف تدل علي بأنيابك ومخالبك ولحاظك ألم يبلغك ما فعلت ظبى سيفي هذا فكنت تخفض من تشامخك وتقلل من إدلالك، **والظبى** جمع ظبة وهي حد السيف وجمعها مع أن للسيف حدًا واحدًا تفخيمًا لها وإفهامًا للسامع أنه وإن كان واحدًا إلّا أن أفاعيله لا تصدر إلّا عن الكثير. وكاظمة اسم لموضعين المعروف منهما الذي على ساحل بحر فارس بينه وبين البصرة مرحلتان لقاصد البحرين. **وغداة** لقيت عمرًا يروى: غداة قتلت عمرًا. ويروى: بدل ما فعلت ظباه: ما فعلته كفي. وروايتنا أفضل.

(٥) يقول كما أن لي سلاحًا مثل سلاحك لي أيضًا قلب مثل قلبك لا يخشى المواثبة فكيف يخاف الذعر. **والذعر** بالفتح الإخافة. يقول: إذا كان لا يهاب المصاولة ولا يخشاها فكيف يخشى التخويف والتهويل وهو تهديد قبل إيقاع. ويروى: لست أخشى مصاولة فكيف أخاف.

(٦) **الأشبال** أولاد الأسد.

(٧) **فيم** بمعنى لم استفهام عن السبب أي إن كان لي سلاح كسلاحك وقلب كقلبك فلأي الأسباب تكلف مثلي أن ينهزم ويوليك ظهره فتدركه فتفترسه فكأنه قد جعل نفسه في =

نَصَحْتُكَ فَٱلْتَمِسْ يَا لَيْثُ غَيْرِي طَعَامًا إِنَّ لَحْمِي كَانَ مُرًّا[١]
فَلَمَّا ظَنَّ أَنَّ ٱلْغُشَّ نُصْحِي وَخَالَفَنِي كَأَنِّي قُلْتُ هُجْرَا[٢]
مَشَى وَمَشَيْتُ مِنْ أَسَدَيْنِ رَامَا مَرَامًا كَانَ إِذْ طَلَبَاهُ وَعْرَا[٣]
هَزَزْتُ لَهُ ٱلْحُسَامَ فَخِلْتُ إِنِّي سَلَلْتُ بِهِ لَدَى ٱلظَّلْمَاءِ فَجْرَا[٤]
وَجُدْتُ لَهُ بِجَائِشَةٍ أَرَتْهُ بِأَنْ كَذِبَتْهُ مَا مَنَّتْهُ غَدْرَا[٥]
وَأَطْلَقْتُ ٱلْمُهَنَّدَ مِنْ يَمِينِي فَقَدَّ لَهُ مِنَ ٱلْأَضْلَاعِ عَشْرَا

= يديك قسرًا وقهرًا. ويروى: قهرًا بدل قسرًا والمعنى واحد.

(١) يروى: بدل يا ليث «يا ويك» **وويك** كلمة دعاء مثل ويحك كلمة دعاء والمنادى محذوف من الكلام أي يا هذا ويحك. ويروى هذا البيت:

محضتك نصح ذي شفق فحاذر مرامي لا تكن بالموت غرا

والشفق الشفقة. **ولا تكن غرًا بالموت** لا تكن جاهلًا بأسبابه التي من جملتها الشاعر.

(٢) **الهجر** بالضم الهذيان مثل ما يكون من النائم في نومه والمريض في حدة مرضه. ويروى الشطر الثاني: وخال مقالتي زورًا وهجرًا.

(٣) لما نصحه ولم يسكن لنصيحته تقدم الأسد إليه اغترارًا منه بقوته وتقدم بشر إلى الأسد اعتمادًا على شجاعته فيا لهما من أسدين طلبا مطلبًا كان وعرًا صعب المنال لأن كلًا منهما كان يطلب من صاحبه ما لا ينال. وقوله **من أسدين** بيان للضميرين في مشى ومشيت تفخيمًا وتعظيمًا لما عاد إليه كلٌ منهما.

(٤) **هز الحسام** حركه في يده كأنه يروزه ليتهيأ للضرب فتخيل بريقه ولمعانه كأنه فجر سل في الظلماء. ويروى: بدل سللت شققت ويعبر عن طلوع الفجر بفلقه والله فالق الأصباح.

(٥) **الجائشة** النفس. يتهكم على الأسد ويقول إنني تكرمت عليه بنفس قد أرته وأظهرت له أنها قد غدرت به فيما منته وأطعمته فيها بثباتها بين يديه إذ كذبته تلك الأمنية وفتكت به وقد يراد من الجائشة هنا المعنى الوصفي أي بضربة هائجة وقد كانت تلك الضربة منته خيبتها لاضطرابها بهيجان ضاربها. ويروى بدل أرته: رآها. ويروى بعد هذا البيت:

وجدت بضربة جاءته شفعًا بساعد ماجد تركته وترا

فإذا أردنا من الجائشة المعنى الثاني كان هذا البيت تفسيرًا لسابقه وإن كان المعنى الأول كان لهذا البيت معنى مستقل وكأنه تفصيل لما أجمل في قوله أرته بأن كذبته ما منته غدرًا **وشفعًا** حال من ضمير الأسد في جاءته وإنما كان الأسد شفعًا لأنه حين هوت إليه الضربة كان مع أسد آخر وهو بشر وإطلاق الشفع على كل من الاثنين جائز لأن الشفع يتم بكل منهما. والضمير في تركته يعود إلى الماجد لأن الضربة لما قتلت الأسد فقد تركت الماجد وهو بشر أسدًا فردًا وهو الوتر. ويروى هذا البيت:

بضربة فيصل تركته شفعًا لدي وقبلها قد كان وترا

أي إنها قسّمته فصار اثنين وقد كان واحدًا. والمعنى ظاهر.

فَخَرَّ مُجَدَّلًا بِدَمٍ كَأَنِّي ... هَدَمْتُ بِهِ بِنَاءً مُشْمَخِرًّا[١]
وَقُلْتُ لَهُ يَعِزُّ عَلَيَّ أَنِّي ... قَتَلْتُ مُنَاسِبِي جَلَدًا وَفَخْرَا[٢]
وَلٰكِنْ رُمْتَ شَيْئًا لَمْ يَرُمْهُ ... سِوَاكَ فَلَمْ أُطِقْ يَا لَيْثُ صَبْرَا[٣]
تُحَاوِلُ أَنْ تُعَلِّمَنِي فِرَارًا ... لَعَمْرُ أَبِيكَ قَدْ حَاوَلْتَ نُكْرَا[٤]
فَلَا تَجْزَعْ فَقَدْ لَاقَيْتَ حُرًّا ... يُحَاذِرُ أَنْ يُعَابَ فَمُتَّ حُرًّا[٥]
فَإِنْ تَكُ قَدْ قُتِلْتَ فَلَيْسَ عَارًا ... فَقَدْ لَاقَيْتَ ذَا طَرَفَيْنِ حُرًّا[٦]

فَلَمَّا بَلَغَتِ ٱلْأَبِيَاتُ عَمَّهُ نَدِمَ عَلَى ما مَنَعَهُ تَزْوِيجَهَا[٧] وَخَشِيَ أَنْ تَغْتَالَهُ ٱلْحَيَّةُ فَقَامَ فِي أَثَرِهِ وَبَلَغَهُ وَقَدْ مَلَكَتْهُ سَوْرَةُ ٱلْحَيَّةِ[٨]. فَلَمَّا رَأى عَمَّهُ أَخَذَتْهُ حَمِيَّةُ ٱلْجَاهِلِيَّةِ فَجَعَلَ يَدَهُ فِي فَمِ ٱلْحَيَّةِ وَحَكَّمَ سَيْفَهُ فِيهَا[٩] فَقَالَ:

---

(١) **خرّ** سقط. **ومجدلًا** مصروعًا على الجدالة أي الأرض. ويروى: **مضرجًا** بدم أي ملطخًا وهي أظهر. وعلى الأولى لا بدّ من تقدير في الكلام أي إنه صرع مصحوبًا بالدم أو ملطخًا به وكان لسقوطه على الأرض هدة كأن بناء عاليًا هدم بسقوطه.

(٢) بعد أن قتله أخذ يعتذر له عما وقع منه ويعاتبه على مبادرته له بالعدوان. وكأنه يريد أن يفهمه أنه لم يفعل به ما فعل إلّا اضطرارًا وحمية للنفس وأنفة من الذل ولولا ذلك لكان عفا عنه. **ويعز علي** يصعب. **ومناسبي** مشاكلي ومشابهي في الجَلَد والثبات. **والفخر** أي ما يفخر به من الشجاعة والقوة. ويروى: بدل فخر: **قسرًا** وهو القهر. ويروى: **قهرًا**.

(٣) رمت أن تفترسني وهذا شيء لم يطلبه سواك مني لهذا لم أستطع الصبر على هذا الطلب الجائر عن العدل.

(٤) **النكر** بالضم المنكر أي كنت تطلب وتجتهد في أن تعلمني الفرار والهزيمة لقد اجتهدت في الوصول إلى شيء منكر لا يمكنك الوصول إليه.

(٥) يروى: بدل فلا تجزع: فلا تغضب. ويروى: فلا تبعد. والحر في هذا البيت الكريم والخيار.

(٦) كأنه يسليه عما أصابه فيقول: إن كنت قتلت فما هو بعار عليك أن تقتل بيدي فإن قاتلك الذي لقيته ذو طرفين أي أبوين معروفين أصيلين فهو عريق في النسب شريف الحسب حر وإنما العار أن يؤخذ المرء بيد دنيء. **والحر** هنا الصريح النسب الذي لم يدخل في نسبه رق ولا شبهة.

(٧) **ما** مصدرية أي على منعه تزويجها. وفي نسخة: من تزويجها.

(٨) **سورة الحية** سطوتها.

(٩) **يظهر** من الأبيات الآتية أنه لف يده في كمه وأدخلها في فم الحية. ويروى: بعد فم الحية: وقبض على لسانها وحكم سيفه فيها فقتلها.

بِشْرٌ إِلَى ٱلْمَجْدِ بَعِيدٌ هَمُّهُ لَمَّا رَآهُ بِٱلْعَرَاءِ عَمُّهُ(١)
قَدْ ثَكِلَتْهُ نَفْسُهُ وَأُمُّهُ جَاشَتْ بِهِ جَائِشَةٌ تَهُمُّهُ(٢)
قَامَ إِلَى ٱبْنِ لِلْفَلَا يَؤُمُّهُ فَغَابَ فِيهِ يَدُهُ وَكُمُّهُ(٣)
وَنَفْسُهُ نَفْسِي وَسَمِّي سَمُّهُ(٤)

فَلَمَّا قَتَلَ ٱلْحَيَّةَ قَالَ عَمُّهُ: إِنِّي عَرَّضْتُكَ طَمَعًا فِي أَمْرٍ قَدْ ثَنَى ٱللَّهُ عِنَانِي عَنْهُ(٥) فَٱرْجِعْ لِأُزَوِّجَكَ ٱبْنَتِي. فَلَمَّا رَجَعَ جَعَلَ بِشْرٌ يَمْلَأُ فَمَهُ فَخْرًا حَتَّى طَلَعَ أَمْرَدُ كَشِقِّ ٱلْقَمَرِ(٦) عَلَى فَرَسِهِ مُدَجَّجًا فِي سِلَاحِهِ. فَقَالَ بِشْرٌ: يَا عَمُّ إِنِّي أَسْمَعُ حِسَّ صَيْدٍ. وَخَرَجَ فَإِذَا بِغُلَامٍ عَلَى قَيْدٍ(٧) فَقَالَ: ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا بِشْرُ أَنْ قَتَلْتَ دُودَةً وَبَهِيمَةً تَمْلَأُ

---

(١) **الهم** هنا الهمة يقال فلان بعيد الهمة إذا كان طلابًا لمعالي الأمور. و**العراء** بالفتح الفضاء لا يستتر فيه بشي.

(٢) هذا البيت يشتمل على حالين من ضمير رآه، فالحال الأولى قد ثكلته نفسه وأمه أي رآه وقد أشرف على الهلاك فكأن قد **ثكلته** نفسه أي فقدته هي وأمه. والحال الثانية جاشت به إلخ. و**جاشت** أي هاجت. و**الجائشة** وصف لمحذوف أي الحية الهائجة. وقول: **تهمه** أي تودع الهم والغم قلبه بما توقع به من الشر.

(٣) قوله **قام إلى ابن** هو جواب لما رآه عمه. وابن الفلا هو الحية. و**الفلا** جمع فلاة وهي الصحراء الواسعة أو المفازة لا ماء فيها والحياة العظيمة قلّما توجد إلّا في الفلوات لهذا سماها أبناء الفلا **ويؤمه** يقصده. وقوله: **فغاب فيه** أي في فمه.

(٤) ضمير المتكلم لبشر لأنه المتكلم بالأبيات أي أنه حية مثله فنفسه شبيهة بنفس الحية وسمه شبيه بسمه. و**سمه** هنا سيفه الذي قتل الحية به فكما أنه كان مع الأسد أسدًا آخر كذلك هو مع الحية حية.

(٥) أي إني كنت عرّضتك لخطر الهلاك حتى لا أزوّجك بنتي وقد عطفني الله عن ذلك كما يثني عنان الجواد إلى وجه غير الذي كان يسير إليه.

(٦) أي كأنه في بهائه وجماله فلقة من القمر. وقوله: **مدججًا في سلاحه** أي لابس سلاحه وكأنه مستتر به لا ترى العين إلّا السلاح.

(٧) أي إنه خرج لطلب الصيد الذي سمع حسّه فإذا بذلك الغلام على **قيد رمح** منه أي مقدار طول الرمح يعنون بذلك القرب وحذف الرمح لأن الكلمة مشهورة معروفة. ويروى: بدل (فخرج فإذا بغلام إلخ). فقال الغلام **مددت رجلك إلى قيد** وهو جواب من الغلام لقول بشر إني أسمع حس صيد وهو إما دعاء عليه بالأسر والوقوع في قبضة قوم يقيدونه أو خبر أي إن ما ظننته صيدًا ليس بصيد بل هو صائد فأنت بقولك هذا قد مددت رجلك إلى القيد. وقوله ثكلتك أمك يروى: ثكلتك نفسك.

مَاضِغَيْكَ فَخْرًا(١). أَنْتَ فِي أَمَانٍ إِنْ سَلَّمْتَ عَمَّكَ. فَقَالَ بِشْرٌ. مَنْ أَنْتَ لَا أُمَّ لَكَ. قَالَ: اَلْيَوْمُ ٱلْأَسْوَدُ وَٱلْمَوتُ ٱلْأَحْمَرُ. فَقَالَ بِشْرٌ: ثَكِلَتْكَ مَنْ سَلَحَتْكَ(٢). فَقَالَ يَا بِشْرُ وَمَنْ سَلَحَتْكَ. وَكَرَّ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُما عَلَى صَاحِبِهِ. فَلَم يَتَمَكَّنْ بِشْرٌ مِنْهُ وَأَمْكَنَ ٱلْغُلَامَ عِشْرُونَ طَعْنَةً فِي كُلْيَةِ بِشْر كُلَّمَا مَسَّهُ شَبَا ٱلسِّنَانِ حَمَاهُ عَنْ بَدَنِهِ إِبْقَاءً عَلَيْهِ(٣). ثُمَّ قَالَ: يَا بِشْرُ كَيْفَ تَرَى أَلَيْسَ لَوْ أَرَدْتُ لَأَطْعَمْتُكَ أَنْيَابَ ٱلرُّمْحِ(٤). ثُمَّ أَلْقَى رُمْحَهُ وَٱسْتَلَّ سَيْفَهُ فَضَرَب بِشْرًا عِشْرِينَ ضَرْبَةً بِعَرْضِ ٱلسَّيْفِ وَلَمْ يَتَمَكَّنْ بِشْرٌ مِنْ وَاحِدَةٍ. ثُمَّ قَالَ: يَا بِشْرُ سَلِّمْ عَمَّكَ وَٱذْهَبْ فِي أَمَانٍ. قَالَ: نَعَمْ وَلٰكِنْ بِشَرِيطَةِ أَنْ تَقُولَ لِي مَنْ أَنْتَ. فَقَالَ: أَنَا ٱبْنُكَ. فَقَالَ: يَا سُبْحَانَ ٱللّٰهِ مَا قَارَنْتُ عَقِيلَةً قَطُّ(٥) فَأَنَّى لِهٰذِهِ ٱلْمِنْحَةُ. فَقَالَ: أَنَا ٱبْنُ ٱلْمَرْأَةِ ٱلَّتِي دَلَّتْكَ عَلَى ٱبْنَةِ عَمِّكَ فَقَالَ بِشْرٌ:

تِلْكَ ٱلْعَصَا مِنْ هٰذِهِ ٱلْعُصَيَّهْ ... هَلْ تَلِدُ ٱلْحَيَّةُ إِلَّا ٱلْحَيَّهْ(٦)

وَحَلَفَ لَا رَكِبَ حِصَانًا وَلَا تَزَوَّجَ حَصَانًا(٧). ثُمَّ زَوَّجَ ٱبْنَةَ عَمِّهِ لِابْنِهِ.

---

(١) **الماضغان** أصول اللحيين عند مدخل الأسنان لأنهما يتحركان عند المضغ بل هما آلته ويملأ الماضغين أي ما بينهما وهو الفم. وقوله: أنت في أمان إلخ مطالبة له بما لا يمكن أن تسمح به حميته. كيف يسلم عمه بدون قتال.

(٢) **سلحتك** رمت بك من بطنها وقذفتك وهي أمك. فأجابه الغلام بشتم مثل شتمه. فقال: ومن **سلحتك** يا بشر أي وثكلتك من سلحتك أيضًا.

(٣) أي أن الغلام قد تمكن من قتل بشر بعشرين طعنة كلها تصيب كليته لكنه كان يمس بدنه **بشبا السنان** أي طرفه ثم يحميه أي يبعده عنه ويقيه منه إبقاء عليه أي رحمة له واستبقاء لحياته.

(٤) أليس الحال والأمر إني لو أردت أن أجعلك طعامًا لأنياب الرمح لأطعمتك إياها وليس للرمح إلّا ناب واحد وهو السنان لكنه جمعها باعتبار تعدد الطعنات كأن لها في كل طعنة نابًا أو إنه شبّه الرمح بمفترس له أنياب وطواه وأشار إليه بالأنياب فهي تخييل محض.

(٥) **ما قارنت عقيلة** ما تزوجت امرأة كريمة حتى تأتي بغلام كريم مثل هذا.

(٦) إشارة إلى مثلين معروفين أحدهما العصا من العصية. **والعصا** فرس كانت لجذيمة الأبرش **والعصية** أمها أي إن الولد تابع لأصوله في الكريم ويريد أن هذه الشجاعة في الغلام وحذقه في ضرب السلاح كانتا له من أبيه وأمه. والثاني **هل تلد الحية إلّا الحية** أي إنه لا يلد مثل هذا الغلام إلّا مثل بشر وأمه فليس بعجيب ما رآه منه.

(٧) **الحصان** ككتاب ذكر الفرس. **والحصان** كسحاب المرأة العفيفة وإذا لم يتزوج عفيفة فهو أحرى أن لا يتزوج غيرها والله أعلم.

هذا آخر ما أردنا تعليقه على ما وجد من مقامات أبي الفضل بديع الزمان الهمذاني. وكان الفراغ منه في السادس عشر من شهر رمضان المعظّم سنة ست وثلاثمائة وألف من الهجرة النبوية، على صاحبها أفضل السلام وأتم التسليم.

فهرس الكتاب

أبو الفضل أحمد بن الحسين بن يحي بن سعيد المعروف ببديع الزمان الهمذاني، (358 هـ / 969 م)، كاتب وأديب من أسرة عربية ذات مكانة علمية مرموقة استوطنت همذان وبها ولد بديع الزمان فنسب إليها.

يعتبر كتاب المقامات أشهر مؤلفات بديع الزمان الهمذاني الذي له الفضل في وضع أسس هذا الفن وفتح بابه واسعًا ليلجه أدباء كثيرون.

المقامات مجموعة حكايات قصيرة متفاوتة الحجم جمعت بين النثر والشعر بطلها رجل وهمي يدعى أبو الفتح الإسكندري وعرف بخداعه ومغامراته وفصاحته وقدرته على قرض الشعر وحسن تخلصه من المآزق إلى جانب أنه شخصية فكاهية نشطة تنتزع البسمة من الشفاه والضحكة من الأعماق.



ISBN 978-614-404-029-4